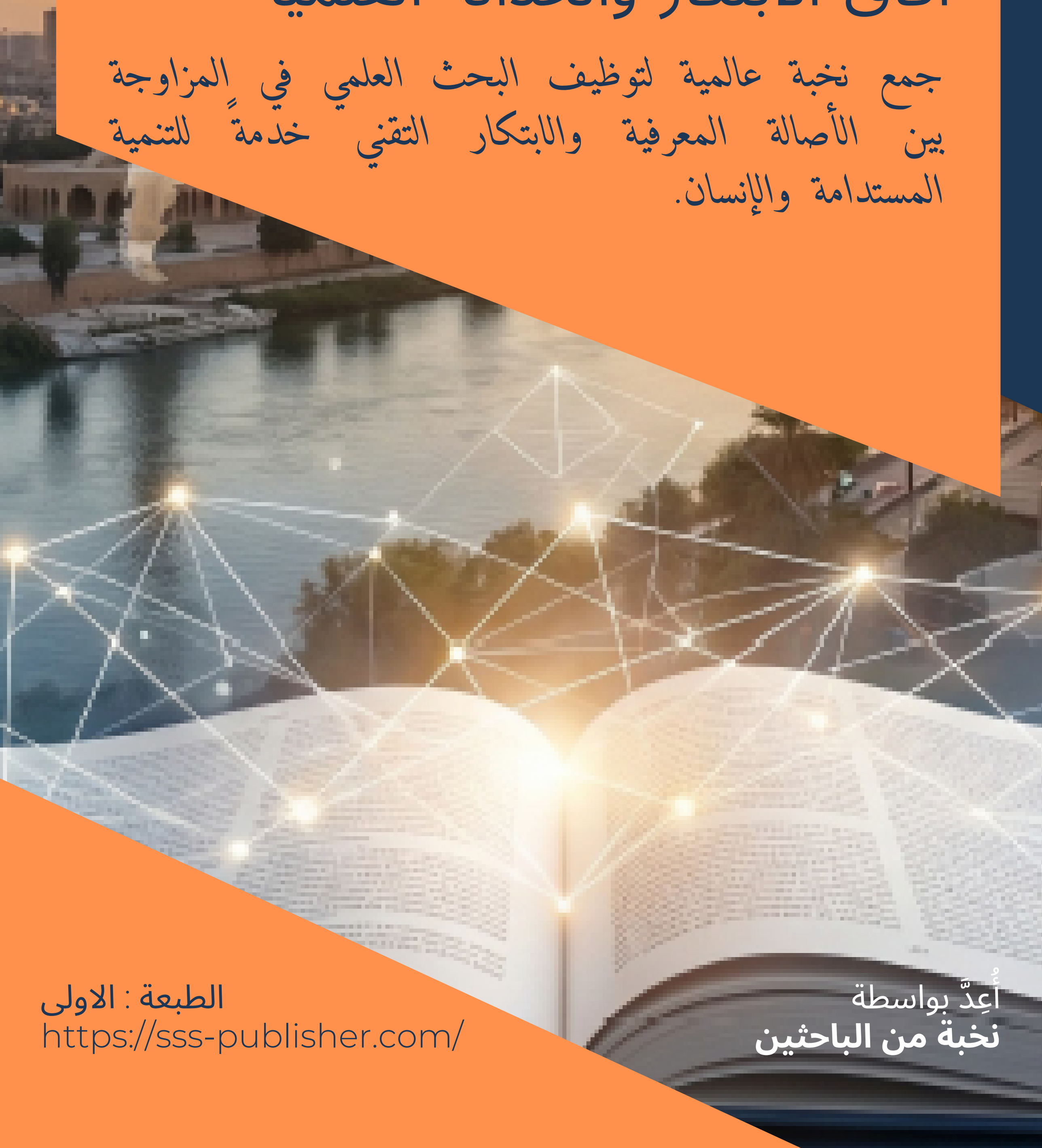
تركيب الرقيم السومري للنشر والتوزيع

2026

المؤتمر العلمي الدولي الثاني الدوري الموسوم: من الأصالة الإنسانية إلى آفاق الابتكار والحداثة العلمية

جمع نخبة عالمية لتوظيف البحث العلمي في المزاوجة بين الأصالة المعرفية والابتكار التقني خدمةً للتنمية المستدامة والإنسان.



الطبعة : الاولى
https://sss-publisher.com/

أُعِدَّ بواسطة
نخبة من الباحثين

كتاب وقائع
المؤتمر العلمي الدولي الثاني الدوري

الموسوم

من الأصالة الإنسانية إلى آفاق الابتكار والحداثة العلمية

الجزء العاشر

المنعقد بالتعاون مع عدد من الجامعات والمؤسسات الأكاديمية

في رحاب كلية ابن خلدون الجامعة بغداد - العراق للمدة من 23 ولغاية 24 آب 2026

التنضيد والتصميم والإشراف الفني: مؤسسة أجيال الرافدين لتطوير التعليم

الناشر: دار الرقيم السومري للنشر والتوزيع

المؤتمر العلمي الدولي الثاني الدوري

الموسوم: من الأصالة الإنسانية إلى آفاق الابتكار والحداثة العلمية

برعاية كريمة وبإشراف السادة الأفاضل:

الأستاذ الدكتور أسامة إسماعيل المشهداني رئيس جامعة نينوى.

الأستاذ الدكتور كوسار محمد علي رئيس جامعة السليمانية.

الأستاذ الدكتور وسام صلاح عبد الحسين رئيس جامعة قرطبة.

الأستاذ الدكتور حاتم هذال عبدالحميد مدير عام دائرة البحوث والدراسات.

الأستاذ رباح إبراهيم آل جعفر مدير عام دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية.

الأستاذ الدكتور صالح عبد المهدي الخالدي عميد كلية ابن خلدون الجامعة.

الأستاذة الدكتورة سوزان صابر حيدر عميد كلية الإدارة والاقتصاد – جامعة السليمانية.

الدكتور علي مهدي كاظم عميد كلية العلوم – جامعة قرطبة.

الدكتور علاء ثابت جاسم رئيس مؤسسة أجيال الرافدين لتطوير التعليم.

الأستاذ المساعد الدكتور علي عبودي نعمة المدير التنفيذي لمؤسسة أجيال الرافدين لتطوير التعليم.

الدكتور أحمد جميل مجيد المدرس مدير مركز وعي للاستشارات وبناء القدرات.

ديباجة المؤتمر

انطلاقاً من الدور المحوري للبحث العلمي ونشر الأبحاث العلمية في معالجة القضايا الراهنة وتقديم الحلول المستقبلية وسعياً نحو تعزيز الحوار الأكاديمي البنّاء بين مختلف التخصصات يسرنا أن نعلن عن عقد هذا المؤتمر العلمي الدولي. يهدف المؤتمر إلى جمع نخبة من الباحثين والأكاديميين من مختلف أنحاء العالم لتبادل الرؤى والخبرات العلمية والبحث في كيفية المزاوجة بين "الأصالة الإنسانية" التي تمثل الجذور المعرفية العميقة وبين "آفاق الابتكار" التي تفرضها متطلبات الحداثة العلمية والتقنية إن هذا المحفل العلمي يسعى لتجسير الفجوة بين التراث المعرفي والتقنيات المعاصرة لخلق توازن يدعم التنمية المستدامة ويواجه التحديات العالمية بمنظور علمي مبتكر يضع الإنسان وقيمه في صلب التطور التكنولوجي.

الجهات الراعية والمنظمة للمؤتمر

عُقد المؤتمر في رحاب كلية ابن خلدون الجامعة في العراق – بغداد بالتعاون مع جامعة نينوى وجامعة السليمانية وجامعة قرطبة ودائرة البحوث والدراسات ودائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية ودار نور العلم للطباعة والنشر والتوزيع – إربد الأردن ومركز الخيميائي للتدريب والاستشارات – العقبة الأردن ومركز وعي للاستشارات وبناء القدرات ومؤسسة أجيال الرافدين لتطوير التعليم – العراق للفترة (23 – 24 / 8 / 2026).

المؤتمر العلمي الدولي الثاني الدوري الموسوم: من الأصالة الإنسانية إلى آفاق الابتكار والحداثة العلمية

(الجزء العاشر):

المؤتمر العلمي الدولي الثاني الدوري الموسوم: من الأصالة الإنسانية إلى آفاق الابتكار والحداثة العلمية :(الجزءا العاشر)

نخبة من الباحثين

التصنيف : العلوم الاجتماعية، الفلسفة، الفنون والتاريخ

ISBN: 978-9922-7963-69

DOI: 10.62909/978.9922.7963.69



دار تركيب الرقيم السومري للطباعة والتوزيع والنشر الالكتروني

العراق – ديالى – بعقوبه – شارع الاوقاف

هاتف : 07775262892

manager@sss-publisher.com

جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يحق لأي مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله، بأي شكل أو وساطة من وسائط نقل المعلومات، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من المؤلف.

جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر.

المؤتمر العلمي الدولي الثاني الدوري
الموسوم: من الأصالة الإنسانية إلى آفاق الابتكار والحداثة العلمية :(الجزء العاشر)

نخبة من الباحثين



2026



تنضيد الكتاب

معهد الترجمة والكتاب

«ماليزيا»

مراجعة لغوية

الدكتور محمد محمد كاظم

«العراق»

تصميم الغلاف

معهد التكنالوجيا

«الهند»

التوزيع والنشر الإلكتروني ، تمت فهرسة هذا الكتاب في عدد من الفهارس والمنصات الدولية، منها:

كروس ريف	(CrossRef)
أوبن ألكس	(OpenAlex)
مؤشر الاقتباس المفتوح الأوكراني	(OUCI)
سجل مستودعات الوصول المفتوح	(ROAR)
سيمنتك سكولار	(Semantic Scholar)
دايمنشنز	(Dimensions)
ريسرش غيت	(ResearchGate)
فات كات	(Fatcat)
المعيار الدولي للترقيم	(IAS)
مؤشر الاستشهاد العلمي	(SCI)
أوركيد	(ORCID)
سايليت	(Scilit)

الموقع الرسمي لدار النشر الرقيم السومري للنشر والتوزيع

يتوفر هذا الكتاب عبر الموقع الرسمي لدار النشر، مع تخصيص مُعرّف رقمي دائم (DOI) خاص به: https://doi.org/10.62909/978.9922.7963.69

978-9922-7963-69

فهرس المحتويات

اسم المؤلف	عنوان البحث	ر–ص
م. صلاح محمد طه	دور المخرج العربي في بناء الشخصية الواقعية الدرامية في المسلسل التلفزيوني	1–33
م.د. يسرى عبد الامير مسلم أ.د. احمد يحيى عباس عنوز	التحليل المكاني لحركة النقل الجوي في المطارات العراقية	34–52
م.د غصون عبد محمد اكرم محمد نجيمان الفهداوي	تشكيل الذات في سياق الحرية: دراسة فلسفية معاصرة ابعاد العولمة وتأثيراتها الثقافية والاجتماعية في العراق	53–86
م.م.كريمة مزهر نايف	إدمان استخدام منصات التواصل الاجتماعي وتأثيره على الهوية الاجتماعية للمراهقين (دراسة ميدانية في محافظة بابل)	87–110
علي عبدالحسين الحمداني	ثنائية المرئي واللامرئي في أداء الممثل المسرحي	111–139
مسار عبد الواحد جاسم الغانمي	الهوية الرقمية وعلاقتها بالصحة النفسية لدى طلبة المرحلة المتوسطة في ظل الاستخدام المتزايد لمنصات التواصل الاجتماعي	140–179
هدير حسن جواد	المشروع النقدي عند إدريس هاني	179–255
لينة مثنى عدنان	النبوة والمعجزة في فلسفة باروخ سبينوزا: دراسة تحليلية نقدية	256–287
فرح هادي عبس	العولمة و أثارها على الانتماء لدى الشباب دراسة ميدانية في مدينة القاسم	288–326
وليد نعمة حسين خلف محبوبه	أساليب المأمون في تعامله مع خصومه والعوامل المؤثرة فيها	327–369
	اقتصاد التمور وعالمية البصرة (1869–1917): التحولات الزراعية بين التنظيمات العثمانية والنفوذ البريطاني	370–404
سها محرف محمد	دور الارشاد الزراعي في معالجة مشكلة التصحر بقضاء كوثى	405–424
سمية عبد الوهاب محمد	التكنولوجيا المساعدة وتحليلها التصميمي للمنتج الصناعي من الفكرة إلى الاستخدام	425–456

احمد صالح حذيه المعموري	التطورات الداخلية في جيبوتي في عهد الرئيس اسماعيل عمر جليه ١٩٩٩-٢٠٢٣	**488-457**
عماد رشيد غافل سالم	دور الوعي البيئي لدى الاسرة العراقية في التخلص من النفايات الصلبة (مدينة الفلوجة – حي الشهداء)	**516-489**
محمد عبدالباقر عباس الأعسم	من المحراب إلى السلطة: الأثر السياسي والتربوي للسيدة فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها) في حكم سلمان المحمدي (رضوان الله عليه) للمدائن	**552-517**

دور المخرج العربي في بناء الشخصية الواقعية الدرامية في المسلسل التلفزيوني

م. صلاح محمد طه[1]

[1]جامعة بغداد /كلية الفنون الجميلة

المستخلص

يوصف الفن في معناه العام على انه الإرادة المدفوعة بالرغبة في إنشاء وتكوين هيئات ضمنية ذات طابع تعد الدراما التلفزيونية مبنى صوري حكائي ينهض من خلال الدور الريادي الفني والإبداعي الذي يبوء بمهمته المخرج (صانع العمل)، وذلك من خلال قراراته الفنية التي تعمل ضمن كل مرحلة من مراحل عملية الإنتاج الفني، ولكن من اهم المراحل التي تجري فيها هذه العملية الفنية الدرامية هو دور المخرج في صناعة الشخصيات الدرامية بأنواعها (الرئيسية والثانوية) ولاسيما الواقعية منها وذلك من الوهلة الأولى لتحديد النص الفني الذي ينطلق منه العمل التلفزيوني الدرامي، إذ ان تمظهر الحرفة الاخراجية يكون واضحا" بشكل كبير عبر قدرة المخرج على صياغة وتطوير الشخصيات الدرامية لأجل تجسيدها صوريا و صوتيا، سواء اكان ذلك عبر عملية اختيار الممثل الذي سوف يلعب دور كل شخصية أو طريقة تمثيل هذه الشخصيات على شاشة التلفزيون، و على مر الزمن منذ بداية انتاج الدراما التلفزيونية العراقية في مطلع ستينيات القرن الماضي، ظهر دور مهم لعمل المخرج العربي في انتاج الدراما التلفزيونية العراقية و التي سيتناولها الباحث تباعا في متن هذا البحث من خلال عملية بناء شخصية الفرد العراقي في الدراما التلفزيونية بشكل ذو خصوصية عالية للغاية في اعمال تلفزيونية تركت اثرا واضحا في الذاكرة الفنية العراقية من خلال حالة الخصوصية والتفرد التي تمثلت في كيفيات بناء هذه الشخصية صوريا, تكون البحث الحالي ما الفصل الاول يشمل مشكلة البحث الحالي , : كيف يتمثل دور المخرج العربي في بناء الشخصية الدرامية الواقعية في المسلسل التلفزيوني؟, وهدف البحث الى: الكشف على محددات عملية بناء الشخصية الدرامية في المنجز الدرامي التلفزيوني العراقي ,و التعرف

على دور المخرج العربي في صياغة الشخصية الواقعية في المسلسل التلفزيوني ,, واشتمل والاطار التظري من مبحثين المبحث الأول :(المبحث الأول (عناصر البناء للشخصية الدرامية) ,المبحث الثاني: (مشتركات البيئة العربية في الدراما التلفزيونية) , اختار الباحث قصديا عينة بحثه المسلسل التلفزيوني العراقي (النسر وعيون المدينة 1983) ونتائج البحث واهمها: يتمكن المخرج العربي من تحقيق منجز درامي تلفزيوني فني من خلال معالجته الإبداعية للشخصيات على الصعيدين الصوري الشكلي والدرامي الضمني عبر إطلاق ابعاد شخصياته بشكل مبتكر ,واستنتاجات واهمها :يتجلى دور المخرج العربي في صناعته لشخصيات الدراما العراقية عبر عملية تجسيد وبناء الاحداث في المسلسل التلفزيوني عبر محاكاته الدرامية ومعالجاته الاخراجية التي تختص بالمجتمع العراقي وأحداثه.

الكلمات المفتاحية: (دور – المخرج – البناء – الشخصية– المسلسل التلفزيوني).

The role of the Arab director in building the dramatic realistic character in the TV series

M. Salah Mohammed Taha University of Baghdad / Faculty of Fine Arts

abstract

In its general sense, art is described as the Will driven by the desire to create and form tacit bodies of a character. television drama is a fictional narrative building that rises through the artistic and creative leading role that the director (the creator of the work) undertakes, through his artistic decisions that work within each stage of the artistic production process, but one of the most important stages in which this dramatic artistic process

takes place is the role of the director in the manufacture of dramatic characters of all kinds (main and secondary), especially realistic ones, so that from the first glance to determine the artistic text from which the dramatic television work proceeds, as the appearance of the directorial craft is evident" largely through the ability of Over time, since the beginning of the production of Iraqi television drama in the early sixties of the last century, an important role has appeared for the work of the Arab director in the production of Iraqi television drama, which the researcher will address successively in the body of this research through the process of building the personality of the Iraqi individual in the television drama The first chapter includes the problem of the current research,: how is the role of the Arab director in building the real dramatic character in the TV series The aim of the research was to: reveal the determinants of the process of building a dramatic character in the Iraqi television dramatic achievement ,and identify the role of the Arab director in the formulation of the real character in the TV series, and the theoretical framework included two research papers, the first: (the first research (building elements of the dramatic character), the second Research: (common Arab

environment in TV drama) , The researcher deliberately selected the sample of his research for the Iraqi television series (eagle and the eyes of the city 1983) and the research results ,the most important of which are: the Arab director is able to achieve an artistic television drama achievement through his creative treatment of characters at both the formal and implicit dramatic levels by creatively releasing the dimensions of his characters, and the most important conclusions :the role of the Arab director is manifested in his creation of Iraqi drama characters through the process of embodying and constructing events in the television series through his dramatic simulations and directorial treatments that concern Iraqi society and its events.

.(Keywords: (role – director – builder – character – TV series

أولا – مشكلة البحث: –

تعد الدراما التلفزيونية العراقية من بين نظيراتها العربية والإقليمية متميزة في موضوعاتها الدرامية والفكرية ورسائلها الفنية، لكن أبرز ما يميزها هو عملية بناء الشخصية الدرامية وصناعتها فنيا بشكل ابداعي وخلاق، اذ تقع هذه المهمة على عاتق صانع العمل التلفزيوني (المخرج) الذي يقوم ببناء الشخصيات الدرامية عبر بلورتها وبناء الصورة الفنية لها على وفق ما هو متمثل نصيا في النص الأدبي بشكل عام و في النص الفني المتخصص (السيناريو) بشكل خاص، و الذي ينتج عنه تحقيق رؤيته الفنية عن الشخصيات المختلفة مهما كان الجانب الذي ستمثله و الدور الذي سوف تلعبه،

وتعد هذه مسؤولية المخرج بشكل أساسي في صناعةالصورة التلفزيونية الدرامية بهيئة نهائية والتي تتجسد أمام المتلقين من حيث الشكل والمضمون الفني و الفكري، و بالطبع وفقا لما يحمله من قيم وأفكار فنية ساهمت في صياغة ثقافته وموهبته وتجربته الاحترافية و التي يتجذر بالعودة لانتمائه المجتمعي.

وهنا لاحظ الباحث وجود خصوصية إبداعية وفنية في عمل المخرج العربي في محفل الدراما العراقية التلفزيونية والذي يظهر في مقدمتهم المخرج المصري ابراهيم عبد الجليل الذي قدم أعمالا مميزة في العراقمنها على سبيل المثال (الدّواسِر، الذئب وعيون المدينة، النسر وعيون المدينة)، و ما يتماهى مع هذه الخصوصية هو إن عملية البناء الدرامي لم تصل إلى ما وصلت إليه من ثراء في التعبير عن مكنونات النفس البشرية، وما تبطنهاالعناصر المحيطة بنا من دلالات هي الجهد الابداعي للمخرج الذي يوازي جهده ورؤيته في بناء الشخصية الدرامية و توجهها الدرامي والفكري لكونه ينطلق من طاقة التخيل التي تمثل وجهة النظر الفنية و الاسلوبية في بناء الشخصية الدرامية، وفي تفاصيل عملية البناء الفني يهذه تنهض عملية التجسيد من النص المكتوب على الورق إلى مستويات جديدة من القراءة والتخليق الفني الى منجز صوري متمثل تلفزيونيا، و تأسيسا على ما تقدم حدد الباحث مشكلة بحثه معتمداً على التساؤل الآتي : كيف يتمثل دور المخرج العربي في بناء الشخصية الدرامية الواقعية في المسلسل التلفزيوني؟

ثانيا – أهمية البحث: –

تكمن أهمية هذا البحث في دراسته لكيفية قيام المخرج العربي في بناء وبلورة الشخصية الواقعية في المسلسل التلفزيوني العراقي لكون هذه الموضوعة الأكاديمية لم تتم دراستها في السابق بهذا الشكل الدقيق، وعلى الأخص في مجال العمل الفني الإبداعي للمخرج العربي في مجتمع الإنتاج التلفزيوني العراقي، إضافة إلى أهميته الأكاديمية العلمية لكونه بحثا يرفد المكتبة السينمائية والتلفزيونية العلمية المتخصصة بشكل عام والباحثين في مجال الدراما العراقية بشكل خاص.

ثالثا – أهداف البحث: –

يهدف البحث إلى:-

الكشف على محددات عملية بناء الشخصية الدرامية في المنجز الدرامي التلفزيوني العراقي ,والتعرف على دور المخرج العربي في صياغة الشخصية الواقعية في المسلسل التلفزيوني.

رابعا – تحديد المصطلحات: –

أ- دور (Role):

1- لغويا: –

ويعرف في اللغة العربية على أنه "دَوَّرَ: (فعل)بمعنى دوَّرَالآلةَ: أدارها،جعلهاتدوروتعمل، والدَّوْرُ هو توقف كل من الشيئين على الآخر، والدَّوْرُ:مهمَّةووظيفة،وفي(الثقافة والفنون)جُزءمن العمل المسرحيّ أوالسينمائيّ أو التليفزيونيّ وهو الدَّورالاجتماعيّ: السُّلوك المتوقَّع من الفردفي الجماعة،أوالنَّمط الثَّقافيّ المحدِّد لسلوك الفرد الذي يشغل مكانةً معيّنة" (المعاني ، 2023).

2- اصطلاحا: –

عرفه (مارشال) بشكل عام على انه " النشاط الذي يشترك فيه شخص واحد أو مجموعة من الأشخاص من اجل تحقيق غاية معينة أو عدة غايات" (مارشال ، 2007، صفحة 119)، وفسره أيضا بأنه "مفهوم أساسي في عملية النشاط الإنساني لكونه عبارة عن أهمية بنائية لكونه ممارسة العملية النشطة في تحقيق افق التوقع للمهمة المناطة بالشخصية التي تلعب او تقوم بشغل هذا الدور لتحقيق نتائج و مخرجات "(مارشال ، 2007، الصفحات 615-617).

3- التعريف الاجرائي: –

ومن التعاريف السابقةيخرج الباحث بتعريف لمصطلح الدور وهو: –

هي المهمة التي يضطلع بأدائها الشخص المتخصص في مجال العمل الفني بالشكل الذي يحقق النتائج المرجوة من ذلك عبر ممارسة النشاط الإبداعي الذي يحقق النتائج المرجوة من الأفعال التي ترتبط وتنظم هذه المهمة، ويود الباحث ان يشير بأن مصطلح الدور في هذا البحث لا يرتبط بالدراسات الإحصائية التي تتطلب عملية الاستقراء الرياضي العدد لأثر الدور في المسلسل الدرامي التلفزيوني بل يبحث المصطلح (الدور) في البناء المفاهيمي لمهمة المخرج في بناء الشخصية الدرامية في الدراما التلفزيونية.

ب- البناء (Constructing):

1- لغويا: -

وهو مشتق من الفعل بنى و " مصدره مَن حِرْفته البناءُ، وهو كلُّ ما يُبْنَى، وفي (الثقافة والفنون) الجسم الدِّراميّ المتكامل في حدِّ ذاته، الذي يتكون من أعمال مرتَّبة ترتيبًا خاصًّا، ليُحدث تأثيرًا في الجمهور و هو فعل التشييد الذي تأتي بعده عملية الإقامة لكل ما يتم الانتهاء من بناؤه " (معجم المعاني الجامع، 2023).

2- اصطلاحا: -

وهنا يفسر البناء اصطلاحا على انه "تركيب الأجزاء في وظائف متعددة لتتحول من عناصر ساكنة الى ظواهر متضامنة بالشكل الذي يجعلها أجزاء متآلفة لتنتج بناءا كليا" (صليبا، 1994، صفحة 218)، و يفسره (علوش) على أنه "عملية تحويلية تشتمل على مفهوم تشييدي، يقوم بالأساس على اخضاع الاشكال لغرض استيعابها" (علوش، 1985، صفحة 52).

3- التعريف الاجرائي: -

منمجملالتعاريفالسابقةيخرجالباحثبتعريفلمصطلحالبناء هو: -

عملية التشييد والاشتغال الفاعلة لغرض تحويل ما هو متوافر من مقدرات وإمكانات إلى هيئة شكلية فنية، يتم تحقيقها من قبل صانع العمل الذي يقوم بعملية التنظيم الفكري والشكلي لهذه العناصر والمقدرات بناءا على رؤيته الفنية وأسلوبه الإبداعي الذي يقوم بتشييد ذلك البناء الفني واقامته للمتلقي.

اما التعريف الاجرائي للمخرج العربي فيقصد به هو المخرج العربي الوافد الذي ينتقل من بيئة ثقافية وفنية وأجتماعية معينة ويمارس عمله الفني الاخراجي في بيئة ثقافية وفنية وأجتماعية مختلفة نسبيا" عن بيئته الاجتماعية الاصلية وما يتطلبه ذلك الانتقال من عملية تعديل وتغيير وتبسيط لرؤيته الفنية.

المبحث الأول (عناصر البناء للشخصية الدرامية)

تعد الدراما التلفزيونية في جوهرها وسيلة تعبير واتصال معنية باستثارة المشاعر الانسانية في حالاتها المختلفة، لذلك تتميز الدراما من حيث "اختلاطها بالفنون الاخرى فقد اختلطت بالرقص والموسيقى وبأشكال شعرية متعددة"(ديوكس، ب.ت، صفحة 90)، وذلك عن طريق فعل أساس الذي يميزها آلا وهو (المحاكاة)، والدراما تحاكي شخصيات وأحداث وقصص واقعية او متخيله داخل العمل الدرامي لتقدمها بأسلوب جديد يتماشى مع فكر وتفسير رؤية مخرج العمل الفني والدراما فكريا عبر "شكل من اشكال التفكير وهي عملية معرفية منهجية نستطيع بوساطتها ترجمة المفاهيم المجردة الى تعابير انسانية عيانية "(اسلن، 1984، صفحة 12).

لا يمكن للمنجز الدرامي الفني و الذي يتمثل هنا بالمسلسل التلفزيوني ان يتكامل بناؤه الا بتكامل عناصره الرئيسية و الفرعية و المساندة له و هو ما يخطط له في البدء عبر توافر الخبرة الفنية و المقدرة الإبداعية المخرج(صانع العمل) عبر تصوره المفاهيمي لتلك العناصر في محور النص الدرامي، و الذي يقوم بدوره بعملية ايصال الرسالة الفكرية و القيم الجمالية الشكلية و إبراز الجانب الابداعي ضمن المجال الفنيلخطاب النص الدرامي ، وبما ان الدراما التلفزيونيةتعتمد في عملها على عامل رئيسي و محوري يرتبط بعدد كثير من العناصر و التي لها اهمية بالنسبة للبناء الفكري الدرامي

وتبيين تلك القدرة على تفعيل دور الشخصية الدرامية و هي العامل الرئيسي الذي يتفاعل مع بقية العناصر، وفي الاغلب تكون الشخصية الدرامية هي المحرك الرئيسي لسير الأحداث، ضمن تتابع الاحداث سرديا في عمليةالبناء و التماهي ما بين باقي العناصر داخل الحدث الدرامي مما تساهم في خلق الهوية المجتمعية أو الوطنية للشخصيات كالعراقية منها على سبيل المثال، لذا فأن الهدف من وراء دراسة الشخصية الدرامية على وفق محدداتها و عناصر بناؤها وهو التعرف على جوانبها الفنية والدرامية داخل المنجز الدرامي الفني و القدرات التي تتمتع بها لتحقيق مقتضيات الفكرة الفنية أو الفلسفية ضمن المسلسل التلفزيوني، و يعتمد المخرج على هذا العنصر المؤثر و الفعال (الشخصية) في سرد الاحداث داخل البناء الدرامي، و الذي يمكنه من أنيقومبتفسير بنية النص الدرامي من خلال تفاعلها في تحقيق و تجسيد الرؤية الدرامية و الفنية اللازمة لكي يوظفها على وفق اسس بناء المسلسل التلفزيوني بشكل عام و العراقي بشكل الخاص.

إن دراسة الشخصية الدرامية في سياق المسلسل التلفزيوني هو جزءا مهم من عملية بناء العمل الدرامي حتى آثرها البعض في الأهمية على عملية صناعة الحبكة الفكرية لكون الشخصية هي من تبوء بالأفعال وأن لكل شخصية لها سلوكها وتصرفاتها، إذ تفسر الشخصية الدرامية على انها "النماذج البشرية التي تقوم بتنفيذ الاحداث الدرامية في المسرحية، ويدور على السنتها الحوار الذي يكشف عن طبيعتها وتكون رمزا مجسدا قد يمثل بلدا"(غنيم، 2003، صفحة 277).

تعد الشخصية هي المركز الجوهري الذي تنهض عليه الدراما التلفزيونيةو ذلك لأنها عنصر التمثيل والتجسيد الذي يمثل الأحداث، والشخصية هي لسان حال الفكرة التي تصبح حاملة لمقتضياتها، إذاحتلت الشخصية دائر الضوء في الدراسات السايكولوجية والسيسيولوجيا فضلا عن الدراسات الادبية والدرامية، لأن الشخصية هي عنصر تمثيل القيمة

الفكرية التي يستند عليها صانع العمل الفني في عملية توظيفها في حيز المنجز المرئي مع باقي عناصر البناء الدرامي فتتحول بدورها إلى عامل محوري يقوم بمهمة بناء الحدث وتحقيقه " فالشخصية هي التي تسخر لإنجاز الحدث الذي وكل الكاتب إليها إنجازه. وهي تخضع في ذلك لصرامة الكاتب وتقنيات إجراءاته، وتصوراته وأيديولوجيته: أي فلسفته في الحياة "(مرتاض، 1998، صفحة 86).

وجوهر الشخصية هو الفعل، لأنها هي من تقوم به وهو الذي يكشف عنها وعن خصائصها، ولذلك وجد الباحث بأن الإشادة في عمل أو مهمة المخرج ليست حول امكانيته على تنفيذ الحبكة الدرامية او عقدة العمل في الصراع بل أن امتداح المخرج أصبح يصب الان حول دوره البنائي والإبداعي في ترسيم شخصياته الدرامية من خلال تحويلها من متمثلات نصية إلى كائنات حقيقية محسوسة للمتلقي، من خلال فعل الغاء النمطية التقليدية لها وتحويلها إلى نماذج متفردة "(المهندس، 1989، صفحة 117)، تعد الدراما التلفزيونية التي تنشأ من الشخصية الدرامية عملا فنيا ذو تميز خاص و ذلك لكون مضمونها الفني ينطلق من ذات الشخصية التي تمثل بيئتها أو مجتمعها، و هذا يحصل في الإنتاج التلفزيوني وبشكل منهجي ، لأن التلفزيوني كوسيط اتصالي و فني يخاطب عددا كبيرا من المتلقين الذين يهتمون بالقصة ومضمونها الحكائي، و بشكل اكثر تركيزا على طريقة بناء الشخصية الدرامية ومستوى تمثيلها صوريا و هنا يبرز الدور الفني الابداعي للمخرج في عملية " تناول عمق الشخصية و عقدها الانفعالية ودوافعها وتاريخها .. ليرى صانع العمل بأن هنالك عددا لا يستهان به من الشخصيات التي تساعد في بناء التمثيلية، اذ ان ما يهمه هو التعرف على تلك الصفات البارزة في الشخصية لتحديد نوع الموقف الملائم بها مع اقرارنا بأن هنالك صفات ثانوية أخرى يمكن ان تتمتع بها الشخصية، ومن دون ان تلغي الصفة الأبرز فيها وهي التي تحدد نوع الشخصية وتسمى بالصفة الغالبة "(مرعي، 2003، الصفحات 36-37).

و على الرغم من تعدد صفات الشخصية الدرامية و مهما كان موقعها داخل النص الدرامي على وفق ما تشكله من أفعال و مواقف مع باقي عناصر البناء الدرامي في مجالالمسلسل التلفزيوني عبر ما تتصف به من الشكل الخارجي للشخصية و صفاتها من قوة أو ضعف في بنائها الدرامي أو تكوينها الصوري، فهي تكون في النهاية هي حجر الاساس الذي تنهض عن طريقه عملية البناء الدرامي لأن الشخصية تتحول إلى الممثل الفكري صوريا و صوتيا للأفعال الدرامية، وتمثيلها لعملية بناء للقوى المتصارعة فيما بينها هو المحرك الذي يقود الشخصية الدرامية تجاه مسارها الفكري في الدراما التلفزيونية، اذ ان "الامر محاكاة للفعل والفعل يفترض وجود اشخاص يفعلون لهم بالضرورة اخلاق وافكار خاصة بهم"(مجاهد، 1986، صفحة 62).

ومن أجل أن يتحقق دور المخرج التلفزيوني في عملية بناء شخصياته التي ستقوم بعمل التجسيد للفكرة الفنية في العمل الدرامي و تمثيل الأحداث، فعبله أن يقوم ببناءالمحددات الفكرية و الفنية في الشخصيات الرئيسية و الثانوية التي يصنعها عبر دراستها بشكل دقيق و مفصل، و الذي من شانه ان ينتج لديهرؤية فنية لتحديد طبيعة تصرفاتها وطريقة حوارهاو كيفيةتمثيل موقفها في خضم الصراع من مواقف درامية، و على المخرج التلفزيوني عند صناعة شخصياته وبناء مسارها الحدثيان يضع عددا من المحددات البنائية لكي تتمثل شخصياته بالشكل الفني الأمثل و هي:

أ- تحديد المسار السلوكي الذي تتخذه شخصياته (الرئيسية والثانوية).

ب- تحديد المواقف الدرامية في الصراع والاحداث التي تواجه هذه الشخصيات.

ج- تحديد جوانب الخير والشر لدى كل شخصية، لتحديد أطراف الصراع في عملية البناء الفني للدراما التلفزيونية.

د- تحديد السمات السايكولوجية لكل شخصية (رئيسية - ثانوية) لأنها تقوم بعملية تحريك الحدث الدرامي ودفع عجلة الاحداث إلى الامام من خلال الغايات التي تبتغيها كل شخصية درامية.

و على المخرج التلفزيوني أن يهتم في عملية بناؤه للشخصيات لكونها العناصر البنائية الدرامية التي تنقل الفكرة الفنية مجسدة إياها، لتكون بذلك حاملة للرسالة الابداعية، فعلى المخرج أن يبين بشكل واضح الأهداف التي تسعى لها كل شخصية رئيسية، عبر تحقيق التحديد الواضح للدوافع والمسوغات التي تمتلكها كل شخصية، لكون هذا التحديد يسهم في تطوير الحدث الدرامي للقصة المراد تجسيدها مرئيا و ذلك لأن " الشخصيات هي التي ستجسد الفكرة، الشخصيات هي روح الفكرة أي يجب أن تكون أحداث المنجز الفني مما يمكن عقلا أن تصدر عن الشخصيات التي اختارها المؤلف او المخرج ورسمها في عمله الفني" ,وهنا يشير الباحث بأن شخصيات المسلسل الدرامي التلفزيوني من ناحية البناء الفني والفكري لا تختلف عن شخصيات النص الأدبي إلا بعنصرين أساسيين هما (Callery, 2001, p. 21): -

أ- الأداء التمثيلي.

ب- التجسيد

لأن البناء الفني و الفكري للشخصية الدرامية ما بين النص و المسلسل التلفزيوني "هو كل شيء فيها أذ لا يمكن أن نتصور رواية دون طغيان شخصية مثيرة يقحمها الروائي فيها، إذ لا يضطرم الصراع العنيف إلا بوجود شخصية أو شخصيات تتصارع فيما بينها داخل العمل السردي"(مرتاض، 1998، صفحة 86).

إن مهمة التأسيس البنائي لكل شخصية درامية في المسلسل التلفزيوني هو دور المخرجبشكل كلي لكونه هو من يبتدع المجتمع والبيئة التي تنبثق منها كل شخصية درامية (رئيسية – ثانوية) على مختلف المجالات الإنسانية والاجتماعية والتي تؤدي دراستها وتطويرها إلى خلق قيمتها الفنية في البناء الدرامي بالشكل الذي يبني علاقتها مع باقي الشخصيات ودورها في تصعيد الصراع عبر موضعها وأفعالها بالشكل الذي يتمثل مرئيا بالدرجة الثانية عبر دور صانع العمل الفني

مرئيا كون أن " الشخصية الدرامية تنسج عبر شبكة من العلاقات هي (نداف، و نداف، ب.ت، الصفحات 37-38):

1 -علاقة الشخصية مع نفسها.

2 -علاقة الشخصية مع المكان.

3 -علاقة الشخصية مع الزمان.

4 -علاقة الشخصية مع الخبرة.

5 -النسيج الخاص بالعمل الدرامي.

لأنه ما من حدث يقع بالطريقة التي وقع بها إلا وكان نتاج لشخص معين، أو اشخاص معينين فيترتب عليه وقوع الحدث بطريقة معينة، وعليه يتكون الخط الفاصل بين الشخصية والحدث"وبما أن الشخصية الدرامية هي المحرك الرئيسي للأحداث وللصراع في بنية العمل الفني الدرامي يتم بناء الشخصيات على مختلف أدوارها ومواقعها على وفق عدد من الأبعاد الرئيسية التي لا يكتمل تحقيق بنية الشخصية من دونها وهي التي تعبر عن طبيعة كل شخصية في جنبات النص الدرامي ومن ثم تجسيدها مرئيا عبر تمثيل هذه الأبعاد بالشكل الأمثل فنيا، وتنقسم هذه الأبعاد على الشكل الآتي:

أولا- البعد النفسي: -

إن الدور الذي يلعبه هذا البعد في تحديد وبناء الشخصية الدرامية عبر العمل على الطبيعة التي تمتاز بها الشخصية، في عدد من العوامل المحددة لها والتي يبينها المخرجفي المسلسل التلفزيوني لغرض الوصول إلى حقيقة هذه الشخصية وهي:

أ- المعيار الأخلاقي للشخصية.

ب- اهداف الشخصية.

ج- الميول والرغبات لدى الشخصية.

د- العقد والمشاكل التي تجتاح الشخصية.

وهنا تتبين أهمية البعد النفس في التأسيس البنائي للشخصية الدرامية، أذ أن التوظيف البنائي الذي يعمد اليه المخرج في بناء شخصياته يجعل هذا البعد العامل الذي يجمع ما بين البعدين (الجسماني - الاجتماعي) وذلك لأنه يحدد طبيعة الشخصيات النفسية التي تحركهاومدى القدرات التي يمتلكها في جنبات المسلسل التلفزيوني.

ثانيا- البعد الجسماني: -

ويمثل هذا البعد وفقا للطبيعة الجسدية (الخلقية) للشخصية الدرامية والتي تتحدد بعدد من العوامل الفسيولوجية التي يتم بناء الشخصيات صوريا بالانطلاق منها، وهذه العوامل هي:

أ-الجنس (النوع).

ب- السن (المرحلة العمرية).

ج- الصفات الجسدية الفارقة.

هـ-المظهر الخارجي للشخصية.

إذ إن البناء التأسيسي للشخصية الدرامية في المسلسل التلفزيونييبنى على الظواهر الشكلية للإنسان، لأنها تعد عوامل تأثير درامي تبدأ من الشخصية.

ثالثا- البعد الاجتماعي: -

يرتبط هذا البعد بشكل جوهري على مستوى الانتماء الطبقي التي تنحدر منه الشخصية والذي يمثل إطارها الاجتماعي متمثلا بالعناصر الآتية:

أ- الطبقة الاجتماعية.

ب- التحصيل العلمي.

ج- الثقافة والتدين.

د- المهنة والعمل.

يتحقق الدور البنائي الذي يضطلع به المخرج من خلال بناء الشخصية الدرامية عبر ارتباطها بشكل وثيق بالعوامل الاجتماعية التي تعيشها هذه الشخصية الدرامية والتي تحدد المنطلقات التي تتمثل بشكل ملموس في طبيعة أفعالها وردود أفعالها، وموقفها اتجاه القضايا التي يعالجها الحدث الدرامي للمسلسل التلفزيوني.

المبحث الثاني: (مشتركات البيئة العربية في الدراما التلفزيونية)

إن البيئة العربية هي مجال حيوي يشمل العالم العربي من أقصاه إلى أقصاه، لأنها ثقافة إنسانية تترابط بتراث حضاري والتي تتدفق فيها موجات فكرية متمايزة "فهي تيار واحد منسق ذو ألوان من الثقافات التي تحتويها وتشملها... فهي ظواهر صورية بين الشعوب العربية المتلاقية المتعاطفة بمثابة العروة الوثقى التي تجمعها وتوحدها" (الشنيطي و و آخرون، 1960، الصفحات 335-336)، و ما نقصده هنا بالبيئة العربية هو المحيط المجتمعي الدرامي الذي طالما تجسد صوريا وصوتيا في الدراما التلفزيونية عبر عدد من المنجزات (المسلسلات - السلاسل) الدرامية التي قدمت عددا من العناصر المشتركة فيما بينها و التي تنتج " معاني متعددة لتمنح المشاهد إحساسا بالواقع عبر مقدرتها على إعادة تقديم الحركة، و صفة الموضوعية التي طريقة فنية لتقديم الفكرة و التي تحقق الإحساس بواقعية الحدث " (حيدو، 2011، صفحة 198)،وأن لكل مخرج تلفزيوني اسلوبه ورؤيته في الابداع الفني واختياره للموضوعة أو الفكرة الفلسفية التي يميل اليها بحكم طبيعته وتكوينه والبيئة التي نشأ فيها و التي تتمثل هنا بالبيئة العربية، و ذلك لكي يكون قادراً على فهم ادق التفاصيل عند صياغة العناصر البصرية لتحقيق مقتضيات الفكرة فنيا و دراميا في المسلسل

التلفزيوني و ذلك يتمظهر عبر رؤيته الفنيةالإبداعية التي تقدم القدرة على خلق الاحاسيس بالصورة الفنية التي تكون خصائص هارمونية مع بعضها في وحدة البناء الصوري و الدرامي.

وترتبط مشتركات البيئة في المسلسل الدرامي التلفزيوني بشكل فاعل وأساسي في عملية البناء الدرامي للفكرة الفنية بشكل عام وبدور المخرج الفني الإبداعي في صناعة الشخصية الدرامية بشكل خاص من خلال طريقة بناء الافعال وتتابعها داخل العمل الدرامي بغية التعبير عن خصائص الشخصية الدرامية واسلوب محاكاتها للفعل الدرامي وبهذا "يقوم الفهم الدرامي على اساس ان الفعل هو اللغة، وان العلاقة مجازية بين العالم والحقيقة لذلك يجب ان تكون طبيعة العمل الدرامي والمشاهد واسلوب التمثيل مساعداً للغة في بناء العالم المجازي"(دوسن، 1981، الصفحات 24-25).

و يتمظهر دور المخرج الفني و الابداعي في إنجاز عملية البناء الدرامي من خلال ربط مكونات العمل الفني من خلال تفاعل كافة العناصر الدرامية مع بعضها لأيجاد وحدة متكاملة لرسم الاحداث داخل العمل الفني، لذلك يولي المخرج التلفزيوني جل اهتمامه من اجل انشاء هيكلية البناء الدرامي داخل المسلسل التلفزيوني وكذلك العمل صناعة البنية النموذجيةللخط العام للفعل الرئيسي عبر بناء الشخصيات الدرامية، وكذلك الافعال الساندة والثانوية التي بدورها ترسم تحرك الشخصيات وبناء الصراعالتي تصل لاحقا الى الحل وفق تسلسل منطقي لعملية سرد الاحداث داخل الدراما التلفزيونية. وهنا تبرز المقدرة الإبداعية والفنية للمخرج عبرخبرته والتراكم المهاري لعناصر اللغة والمشتركات الصورية ضمن نطاق المنجز الفني. بما يوصل ويحقق مقتضيات الفكرةإلى المتلقي وبما ان المسلسلالتلفزيوني يشتمل على الكثير من المشتركات الصورية والفنية كما ان بعضاً منها يشتمل بدوره على مكملات فرعية اخرى وهذه العناصر الرئيسة والفرعية تصاغ جميعاً داخل المسلسل محدثة ذلك التأثير الدرامي لدى المتلقي لشد الانتباه والتركيز وبناء الجو العام للعمل الدرامي من خلال التأثيرات السايكولوجية والدرامية وانعكاسها على مجمل الاحداث داخل البناء

الدرامي. لذلك "يمثل البناء الدرامي الوسيلة التي تبقي اهم ما في الفعل في مركز انتباهنا دوماً. وهو التعبير عن فكرة مجردة عن طريق ارتباط الاوضاع ببعضها من جهة وتركيز انتباهنا على تلك الاوضاع لتوحدها في فعل واحد من جهة اخرى" (اسلن، 1984، صفحة 62)، وعملية ربط مشتركات البيئة الصورية و الفكرية منها في اجزاء العمل الدرامي التلفزيوني بنائيا و دراميا انما يراد منها بناء هيكلية متجانسة كليا يكون هدفها الرئيسي هو بناء الاحداث اضافة الى ذلك الاهتمام ببنية الشخصيات التي تبوء بالأحداث في العمل الدرامي لأنها تخلقحالة الارتباط والتماهيلدى المتلقي وتكون بمثابة الاواصر التي تساند بعضها بعضاً خلال بناء الاحداث وتفاعلها داخل المسلسل التلفزيوني، لذلك "يتكون البناء الدرامي من عناصر وعلاقات تربط بين القوى الدرامية"(عبد الوهاب، 1996، صفحة 6).

ولقد حدد الباحث عددا من المشتركات البيئية الصورية والفنية منها والتي تعمل بالتماهي والتقابل في الدراما التلفزيونية العراقية وتشترك أيضا بتمثلها الفني ذاته في الدراما العربية، ومنها: –

أولا– الهوية الثقافية (العادات والتقاليد): وتعرف الهوية الثقافية على إنها " الهوية الثقافية هي الهوية أو الشعور بالانتماء إلى مجموعة. وهو جزء من مفهوم الشخص الذاتي ونظرية الفهم الذاتي ويرتبط بالجنسية والإثنية والدين والطبقة الاجتماعية والموقع أو أي نوع من الفئات الاجتماعية التي لها ثقافتها الخاصة" (Singh, 2010, p. 86)،وتفسر الهويّة الثقافيّة على أنها مجموعة من الملامح والأشكال الثقافيّة الأساسيّة الثابتة التي تميز مجتمعا أو شعبا و حتى أمة توحدها الارتباطات القومية (العرقية) أو الدينية، وتعرّف أيضاً على أنها "مركبٌ متجانسٌ من التصورات والذكريات والرموز والقيم والإبداعات والتعبيرات والتطلعات لشخصٍ ما أو مجموعةٍ ما، وهذه المجموعة تشكّل أمةً بهويتها وحضارتها التي تختلف من مكانٍ لآخر في العالم" (مؤنس، 1987، صفحة 331). وفي الدراما التلفزيونية تعبر الهويّة الثقافيّة عن العادات والتقاليد المجتمعية والتي تتميز بخصوصية عالية في وطننا العربي بسبب ارتباطات

الانساب والتحدر القومي الذي يعد المعبّر الأساسي عن الخصوصيّة الحضرية لمجتمع او وطن ما، وعليه فإنّ الهويّة الثقافيّة عبارة عن عددٍ من التراكمات الثقافيّة والمعرفيّة، سواء كانت تلك المعارف تأتي انطلاقاً من تقاليد وعادات في العائلة والمجتمع المحيط بهو هو ما يتمثل صوريا ودراميا في المسلسل التلفزيوني العراقي بشكل خاص والعربي منها بشكل عام.

ونظرا لأن البيئة العربية لها مشتركات ترتبط دينيا واجتماعيا تتمظهر حياتيا ومن ثم دراميا فهي تتجسد صوريا على هيئة فكرية وافعال تمثل للجماعة أو الأفراد تعبيراً جوهريا، وهو ما يظهر في عملية بناء الشخصية العربية والانطلاق من واقع أن هنالك اتجاها دراميا لانتاج دراما تلفزيونية في دولة عربية ما ومخرجها (صانع العمل) من دولة عربية أخرى وذلك يعود مرجعيا وارتباطيا لكون أن "الهوية هي مجمل السمات التي تميز شيئا عن غيره أو شخصا عن غيره أو مجموعة عن غيرها. كل منها يحمل عدة عناصر في هويته. عناصر الهوية هي شيء متحرك ديناميكي يمكن أن يبرز أحدها أو بعضها في مرحلة معينة وبعضها الآخر في مرحلة أخرى " (الضوي و إبراهيم، 2017).

وتتجلى الهوية الثقافية (العادات والتقاليد)في المسلسل التلفزيوني دراميا وفنيا في مجموعة من العواملالبنائية وهي: –

1 –التعدد: – ويقصد هنا بها الباحث التعددية البنيوية في تكوين مجتمع عربي معين من خلال عدد من العناصر التكوينية النشوئية مثل (الانتماء القومي – اللغة ممثلة باللهجة التي يمثلها مجتمع عربي معين – الديانة – العادات والتقاليد العرفية المتبعة).

2 –الاختلاف: – وهي التنوع الذي يقدم اختلافا بين مجتمع وأخر بحسب الانتماء والأعراف السائدة، والذي يقدم على هذا الأساس في بنية المسلسل الدرامي التلفزيوني فروقا مجتمعية قد تكون فردية تبعا للشخصيات الدرامية، أو جمعية على وفق التناقض او التلاقي بين شخصية وأخرى والتي تفترضها المعالجة الدرامية وتقدمها الرؤية الاخراجية للمخرج.

3- السياق: وهو السياق التاريخي الذي قام بتحديد اتجاهات النمو للمجتمع العربي المقصود بالمعالجة الدرامية من خلال تراكمات الاحداث التاريخية من الاستعمار والثورات والحروب، التي قامت بتشكيل الملامح السياقية لذلك المجتمع بالهيئة التي قامت بتنشئة الشخصيات وفقا لها مما يؤدي الى تحديد السمات التي تعبر عن هويتهم ثقافيا واجتماعيا.

ثانيا- الشخصيات النمطية: هي الشخصية الدرامية التي تعبر عن نمط معين من السلوك أو الميول والنزعات والأهداف، وفي الدراما التلفزيونية العربية هي مجموعة الشخصيات التي ترتبط في وحدة الحدث الدرامي والتي تتنوع نمطيا بين عدد من الأنماط المجتمعية مثل مجتمع الفلاحين أو الإقطاعيين على سبيل المثال، ويتم تجسيد وبناء هذه الشخصيات الدرامية النمطية من خلال " اختيار مجموعة صغيرة من أهم المعايير التي تعبر عن الجماعة أو السمات الرئيسية التي تمييزها وذلك وفقا للمشتركات البيئية و الاجتماعية التي تخلق توافقها و تضادها، لتظل بذلك الشخصية نمطا خالصا مبتكرا أو ما يسمى بالنمط الأصلي" (المهندس، 1989، صفحة 144)، و هنالك عدد من الشخصيات النمطية التي لطالما ظهرت بشكل دارج و متكرر في بعض الأحيان في اغلب المسلسلات و السلاسل الدرامية التلفزيونية العربية على الرغم من اختلاف مجتمعات الإنتاج مثل شخصية الغني و التي تجسدت في أنماط و قوالب تقليدية دارجة مثل (الإقطاعي – الباشا – أبناء العوائل المالكة) و هي شخصيات تتمتع بالقوة و السلطة الكبيرة على مجريات الاحداث في البناء الدرامي، و شخصية الفقير التي تتجسد في شخصيات مثل (أبن العائلة الفقيرة – الطالب – العامل) و هي شخصيات نموذجية لكن موقعها يتسم بالمسحوق في العادة باتجاه الشخصيات ذات السلطة أو الثراء، الشخصيات الوسطية المؤثرة والتي تفسر على أنها "التي لها القدرة على التأثير كونها عامل جذب و إثارة للمشهد" (نداف و نداف، 1994، صفحة 42) و من هذه الشخصيات (حاملة الأفكار – الوصولية – المغوية) والتي تتمثل بنائيا في المسلسل التلفزيوني عن طريق إضافة قوة إلى الاحداث من خلال تدخلها في

سير الحدث الدرامي والتأثير على الشخصيات التي تتجسد في طرفي الصراع (الخير و الشر)و مما يعبر عن ذلك الأسلوب الدرامي الذي يمتلكه المخرج في صناعة و تشكيل معالجته الإخراجية التي أحيانا ما تتشابه في صناعة السياق السردي الصوري للعقدة الرئيسية و التعبير عنها بعناصر اللغة الصورية من خلال البناء النمطي الذي قد يتكرر أحيانا في أنماط الصراع الدارجة في الدراما التلفزيونية العربية.

وتكتسب الشخصيات النمطية أهميتها في المسلسل التلفزيوني العربي أهميتها من خلال تكوينها البنائي الذي تكتسبه من خلال الدور الذي يلعبه المخرج في صناعتها بالشكل الذي يجعلها تمتلك سمات تحقق تعديلا في مسار القصة والحبكة وبالشكل الذي يجعلها تحقق أهدافها الرئيسية والتي تنبع من بنيتها النمطية التي لطالما تواردت في الدراما العربية والتي ينبع موطن قوتها في كون هذه الشخصيات هي "التي تكون واسطة العقد بين جميع المشكلات الأخرى، حيث انها هي التي تصطنع اللغة وهي التي تبث أو تستقبل الحوار، وهي التي تصطنع المناجاة، و هي التي تصف معظم المناظر، و هي التي تنجز الحدث، و هي التي تنهض بدور تضريم الصراع أو تنشيطه، و هي التي يقع عليها المصائب، وهي التي تتحمل كل العقد و الشرور، و هي التي تعمر المكان، و هي التي تتفاعل مع الزمن فتمنحه معنى جديدا" (مرتاض، 1998، الصفحات 103-104)، و هنا يبرز دور المخرج في عملية البناء الدرامي لشخصياته و أن تكرر أو كثر تدرج انماطها في الدراما التلفزيونية العربية في صناعة النموذج المتفرد لهذه الأشكال النمطية من الشخصيات.

ثالثا-المكان: وهو العنصر البيئي الذي تشترك فيه الدراما التلفزيونية العربية بشكل شبه قاطع وبمستوى يقابل في الأهمية مشتركات الشخصية الدرامية في البناء السردي دراميا وصوريا، إذ يشار إلى المكان كمفهوم في الدراما بأنه مصطلح يجاوز المفهوم التقليدي له لكونه أكثر من حيز صوري يحد الإطار فيه للأحداث ويحوي الشخصيات التي تلعب أدوارها فيه وذلك لكونه فضاءا درامي "يعاش من طرف الانسان بكامله بجسمه وروحه، فهو منظور ورؤية يقوم

بمهمة السيطرة على السرد وعلى ابطال القصة الذي يتحركون بموجبه فهو ينظم ويشكل الأحداث "

(بحراوي، 1990، صفحة 11)، ان مشتركات المكان كعنصر بنائي و صوري على نفس القدر من الأهمية لكون البنية البيئية للبلدان العربية تتشارك سمات متشابهة ذات قدر قليل من الاختلاف و مثال ذلك فان المنزل في الدراما التلفزيوني العربية نراه على قدر من التشابه و المساوة و على الأخص في جانب (الديكور) فمنزل الشخصية السلطوية نراه دائما على هيئة البناء الكبير ذو الفضاء المترامي الأطراف، و نرى المنطقة الشعبية التقليدية التي تدور فيها معظم الأحداث مثل (الدربونة – الزقاق – الحارة) على سبيل المثال في الدراما التي تتناول حقبا معينة في التلفزيون، و في مثال آخر اكثر تداولا وجد الباحث بأن التقليد الدرامي المتبع في التجسيد الدرامي الصوري للمكان الذي تجتمع في كل أنواع الشخصيات الدرامية للمسلسل التلفزيوني العربي هو (المقهى – الكهوة – الجاي خانة) و الذي لا يخلوا من وجوده إي منجز درامي تلفزيوني عربي، إذ تشترك البيئة العرية فيما بينها في هذه الأمثلة الدرامية لكونها تطلق من موروث حضاري متداول في هذه المجتمعات التي تشترك في بنية حضارية موحدة بنسبة كبيرة جدا، و تبرز أهمية المكان في كونه " الفضاء الروائي (الحيز) الذي يأطر المادة الحكائية، و يقوم بتنظيم الأحداث و الحوافز من خلال العلاقات التي يقيمها مع الأزمنة و الشخصيات و الرؤى"(أيوب، 2001، صفحة 18) و هو ما يجعله المكان عنصرا يساهم في تعزيز دور المخرج الإبداعي و الفني في بناء شخصياته الدرامية.

رابعا– الأزياء والاكسسوار: و هي عنصر متميز في عملية بناء الشخصيات دراميا على صعيدي الشكل الخارجي و المضمون الذي تبوء بحمله الشخصية من أفكار و نوازع تحقق أهدافها فيه، و ذلك لكون هذين العنصرين المدمجين يعملان بالتناسب المتناغم لتحقيق البنية الدرامية المتجسدة للشخصيات إذ "لابد من انسجام الملابس التي ترتديها الشخصيات مع الموضوعات التي يمثلونها، إذ ينبغي ان تكون الملابس مطابقة للحقيقة، إلى الحد الذي يسمح بالتعرف على الشخصيات بسهولة، فينبغي ان تكون الملابس و الأكسسوارات التي يرتديها الممثلون ملائمة للظروف التي تقع

فيها حوادث الفيلم فيتم تحديد الملابس و الأكسسوارات المناسبة لمكان و زمان الحدث " (النادي ، 1993، صفحة 133)، و تعد الملابس و الأكسسوارات من العناصر التي نتبين بها ضخامة حجم المشتركات البيئية العربية في الدراما التلفزيوني من خلال القدرة العالية التي يتمتع بها هذا العنصر على تجسيد الشخصيات من النواحي (القومية – الجغرافية) في خلق الدلالة على الانتماء بشكل عام، ولكن دراميا تساهم في بناء الشخصية دراميا من خلال تحقيق البعد الاجتماعي و ابراز دلالاته صوريا على موضع الشخصية ماديا و اجتماعيا، و في الوقت نفسه على إبراز وتمثيل البعد النفسي للشخصية من خلال الملابس و الأكسسوارات نفسها، و يرى الباحث بأن هذا يتحقق بشكل كبير في الدراما التلفزيونية التي تتعامل مع حقب تاريخية معينة و ذلك لأن الأزياء و الأكسسوارات عنصر بصري يؤثر على المشاهدين لأن الرؤية تتأثر بدقة ما هو موجود أمامهم لأن " لها دورا يتعدى الوظيفة التجميلية بل هي غرض درامي، لأنه يمكن توظيفها كعلامات مميزة للشخصية، أو لتأكيد بعض سماتها مثل حب التظاهر، الوقار أو التعبير عن الثراء " (المهندس، 1989، صفحة 44)، وعليه فان الأزياء و الأكسسوارات التي ترافق الشخصية الدرامية في المسلسل التلفزيوني هي عنصر بالغ الأهمية في تحقيق الدور البنائي الذي يبوء به المخرج في تحقيق أحداث القصة وبناء هيكلية الشخصيات بالشكل الذي يظهر مستواها الاجتماعي و دورها الدرامي الذي يتحقق عبر هذين العنصرين المدمجين فنيا و إبداعيا.

مؤشرات الإطار النظري: –

1– ينهض بناء الاحداث في المسلسل الدرامي التلفزيوني العراقي عبر الأفعال التي تبوء بها الشخصيات الرئيسية والتي تقود وتحرك مسار الأحداث.

2– تشارك الشخصيات الواقعية في عملية تطوير الأحداث ومسار الشخصيات في المسلسل التلفزيوني من خلال تكوينها الدرامي وبنيتها الداخلية التي ترتبط بجميع الشخصيات والأحداث.

3- تساهم الشخصيات الدرامية المسحوقة في عملية اذكاء الصراع ودفع مسار الاحداث في المسلسل التلفزيوني من خلال تصاعد بنائها ودورها الدرامي.

اجراءات البحث

منهج البحث: بغية تحقيق هدف البحث وتقديم الحلول الناجعة لمشكلة البحث، اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي لتحليل العينة، لأنه يوفر للباحث امكانية وصف ما هو كائن عبر التحليل والتفسير لدور المخرج العربي في بناء الشخصية العراقية الدرامية في المسلسل التلفزيوني، فضلا عن ذلك أن هذا المنهج يتمتع بخاصية الوصف التحليلي الذي ينهض على قاعدتين رئيستين: التجريد، أي عزل وانتقاء مظاهر معينة من المسلسل الدرامي التلفزيوني، والقاعدة الثانية هي التعميم: أي تصنيف الاشياء والوقائع على اساس عامل مميز عبر استخلاص حكم ما يصدق على فئة معينة(ابو طالب، 1990، الصفحات 94-96).

اداةالبحث:لغرض تحقيق الموضوعية العلمية لهذا البحث فقد ارتأى الباحث وضع أداة واستخدامها لتحليل العينة، ولذا فأن الباحث سيعتمد على ما توصل إليه من مؤشرات في الإطار النظري لاستخدامها كأدوات لتحليل العينة المختارة.

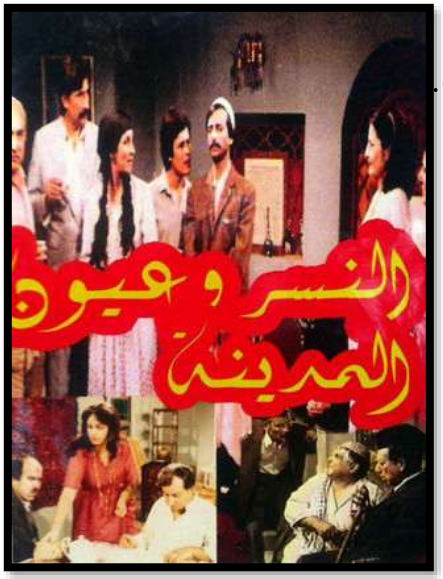
عينةالبحث:وقد اختار الباحث قصديا عينة بحثه المسلسل التلفزيوني العراقي (النسر وعيون المدينة 1983) وللأسباب الأتية: -

1 -إن مخرج هذه السلسلة التلفزيونية هو المصري الراحل (إبراهيم عبد الجليل) والذي اخرج عدد من المسلسلات العراقية مثل (الدّواسِر، الذئب وعيون المدينة) مما يمكن الباحث من تحليل دور المخرج فنيا وابداعيا في بناء الشخصية العراقية للدراما التلفزيونية.

2 – تتعامل هذه العينة التلفزيونية مع الشخصيات الدرامية العراقية لكونها هي التي تجسد الاحداث، فهي التي تبوء بالصراع و تحرك الاحداث.

3– تلائم هذه العينة ومتطلبات البحث.

تحليل العينة:



تم اختيار عينة البحث وهيالمسلسل التلفزيوني العراقي(النسر وعيون المدينة 1983).

بيانات الإنتاج:

قصة: عادل كاظم.

إخراج: إبراهيم عبد الجليل.

بطولة:

خليل شوقي، بدري حسون فريد،مي جمال، سليم البصري، سامي عبد الحميد، فاطمة الربيعي، طعمة التميمي، مقداد عبد الرضا، محسن العلي، جعفر السعدي، قاسم الملاك، سناء عبد الرحمن، راسم الجميلي، فوزية عارف، محسن العزاوي.

مدير التصوير: محمد حينا.

مونتاج: عارف الزهيري، فتحي الدسوقي.

الموسيقى التصويرية: زكريا يغمور .

الشركة المنتجة بابل للإنتاج السينمائي والتلفزيوني.

زمن الحلقة: 44 دقيقة. تأريخ العرض: 1983. البلد: العراق.

ملخص قصة المسلسل:–

من تأليف عادل كاظم ومن إخراج إبراهيم عبد الجليل يعتبر لهذا العمل قيمة كبيرة في الدراما العراقية، وأحداث المسلسل هي تكملة لأحداث مسلسل (الذئب وعيون المدينة). حيث تدور قصة المسلسل حول الصراع بين شخصيتي قادر بيك (خليل شوقي) وإسماعيل جلبي (بدري حسون فريد)في أجواء المحلة البغدادية في خمسينيات القرن العشرين، على خلفية ما حدث بينهما في ماضي الأيام.

عبد القادر بيك هو عجوز ثري وشديد البخل وتدور حوله عدة شخصيات.. يصل غريب يدعى إسماعيل الجلبي مع أولاده إبراهيم (محسن العلي) ورؤوف (مقداد عبد الرضا)، ولا أحد من الحي يعرف شيء عنه ويثير فضول الجميع وخصوصا عبد القادر بيك المتوجس منه، وشك عبد القادر بيك في محله لأن إسماعيل ليس سوى صديقه القديم من أيام الشباب الذي عاد اليوم ومعه اسرار الماضيوتصفية حسابات قديمة.

المؤشر الأول – ينهض بناء الاحداث في المسلسل الدرامي التلفزيوني العراقي عبر الأفعال التي تبوء بها الشخصيات الرئيسية والتي تقود وتحرك مسار الأحداث: –

ينهض بناء الاحداث في المسلسل الدرامي التلفزيوني العراقي عبر الافعال التي تقوم بها الشخصية المتسلطة والتي تقود وتحرك وتغير مسار الاحداث في مسلسل ((النسر وعيون المدينة)) تتبلور شخصيتان سلطويتان الأولى كما نعرفها بالجزء من هذا العمل الذي جاء بعنوان ((الذئب وعيون المدينة)) لنفس المخرج والكاتب والمقصود بها هنا شخصية عبد القادر بيك الذي يسيطر على جميع تفاصيل المدينة بل وحتى على الكثير من يعملون في دائرة عمله ولا يعطيهم الا النذر اليسير من الطعام والاموال من ما جعله شخصيةً لا يحبها المجتمع المحيط به على الرغم من اصابته بالشلل نتيجة جلطة دماغية من ما جعل المحيطين منقسمين الى نفسهم على نفسهم فمجموعة تعاطفت مع حالة عبد القادر بيك الجديدة الرجل المشلول والاخرى تشفت بما نزل اليه من مرض بل ويعتبرونه غضب او قدر الهي وعلى هذا الاساس انتهت الحلقة الاخيرة من الذئب وعيون المدينة ونجد هنا ان المخرج المصري ابراهيم عبد الجليل مخرج العمل قد

أولى عناية خاصة بالأدوار الرئيسة للمسلسل إذ قام المخرج بالسيطرة على ابعاد الشخصية وما تقوم به لتفاصيل الحياة اليومية اذ لم يكن من الصعب عليه ان يبني شخصية عبد القادر بيك ليوجد على غرار هذه الشخصية تحفاً فنية إلا أنه يرفض هذا المبدأ على الرغم من ان البطل يخسر اشياء كثيرة منها على سبيل المثال قوته وصحته مقابل ربح مادي

ان المخرج ابراهيم عبد الجليل كان كثير الاعتناء بتفاصيل جميع الشخصيات التي ستظهر في المسلسل وهنا يظهر عدم الفرق في فهم الشخصية المحلية بين ابراهيم عبد الجليل المخرج المصري العربي ومجموعة من الممثلين اذا ان الشخصية الرئيسية عبد القادر بيك تشبه عشرات الطلاب و الآباء شديدي القسوة وشديدي البخل وذلك من خلال استخدام الازياء الأكسسوارات لان هذه الازياء الأكسسوارات والتي عادة ما تكون مشتركة بينها وما بين جميع الدول العربية باستثناء غطاء الرأس لأننا نستخدم كوفية بينما استخدمت شخصية عبد القادر بيك السدارة او ما يعرف بـ((الفيصلية)) وعند نهاية شخصية عبد القادر بيك بالشلل كان لا بد من ظهور شخصية توازيه شكلاً ومضموناً بل وربما تكون اقوى منهم ففي الحلقة الاولى من الجزء الثاني من المسلسل تظهر شخصية اسماعيل جلبي الذي ايضا يلبس ملابس مشتركة التفاصيل بينها وبين اي شخصية عربية تظهر في نفس الزمن في اي مدينة عربية اذ كان يرتدي القفطان والعباءة العربية والطربوش التركي فهذه الملابس تحدد مدى قوة الشخصية المادية والمعنوية ويرى الباحث ان شخصية اسماعيل جلبي فيها الكثير من شخصية سيد التي قدمتها السينما العربية بأشكال مختلفة لكن اكثرها تأثيرا سيد الذي كتبه نجيب محفوظ ولعل الثقافة المرجعية للمخرج والمتمحورة حول الثقافة المصرية هي التي جعلت منه يقدم شخصية اسماعيل چلبي نفس شخصية سيد مع الاختلافات الظرفية والبيئية كما ان شخصية اسماعيل چلبي من الصعوبة ان تخترق وقد بدأ الصراع منذ الحلقة الأولى بين اسماعيل چلبي وقادر بيك لتكشف لنا مشاهد الفلاش باگ

الكثيرة التي حفل بها المسلسل قصة علاقة عبد القادر بيك واسماعيل چلبي وكيف حصلا على هذه الاموال الطائلة من خلال سرقة المعسكر الإنكليزي.

المؤشر الثاني– تشارك الشخصيات الواقعية في عملية تطوير الأحداث ومسار الشخصيات في المسلسل التلفزيوني من خلال تكوينها الدرامي وبنيتها الداخلية التي ترتبط بجميع الشخصيات والأحداث: –

تشارك الشخصيات الوسطية في عملية تطوير الاحداث ومسار الشخصيات في المسلسل التلفزيوني من خلال تكوينها الدرامي وبنيتها الداخلية التي ترتبط بجميع الشخصيات والاحداث ما بين شخصية عبد القادر بيك وتسلطها على رقاب الناس وشخصية اسماعيل چلبي الذي ظن الكثير من أهل المدينة بأنه سيكون المنقذ لهم من شرور عبد القادر بيك إلا انهم اكتشفوا ان عبد القادر بيك انظف واشرف من شخصية اسماعيل چلبي الذي يحمل عقدة تجاه النساء لاعتقاده الخاطئ ان زوجته خانته مع عبد القادر بيك من ما جعل الناس يترحمون على ايام سيطرة عبد القادر بيك ومن الشخصيات الوسطية التي قدمها المسلسل شخصية غفوري افندي التي مثلها سليم البصري وشخصية عبدالله افندي والتي قدمها جعفر السعدي باحترافية عالية كذلك شخصية العربنچي ابو عطية من ثم شخصية المختار واولاد اسماعيل چلبي وشخصية حسنية خاتون التي تدير بيتاً للدعارة كل هؤلاء الشخصيات الوسطية مستفيدة ومتضررة في الوقت نفسه من عبد القادر بيك واسماعيل چلبي واولاد اسماعيل چلبي من المتضررين بشكل مباشر من سطوة ابيهم فلقد انتهت حياة رؤوف الابن الاكبر للجلبي الذي يعاني من حدبة على ظهره اثرت كثيرا على حالته النفسية وهكذا ينتهي الامر بإعدام نفسه منتحرا ويرى الباحث ان عملية الانتحار وتصويرها الدرامي اقرب الى الدراما المصرية فثقافة الشارع العراقي في مثل هذه الامور هي الانتحار حرقاً او بالسم وحتى الابن الاصغر لم يكن بعيدا عن بطش ابيه والاخر يعاني من عقدة نفسية منعته من اقامة اي حياة زوجية من ما اوقعه بمشاكل كثيرة ان عائلة اسماعيل چلبي بعلاقاتها مع بعضهم البعض وعلاقاتهم بالمجتمع الكبير اقرب الى العوائل المصرية منها الى العراقية اما شخصية العربجي

ابو عطية فلا يوجد عربنجي عراقي لهذه الثقافة والانفتاح للآراء الحرة وهنا تبتعد شخصية ابو عطية عن النموذج العراقي فهي اقرب ما تكون الشخصية المصرية فقد صدم ابو عطية في الحلقة الثالثة عندما اقدم اسماعيل چلبي على التحرش بزوجته ام عطية وهنا تقوم شخصية ابو عطية العربجي بفضح اسماعيل چلبي في الاوساط الاجتماعية فهناك من صدق رواية ابو عطية عن سوء اخلاق اسماعيل چلبي وهناك من وقف بالضد من ابو عطية لكون اسماعيل چلبي شريف وطاهر من وجهة نظرهم اما شخصية عبدالله افندي ولازمته الشهيرة ((عجيب امور .. غريب قضية)) فمنذ ان تمسكت هذه الشخصية بهذه اللازمة او الإفيه كما يسميه المصريون خرجت شخصية عبد الله أفندي من بناء الشخصية العراقية وقربها من ان تكون شخصية مصرية زجت في عملٍ عراقي وعبدالله أفندي من الشخصيات السلبية التي لم تدفع حدثاً ولم تشارك في أي مشكلة وكان بالإمكان ان تحذف هذه الشخصية دون ان تؤثر على بقية الشخصيات.

المؤشر الثالث – تساهم الشخصيات الدرامية المسحوقة في عملية اذكاء الصراع ودفع مسار الاحداث في المسلسل التلفزيوني من خلال كيفيات بنائها ودورها الدرامي: –

تساهم الشخصيات الدرامية المسحوقة في عملية اذكاء الصراع ودفع مسار الاحداث في المسلسل التلفزيوني من خلال كيفيات بناءها ودورها الدرامي هذه المدينة في المسلسل شأنها شأن أي مدينة عربية فقيرة هذه المسحوقة تكثر في مدننا العربية وهم يشكلون الثقل الاكبر من التركيبة الاجتماعية التي يقدمها العمل الدرامية ((النسر وعيون المدينة)) وهناك شخصيتان مسحوقتان ((رحومي ورجب)) اللذان يعملان في مكتب عبد القادر بيك مجاناً وبأكلهم وشربهم فقط يتعرف رحومي على امرأة تدعى نزيرة خاتون وتنشأ بينهم علاقة حب ولقد عملت هذه العلاقة على تثوير شخصية رحومي وجعلها تواجه شخصية عبد القادر بيك في مشهد اشتهرت به الدراما المصرية عندما يواجه الفقير الغني والمظلوم حتى ان علاقة نزيرة ورحومي من العلاقات غير الممكنة في المجتمع العراقي ويقوم رحومي بمغادرة مكتب

عبد القادر بيك والعمل في تصليح السيارات علماً ان السيارات لم تكن منتشرة في هذه المدينة انما كان اعتمادهم على عربات الخيول وبقيت شخصية رجب من قبل عبد القادر بيك ومن ما يحسب لرجب انه متمسك بعلاقة حب مع الضريرة گمرة التي تبيع الباقلاء في المدينة ولعل ذلك الامر قريب ايضا من الجذور المصرية حيث نجد قدر الفول في مقدمة الاكلات الشعبية في كل المدن المصرية وكما ان هذه القصة مستحيلة في مجتمعنا العراقي فهي اقرب الى المثاليات منها الى الشكل المصري او اي دولة اخرى من الشخصيات المسحوقة ظلماً والشخصيات النسائية الواقعة تحت سلطة حسنية خاتون وهي تضغط عليهن لممارسة الفاحشة مع زبائن حسنية خاتون وهم من الباكاوات والباشوات والتجار وتقوم هذه الشخصيات المسحوقة بمحاولات للتخلص من سلطة حسنية خاتون ولكن دون جدوى وهنا تتطابق شخصية المعلمة المصرية مع شخصية حسنية خاتون حتى أن حركات واكسسوارات وطريقة شرب السيجارة لحسنية خاتون هي اقرب ما تكون للنموذج المصري منها للنموذج العراقي وعلى الرغم من سيطرة الكاتب العراقي عادل كاظم على تقديم شخصيات عراقية الا انه لم يستطع السيطرة على معالجات ابراهيم عبد الجليل المصري ووقعت الشخصيات العراقية في دائرة البناء الدرامي للشخصية المصرية فحدث اضطراب فكري لدى الكثير من هذه الشخصيات ونقل هذا الاضطراب الى المشاهد العراقي ومن الجدير بالذكر ان هذه الاعمال عندما سوقت الى الخليج لاقت نجاحاً كبيراً من التشابه الذي يسود البيئات العربية لم يكن عذراً لمسخ الشخصية العراقية لصالح معالجة المخرج للشخصيات وصب قوالب مصرية جاهزة عليها.

النتائج: -

1- يتجلى دور المخرج العربي في صناعته لشخصيات الدراما العراقية عبر عملية تجسيد وبناء الاحداث في المسلسل التلفزيوني عبر محاكاته الدرامية ومعالجاته الاخراجية التي تختص بالمجتمع العراقي وأحداثه.

2- يتبين دور المخرج العربي في عملية الأخراج التلفزيوني للدراما العراقية من خلال توظيفه الإبداعي للمشتركات الصورية للبيئة العراقية من سمات وعناصر بصرية لتمثيل الفكرة الفنية.

3- يتمثل دور المخرج العربي في عملية صناعة وبناء الشخصية التلفزيونية العراقية من خلال الأسلوب الفني والإبداعي للمخرج في تمثيل الشخصيات وفقا للدور الذي تلعبه والذي يمثل مكانتها في احداث السرد التلفزيوني.

الاستنتاجات:

1- إن دور المخرج العربي في بناء الشخصية التلفزيونية العراقية دراميا ينطلق من السمات المشتركة للبيئة العربية صوريا ودراميا والذي يمكن المخرج من تجسيد شخصياته.

2- يتمكن المخرج العربي من تحقيق منجز درامي تلفزيوني فني من خلال معالجته الإبداعية للشخصيات على الصعيدين الصوري الشكلي والدرامي الضمني عبر إطلاق ابعاد شخصياته بشكل مبتكر.

المراجع

1. Callery, D. (2001). *Through the Body: A Practical Guide to Physical Theatre.* London: Nick Hern publishes.

2. Singh, C. L. (2010). *New media and cultural identity* (Vol. 1ST). New Dalhi: China Media Research.

3. اشلي ديوكس. (ب.ت). *الدراما*. (محمد خيري، المترجمون) الجمهورية العربية المتحدة: عالم الكتب.

4. الألكتروني. (2023). *معجم المعاني الجامع*. المعاني.

5. المعاني. (3 10, 2023). *https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%AF%D9%88%D8%B1/*. تم الاسترداد من الجامع لكل المعاني: https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%AF%D9%88%D8%B1/

6. صليبا جميل. (1994). *المعجم الفلسفي* (المجلد الاولى). بيروت – لبنان: الشركة العالمية للكتاب.

7. مارشال جوردان . (2007). *موسوعة علم الاجتماع* (المجلد الثانية). اوكسفورد، مصر : المشروع القومي للترجمة.

8. مرعي حسن. (2003). *كيف تكتب تمثيلية تلفزيونية* (المجلد الاولى). بيروت: رشاد برس للطباعة و النشر.

9. مؤنس حسين. (1987). *الحضارة(دراسة في أصول وعومل قيامها)* (المجلد الاولى). الكويت: سلسلة عالم المعرفة– المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

10. بحراوي حسين. (1990). *بنية الشكل الروائي* (المجلد الأولى). بيروت: المركز الثقافي العربي.

11. حلمي المهندس حسين. (1989). *دراما الشاشة (بين النظرية و التطبيق)* (الإصدار الجزء الثاني، المجلد الجزء الاول). القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

12. طارق عبد الوهاب خالد. (1996). *بناء الموقف الدرامي في النص المسرحي العراقي* (المجلد رسالة ماجستير غير منشورة). بغداد: جامعة بغداد كلية الفنون الجميلة.

13. دوسن س دبليو. (1981). *الدرامة والدرام* (المجلد موسوعة المصطلح النقدي). (عبد الواحد لؤلؤة، المترجمون) بغداد: دار الحرية للطباعة والنشر.

14. الضوي سارة ، و زينب إبراهيم. (2 12, 2017). *الرؤية الإخراجية في المسلسلات وانعكاساتها على الهوية*. تم الاسترداد من جامعة الاهرام الكندية: https://gate.ahram.org.eg/News/2754593.aspx

15. علوش سعيد. (1985). *معجم المصطلحات الادبية المعاصرة*. بيروت: دار الكتاب اللبناني.

16. النادي عادل. (1993). *مدخل إلى فن كتابة الدراما* (المجلد الثانية). القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

17. مرتاض عبد الملك. (1998). *في نظرية الرواية*. الكويت: سلسلة عالم المعرفة.

18. مجاهد مجاهد عبد المنعم. (1986). *دراسات في علم الجمال* (المجلد الثانية). بيروت: دار العلم للكتب.

19. نداف عماد ، ، و نداف محمد. (ب.ت). *الدراما التلفزيونية (التجربة السورية نموذجا من السيناريو إلى الإخراج)* (المجلد الاولى). دمشق: دار الطليعة الجديدة.

20. نداف عماد ، و محمد نداف. (1994). *الدراما التلفزيونية* (المجلد الاولى). دمشق: دار الطليعة الجديدة.

21. غنيم كمال. (2003). *المسرح* (المجلد الاولى). الضفة الغربية: دار الحرم.

22. اسلن مارتن. (1984). *تشريح الدراما* (المجلد الثانية). (يوسف عبد المسيح، المترجمون) بغداد: مكتبة النهضة.

23. ابو طالب محمد سعيد. (1990). *علم مناهج البحث*. الموصل: دار الحكمة للطباعة و النشر.

24. لشنيطيمحمد فتحي ا ، و و آخرون. (1960). *المجتمع العربي*. بيروت: دار النهضة العربية.

25. أيوب محمد. (2001). *الزمن و السرد القصصي في الرواية المعاصرة* (المجلد الأولى). القاهرة: دار سندباد للنشر و التوزيع.

26. حيدو نجيب إصليوة. (2011). توظيف السينما الاميركية للتقنية في إرساء العولمة في الفيلم السينمائي. *مجلة الاكاديمي*(89)، صفحة 198.

التحليل المكاني لحركة النقل الجوي في المطارات العراقية

م.د. يسرى عبد الامير مسلم أ.د. احمد يحيى عباس عنوز

مديرية تربية النجف الأشرف جامعة الكوفة _ كلية الآداب

المستخلص :

يكتسب النقل الجوي في العراق أهمية بالغة بسبب اتساع المسافات بين المحافظات، والحاجة إلى ربطه بدول المنطقة والعالم، فضلاً عن الدور الكبير للمطارات في خدمة الزائرين والوافدين والتجارة الخارجية ، إذ يمتلك العراق عدداً من المطارات المهمة، أبرزها: بغداد، النجف الأشرف، البصرة الدولي، أربيل الدولي، السليمانية الدولي، وكركوك الدولي، إضافة إلى مشاريع تشغيل وتوسعة في مطارات أخرى مثل الموصل ، فضلاً عن المطارات التي لا تزال قيد الانشاء وذات اهمية كبيرة ان اكتملت كمطار كربلاء المقدسة الدولي .

تختلف وظيفة كل مطار بحسب طبيعة المنطقة التي يخدمها؛ فمطار بغداد هو المركز الأكبر للحركة العامة، ومطار النجف يرتبط بقوة بالزيارات الدينية، ومطار أربيل يشهد حركة دولية نشطة، ومطار البصرة يخدم الجنوب والنشاط الاقتصادي النفطي، بينما تتأثر مطارات أخرى بحجم الطلب المحلي والظروف التشغيلية . من هذا المنطلق جاء بحثنا لدراسة التحليل المكاني لحركة النقل الجوي بين المطارات العراقية واهميتها وتوقع الحركة فيها لغاية سنة 2050 . وقد توصل البحث الى ان المطارات العراقية تطورت عبر مراحل تاريخية ادت الى زيادة معدلاتها الحركية الجوية وهذا ما سيؤدي مستقبلا الى ارتفاع معدلات حركة النقل الجوي فيها .

Abstract:

Air transport in Iraq is of paramount importance due to the vast distances between governorates and the need to connect the country with regional and global destinations. Furthermore, airports play a significant role in serving visitors, arrivals, and foreign trade; Iraq possesses a number of important airports, most notably: Baghdad, Najaf Al-Ashraf, Basra International, Erbil International, Sulaymaniyah International, and Kirkuk International—in addition to operational and expansion projects at other airports such as Mosul, as well as airports currently under construction that would be of great importance upon completion, such as Karbala International Airport.

The function of each airport varies according to the nature of the region it serves: Baghdad Airport is the primary hub for general traffic; Najaf Airport is closely linked to religious pilgrimages; Erbil Airport sees active international traffic; and Basra Airport serves the south and the oil-related economic sector; meanwhile, other airports are influenced by the volume of local demand and operational conditions. Against this backdrop, our

research examines the spatial analysis of air traffic between Iraqi airports—highlighting their significance—and forecasts traffic volumes through the year 2050. The study concludes that Iraqi airports have evolved through various historical stages, resulting in increased air traffic activity, a trend that points to a future rise in air transport volumes at these facilities.

المقدمة :

تعد المطارات العراقية من أهم مرافق البنية التحتية للنقل في البلاد، لأنها تربط العراق بالعالم الخارجي وتسهّل حركة المسافرين والبضائع والخدمات اللوجستية. وقد شهدت حركة النقل الجوي في العراق تطوراً ملحوظاً في السنوات الأخيرة، خصوصاً في مطارات بغداد والنجف وأربيل والبصرة ، مع تفاوت واضح بين مطار وآخر بحسب الموقع الجغرافي، والحالة الأمنية، وعدد الرحلات، وطبيعة الطلب على السفر.

أن النقل الجوي في العراق لا يقتصر على نقل المسافرين فقط، بل يمتد إلى الشحن الجوي، ونقل الوفود الرسمية ، والرحلات الدينية، والرحلات التجارية، إضافة إلى الرحلات العابرة لأجواء البلاد التي تمثل مورداً مهماً للحركة الجوية .

ان المطارات العراقية ليست متشابهة في الأداء، فبعضها يشهد كثافة عالية مثل مطار بغداد ومطار النجف، بينما تكون الحركة أقل في مطارات أخرى مثل كركوك والسليمانية والبصرة بحسب الفترات الزمنية والمتغيرات .

الاطار النظري للبحث :

أولا: مشكلة البحث :

تتمثل مشكلة البحث بطرح التساؤلات الآتية :

1-كيف تطورت مطارات النقل الجوي في العراق ؟

2- ما هو واقع حركة النقل الجوي في المطارات العراقية ؟

3- ما التوقعات المستقبلية لحركة النقل الجوي في المطارات العراقية ؟

ثانيا: فرضية البحث:

تتمثل فرضيات البحث بالجوانب الآتية :

1- مر تطور مطارات النقل الجوي في العراق بمراحل تاريخية عديدة وصولا الى ما هي عليه في الوقت الحالي.

2- يتباين واقع حركة النقل الجوي في المطارات العراقية مكانيا وزمانيا بين مطار وآخر تبعا للمتغيرات السياسية والاقتصادية وظروف البلد والمنطقة الأخرى .

3- يتوقع ان تتزايد معدلات حركة النقل الجوي مستقبلا في المطارات العراقية .

ثالثا: منهج البحث :

اعتمد البحث على المنهج التاريخي لمعرفة تطور المطارات العراقية ، والمنهج الوصفي لمعرفة واقع حركة النفل الجوي في المطارات العراقية ، ومنهج تحليل النظم لمعرفة التوقع المستقبلي لحركة النقل في المطارات العراقية.

رابعا: هدف البحث :

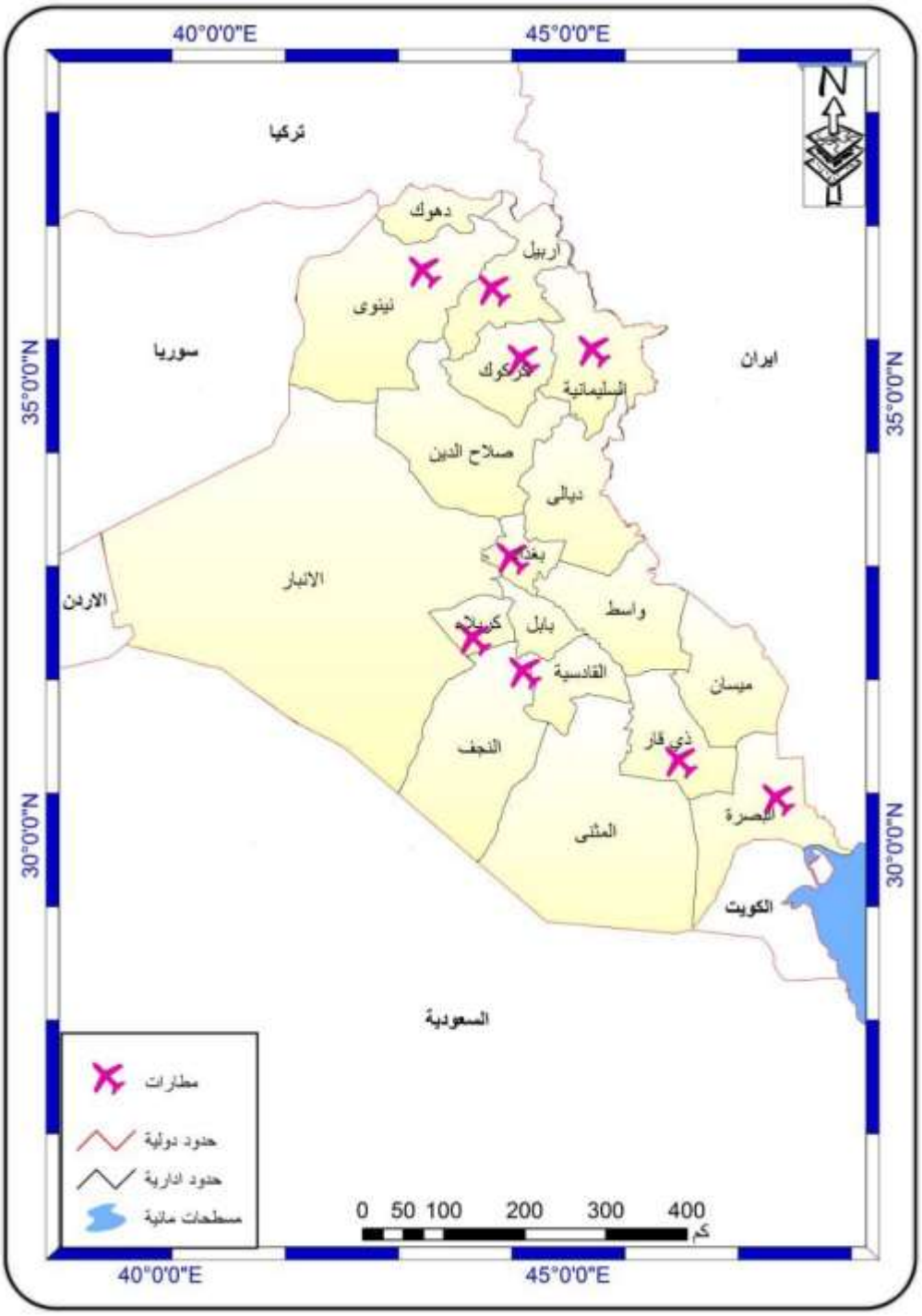
ينطلق هدف البحث من خلال تنبع أهمية دراسة حركة النقل في المطارات العراقية من كونها مرآة لواقع الاقتصاد العراقي والانفتاح الإقليمي والدولي. فكلما زادت حركة الطيران والمسافرين، دلّ ذلك على تحسن نسبي في البنية التحتية، وزيادة الثقة بالمطارات، واتساع النشاط التجاري والسياحي والديني. وعليه يهدف البحث الى الكشف وتحليل لواقع حركة النقل الجوي في المطارات العراقية والعوامل المؤثرة فيها وتوقعاتها المستقبلية لغاية سنة 2050 .

خامسا: الحدود المكانية والزمانية للبحث :

تتمثل الحدود المكانية للبحث بدراسة المطارات العراقية الواقعة ضمن الحدود الادارية للعراق والبالغ عددها سبعة مطارات دولية مدنية عاملة . بينما الحدود الزمانية فتتمثل بدراسة الواقع الحالي لحركة النقل في المطارات العراقية وتوقعاتها لغاية سنة 2050 . ينظر خريطة (1) .

خريطة (1)

التوزيع الجغرافي للمطارات العراقية الدولية لسنة 2025



المصدر: وزارة النقل ، احصاءات النقل الجوي للمطارات العراقية لسنة 2025، بغداد ، 2025 .

ثانيا : تطور مطارات النقل الجوي في العراق:

يمكن تبع تطور مطارات النقل الجوي العاملة فعليا في العراق من خلال التتبع التاريخي لنشوئها وهي كالآتي :

1.مطار بغداد الدولي : يعد أكبر مطارات العراق ، ويقع على بعد 16 كم غرب العاصمة بغداد، تأسس سنة 1968 وتم افتتاحه سنة 1969 م ، وتم تطوير خلال الفترة بين عامي 1979 و1982 بواسطة شركات فرنسية وبريطانية ، وتبلغ طاقته الاستيعابية للمسافرين (6.700.000) مسافر سنويا .

2. مطار البصرة الدولي : انشأ في ستينيات القرن العشرين وتم تطويره في ثمانينيات القرن نفسه. خلال مدة حرب الخليج الأولى والثانية واحتلال العراق في عام 2003، كان المطار مغلقا لمدة طويلة، تم إعادة افتتاح المطار في عام 2005 ، وتبلغ طاقته الاستيعابية للمسافرين (2.000.000) مسافر سنويا .

3. مطار السليمانية الدولي: يقع في شمال غرب مدينة السليمانية على بعد(15) كم من وسط المدينة على طريق السليمانية – كركوك. يبلغ ارتفاع المطار عن سطح البحر حوالي(753) مترًا وتبلغ مساحته الإجمالية(13,5) كم مربع. تم تأسيس المطار باستخدام التمويل الذي تم تخصيصه من ميزانية إقليم كردستان وتم تكليف شركة AGS التركية بتنفيذ المشروع. بدأ العمل في ديسمبر 2003 وافتتح المطار في 20 يوليو 2005 وتبلغ طاقته الاستيعابية للمسافرين (1.500.000) مسافر سنويا([1]).

(1)يسرى عبد الامير مسلم ، الأبعاد الجغرافية لعملية الربط بين المطارات العراقية ومطارات دول الجوار وتأثيرها في الاقتصاد العراقي ، اطروحة دكتوراه ، كلية التربية للبنات ، جامعة الكوفة ، 2024، ص67.

4. مطار أربيل الدولي : يعد المطار واحداً من المطارين الدوليين في الإقليم ، إلى جانب مطار السليمانية، وهناك مطار ثالث يقام حالياً وهو مطار دهوك الدولي. تم افتتاحه في عام 2005 وتبلغ طاقته الاستيعابية للمسافرين (150.000) مسافر سنويا([2]).

5. مطار النجف الأشرف الدولي : تم بناء مطار النجف الأشرف شرق المدينة، على أساس قاعدة جوية عسكرية سابقة، وفقاً لتوصيات منظمة الطيران المدني الدولية. تم افتتاح المطار في 19 نوفمبر 2008 ، وتبلغ طاقته الاستيعابية للمسافرين (4.000.000) مسافر سنويا .

6. مطار كركوك الدولي : يقع المطار في محافظة كركوك شمال جمهورية العراق ويتبع إدارة الحكومة العراقية الاتحادية ، تم افتتاحه في 16 تشرين الأول 2022، وتبلغ طاقته الاستيعابية للمسافرين (500.000) مسافر سنويا . ينظر الجدول (1) .

الجدول (1)

التطور التاريخي للمطارات الدولية العاملة في العراق

اسم المطار الدولي	سنة الافتتاح	الطاقة الاستيعابية / مسافر سنويًا
بغداد الدولي	1969	6.700.000
البصرة الدولي	1965	2.000.000
السليمانية الدولي	2003	1.500.000

(2)مها شاكر جبر الامارة، الأهمية الاستراتيجية للملاحة الجوية في العراق للمدة (2003-2017) ، أطروحة دكتوراه ، جامعة البصرة كلية التربية للعلوم الإنسانية ، 2019.

أربيل الدولي	2005	150.000
النجف الأشرف الدولي	2008	4.000.000
كركوك الدولي	2022	500.000

المصدر : جمهورية العراق ، وزارة النقل ، المنشأة العامة للطيران المدني، منشور على الموقع الالكتروني ، www.gaca.gov.iq

يتكون أسطول الخطوط الجوية العراقية من 29 طائرة مختلفة الأنواع، منها 27 طائرة حديثة، فيما أكد أن البلاد ستتسلم 14 طائرة مختلفة من ضمنها طائرات "دريم لاينر". كما أن العراق وقع عقداً مع شركة بوينغ عام 2008 لشراء 40 طائرة ووصلت الدفعة الأولى من الطائرات وعددها 14 طائرة من نوع 737 عام 2017، وأن هذه الطائرات تعمل حالياً على الوجهات المختلفة للخطوط الجوية العراقية . وقد بلغ أسطول الطائرات العراقية نهاية العام 2023 (43) طائرة.([3])

ثالثا: واقع حركة النقل الجوي في المطارات العراقية :

من خلال بيانات الجدول (2) والخريطة (2) نلاحظ بان حركة النقل الجوي في المطارات العراقية شهدت نموا ملحوظاً في السنوات الأخيرة ، إذ بلغ مجموع الرحلات القادمة والمغادرة في المطارات العراقية (6658) رحلة اكثرها الرحلات المغادرة بعدد (3347) رحلة بينما بلغت الرحلات القادمة (3311) رحلة، وبلغ عدد الشركات العاملة في

(1)مها شاكر جبر الامارة، الأهمية الاستراتيجية للملاحة الجوية في العراق للمدة (2003-2017) ، أطروحة دكتوراه ، جامعة البصرة كلية التربية للعلوم الإنسانية ، 2019، ص45.

المطارات (125) شركة متنوعة ، وبلغ مجموع المسافرين (9,455,413) مسافر ، وهذا يدل على أن الحركة الجوية في العراق لم تعد محدودة، بل أصبحت جزءً فاعلاً من المشهد الاقتصادي والخدمي، رغم التفاوت بين المطارات.

ويمكن معرفة واقع حركة النفل الجوي في المطارات العراقية من خلال تتبع عدد الرحلات القادمة والمغادرة لغاية نهاية شهر حزيران سنة 2026 لكل مطار وكالآتي :

1.مطار بغداد الدولي :

يعد مطار بغداد الدولي أكبر مطار عراقي من حيث عدد الرحلات في أغلب الفترات، وهو المركز الرئيسي للحركة الجوية في البلاد. وقد أظهرت البيانات أن المطار سجل (1570) رحلة قادمة و(1576) رحلة مغادرة، وباعداد بلغت (3,661,540) مسافر، ويبلغ عدد الشركات العاملة فيه (29) شركة طيران . وهو أعلى رقم بين المطارات العراقية المذكورة في الإحصائية.وتعود أهمية مطار بغداد إلى كونه يخدم العاصمة ومؤسسات الدولة والوفود الرسمية والشركات الدولية، فضلاً عن كونه نقطة ربط أساسية بين العراق والخارج . كما أن استمرار تطوير خدماته وتوسعة طاقته التشغيلية يؤثر مباشرة في صورة النقل الجوي العراقي كله .

2.مطار النجف الأشرف :

يحتل مطار النجف الأشرف مكانة مهمة جداً في منظومة النقل الجوي العراقي بسبب الزيارات الدينية الكبيرة، خصوصاً في مواسم الزيارات المليونية. ووفق البيانات سجل المطار(507) رحلة قادمة و(513) رحلة مغادرة وبعدد مسافرين بلغ (2,641,151) مسافر، ويبلغ عدد شركات الطيران العاملة فيه (43) شركة. هذا يدل على أن

الطلب على مطار النجف لا يعتمد فقط على السفر الاعتيادي، بل يرتبط أيضاً بالحركة الدينية الموسمية التي تمنحه خصوصية كبيرة مقارنة بباقي المطارات.

3.مطار أربيل الدولي :

يعد مطار أربيل من المطارات النشطة في العراق من حيث الرحلات والمسافرين، خصوصاً في السفر الدولي والتجاري والسياحي. إذ بلغ عدد رحلاته (696) رحلة قادمة و(692) رحلة مغادرة رحلة وبعدد مسافرين بلغ (2,080,039) مسافر،.ويبلغ عدد شركات الطيران العاملة فيه (27) شركة . وتشير هذه الأرقام إلى أن مطار أربيل يمثل عقدة مهمة للنقل الجوي في شمال العراق، ويستفيد من موقعه ومن طبيعة الحركة الاقتصادية والسياحية في الإقليم.

4.مطار البصرة الدولي :

يمتلك مطار البصرة أهمية استراتيجية بسبب ارتباطه بالمحافظات الجنوبية وبالقطاع النفطي والتجاري، إضافة إلى كونه منفذاً جوياً مهماً في أوقات الأزمات. وقد سجل رحلات نحو(258) رحلة قادمة و(288) رحلة مغادرة وبعدد (642,414) مسافر، ويبلغ عدد شركات الطيران العامله فيه (17) شركة. وتبرز أهمية البصرة أيضاً لأنها كثيراً ما تكون من المطارات القليلة التي تستمر فيها الحركة عندما تتأثر بعض المطارات الأخرى بظروف أمنية أو فنية .

5.مطار السليمانية الدولي :

يؤدي مطار السليمانية الدولي دوراً مهماً في خدمة النقل الجوي رغم انه اقل من من حيث عدد الرحلات مقارنة مع المطارات الاخرى ، إذ سجل مطار السليمانية (146) رحلة قادمة ومغادرة ، ويبلغ عدد شركات الطيران العاملة فيه (9) شركات .

6. مطار كركوك الدولي :

سجل مطار كركوك (134) رحلة قادمة و(132) رحلة مغادرة ويبلغ عدد شركات الطيران العاملة فيه (3) شركات ، وهذا يدل على قلة حركة النقل الجوي فيه بسبب تتأثرها بعوامل السوق، والطلب المحلي، وتنوع الوجهات، والاستقرار التشغيلي .

وهذه الرحلات للمطارات تأتي من دولة مختلفة وتكثر في كل مطار بحسب الظروف والمناسبات الدينية لاسيما الكبيرة منها خاصة في مطار النجف الأشرف خلال مواسم الزيارة الاربعينية للامام الحسين "عليه السلام" ، إذ ان اكثر اعداد القادمين والمسافرين هم من الجمهورية الإسلامية الايرانية . لا تقتصر حركة النقل في المطارات العراقية على المسافرين، بل تشمل الشحن الجوي أيضاً، وهو مهم لنقل البضائع الحساسة والسلع ذات القيمة العالية. وتشير دراسة عن دور النقل الجوي في التجارة الخارجية للعراق إلى أن حجم الشحن الجوي أقل من النقل البحري والبري، لكنه مهم لقيمة البضائع وسرعتها.

يعد مطار بغداد أكثر استقراراً في النشاط التجاري، بينما يرتبط أداء مطار البصرة بالقطاع الصناعي والطاقة، ويتأثر مطار النجف بالمواسم الدينية . وهذا يعني أن المطارات العراقية لا تؤدي وظيفة نقل المسافرين فقط، بل تسهم أيضاً في دعم التبادل التجاري والخدمات اللوجستية.

وتواجه حركة النقل في المطارات العراقية عدة تحديات، منها ضعف البنية التحتية اللوجستية، وتعقيد الإجراءات الجمركية، ومحدودية بعض خدمات الشحن، والتأثر بالأوضاع الأمنية والسياسية في المنطقة.

كما أن بعض الفترات تشهد توقفاً أو تراجعاً في الحركة الجوية بسبب ظروف خارجية، وهو ما ينعكس مباشرة على أعداد الرحلات وحركة المسافرين . فضلا عن تفاوت التطور بين مطار وآخر، حيث توجد مطارات ذات نشاط كبير وأخرى تحتاج إلى تحديث أكبر في المرافق والخدمات والربط الدولي .

على الرغم امن هذه لتحديات، توجد عوامل ساعدت على نمو حركة المطارات العراقية، منها زيادة الطلب على السفر، وتوسع الرحلات الدينية، وتحسن بعض الخدمات التشغيلية، وارتفاع أعداد الشركات العاملة، إضافة إلى جهود وزارة النقل وسلطة الطيران المدني في تنظيم الحركة الجوية. كما أن إعادة تشغيل بعض المطارات وافتتاح خطوط داخلية ودولية جديدة عزز من مرونة الشبكة الجوية، مثل بدء تشغيل مطار الموصل الدولي عبر رحلات داخلية.

الجدول (2)

اعداد الرحلات القامة والمغادرة من والى المطارات الدولية العراقية والشركات العاملة فيها لغاية نهاية شهر حزيران لسنة 2026

اسم المطار الدولي	الرحلات القادمة	الرحلات المغادرة	عدد الشركات العاملة في المطار
بغداد الدولي	1570	1576	29
النجف الأشرف الدولي	507	513	43
اربيل الدولي	696	692	27
البصرة الدولي	258	288	17
السليمانية الدولي	146	146	9

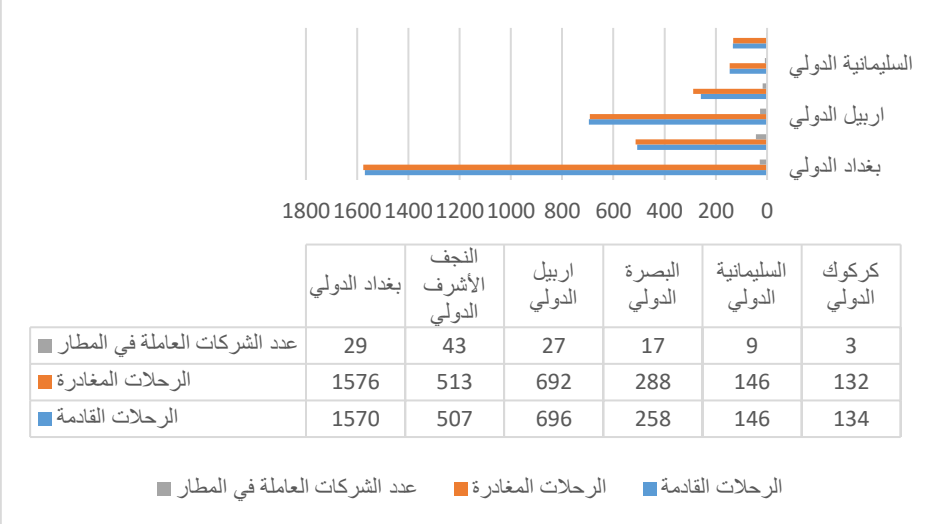
كركوك الدولي	134	132	3
المجموع	3311	3347	125

المصدر : الباحثان بالاعتماد على :1.يسرى عبد الامير مسلم ، الأبعاد الجغرافية لعملية الربط بين المطارات العراقية ومطارات دول الجوار وتأثيرها في الاقتصاد العراقي ، اطروحة دكتوراه ، كلية التربية للبنات ، جامعة الكوفة ، 2024.

2www.planes potlers- net / Iraq .Air ways : الموقع الالكتروني للخطوط الجوية العراقية.

الشكل (2)

اعداد الرحلات القامة والمغادرة من والى المطارات الدولية العراقية والشركات العاملة فيها لغاية نهاية شهر حزيران لسنة 2026

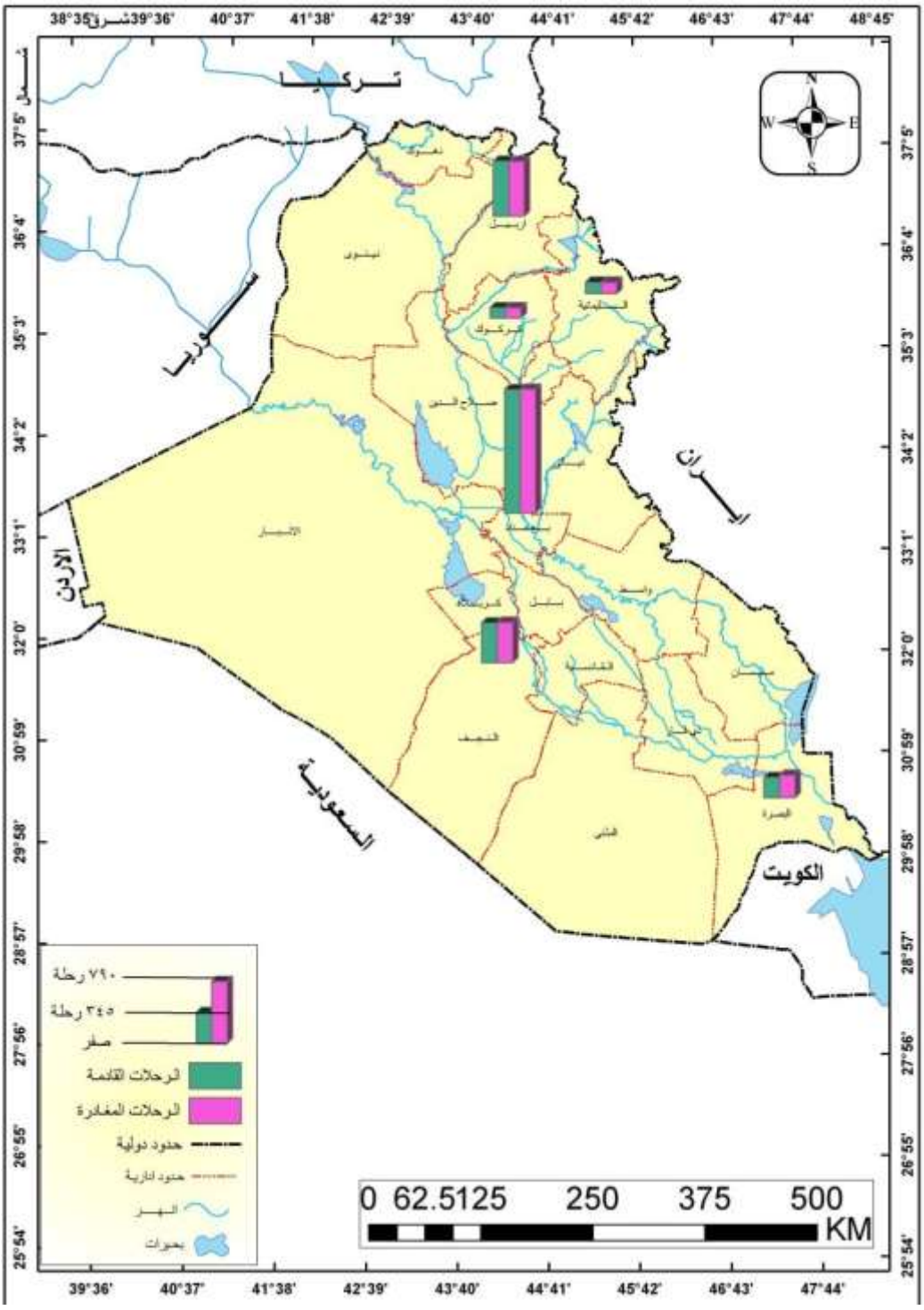


	بغداد الدولي	النجف الأشرف الدولي	اربيل الدولي	البصرة الدولي	السليمانية الدولي	كركوك الدولي
عدد الشركات العاملة في المطار	29	43	27	17	9	3
الرحلات المغادرة	1576	513	692	288	146	132
الرحلات القادمة	1570	507	696	258	146	134

المصدر: بالاعتماد على بيانات الجدول (2).

الخريطة (2)

الرحلات القامة والمغادرة من والى المطارات الدولية العراقية لغاية نهاية شهر حزيران لسنة 2026



المصدر: بالاعتماد على الجدول (2) .

ثالثا: التوقعات المستقبلية لحركة النقل الجوي في المطارات العراقية لغاية سنة 2050 :

من خلال الجدول (3) يتوقع ان تزداد حركة ورحلات النقل الجوي في المطارات العراقية الداخلية والخارجية خلال سنة 2030 الى (18146) رحلة جوية قادمة ومغادرة عبر كل المطارات العراقية ، وستصل خلال سنة 2050 الى (70205) رحلة جوية. وبالتأكيد هذه الزيادة في الرحلات الجوية ستزيد من حركة النقل الجوي واهمية المطارات العراقية وديمومتها وزيادة في سعتها واعداد اسطولها الجوي ، وبالتالي ستعمل على تحقيق مردود اقتصادي وطني للدولة . كما يتوقع ان ترتفع اعداد المسافرين عبر المطارات العراقية خلال سنة 2030 الى (1314842) مسافر قادم ومغادر عبر كل المطارات العراقية ، ويتوقع ان يصل عددهم خلال سنة 2050 الى (5377312) مسافر مغادر وقادم وعلى مدى 24 ساعة ، وهذا ما سيؤدي الى نمو الحركة الاقتصادية للمطارات العراقية كافة .

الجدول (3)

توقع رحلات حركة النقل الجوي والمسافرين عبر المطارات العراقية لغاية سنة 2050

السنة	الرحلات المتوقعة	المسافرين
2030	18146	1314842
2050	70205	5377312

المصدر : الباحثين بالاعتماد على معادلة حساب توقعات الرحلات الجوية والمسافرين بحسب منظمة السياحة والطيران العالمية والتي هي :

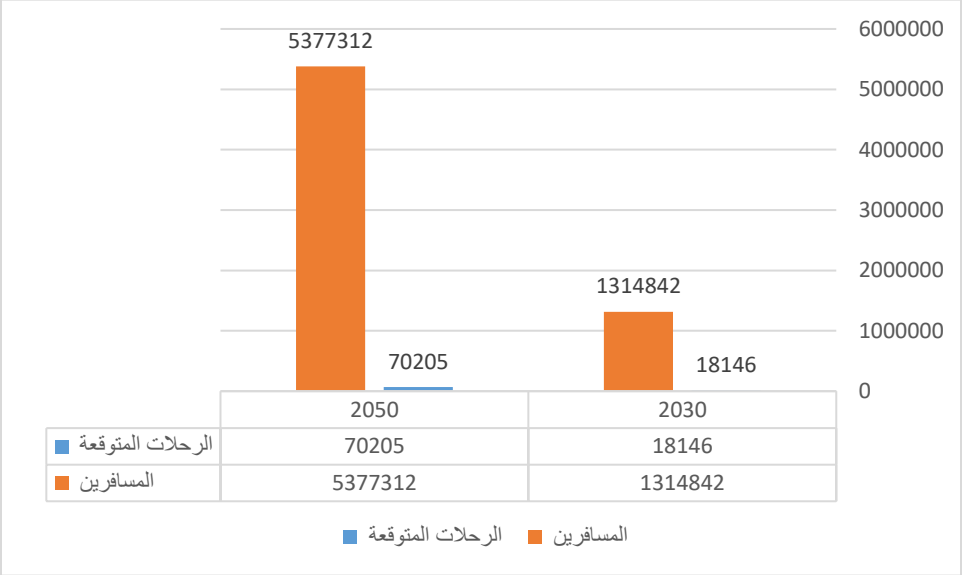
(السنة السابقة X نسبة النمو + السنة نفسها = السنة المتوقعة)

حيث ان نسبة النمو هي (7%) بحسب توقعات منظمة الطيران المدني العالمية .

للمزيد ينظر : عماد عزيز مهدي ، دور الاستثمارات في السياحة الدينية في مدينة كربلاء المقدسة ، بحث دبلوم عال (غير منشور) ، النعهد العالي للتخطيط الحضري والاقليمي ، جامعة بغداد ، 2009 ، ص 72 .

الشكل (2)

توقع رحلات حركة النقل الجوي والمسافرين عبر المطارات العراقية لغاية سنة 2050



المصدر: بالاعتماد على بيانات الجدول (3).

النتائج والمقترحات:

النتائج :

1- يعود تاريخ تطور النقل الجوي في العراق إلى العقد الثالث من القرن العشرين، إذ بدأت كفكرة أولية وسرعان ما تطورت في العقد الرابع بإنشاء مطارات من مطارات عسكرية الى مطارات مدنية في بغداد والبصرة ،

ونتيجة لذلك تأسست الخطوط الجوية العراقية في عام 1946.

2- شهدت منظومة الملاحة الجوية العراقية تطورا كبيرا بعد عام 2003، إذ تم تحسين تصميم المطارات العراقية وزيادة عددها. كان العراق يمتلك ثلاث مطارات فقط (مطار بغداد الدولي، مطار البصرة الدولي، مطار الموصل الدولي) قبل عام 2003، ولكن بعد ذلك زاد عدد المطارات الرئيسية إلى ستة مطارات وقد أدى هذا التطور إلى زيادة عدد الرحلات الجوية وعدد المسافرين القادمين والمغادرين.

3- التزايد المستمر في حركة السفر ونقل البضائع سواء داخل البلاد أو خارجها وذلك نتيجة لتحسن مستوى المعيشة للأفراد العراقيين وزيادة دخولهم المالي.

4- اسهمت عملية الربط بين مطارات العراق ومطارات دول الجوار في تعزيز الاقتصاد من خلال تحقيق عائد مالي ونقل الخبرات التكنلوجية وتطوير الصناعات وزيادة الاستثمار.

5- على الرغم من اعداد المطارات الحالية في العراق إلا انها تعاني من ضعف في خدماتها مقارنة مع مطارات الدول المجاورة .

6- يتوقع ان تتضاعف اعداد المطارات في العراق الامر الذي سيؤدي الى التزايد في رحلات النقل الجوي في المطارات العراقية لغاية سنة 2050 .

المقترحات :

1. أنشاء مركز بحثي للدراسات و التبادل والحوار بين مختلف الجهات في قطاع الطيران، لتحسين جودة الخدمات الجوية التي ينبغي توفيرها، من خلال تقديم دراسات الجدوى الخاصة بتطوير السياسات والتشريعات المتعلقة بقطاع النقل .

2. الإشراف على التخطيط الاستراتيجي وتعزيز البرامج التقنية المستخدمة في قطاع النقل الجوي لمراقبة وتقييم الأداء بفعالية ودقة.

3. العمل على تحديث أسطول الطائرات وتطوير العنصر البشري العامل وهذا ما يسهم في زيادة عدد الرحلات الجوية وزيادة الايرادات ورفع مستوى الانتاجية مع تطوير مستوى الخدمات المقدمة للركاب على الطائرات.

4. تأسيس شركة عراقية متخصصة للمطارات تضع خطة طموحة تهدف الى رفع كفاءة المطارات العراقية وتحديثها لتطوير وتحسين خدماتها وزيادة قدراتها الاستيعابية وحل مشاكلها الفنية .

5. الاهتمام بتوفير اسطول جوي من الطائرات تكون احدث نوعية من الاسطول الجوي العراقي الحالي وذلك لملئ الفراغ في الطيران المدني العراقي .

6. الاسراع في اكمال وانجاز ما متبقي من بعض المطارات التي لا تزال قيد الانشاء في المحافظات العراقية .

مصادر البحث :

1.عماد عزيز مهدي ، دور الاستثمارات في السياحة الدينية في مدينة كربلاء المقدسة ، بحث دبلوم عال (غير منشور) ، النعهد العالي للتخطيط الحضري والاقليمي ، جامعة بغداد ، 2009.

2.مها شاكر جبر الامارة، الأهمية الاستراتيجية للملاحة الجوية في العراق للمدة (2003-2017) ، أطروحة دكتوراه ، جامعة البصرة كلية التربية للعلوم الإنسانية ، 2019 .

3.الموقع الالكتروني للخطوط الجوية العراقية ، الرابط الآتي :

www.planes potlers- net / Iraq .Air ways

4. وزارة النقل ، احصاءات النقل الجوي للمطارات العراقية لسنة 2025، بغداد ، 2025.

5.وزارة النقل ، المنشأة العامة للطيران المدني، منشور على الموقع الالكتروني ، الرابط الآتي:

www.gaca.gov.iq

6.يسرى عبد الامير مسلم ، الأًبعاد الجغرافية لعملية الربط بين المطارات العراقية ومطارات دول الجوار وتأثيرها في الاقتصاد العراقي ، اطروحة دكتوراه ،كلية التربية للبنات ، جامعة الكوفة ، 2024.

تشكيل الذات في سياق الحرية: دراسة فلسفية معاصرة

The Formation of the Self in the Context of Freedom: A Contemporary Philosophical Study

م.د غصون عبد محمد[1]

[1]وزارة التعليم العالي والبحث العلمي/ كلية الهندسة/ جامعة بغداد

Engineering of University/College education/Baghdad higher of Ministry

ghusoon.abd@coeng.uobaghdad.edu.iq

Being, Power, Law Keywords: Freedom, Self, Human

الكلمات المفتاحية: الحرية، الذات، الانسان، السلطة، القانون

الملخص:

يتناول هذا البحث واحداً من أبرز المفاهيم الفلسفية التي كان لها دور في تفسير الكيفية التي تتشكل بها الذات الإنسانية، وذلك من خلال دراسة هذا المفهوم وأهم التطورات والتحولات التي مر بها في تاريخ الفكر الفلسفي.

ينطلق هذا البحث من تناول رؤية مجموعة من الفلاسفة الذين قدموا تحليلاً عن دور الحرية في بناء الذات، ومنهم جان بول سارتر الذي وجد في الحرية أحد أهم خصائص الوجود الإنساني، ثم ميشيل فوكو الذي طرح آلية تشكيل الذات

وفقاً لعلاقتها بمفهوم الحرية والسلطة، كما يتناول البحث الرؤى المتباينة لكلاً من تشارلز تايلور ونانسي فريزر التي تؤكد على أهمية الاعتراف والهوية في تكوين الذات الحرة، فضلاً عن تأكيدهم حول أهمية الحرية ودورها في تحقيق العدالة الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: الحرية، الذات، الانسان، السلطة، القانون

Abstract

This study examines one of the paramount philosophical concepts that has significantly contributed to elucidating the formation of human subjectivity. It explores this concept alongside its key historical developments and shifts within philosophical thought.

Beginning with an analysis of several philosophers who examined the role of freedom in the context of the self, the study addresses Jean-Paul Sartre, who posited freedom as a fundamental characteristic of human existence. It then examines Michel Foucault, who articulated the mechanisms of self-formation in relation to the concepts of freedom and power. Furthermore, the paper investigates the contrasting perspectives of Charles Taylor and Nancy Fraser, both of whom underscore the critical

importance of recognition and identity in constituting the autonomous self, while highlighting the imperative of freedom in realizing social justice.

Keywords: Freedom, Self, Human, Power, Law

المقدمة:

يُعد مفهوم الحرية واحداً من أهم المفاهيم الفلسفية التي احتلت حيزاً مهماً في تاريخ الفكر الفلسفي، وذلك لارتباط هذا المفهوم بطبيعة الإنسان الحية ووجوده وعلاقته بذاته وبالآخرين.

شهد هذا المفهوم العديد من التحولات المنهجية والدلالية التي رافقت تطور المجتمعات وتعاقب وتطور المذاهب الفلسفية، لهذا لم يعد هذا المفهوم يقتصر بالدلالة على قدرة الإنسان على التحرر والخلاص من القيود أو القدرة على الاختيار الحر، وإنما أصبح مفهوم يتداخل مع القضايا التي تعنى بتشكيل الهوية والذات والعدالة والاعتراف والسلطة.

وهذا ما جعلها من أهم المفاهيم أو القضايا التي أعطتها الفلسفة المعاصرة اهتماماً بالغاً لكونها تعنى أو تهتم بتشكيل الذات سواء من خلال الاختيار والمسؤولية الفردية، أو عبر مقاومة أشكال الهيمنة والسلطة، أو من خلال الاعتراف المتبادل وتحقيق العدالة الاجتماعية.

يتناول البحث على دراسة دور الحرية في تشكيل الذات من خلال تحليل لعدد من الطروحات الفلسفية المعاصرة، ومنها الفلسفة جان بول سارتر، وميشيل فوكو، وتشارلز تايلور، ونانسي فريزر، حيث نجد أن هؤلاء الفلاسفة قد تناولوا أعاده صياغة مفهوم الحرية وإبراز أبعاده الوجودية والاخلاقية والاجتماعية والسياسية.

وتنبع أهمية هذا البحث من الحاجة الى إعادة قراءة مفهوم الحرية وفقاً للتحولات الفكرية والاجتماعية التي شهدها عالمنا المعاصر، حيث يشكل مفهوم الحرية وتشكيل الذات واحدة من أهم القضايا التي ترتبط بمفهوم الاعتراف والهوية والعدالة بالسلطة، فضلاً عن كونها تشكل مدخلاً فلسفياً لفهم الكثير من الإشكالات المعاصرة التي تقف في طريق الإنسان لتحقيق استقلاله الأخلاقي وبناء هويته.

اعتمد هذا البحث على المنهج التحليلي المقارن، وذلك لكون هذا المنهج واحداً من أكثر المناهج ملائمة لتحليل النصوص الفلسفية والكشف عن مضامينها، وإظهار الرؤى المختلفة بشأن مفهوم الحرية ودورها في تشكيل الذات.

المبحث الأول: المفهوم والتطور الفلسفي

تمثل الحرية واحدة من أهم حقائق الوجود الإنساني وذلك لكونها قد حملت الميرة التي ميز الله سبحانهُ وتعالى البشر عن باقي الموجودات من حيث كونه الوحيد الذي يشعر بأنهُ حر، لذلك نجده قد سعى جاهداً للبحث عن معاني ومضامين هذه المفردة وحدودها سواء من خلال محاولته فهم ذاته أولاً ومن ثم فهم علاقتها بالذوات الأخرى من البشر أو الموجودات الأخرى، حيث يمثل هذا الفهم أحد أهم حدود ومفهوم الحرية (النشار، 1998، ص189)، الذي كثرت وتداخلت واختلفت الآراء في وضع حد جامع مانع لهُ سواء من قبل الباحثين أو المفكرين أو اللغويين أو فلاسفة أو علماء الدين ... وغيرهم، وذلك لكون أن فكرة الحرية في مفهومها وجوهرها قد تداخلت في شتى مجالات

الحياة سواء على الصعيد السياسي والاجتماعي والاقتصادي والأخلاقي والديني وغيرها من المجالات، لذلك عند البحث عن تعريف أو حد لها انطلاقاً من إحدى هذه المجالات تجد تعريفها أو جوهرها قد أنطلق أو انبثق من حصيلة ظروف ذلك المجال الذي انطلقت منهُ.

فضلاً عن خضوع هذه التعريفات لتجاذب الاتجاهات الفكرية، وتأثير خلفيات ومعتقدات المفكرين وهذا ما ولد المزيد من الاختلاف وإثارة الجدل حولهُ، وعلى حد قول إيزيا برلين أن تعريفات الحرية بلغت مئتي تعريف، "فالحرية كلمة واحدة، لكنها تحمل ألف معنى" (ناصر، 2025، ص. 139)، لهذا نجد بعض الباحثين يصنف تحديد هذا المفهوم كونهُ من أصعب مشكلات الفكر وذلك لارتباطهُ الحي بالمجتمع وفضلاً عن كونهُ يمثل قيمة تعني شيئاً خاصاً سواء بالنسبة لي ولك ... ويمثل معركة للإنسان في وجوده من أجل تحقيق قيمه ومثله ... فمفهوم الحرية هو مفهوم واسع إلى الحد الذي نجد أنهُ يناقض نفسه، فالحرية في مجتمع بدائي هي غير الحرية في مجتمع متطور ... حيث أن مفاهيمها تتسع لتشمل القوانين والانظمة والعادات والتقاليد والعقائد والذوق العام، والتربية، والأخلاق، والثقافة، حيث أن تحقيقها ليس عملاً سهلاً، وإنما عمل متواصل ونضال مستديم متطور نحو طموحات الإنسانية (بركات، 1982، ص. 28).

سنحاول الآن البحث عن معنى الحرية ودلالاتها لغوياً، حيث نجد في اللسان لابن منظور: "الحُرُّ بالضم نقيض العبد والجمع أَحْرَارٌ وحِرارٌ ... والحرُة نقيض الأَمة والجمع حَرائر وتحرير الرقبة: عتقها" (ابن منظور، ص. 177؛ الرازي،1995، ص. 167)، ويقول الراغب الأصفهاني: الحر: خلاف العبد، يقال: حر بين الحرورية والحرورة، والحرية ضربان الأول: من لم يجرِ عليه حكم الشيء، نحو الحر بالحر، والثاني: من لم تتملكهُ الصفات الذميمة من الحرص والشره على المقتنيات الدنيوية والعبودية التي تضاد ذلك (الراغب الأصفهاني، ص. 218) .

وهنا نلاحظ أن الحرية عند البحث عن تصريفها في اللسان العربي نجد أنها تحمل معاني عديدة كالتحرر والخلاص من القيود والضغوط التي تحيط بالإنسان، والخلوص من الشوائب أو الرق أو اللؤم وكون الشعب أو الرجل حراً (مصطفى وآخرون، ص. 165)، وقال ابن فارس: "الحاء والراء في المضاعف لهُ أصلان: الأول ما خالف العبودية، وبرئ من العيب والنقص... والثاني: خلاف البرد" (ابن فارس، ص6-7، 2002).

أما من ناحية الاصطلاح فنجد أن النصوص القرآنية تضمنت العديد من النصوص التي ورد فيها مصطلح الحرية بمعاني ودلالات مختلفة، مثل كلمة تحرير في الآية: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ} (النساء،92).

وأيضاً كلمة محرراً إذ قالت امرأتُ عمران: {رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}، حيث فسرهُ القرطبي أن كلمة محرراً مأخوذة من الحرية التي هي ضد العبودية (القرطبي، 1372هـ، ج4، ص. 66).

وكذلك ورد في الحديث الشريف الدعوة لتحرير الرقيق من ذل العبودية وفضله وثوابه كما في الحديث الشريف عن النبي (ص) قال: «أيما امرئ مسلم أعتق امرأً مسلماً استنقذ الله بكل عضو منه عضواً منه من النار»(صحيح البخاري، حديث رقم 4308؛ صحيح مسلم، حديث رقم 3869).

وهنا نلاحظ أن معنى ودلالة مصطلح الحرية التي وردت في النصوص الشريفة تدور أغلبها حول معنى العتق من الرق والعبودية. ونجد أن هناك العديد من التعريفات الأخرى التي لا تخرج في معناها ومدلولها عن معنى ما ورد في النصوص الشريفة، فالجرجاني يعرف الحرية كما هي عند أهل التصوف بقوله: "الحرية في اصطلاح أهل الحقيقة: الخروج من رق الكائنات وقطع جميع العلائق والأغيار، وهي على مراتب: حرية العامة، عن رق الشهوات، وحرية الخاصة، عن رق

المرادات لفناء ارادتهم في إرادة الحق، وحرية خاصة الخاصة، عن رق الرسوم والآثار لانمحاقهم في تجلي نور الأنوار" (الجرجاني، 1405هـ، ج1، ص. 166).

ويعرفها التهانوي بقوله: "الحر لغة الخلوص وشرعاً خلوص حكمي يظهر في الآدمي لانقطاع حق الغير عنهُ والحرية مثله. والحر بالضم لغة من الحر بالفتح ويقابلهُ الرقيق، ويقابل الحر والحرية الرق) هكذا صرح في جامع الرموز. وفي مجمع السلوك: (والحرية عند السالكين انقطاع الخاطر في تعلق ما سوى الله تعالى بالكلية، إذاً فالعبد يصل إلى مقام الحرية حينما لا يبقى فيه غرض دنيوي، وما ذلك إلا لأنك أنت مقيد لوقتك وهو مقيد بالروح" (التهانوي، 1996، ص. 641، مادة "الحر").

أما من الناحية الفلسفية فنجد أن لمفهوم الحرية استخداماً خاصاً في تاريخ الفكر الفلسفي، إذ تشير هذه الكلمة إلى الظروف الناشئة عن علاقة الإنسان بالإنسان أو إلى الظروف الخاصة بالحياة الاجتماعية ... حيث نجد أن هناك العديد من الاختلافات قد تنشأ بين الباحثين بصدد استخدام مفهومها، إلا أنها في كل الأحوال تتضمن معنى انعدام القسر، وهذا ما يؤكده المفهوم الأوروبي التقليدي من خلال المفهوم الليبرالي الذي يشير إلى حالة تتميز بانعدام التقيد أو القسر الذي من الممكن أن يفرضه إنسان على إنسان آخر، وهذا النوع هو ما يطلق عليه بالحرية الليبرالية. أما النوع الثاني، فيطلق عليها الحرية الماركسية والتي تؤكد إضافة إلى انعدام القسر، أن حريتنا مرتبطة بنمو معرفتنا، أو أي شيء يزيد في قدرتنا على إخضاع الظروف الطبيعية لتحقيق أهدافنا وحريتنا (بركات، 1982، ص. 28–29).

ونجد أن تعريف الحرية في المعجم الفلسفي بوجه عام: أنها حال الكائن الحي الذي لا يخضع لقهر أو غلبة، ويفعل طبقاً لطبيعته وإرادته، وتصدق على الكائنات الحية جميعها من نبات وحيوان وإنسان (الهيئة العامة لشؤون المطابع

الأميرية، 1984، ص. 71). فهي خاصة الموجود الخالص من القيود، العامل بإرادته أو طبيعته، والحر ضد العبد، والحر الكريم، والخالص من الشوائب والحر من الأشياء أفضلها، ومن القول والفعل أحسنه.

وهنا يأخذ مفهوم الحرية جملة من الأبعاد منها:

1. البعد السياسي والاجتماعي للكلمة، ويعني هذا المعنى قسمين: الحرية النسبية والحرية المطلقة.

فالحرية النسبية، هي الخلاص من القسر والإكراه الاجتماعي، فالإنسان الحر هو الذي يأمر بما أمر به القانون ويمتنع عما نهى عنه ... إذ يوفر هذا الاحترام والتقيد بالقانون ضمان الاعتراف بحقوق الغير واحترام حرياتهُ.

أما الحرية المطلقة فهي حق الفرد في الاستقلال عن الجماعة التي انخرط في سلكها، وليس المقصود بهذه الحرية حصول الاستقلال بالفعل، بل المراد منها الإقرار بهذا الاستقلال واستحسانه وتقديره واعتباره قيمة خلقية مطلقة (صليبا، 1982، ج1، ص. 461).

2. البعد النفسي والخلقي: فهو يحمل عدة أبعاد منها أن تكون الحرية مضادة للاندفاع اللاشعوري أو الجنون واللامسوؤلية القانونية والخلقية، إذ دلت على حالة شخص لا يقوم على الفعل إلا بعد التفكير والروية سواء كان ذلك الفعل خيراً أو شراً.

أما الحرية المضادة للحتمية فهي تدل على حرية الاختيار، وهي القول بأن فعل الإنسان متولد من إرادته.

والنوع الأخيرة هي أن تكون الحرية مضادة للهوى والغريزة والبواعث العارضة، فهي هنا تكون حرية مثالية لا يتصف بها إلا من جعل أفعاله صادرة عما في طبيعته من معان سامية (صليبا، 1982، ج1، ص. 461).

وبهذا تجد أن المعاجم الفلسفية تحتمل معاني لا حصر لها، وهذا ما يجعلنا نشعر بصعوبة اختيار تعريف واحد يكون عاماً ويصدق على سائر صور الحرية، فنجد أن لالاند على سبيل المثال ينسب إلى الحرية معاني ما يزيد على ستة أو سبعة ينص على معناها السياسي والاجتماعي والنفسي والخلقي ومعاني أخرى بعضها يتصل بالعلم والبعض الآخر يتصل بالميتافيزيقا (بركات، 1982، ص. 33).

أما الآن فسنحاول البحث عن أبعادها وحدودها من خلال النظر إلى المحطات التاريخية التي شكلت فارقاً في تطور الفكر البشري، فنجد أن معنى الحرية في تاريخ الفكر الفلسفي قد كان له استخداماً خاصاً نشأ من خلال ربط الحرية بالعقل والفضيلة (أفلاطون، د.ت.، ص. 234).

فالشخص الحر عند اليونانيين هو من كان يتمتع بالمركز الاجتماعي الذي يؤهله أن يتصف ببعض الصفات الخاصة كالكرم والحكمة والشجاعة، والأمر الذي يتيح للمرء اكتساب هذه الصفات الخاصة، هو أن العبيد يعفونه من أداء الأعمال الاقتصادية المرهقة .... لذلك لم يكن من الصعب على كثير من مؤرخي الفكر الفلسفي للفكر اليوناني أن يثبتوا أن التفوق الكبير الذي أحرزه اليونانيون في الرياضة والفلسفة كان يرجع جزئياً على الأقل، إلى انتشار نظام الرق، الذي أتاح للمفكرين من الوقت ومن الراحة الجسمية والذهنية ما مكنهم من التفرغ لتلك المهام العقلية الرفيعة ، لهذا يمكننا القول إن العلم الذي ورثته البشرية عن اليونانيين كان مرتبطاً إلى حد بعيد بذلك النوع الخاص من الحرية الذي كان سائداً بينهم، أي حرية المواطن مقابل العبودية التي يضع فيها العلم والحكمة مع صناع الحرية (2زكريا، 1988، ص. 377–378).

إلا أن هناك تغييراً قد طرأ على منحي الحرية عند اليونانيين، حيث انتقل المعنى إلى داخل النفس الإنسانية .... وأصبحت الحرية هي التخلص من عبودية الانفعالات ومن سيطرة الظروف الخارجية مهما كانت معاكسة أو مؤلمة

(زكريا، 1988، ص. 378)، وذلك ما شكل نقطة التقاء للفكر اليوناني مع الفكر الروماني الذي أعاد صياغة مفهوم الحرية في سياق قانوني وسياسي أوسع، ثم أضفى عليه طابعاً أخلاقياً داخلياً .... من خلال تأكيده على أن الحرية الحقيقية ليست انعتاقاً من القيود الخارجية فحسب، بل هي استقلال عقلي وأخلاقي يحقق للإنسان كرامته وسموه (ناصر، 2025، ص. 142)، فمفهوم الحرية قد ارتبط بالهوية الجماعية أكثر من الفردية، فالمواطن الروماني حر لأنه ينتمي إلى دولة قوية ومنظمة.

أما في العصور الوسطى فنجد أن التراث اليوناني – الروماني كان حاضراً في فكر العصور الوسطى، حيث أعاد صياغة مفهوم الحرية وفق الرؤية اللاهوتية التي تجعله محتشداً بالملائكة والأرواح والقوى الغيبية وتعطيه مساراً متجهاً إلى تحقيق غايات إنسانية، وتطبع القيم الإنسانية على الكون في مجموعه وفي كل جزء من أجزائه (زكريا، 1988، ص. 368).

لذلك وجدوا في الحرية هبة إلهية تمارس في سياق المسؤولية الأخلاقية والطاعة الإرادية لله (جارت فوت، 2007، ص. 62). وقد أكد أوغسطين أن الإنسان يمنحه الله النعمة التي تقيد عليه القدرة على الاختيار الحر لا كقوة ذاتية، بل كهدية إلهية، فأوغسطين يؤكد أن الله قد خلق الإنسان حراً إلا أن حريته مسؤولة، فله أن يختار بين الخير والشر، إلا أن اختيار الشر يفقد المرء حرية الحقيقة مما يجعله عبداً للخطيئة (أوغسطينوس، 1988، ص. 32).

أما عن ماشهده تطور مفهوم الحرية في العصر الحديث الذي لم يكن بعد قد حقق الحرية الشاملة ، حيث كان يتخذ من حرية المجموع هدفاً لكل ما يبذله في هذا السبيل من جهود، وهو في ذلك يختلف اختلافاً جذرياً عن العصر الكلاسيكي الذي لم يكن يتصور إلا نوعاً واحداً من الحرية يقتصر اكتسابه على فئة قليلة من الناس (زكريا، 1988، ص. 379)،

وفضلاً عن ذلك نجد أن العصر الحديث قد أوجد انفصالاً قاطعاً بين عالم الطبيعة وعالم الإنسان، وقضى على التداخل القديم بين هذين المجالين، وكان من نتيجة ذلك أن ازدادت رغبة الإنسان في البحث عن مكان لحريته في هذا الكون الأصم، وأصبح الاهتمام بمشكلة الحرية عاماً بين الفلاسفة، لأن التعارض أصبح واضحاً وقاطعاً بين الشعور الإنساني بالحرية وبين الضرورة الكونية التي تبدو غير متجاوبة مع هذا الشعور (زكريا، 1988، ص. 387).

يقول سينوزا: "إن حرية الإنسان تتحقق إذا ما استطاع أن يفهم الضرورة الكامنة في الظواهر، وأن يربط كل حادثة جزئية بالأجزاء العامة للحوادث الكونية، فهذه القدرة على الفهم هي التي تحرر الإنسان من عبودية الانفعالات، وبقدر إدراك الإنسان للضرورة الكونية يكون حراً" (زكريا، 1988، ص. 392).

أما المذهب الماركسي، فقد رفض كل فهم للحرية باعتبارها فكرة عرضية الطبيعة أو نقص معرفتنا بقوانينها، ويؤكد أنه لا توجد حرية في ظل سيادة الصدفة والعشوائية، وأن الحرية ليست إلا الاستقلال القائم على الفهم لقوانين الطبيعة من أجل مصلحة الإنسان، وهذا هو الجديد الذي أضافته الماركسية إلى هذا المبدأ، الذي توجد أمثلة عديدة له في تاريخ الفكر الإنساني، هو أنها لا تقتصر على الربط بين الحرية وبين فهم قوانين الطبيعة بل تحاول ان توثق بينها وبين فهم قوانين المجتمع، فحرية الإنسان لا تتحقق كاملة إلا إذا استطاع أن يفهم الضرورة الكامنة في تطور المجتمعات البشرية ، ويصل الى القوانين المتحكمة في هذا التطور، ويستخدمها من اجل الوصول الى مرحلة القضاء التام على استغلال الإنسان للإنسان (زكريا، 1988، ص. 393).

وفضلاً عن ذلك نجد ان حرية التعبير فقد كانت إحدى أهم المرتكزات في الفترة الحديثة التي ارتكز عليها تحقيق باقي الحريات، حيث أسس لها فولتير وتبعهُ في ذلك عند جون ستيوارت مل، الذي كان يرى أن حرية التعبير في الغرب واحدة من أكثر الحقوق قدسية، بل يمكن اعتبارها أنها الحرية الام او الأصل التي تتأسس على ضوئها باقي الحريات.

يقول ان تقبل أن تكون المبادئ مسلمات لا تحتمل النقد وأن تكون المسائل الكبرى التي تهم البشر موضحة بدون نقاش متجدد، فهذا ما سوف يضمر أو يضعف النشاط الفكري الذي طبع الفترات الذهبية في تاريخ الإنسان (1). حيث يرى ميل أن النقاش المتجدد في جميع المسائل ضروري للتقدم البشري، فهو لا يأخذ بالأعتراض القائل ان الحقائق الرياضية والهندسية ثابتة ولا تقبل النقاش، وتعتبره في غير محلهُ (العروي، 1993، ص. 45)، وحسب رأي ميل فالنقاش المفيد هو النقاش المفتوح الذي لا يعرف النتائج مسبقاُ، ويقول في بيان رأيه: "لو كانت الانسانية كلها مجتمعة على رأي عدا فرد واحد، فلا يحق لها أن تسكت الفرد ألمخالف لرأيها، كما لا يحق لذلك الفرد لو استطاع أن يسكت الإنسانية المعارضة لرأيه" (العروي، 1993، ص. 45).

أما عن ما عرفه الغرب الحديث عن مفهوم الحرية، فنجد أن الحرية قد تجاوزت حدودها النظرية في ظل الديمقراطيات الغربية الحديثة إلى ممارسة يومية تترجم في الدساتير والمحاكم والأسواق والمنازل ... إلا أن هذا التعدد في الممارسة لمفهوم الحرية الذي يبدوا في ظاهره تكاملاً، ما هو إلا عبارة عن تناقض وصراع بين حرية الفرد وحرية الجماعة، وبين الحرية السلبية والإيجابية، وبين حرية التملك وحرية التمرد على الملكية، وبين حرية الجسد وسلطة الهوية (فوكو، 2008، ص. 142)، حيث تجد أن من أهم الركائز الأساسية التي تقوم عليها المجتمعات في الغرب هو الحرية السياسية وما تضمنهُ للفرد من حقوق في المشاركة في الاقتراع، والتعبير عن الرأي (سين، 2005، ص. 146–178).

ونجد ايضاً أن حرية التعبير قد كانت أحد المطالب أو الأساس الذي بنيت عليه التشريعات الغربية الحديثة ... إلا أنه لم يتم التعامل معهُ على أنه حق مطلق، بل مقيد بواجبات تجاه الآخرين والمجتمع، حيث يرى يورغن هابرماس "أن الحوار العقلاني لا يمكن أن يتحقق إلا في إطار من الاحترام المتبادل والاعتراف بالآخر" (ناصر، 2025، ص. 142).

فضلاً عن ذلك نجد أن فلسفة الاعتراف وما تمثلهُ من اعتراف مؤسساتي ودستوري بهوية المجموعات الثقافية، قد احتلت حيزاً مهماً في عالمنا المعاصر، وذلك لكونها شكلت أهم تجليات النضال من أجل الحرية في صفوف هذه المجموعات، حيث طوّرت سياسات الاعتراف مفهوم حق تقرير المصير الذي ظل منحصراً في النضال القومي من أجل الحرية والاستقلال، إلى حق تقرير المصير بصفته حقوقاً جماعية تمر عبر سياسة الاعتراف والتعددية الثقافية في الدول القومية الإثنية من جهة وفي دولة المواطنين الليبرالية من جهة ثانية (مصطفى، 2016، ص. 78).

فنجد أن كلاً من تايلور وهونيث قد استوحوا إطارهما النظري الأخلاقي لسياسات الاعتراف من الفلسفة الهيغلية، وذلك بناءً على تصور تاريخي يعتبر أن المجتمعات تحافظ على استقرارها من خلال صراع المجموعات فيها حول الاعتراف الذي يعرفهُ هونيث بأنه "الاحترام المتبادل للمكانة المتساوية والفريدة للآخرين" (Honneth, 2001, p. 45)، بينما يعرفه تايلور بأنه "الإقرار بالتباينات ما بين الجماعات وخصوصيات كل منها بصورة رسمية" (مجيد، 2010، ص. 109)، بينما شددت نانسي فريزر على الاعتراف المؤسساتي وتكافؤ الفرص والمكانة الاجتماعية (Fraser, 2000, pp. 107–120).

وأيضاً ومن ضمن أبرز ما برز من القضايا التي مثلت أحد مظاهر التحول الثقافي والحداثة الفردية هي قضية الحرية الجنسية، فبعد قرون عديدة من سيطرة الأخلاق الدينية والقيود الاجتماعية بدأت الرغبة والمطالبة بتحرير الجنس شيئاً

فشيئاً، إلى أن باتت المطالبة بحق الفرد في تقرير مصيره الجنسي – هوية وميولاً وممارسات، تعد جزءاً من الخطاب الليبرالي، وهذا ما عبر عنهُ ميشيل فوكو حينما أعلن أن التحرر الجنسي الذي احتفل به الغرب في الستينات والسبعينات لم يكن تحرراً حقيقياً بل نقل للسلطة من المؤسسة الدينية إلى المؤسسات الطبية والإعلامية والنفسية، حيث أكد على أننا لم نتحرر من الجنس بل أصبحنا ملتزمين بالحديث عنه وتحليله وإدارته (ناصر، 2025، ص. 149). إلا أن المفكرة كاترين ماكينون كان لها رؤية أخرى حيث قالت: (إن القول بأن المرأة حرة جنسياً، فإننا ننسى أن هذه الحرية غالباً ما تمارس تحت ضغط الصورة النمطية وثقافة الاستهلاك وتفوق الذكورة) (ماكينون، 2008، ص. 134)، وهذا يعني أن تحرير جسد المرأة لا يولد إلا نوعاً جديداً من استغلال المجتمع الذكوري.

ونظراً لكثرة وتعدد معاني الحرية في الفكر الغربي، يجدر بنا العودة إلى التمييز الأساسي الذي طرحهُ إيزايا برلين بين نوعين من الحرية السلبية والإيجابية.

فالتعريف السلبي للحرية هو القدرة الذاتية على الفعل المستقل بغير إكراه ولا توجيه (برلين، 2002، ص. 42). أما التعريف الإيجابي، فهو القدرة على الفعل المختار ذاتياً، حيث يكشف هذا التعبير عن اختلافات وتناقضات كبيرة في كل مجال من مجالات الحرية في الغرب الحديث (قرني، 2001، ص. 19).

المبحث الثاني: الوجود والحرية وأثرهما في تشكيل الذات عند جان بول سارتر

يُعد سارتر أحد أبرز الفلاسفة الذين منحوا فكرة الحرية سواء الاجتماعية أو السياسية أهمية خاصة، وذلك من خلال طروحاته التي سعى من خلالها إلى أن يمزج بين الحرية الميتافيزيقية والحرية السياسية وجعلهما عنصر أساسي ومهم في الحياة الاجتماعية، وذلك لتحقيق هدفه في تحرير الإنسان (عمراني، ب.ت، ص. 16).

صاغ سارتر فلسفتهُ الوجودية حول محور أساسي يتمثل في تأكيده على الفردية ودعم الحرية، حيث تلخص رأيه في ثلاثة محاور فلسفية اساسية مترابطة، تضمن المحور الأول تأكيده على أن الإنسان هو كائن حي وأن وجوده أسبق من ماهيته (عويضة، 1993، ص. 22–23)

فالحرية والوجود الإنساني عند سارتر شيء واحد، فالحرية هي ليست شيئاً مضافاً إلى وجوده، أو خاصية من خصائص طبيعته، بل الحرية هي نسيج وجودهُ، بل هي عين الوجود، فإذا وجد الإنسان فهو وجد وحكم عليه أن يكون حراً ... فالحرية عندهُ قدر لا سبيل للهروب منهُ (رشوان، 1992، ص. 107).

هذا فضلاً عن تأكيده أن أسس المبادئ العقلية، ينبغي البحث عنها في مجال الحرية الإنسانية لا الحرية الإلهية، وذلك لكون الحرية الإنسانية تنحصر أولاً وبالذات في اختيارنا لغاياتنا وافعالنا، فالعمل هو التعبير الوحيد عن تلك الحرية الإنسانية والتي تندفع نحو تحقيق إمكانياتنا في حرية واحدة تجمع بين الباعث والدافع والغاية معاً (إبراهيم، د.ت، ص. 166–181).

وفضلاً عن ذلك نجد أن سارتر لا يقتصر بفكرة الحرية على الأفعال الإرادية وحدها، وإنما يشمل كذلك العواطف والأهواء والانفعالات في كونها حرة، وذلك لتعبيرها عن بعض حالاتها الذاتية والتي بمقتضاها تحاول بلوغ غايات معينة سبق لنا تحديدها وفقاً لحريتنا الوجودية الأصلية.

وبهذا تكون الحرية مرادفة لوجودنا فالوجود بالنسبة إلينا إنما يعني أن أكون حراً، وأن أختار بنفسي مصيري الخاص (إبراهيم، د.ت، ص. 166–181)، فالإنسان يوجد في العالم وبعد ذلك تظهر ماهيته وخصائصه التي يصفها بنفسه ويختارها بإرادته الحرة (عويضة، 1993، ص. 23).

فالوجود لا بد له من ماهية، وإلا لما كان، وهذا هو ما يعتقده لويس لافيل يقول: "إن الثنائية بين عالمي الماهية والوجود مشكلة لا تقبل الحل إذا لم يكن الوجود وسيلة تتحقق بها الماهية كماهية (ميمون، 1980، ص. 208).

فالماهية التي يقصدها سارتر هنا، هي الصفات الأصلية الخاصة التي تميز شخصية كل فرد على حدة، والتي يختارها الفرد بأرادتهُ الحرة، مثل ان يكون شجاعاً او جباناً، موظفاً أو تاجراً، لصاً أو شريفاً ... إلخ، فهكذا يصنع الإنسان ماهيته بنفسه وحسب إرادته دون أن يكون للظروف الخارجية أو لأي قوى أخرى غيرهُ تأثيرها في اختيار وضع هذه الماهية (عويضة، 1993، ص. 23).

اما القضية الثانية فتتعلق بما يترتب على القضية الأولى المتعلقة بوجود الإنسان وارتباطهُ بماهيتهُ، وهي أن يكون الإنسان مسؤولاً عن أفعاله ويتحمل نتائجهُ. يقول: "إن الحرية من حيث هي تعريف للإنسان ليست متعلقة بحرية الآخرين، ولكن الالتزام يحتم عليّ بذاته أن أختار حريتي وحرية الآخرين في آن واحد، حيث إن الالتزام يجعلني لا أستطيع اعتبار حريتي غاية دون أن أدمج في تلك الغاية حرية الآخرين" (سارتر، 1954، ص. 53).

حيث إن الآخرين هم مثلي أناس أحرار وأن التزامهم متماسك وحقيقي، وهم حين يختارون ذواتهم في وضع معين ويعملون على نمط معين فلأنهم يتبعون حريتهم ويضعون القيم في وجودهم، لذلك هم أخلاقيون ويوجب عليّ احترامهم (لوغامر، د.ت، ص. 105)، وفضلاً عن ذلك يرى سارتر أن هذا الاختيار للذوات يضع المرء في حالة التزام كاملة مع كل ما يحيط به، ومن ثم يصبح مسؤولاً مسؤولية تتسع الزمان والمكان حتى تشمل البشرية كلها، ماضياً وحاضراً ومستقبلاً. ولهذا كانت الحياة لدى سارتر ورغم العدم الذي يحتضنها فرصة رائعة للقرار، القرار الإنساني المطلق الذي يتحقق بموجبه اختياره لنفسه (عواضة، 2016، ص. 208).

وعلى الرغم من إقرار سارتر بالحرية المطلقة والمسؤولية الكاملة للإنسان، إلا أنه باختياره وتحمله للمسؤولية يتأثر بعوامل اقوى منهُ، عوامل خارجية توجب عليه الهروب من تحمل المسؤولية، وتمسكه بالحرية التي تمثل وجوده الحقيقي، لهذا يؤكد سارتر أن الإنسان قلق طوال الوقت ولكنه يختار لنفسه وللبشرية جمعاء، وبهذا الموقف لا يستطيع الإنسان أن يهرب من مسؤوليته (عواضة، 2016، ص. 208).

وهذا ما يجسد القضية الفلسفية الثالثة التي بلورت فكرة الحرية لدى سارتر، فنتيجة المسؤولية والاختيار يتولد القلق عند الإنسان. وبهذا ندرك أن الحرية عند سارتر هي حرية ملتزمة، أي أن الفرد نفسه أثناء قيامه بالعمل الحر يرتبط بمواقف معينة وينخرط فيها انخراطاً تاماً.

يقول: بهذا الالتزام يتم معارضة الفلسفات العقلية المجردة والتي تصورت الحرية على أنها أقرب إلى التفكير العقلي منها إلى باب الممارسة، أما عند سارتر فالحرية ممارسة أولاً وقبل كل شيء، وهي لا تملك إلا أن تكون ممارسة لأنها تقوم على قلب المواقف، وهي بهذا المعنى تكون حرية ملتزمة (هويدي، د.ت، ص. 155). يقول سارتر: إن هذا القلق شيء طبيعي في حياة الإنسان الحر المسؤول وأنهُ لا يقصد به القلق المرضي، فيقول: "إن القلق الذي نعنيه هنا ليس هو القلق الذي يؤدي إلى الاستكانة واللافعل، وإنما هو القلق البسيط الذي يعرفهُ كل من يتحمل مسؤولية من المسؤوليات في يوم من الأيام، وعلى هذا فإن الإنسان يظل طوال حياته يعيش في قلق دائم طالما أنه حر يختار ويتحمل مسؤولية اختياره"(عواضة، 1993، ص. 208).

وحسب سارتر، فإن الإنسان في حالة القلق يعي حريته، أو إذا شئنا أن نقول: إن القلق هو أسلوب وجود الحرية من حيث هي وعي بوجودها، وفضلاً عن ذلك فإن في حالة القلق تكون الحرية في كينونتها موضع تساؤل بالنسبة لذاتها (سارتر، 2009، ص. 78).

حيث إن حريتي هي باستمرار موضع تساؤل في وجودي، فهي ليست صفة أو خاصية مضافة لطبيعتي، وإنما هي نسيج كينونتي، وبما أن كينونتي هي موضع تساؤل عن وجودي، أذن عليَّ بالضرورة أن أمتلك فهماً معيناً للحرية (سارتر، 2009، ص. 566).

البحث الثالث: الاعتراف والسلطة والعدالة من فوكو إلى تايلور وفريزر

أولاً: السلطة وتقنيات الذات عند ميشيل فوكو

ينطلق فوكو في كتابه تاريخ الجنسانية في جزئه الثالث: الانشغال بالذات، من فكرة محورية تؤكد على أن الإنسان لا يولد كذات مكتملة، وإنما ذاتهُ تكتمل عبر سلسلة من الممارسات الأخلاقية التي تهدف إلى ضبط النفس والرغبات، وضبط وتوجيه السلوك وفق اختيارات واعية ومسؤولة، يمكن من خلالها تهيئة الذات وإدارتها بشكل صحيح، كأحد الشروط الأساسية لخلق ذات حرة (فوكو، د.ت، ص. 77)

ونجد أن فوكو يتخذ من الثقافة الأخلاقية في الفكر اليوناني والروماني كنموذج، حيث ينطلقون في قياس اساس المدينة الفاضلة من المواطنون أنفسهم، يقول أرسطو: "تكون مدينة ما فاضلة عندما يكون المواطنون الذين يشاركون في إدارتها هم أنفسهم فاضلون، والحال أن لكل المواطنين في دولتنا نصيباً في هذه الإدارة". ومرحلة الفضيلة التي ينبغي أن يصل إليها الإنسان حسب رأي أرسطو لا يمكن تحقيقها إلا عبر مراقبة الإنسان لأفعاله ورغباته وتحقيق الانسجام بين العقل والسلوك، فضلاً عن موقف الفرد أتجاه نفسه، والكيفية التي يؤمن بها حريته الخاصة تجاه رغباته وشكل السيادة التي يمارسها عليها، تشكل كلها كعناصر مكونة لسعادة وحسن نظام المدينة (فوكو: د.ت، ص 77-78).

وهنا ووفق ما طرحه فوكو نجد أنفسنا أمام تمييز وضعه فوكو بين نوعين من الحرية:

الأولى: تمثل قدرة الإنسان في حكم ذاته والسيطرة على رغباته وأهوائه وعدم الخضوع لها.

والثانية: هو الحرية بوصفها خلاصاً من جميع القيود، ومن ضمنها غياب القدرة على ضبط النفس، إذ يبدو الإنسان حراً ومستقلاً من الخارج، إلا أنه يفتقر للحرية الحقيقية لكونه واقعاً تحت أسر ضغوط النفس والرغبات وعدم القدرة على إدارتها (فوكو: د.ت، ص 78-80).

وفضلاً عن ذلك يؤكد فوكو على العلاقة التي تربط الإنسان بالآخرين، حيث إن أساس هذه العلاقة أن يكون للإنسان علاقة جيدة بينهُ وبين ذاته. فكلما كانت علاقة الإنسان جيدة مع ذاته، كلما استطاع بناء وإدارة علاقات جيدة مع الآخرين، فالعلاقة مع الآخرين تنطلق من دافع أخلاقي ونفسي مدرك لطبيعة حقوقه وواجباته (فوكو: د.ت، ص 79-84).

ويشير فوكو إلى أن بناء الذات او الوعي الأخلاقي يقوم اساساً على مبدأ الاعتدال في تنظيم وانسجام العقل مع الرغبات، حيث إن هذا الاعتدال هو من اختيار الإنسان نفسه، لانهُ مدرك حجم القيمة التي سوف يحققها لذاته لو قام بالعمل عليها. ومن خلال هذا التصور نجد أن فوكو لا يجعل من الحرية مخالفة للسلطة أو القانون دائماً، وانما يطرحها بوصفها طريقة لتكوين وبناء الذات، فالإنسان الحر هو من استطاع ممارسة السلطة على نفسه بالدرجة الأولى قبل أن يفكر في ممارسة أي سلطة على الآخرين. لهذا فإن تشكيل الذات عند فوكو يعتمد إلى قدرة الإنسان في ضبط نفسهُ ورغباتها واهوائها، والالتزام بالممارسات التي تكفل له بناء شخصية مستقلة، وقادرة على ممارسة مسؤوليتها تجاه الآخرين (فوكو: د.ت، ص 90-91).

وبناءاً على ذلك نجد ان مفهوم السلطة لدى فوكو يتخذ منحى اخر أكثر شمولية وعمقاً، فالسلطة ليست كياناً موحداً أو أداة ثابته يمكن حصرها داخل هذه المؤسسات، بل تشمل مجموعة واسعة من الممارسات اليومية المتأصلة في العديد من التفاعلات في المجتمع (العبادي، 1994، ص98).

لهذا نجد أن فوكو من خلال بحثه عن السلطة لم يركز في البحث عن ماهيتها وجوهرها بقدر ما ركز في البحث عن تشكيلها وتطبيقها من خلال إدخاله لمفهوم " ميكرو فيزياء السلطة"، مفسراً بأن السلطة لا تُمارس فقط في هياكل كبيرة ومركزية مثل الحكومات، بل من خلال مجموعة معقدة ومتشابكة من العلاقات والممارسات اليومية، فمصطلح "ميكروفيزياء السلطة" يحيل الى تفتيت السلطة إلى مكوناتها اليومية وكيف يتغلغل في النسيج الاجتماعي لتشكيل سلوكيات ومفاهيم وهويات الافراد، وبهذا يتم تأكيد فوكو على انتقال السلطة من الذات الكلاسيكية ذات النزعة السلطوية الى خلق فضاءات ومساحات يومية تعمل داخلها السلطة بشكل دقيق (معوشي & حاج علي، 2024، ص. 305).

ثانياً: الاعتراف وتشكيل الهوية عند تشارلز تايلور

تُعد محاولة تايلور *(المحيفيظ، 2017، ص. 161–162). في أعادة بناء مفهوم الفردانية واحدة من أبرز المحاولات الفلسفية المعاصرة، كونها توجهت لإعادة بناء هذا المفهوم تحت أفق يتخطى حدود الليبرالية الكلاسيكية وإشكالياتها، وما رافقها من نزعات ذرية وعزلة وجودية، فتايلور يسعى إلى خلق ما يمكن أن نطلق عليه بـ "الفردانية الحوارية"، تكون قادرة على الحفاظ على قيمة الحرية الإنسانية للفرد، وفي الوقت ذاته تكون متجذرة في السياق الجماعي للمعاني والقيم. فالذات من وجهة نظر تايلور ليست عبارة عن كيان مكتفٍ بذاته، وإنما هي نتاج تحول وسيرورة علائقية تتشكل داخل لغة مشتركة وحوارات مستمرة مع الآخرين، وهذا ما يأتي مخالفاً للنزعات النفعية والوضعية التي ترى أن الذات كيان مكتفٍ بذاته (جوادي & المسكيني، 2025، ص. 86).

لهذا نجد أن تايلور انتقد ما أطلق عليه "النزعات الفردانية المنحرفة"، التي تصور الحرية كأداة فردية منعزلة ومختزلة فيها متجاهلة دور الحوار في بناء وتشكيل الهوية. وهذا ما يجعلنا ندرك أن الفردانية الحوارية لا تقتصر على مجرد كونها خياراً

سياسياً، وإنما هي أساس وجودي، لأن الفرد لا يمكنه إدراك ذاته إلا من خلال التفاعل مع الآخرين (جوادي & المسكيني، 2025، ص. 86). إذ لا توجد حرية للفرد أو الجماعة أو طبقة إلا من جهة علاقة هذه الحرية بحريات الأفراد الآخرين والجماعات والطبقات الأخرى، وليس لنا من سبيل إلى قياس حرية فرد أو جماعة إلا بمعرفة أثرها في حريات الآخرين (الأهواني، د.ت، ص. 60).

ونجد أن تايلور من خلال طرحهُ عن الفردانية يحاول الجمع بين الأصالة الفردية بوصفها تعبيراً عن الذات، والمسؤولية والاحترام الجماعي بوصفه اعترافاً بانتماء الفرد إلى جماعة أوسع، وذلك لأنه يرى أن الحقيقة لا يمكن أن تتشكل بمعزل عن ذوات الآخرين، بل إنها مرتبطة بوصفها انتماء واعترفاً من الفرد بالجماعة. حيث بين ذلك من خلال كتابهُ أخلاقيات الأصالة، الذي أوضح من خلاله أن الحقيقة لا يمكن أن تتحقق في العزلة بل ضمن أفق تواصلي، وأن أي محاولة لادعاء أصالة معزولة تنتمي إلى محاكاة سطحية جوفاء هي مجرد وهم (جوادي & المسكيني، 2025، ص. 87).

وبهذا تكون الفردانية الحوارية هي إعادة لتعريف مفهوم الذات المنفتحة والمتأصلة في لغة مشتركة قادرة على النقد، وفي الوقت نفسه تتحمل مسؤوليات أخلاقية نابعة من انتمائها للمجتمع (جوادي & المسكيني، 2025، ص. 87).

وهذا ما يشكل المحور الرئيسي لنظرته لسياسة الاعتراف، حيث إن تايلور يؤكد على عدم القدرة على تشكيل سياسات الهوية داخل الجماعة دون علاقة بدولة المواطنين. فليس للإنسان أو المجموعة هوية دون اعتراف الآخرين بها، لذلك يمارس الفرد والمجموعة السياسة من أجل الاعتراف بالهوية ودور المجموعة في تحديد المصلحة العامة، والوصول إلى القوة في الإطار السياسي القائم. وبهذا يكون تايلور منسجماً مع توجه هبرماس الناقد لفكرة فوكو بشأن القوة المطلقة،

فالإنسان المعاصر يحتاج إلى اعتراف الآخرين بدوره في المجال العمومي وتحديد المصلحة العامة (مصطفى، 2016، ص. 84).

وهنا ينشأ لدينا ترابط مركزي بين حاجتنا إلى الاعتراف وحاجتنا إلى الحرية، وذلك من خلال فكرة مفادها أن هويتنا تتشكل إلى حد ما بالاعتراف أو بعدم الاعتراف، وغالباً ما تتشكل بفعل سوء اعتراف الآخرين. لذلك فإن شخصاً أو جماعة قد ما ستعاني ضرراً حقيقياً إذا ما كون الناس أو المجتمع المحيط بهم صورة مختزلة أو مهينة أو مزرية عنهم ونقلها إليهم في الوقت ذاته. وتبعاً لذلك، فمن الممكن أن يسبب عدم الاعتراف أو سوء الاعتراف أذى نفسياً، فيتخذ شكلاً من أشكال الاضطهاد، والتي تلحق ضرراً وجودياً بالأفراد والجماعات، وهو ما يشكل أحد أشكال الظلم الاجتماعي التي تتأتى من تجاهل هويات الأفراد أو الجماعات، او الاقليات الثقافية أو العرقية (مصطفى، 2016، ص. 84)

ويعتقد تايلور أن أغلب السياسات المعاصرة باتت تتشكل من خلال مطالبة الأفراد والمجموعات المهمشة بالاعتراف، معتبراً الاعتراف حاجة إنسانية جوهرية. وهذا يقابل ما زعمهُ (هونيث) عن موضوع الاعتراف في أن له دوراً كبيراً في تشكيل الهوية الإنسانية، وذلك بإشارته إلى ثلاث حالات من الاعتراف: الحب، والاحترام، والتقدير.

فالحب: هو اعتراف دائرة الناس القريبة من الإنسان، وهو ما يميز المجتمعات القديمة.

والاحترام: هو اعتراف جماعة المواطنين بحقوق الإنسان، وهو ما يميز المجتمعات المدنية الحديثة.

اما التقدير: فهو الاعتراف بمساهمة الفرد أو الجماعة في إنجاز أهداف المجتمع الجماعية (مصطفى، 2016، ص. 84).

حيث تجسد هذه الحالات الصراع من مفهومهُ البدائي من أجل الوجود، وصولاً إلى المجتمعات المعاصرة التي تتصارع من أجل نيل الاعتراف.

إن الاعتراف حاجة تتطلب بالضرورة الاعتراف بالآخر، الذي نعترف به ويعترف بنا، وبهذا يكون الاعتراف أكبر من مجرد مجاملة متبادلة أحدناً مع الآخر، بل هو مطلب ملح وحاجة حيوية إنسانية، حيث تكمن حيوية هذا المطلب في علاقة الدعم المتبادل بين الاعتراف والهوية. فنحن حسب تايلور، نتشكل بالاعتراف لها فالاعتراف دور إيجابي كبير في بناء الذات والهوية الفردية والجماعية، أما عدم وسوء الاعتراف، فقد يتسببان في أذى وألم معنوي ونفسي بحق الأفراد والجماعات (عبد الجليل & الخليل & مولود، 2019، ص. 363).

وهكذا فإن الحرية عند تايلور يعني الاعتراف بالهوية المتميزة لكل فرد من كلا الجنسين، الا ان الاعتراف في هذه الحالة إنما يركز على المستوى الفردي، ويتثمل في الإقرار بالكرامة المتساوية على النحو الذي يشمل الجميع، بحيث يحظى كافة الأفراد بمجموعة موحدة من الحقوق والحريات والامتيازات وبصورة متساوية. بين أن ما تميز به طرح تايلور هو تركيزه على المستوى الجماعي للاعتراف، أي بمعنى الإقرار بالتباينات ما بين الجماعات وخصوصيات كل منها بصورة رسمية (مجيد، 2015).

وفي مقابل المراحل التي طرحها هونيث حول الحب والاحترام والتقدير، يؤكد تايلور أن نتيجة الاعتراف جاءت نتيجة تحولين في المجتمع الغربي، اولها الانتقال من مفهوم الشرف إلى الكرامة، وما تحمله من تأكيد على المساواة بين المواطنين، ونفي الأفضلية والأولوية في الحقوق والواجبات.

وثانيهما تطور مفهوم الهوية في المجتمعات المدنية، وحاجة الفرد والمجموعة إلى التقدير والاحترام في إطار الثقافة والهوية المهيمنة لمجموعة الأكثرية.

وللتحول الأخير دور في ازدياد شعور الأفراد والجماعات، لا بالحرمان والتمييز الاقتصادي والسياسي والاجتماعي فحسب، وإنما بازدراء ذاتي أيضاً نابع من تهميشهم ودونيتهم (مصطفى، 2016، ص. 84).

ثالثاً: إعادة توزيع العدالة والاعتراف عند نانسي فريزر وأثرهما في بناء الذات

ساهمت نانسي فريزر في إغناء مفهوم الاعتراف من خلال ربط الاعتراف بقضية العدالة من جانبيه الثقافي والتوزيعي، إذ طرحت سياسات الاعتراف كجزء من العدالة الاجتماعية إلى جانب العدالة التوزيعية أو إعادة توزيع الموارد الاقتصادية (بو منير، 2017، ص. 111–115؛ مصطفى، 2016، ص. 86).

لهذا فإن طروحات فريزر جاءت برؤية مخالفة لكل من هونيث وتايلور في إعادة تناول توزيع العدالة والاعتراف في إطار خرجت به عن الإطار الليبرالي الذي نظم السجال النظري حول حرية الفرد والمجموعة في منظومة سياسة الاعتراف، فحرصت في جميع نصوصها على الربط بين الاقتصاد والثقافة ودراسة العلاقة بينهما (مصطفى، 2016، ص. 86)

فطروحاتها جاءت ناقدة لكل نقاش حول سياسة الاعتراف التي تمحورت حول التركيز على البعد الثقافي وإقصاء الجوانب المتعلقة بالموارد الاقتصادية، فهي تقترح ضرورة الدمج بين الاعتراف والصراع على توزيع الموارد، وتعتقد أن لا اعتراف بلا إعادة توزيع الموارد.

حيث تجد أن الفكرة الأساسية التي انطلقت منها فريزر هي أن الاعتراف وحده لا يكفي لتأسيس نظرية العدالة، إذ من الخطأ في نظرها التركيز على مفهوم واحد، فمفهوم العدالة لا يمكن أن يتحلى بالانسجام إلا إذا ارتبط بإعادة التوزيع والاعتراف معاً، فهما عنصران مترابطان لكن لا يمكن رد أحدهما إلى الآخر، فإعادة التوزيع تقضي على التبعية الاقتصادية.، الاعتراف يقضي على التبعية الثقافية.

وهكذا لابد من النظر إلى مسألة العدالة من زاويتين: زاوية اقتصادية تُعنى بإعادة التوزيع، وزاوية ثقافية تعنى بالاعتراف (حنفي، 2018، ص. 112)، لذلك نجد أن موقفها هذا يحمل كثيراً من الوجاهة النظرية والتطبيقية، وذلك لما يمكن أن تؤديه سياسة الاعتراف من دور في تكريس الفوارق الاقتصادية واستمرار التمييز في توزيع الموارد بين المجموعات المختلفة، فيشكل الاعتراف بذلك بديلاً من المساواة أو حتى تعويضاً عنها. لذلك سعت فريزر إلى تطوير إطار نظري للعدالة يجمع بين توزيع الموارد والاعتراف (جوادي & المسكيني، 2025، ص. 86).

وفضلاً عن ذلك تشير فريزر إلى أن غياب الاعتراف يشكل نوعاً من غياب العدالة، فضلاً عن إفرازه ثلاث مركبات خطيرة على الذات الإنسانية وحريتها

اولاً: سيطرة، ثقافية تمارس نوعاً من العداء لثقافة المجموعة وإخضاعها لتفسيرات ثقافية مهينة.

ثانياً: عدم الاعتراف الذي يولد غياب الثقافة بواسطة أدوات طمس متعددة.

ثالثاً: قلة الاحترام الذي يتسبب بمواقف سلبية في ثقافة المجموعة (جوادي & المسكيني، 2025، ص. 86).

بدأت فريزر بتحليل المفهومين إعادة التوزيع والاعتراف، ورأت بأن ثمة تناقض وتضاد بين هذين المفهومين، فأنصار إعادة التوزيع يرفضون سياسة الاعتراف نتيجة الزيادة العالمية في عدم المساواة، ويعتبرون أن المطالبة بالاعتراف ما هي إلا وعي زائق وعائق امام تحقيق العدالة الاجتماعية. أما أنصار الاعتراف فهم يشددون بالكسوف النسبي لسياسة إعادة التوزيع والمساواة الاقتصادية، وهم ينظرون إلى سياسة إعادة التوزيع كجزء من المادية التي عفى عنها الزمن .(Fraser, 2008,p5)

وأمام هذه الإشكالية، ذهبت فريزر إلى التأكيد على أن العدالة تتطلب إعادة التوزيع والاعتراف على حد سواء، ولا يمكن الاستغناء عن أحدهما. لذلك تجد الحل يكمن في صياغة مفهوم ثنائي للعدالة، قادر على أن يستوعب

المطالبات المتعلقة بالمساواة الاجتماعية والمطالبات المتعلقة بالاعتراف، مما يفرض عليها من الناحية العملية صياغة توجه سياسي يدمج أفضل ما في سياسات إعادة التوزيع مع أفضل سياسات الاعتراف (Fraser, 2008,p5).

وفي إطار العلاقة بين الاعتراف وإعادة التوزيع وعن إمكانية إدراج المفهومين مع بعضهما البعض، تقترح فريزر مبدأ "تساوي المشاركة" الذي يضم بعدي الاعتراف وإعادة التوزيع، وهو بذلك يشكل محور الإطار النظري لمشروعها. وهذا يتطلب شرطين أساسيين:

الشرط الأول (الشرط الموضوعي): يتعلق بنظرية العدالة التوزيعية، وتحديداً البنية الاقتصادية للمجتمع والفروق الطبقية، والذي يُعنى أساساً بتوزيع الموارد المادية بشكل يضمن الاستقلالية الاقتصادية للمشاركين وحقهم في التعبير، ما يعني أن العدالة تتطلب توفر الترتيبات الاجتماعية التي تسمح لكل فرد بفرصة للتفاعل مع الآخرين، وتوفر له الوسائل اللازمة لتحقيق ذلك، أما من جهة أخرى فتحظر تلك الترتيبات الاجتماعية التي تؤسس للحرمان والتفاوت في الثروة والدخل (حنفي، د.ت، ص. 118).

الشرط الثاني (الشرط التذاوني): يتعلق بالوضعيات الهرمية الموجودة في المجتمع، والتي تتمثل بالأنماط المؤسساتية للتأويل والتقويم، والتي لا بد لها من أن تعبر عن احترام متساوي لجميع المشاركين، وتضمن مساواة الفرص في البحث عن التقدير. حيث إن هذا من شأنه أن يقضي على الأنماط الثقافية التي تزدري بعض الفئات وما يتحلى به أفرادها من صفات، سواء بازدرائها أو تضخيمها، وتنكر وضعهم كأفراد فاعلين في كل مجالات التفاعل الاجتماعي وبجميع أشكاله (حنفي، د.ت، ص. 118).

وهذا ما دعا فريزر أن تلخص موضوع العدل أو العدالة الاجتماعية بأربع نقاط جوهرية:

1. تُعد فكرة المشاركة المتكافئة العامل المحوري في نظرية فريزر للعدالة الاجتماعية من حيث هو مفهوم، لتبرير المطالب وصياغها بطابع أخلاقي، وفضلاً عن ذلك هي مفهوم اجتماعي متجذر في العلاقات المؤسسة للقيم الثقافية.
2. تمثل فكرة المشاركة المتكافئة معياراً لقياس المظالم التي تمنع الأفراد من المشاركة داخل ميدان التفاعل الاجتماعي.
3. بغية تحقيق المشاركة الفاعلة لابد من النظر إلى المظالم الثقافية الكلية والاقتصادية على أنها عقبات دالة لا بد من معالجتها.
4. إن عملية الدمج بين سياسة الاعتراف وإعادة التوزيع تتطلب إدراج سياسة الاعتراف ضمن أخلاق الواجب، والنظر إلى الاعتراف لا بصفته شرطاً لتحقيق العلاقة الإيجابية بين الذات وذاتها كما صرح هونيث، ولا بصفته ضرورة إنسانية كما طرحه تايلور، بل بصفته شرطاً (بينذاتياً) إلى جانب الشروط الأخرى المرتبطة بالتوزيع العادل للثروات، وهذا هو الذي يحقق المشاركة الفاعلة لكل الأفراد داخل النسيج الاجتماعي (صالح، 2024، ص. 395–396). وعلى إثر ذلك يمثل رأي فريزر في العدل نقطة مشتركة بين العدل الاقتصادي والعدل الثقافي، ولذلك تطرح قاعدة لنظرية لا أعتراف من غير توزيع، لأنها ترى أن كل مظاهر الظلم والقهر في الحياة الاجتماعية وإن اختلفت يتطلب علاجها تضافر الاعتراف والتوزيع لتحقيق العدل. وتستند في ذلك إلى الواقع العملي للفئات المهمشة التي تعاني من أوضاع اقتصادية مزرية مع تهميش وإقصاء الثقافة التي تنتمي إليها.

لذلك فالاعتراف دائماً يسمح بتوسيع دائرة مفهوم العدل لتشمل ما هو اقتصادي وثقافي معاً (بغورة، 2002، ص.

1

الخاتمة:

1. يعد مفهوم الحرية واحداً بين أكثر المفاهيم الفلسفية تطوراً، حيث تختلف دلالاته باختلاف التوجهات الفكرية والسياقات التاريخية.
2. اشتركت طروحات الفلاسفة الذي كانوا محور البحث على التأكيد على أن التفاعل بين الفرد والمجتمع والحرية والمسؤولية هو من المرتكزات الأساسية في بناء الذات.
3. إن توفر الشروط الثقافية والأخلاقية والسياسية والاجتماعية يُعد عاملاً داعماً وضرورياً في بناء الذات الحرة، ودعم استقلالها وكرامتها.
4. إن الحرية لا يمكن اعتبارها حالة أو مجالاً مكتملاً، وإنما هي عملية من التطور والاستمرار الذي يتطلب حضور حالة من الوعي والنقد والممارسة الفاعلة في مختلف مجالات الحياة.
5. تُمثل الحرية لجان بول سارتر السمة الجوهرية والأساسية للوجود الإنساني، وأن الإنسان يعد مسؤول عن بناء ذاته من خلال أفعاله واختياراته.
6. ينطلق مفهوم الحرية عند فوكو من الممارسات الأخلاقية التي ترتبط بالطريقة التي يقيم بها الإنسان علاقة مع ذاته، وبهذا تكون الحرية ليست مقتصرة التحرر من القيود الخارجية أو رفض أشكال السلطة، وإنما هي عمل تحرر داخلي للذات من الرغبات والأهواء التي تقع أسيرة داخلها.

7. تمثل الحرية عند فوكو، واحدة من المحطات التي تجسد فكرة الأخلاقي، فالحرية تمكن الإنسان من تحول حياته لمشروع أخلاقي يخضع للتجديد، والعمل المستمر على تطوير النفس.
8. وفقاً لتشارلز تايلور، فإن الاعتراف المتبادل يُعد من الشروط الضرورية لتكوين الهوية الإنسانية، فالإنسان كائن الاجتماعي، وحريته لا يمكن أن تتحقق إلا وفق إطار العلاقات الأخلاقية والاجتماعية.
9. إن الحرية وفقاً لرؤية نانسي فريزر تتطلب تحقيق العدالة ببعديها الثقافي والمادي مما يضمن إعادة توزيع الاعتراف وإلغاء كافة أنواع التهميش والاقصاء.

المصادر العربية:

القرآن الكريم

1. ابن فارس، أحمد ابن فارس بن زكريا. (2002م). معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، طبعة اتحاد الكتاب العرب، مادة (ح رر)
2. ابن منظور، محمد بن مكرم. (د.ت.). لسان العرب، ط1، دار صادر، وأيضًا محمد بن أبي بكر الرازي، التحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1415هـ–1995م.
3. أحمد فؤاد الأهواني. (د.ت.) .جون ديوي، دار المعارف، القاهرة، ط3.
4. أحمد كريم صالح. (2024). الفضاء العام والعدالة الاجتماعية عند نانسي فريزر .المجلة السياسية الدولية، العدد 61 .
5. أفلاطون. (د.ت.) .الجمهورية، ترجمة: محمد عبد الله دراز، دار المعارف، القاهرة، ط5، الكتاب السابع.

6. أمارتيا سين .(2005) .التنمية كحرية، ترجمة: سمير أمين، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط2.

7. أوغسطينوس .(1988) .مدينة الله، ترجمة: إميل اسكندر، دار المشرق، بيروت، ط1، الكتاب 19، الفصل 15.

8. إيزايا برلين .(2002) .مفهومان للحرية، ترجمة: محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1.

9. تشارلز تايلور. (د.ت.). فيلسوف كندي ولد عام 1931 في مدينة كيبك في كندا، عمل أستاذًا للفلسفة والعلوم السياسية بجامعة ماكغيل. من أهم أعماله :هيجل والمجتمع الحديث (1979)، أسرار الذات، تشكيل الهوية الحديثة (1989)، التعددية الثقافية، الاختلاف والديمقراطية، أوجاع الحداثة (2002)، والزمن الدنيوي (2007).

10. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني. (1405هـ). تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 166/1.

11. جارت فوت .(2007) .تاريخ الحرية في الفكر الغربي، ترجمة: سمير جرجيس، دار الساقي، بيروت، ط1.

12. جان بول سارتر .(1954) .الوجودية فلسفة إنسانية، ترجمة: حنا دميان، دار بيروت للطباعة والنشر.

13. جان بول سارتر .(2009) .الكينونة والعدم، ترجمة: نقولا قيني، مراجعة: عبد العزيز العيادي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1.

14. جميل صليبا .(1982) .المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 461/1.

15. جميل صليبا. (د.ت.) .المعجم الفلسفي، المجلد الأول، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1.

16. جميلة حنفي. (2018، 3 يونيو) .نظرية الاعتراف بين أكسيل هونيث ونانسي فريزر، https://www.academia.edu/39799039، تاريخ الزيارة في 2026/6/2.

17. حسام الدين علي مجيد .(2010) .إشكالية التعددية الثقافية في الفكر السياسي المعاصر: جدلية الاندماج والتنوع، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

18. حسام الدين علي مجيد. (2015، 19 يونيو) .أنبعاث ظاهرة الهويات، قراءة في منظور المفكر الكندي تشارلز تايلور http://www.hekmah.org .

19. الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم. (د.ت.). تحقيق: محمد السيد كيلاني، مطبعة الحلبي، .(1/218)

20. حنان علي عواضة. (2016). طبيعة الحرية عند سارتر .مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 2، العدد 219.

21. الربيع ميمون .(1980) .نظرية القيم في الفكر المعاصر بين النسبية والمطلقية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

22. رعد عبد الجليل مصطفى الخليل وعماد أحمد مولود. (2019). أسس نظرية الاعتراف لحل اشكالية التنوع في الدولة المعاصرة .مجلة دراسات قانونية وسياسية، ع(1)، حزيران، مركز الدراسات القانونية والسياسية، كلية القانون، جامعة سليمانية.

23. الزواوي بغورة .(2002) .الاعتراف من أجل مفهوم جديد للعدل: دراسة في الفلسفة الاجتماعية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.

24. سليم ناصر بركات .(1928) .مفهوم الحرية في الفكر العربي الحديث، ن.د.ت، ط1.

25.عبد الرحمن جوادي وفتحي المسكيني. (2025). الجماعة كاستعداد داخلي: حل تشارلز تايلور لمفارقة الأصالة الفردية والالتزام الجماعي .مجلة الشامل للعلوم التربوية والاجتماعية، المجلد 8، العدد 2، ديسمبر 2025.

26.عبد العزيز العيادي .(1994) .المعرفة والسلطة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1.

27.عبد الله العروي .(1993) .مفهوم الحرية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط5.

28.عبد المجيد عمراني. (د.ت.) .جون بول سارتر والثورة الجزائرية، د.ط، مكتبة مدبولي، ب.ت.

29.عزت قرني .(2001) .طبيعة الحرية، دار قُباء للنشر والتوزيع، القاهرة.

30.فؤاد زكريا .(1988) .آفاق الفلسفة، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1.

31.القرطبي، محمد بن أحمد. (1272هـ).تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، ط2، دار الشعب.

32.كاترين ماكينون .(2008) .الجندر كماركسية، ترجمة: ليلى الأسعد، دار الساقي، بيروت، ط1.

33.كامل محمد محمد عويضة .(1993) .جان بول سارتر، فيلسوف الحرية، دار الكتب العلمية، لبنان.

34.لوك لوفامر. (د.ت.) .سارتر والفلسفة، منشورات دار بيروت، ب–ت.

35.محمد المحيفيظ. (2017). هوية الإنسان الحديث والمعاصر عند تشارلز تايلور .مجلة التفاهم، ع 58–57، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان.

36.محمد مهران رشوان .(1992) .مدخل إلى دراسة الفلسفة المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، مصر.

37.مصطفى النشار .(1998) .مدخل جديد إلى الفلسفة، دار قباء، القاهرة.

38.المعجم الفلسفي. (1982). القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.

39.معوشي حياة وحاج علي كمال. (2024). قراءة مقارنة بين ميشيل فوكو وجان بوديار .مجلة آفاق للبحوث والدراسات، المجلد 7، العدد 1.

40.منى إحسان ناصر. (2025). الحرية في الفكر الغربي من الأصول الفكرية إلى التحولات الحديثة. العدد 28، كانون الأول/ديسمبر.

41.مهند مصطفى. (2016). سياسة الاعتراف والحرية، سجال وإطار نظري تحت طائلة الراهن العربي .مجلة تبين، المجلد 5، العدد 17.

42.ميشيل فوكو .(2008) .تاريخ الجنسانية: الإرادة في المعرفة، ترجمة: علي مقلد، دار الفارابي، بيروت، ط3.

43.ميشيل فوكو. (د.ت.) .تاريخ الجنسانية، ج3 (الانشغال بالذات)، ترجمة: محمد هشام، دار نشر إفريقيا الشرق، المغرب.

44.يحي هويدي. (د.ت.) .أزمة الحرية في فلسفة سارتر، د.ط، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت.

المصادر الأجنبية:

1. Fraser, N. (2008). Social justice in the age of identity politics: Redistribution, recognition, and participation. In Geographic thought. Routledge.

2. Fraser, N. (2000). Rethinking recognition. New Left Review, 3, 107–120.

3. Honneth, A. (2001). Recognition or redistribution? Changing perspectives on the moral order of society. Theory, Culture & Society, 18(2–3).

ابعاد العولمة وتأثيراتها الثقافية والاجتماعية في العراق

The Dimensions of Globalization and Its Cultural and Social Impacts in Iraq

م. د . اكرم محمد نجيمان الفهداوي[1]

Akram Muhammad Najiman

[1]جامعة الانبار \ كلية الأداب

قسم علم الاجتماع

akrmm4889@gmail.com

الملخص

تعد العولمة من أبرز الظواهر التي شهدها العالم المعاصر، إذ أسهمت في تعزيز الترابط والتفاعل بين المجتمعات من خلال التطورات التكنولوجية ووسائل الاتصال الحديثة. وتمتد أبعاد العولمة لتشمل الجوانب الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، مما جعل تأثيراتها واضحة في مختلف دول العالم، ومنها العراق.

على الصعيد الثقافي، أسهمت العولمة في تسهيل انتقال الأفكار والمعارف والثقافات بين الشعوب، الأمر الذي أتاح للمجتمع العراقي فرصًا أوسع للاطلاع على التجارب العالمية والاستفادة من التطورات العلمية والتكنولوجية. وفي

المقابل، واجهت الثقافة المحلية تحديات تتعلق بالحفاظ على الهوية الوطنية والقيم والتقاليد الاجتماعية في ظل التأثير المتزايد للثقافات الأجنبية.

أما على الصعيد الاجتماعي، فقد أدت العولمة إلى تغييرات ملحوظة في أنماط الحياة والعلاقات الاجتماعية، من خلال انتشار وسائل التواصل الحديثة وتزايد التفاعل مع المجتمعات الأخرى. وقد أسهم ذلك في رفع مستوى الوعي والانفتاح الفكري لدى فئات واسعة من المجتمع، لكنه في الوقت نفسه أحدث بعض التحولات في القيم الاجتماعية وأشكال التواصل التقليدية.

ومن خلال دراسة أبعاد العولمة وتأثيراتها الثقافية والاجتماعية في العراق، يمكن فهم طبيعة التحولات التي يشهدها المجتمع العراقي، وما تفرضه من فرص للتطور والتقدم، إلى جانب التحديات المرتبطة بالحفاظ على الهوية الثقافية والتماسك الاجتماعي في ظل عالم يتسم بالتغير المستمر والتواصل المتزايد بين الشعوب.

الكلمات المفتاحية: ابعاد العولمة ، التأثيرات الثقافية والاجتماعية ، العراق.

Abstract

Globalization is one of the most significant contemporary phenomena, strengthening interconnection among societies through advances in technology and modern communication. Its dimensions include economic, cultural, and social aspects, with clear impacts worldwide, including Iraq.

Culturally, globalization has facilitated the flow of ideas, knowledge, and values, offering Iraqi society greater access to global experiences while also raising concerns about preserving national identity and traditions. Socially, it has contributed to changes in lifestyles and relationships through modern communication tools, increasing openness .but also altering traditional patterns of interaction

Overall, globalization in Iraq presents both opportunities for development and challenges related to maintaining cultural identity and social cohesion .in an increasingly interconnected world

المبحث الأول/ ابعاد العولمة وتأثيراتها الثقافية والاجتماعية في العراق:

مشكلة البحث:

شهد العالم منذ أواخر القرن العشرين تسارعًا كبيرًا في ظاهرة العولمة التي أصبحت إحدى السمات البارزة للنظام العالمي المعاصر. وقد ارتبطت هذه الظاهرة بالتطورات التقنية الهائلة في مجالات الاتصال والإعلام والإنتاج، مما أسهم في تعزيز التفاعل بين المجتمعات والثقافات المختلفة. ويرى العديد من الباحثين أن العولمة لم تقتصر على الجوانب الاقتصادية فحسب، بل امتدت لتشمل الجوانب الثقافية والاجتماعية، حيث أصبحت الثقافة أداة مؤثرة في تشكيل الأفكار والقيم وأنماط السلوك على المستوى العالمي.

وفي هذا السياق، برزت مخاوف من هيمنة الثقافات الأكثر نفوذًا على الثقافات المحلية، ولا سيما في الدول النامية، من خلال وسائل الإعلام الحديثة وشبكات الاتصال العالمية. وقد انعكس ذلك على العديد من جوانب الحياة اليومية، بما في ذلك أنماط الاستهلاك والملبس والغذاء وأساليب التفكير والتفاعل الاجتماعي، الأمر الذي أدى إلى ظهور تحولات ثقافية واجتماعية متسارعة.

وفي العراق، تركت العولمة آثارًا واضحة على مختلف المجالات. فمن الناحية الاجتماعية، أسهمت في تغيير بعض القيم والعادات والتقاليد وأنماط العلاقات الاجتماعية، نتيجة الانفتاح المتزايد على الثقافات الأخرى وسهولة انتقال المعلومات والأفكار عبر وسائل الاتصال الحديثة. كما أثرت في البنية الثقافية للمجتمع من خلال تعزيز التبادل الثقافي من جهة، وإثارة تحديات تتعلق بالحفاظ على الهوية الثقافية والقيم الاجتماعية من جهة أخرى.

أما في المجال التعليمي، فقد ساهمت العولمة في توسيع فرص الوصول إلى المعرفة والتقنيات الحديثة، لكنها أثارت في الوقت نفسه نقاشات حول دور المناهج الدراسية ومكانة اللغة العربية في ظل الانتشار المتزايد للغات الأجنبية والتعليم ذي الطابع التجاري. كما امتدت تأثيراتها إلى الجوانب السياسية والاقتصادية من خلال قضايا الهجرة والاغتراب والبطالة والتنمية والتغيرات التي طرأت على أنماط المشاركة والانتماء الاجتماعي.

وعليه، فإن العولمة تمثل ظاهرة متعددة الأبعاد تحمل في طياتها فرصًا للتقدم والانفتاح والتطور، وفي الوقت ذاته تفرض تحديات تتعلق بالحفاظ على الخصوصية الثقافية والهوية الوطنية. لذلك أصبح من الضروري تحقيق التوازن بين

الاستفادة من منجزات العولمة والانفتاح على العالم، وبين صون القيم الثقافية والاجتماعية التي تشكل أساس المجتمع العراقي وهويته الحضارية.

أهمية الدراسة:

شهد العراق خلال العقود الماضية سلسلة من الحروب والصراعات والأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تركت آثارًا عميقة في بنية الدولة والمجتمع. وقد انعكست هذه التحديات على أداء المؤسسات الحكومية، ومستوى التماسك الاجتماعي، وطبيعة العلاقات بين الجماعات المختلفة، فضلاً عن تأثيرها في الواقع الثقافي والحضاري للمجتمع العراقي. وفي ظل التحولات العالمية المتسارعة، يواجه العراق اليوم تحديات جديدة تتعلق بقدرته على مواجهة الأزمات وتعزيز الاستقرار الداخلي، ومن أبرزها التحديات المرتبطة بالعولمة الثقافية ومظاهر الحرية والانفتاح الحضاري وما تفرضه من متغيرات ثقافية واجتماعية.

وتبرز أهمية دراسة أبعاد العولمة وتأثيراتها الثقافية والاجتماعية في العراق من خلال دورها في فهم طبيعة التحولات التي يشهدها المجتمع العراقي، ومدى انعكاسها على منظومة القيم والعلاقات الاجتماعية والهوية الثقافية. كما تسهم هذه الدراسة في تحليل الفرص والتحديات الناتجة عن الانفتاح الحضاري والتبادل الثقافي، ومدى تأثيرها في تعزيز التماسك الاجتماعي والتنمية الثقافية.

وتتمثل أهمية الدراسة فيما يأتي:

1- الإسهام في إثراء الدراسات الاجتماعية والثقافية من خلال تناول موضوع أبعاد العولمة وتأثيراتها الثقافية والاجتماعية في العراق بوصفه من الموضوعات المعاصرة ذات الأهمية العلمية والمجتمعية.

2- توفير إطار معرفي يساعد على فهم العلاقة بين الفرد والمجتمع في ظل التحولات الثقافية الناتجة عن العولمة،

وبيان دور التبادل الثقافي والمعرفي في تطوير العلاقات الاجتماعية وتعزيز قيم التعاون والتفاهم بين الشعوب.

3- تقديم مادة علمية يمكن أن يستفيد منها الباحثون والمهتمون في مجالات الدراسات الاجتماعية والثقافية، بما يسهم في فتح آفاق جديدة لدراسة القضايا المرتبطة بالهوية الثقافية، والتماسك الاجتماعي، وإدارة التحديات الثقافية في المجتمع العراقي.

اهداف البحث:

سعى هذا البحث إلى دراسة أبعاد العولمة وتأثيراتها الثقافية والاجتماعية في المجتمع العراقي، من خلال التعرف على طبيعة التحولات التي أحدثتها العولمة في البنية الثقافية والاجتماعية للمجتمع، وبيان انعكاساتها على القيم والعادات والهوية الثقافية والتماسك الاجتماعي.

وتتمثل أهداف البحث فيما يأتي:

التعرف على مفهوم العولمة وأبرز أبعادها الثقافية والاجتماعية.

دراسة تأثير العولمة في الهوية الثقافية والقيم الاجتماعية السائدة في المجتمع العراقي.

التعرف على أهم التحولات الاجتماعية والثقافية الناتجة عن الانفتاح العالمي والتطورات التكنولوجية الحديثة.

المبحث الثاني: مفاهيم البحث:

أولا: ابعاد العولمة وتأثيراتها الثقافية والاجتماعية في العراق :

1- التعريف في اللغة:

لأبعاد: جمع بُعد، ويقصد بها الجوانب أو النواحي المختلفة للشيء[4].

- العولمة: مشتقة من كلمة "العالم"، وتعني جعل الشيء عالميًا أو تعميمه ليشمل العالم بأسره.
- التأثيرات: الآثار أو النتائج التي تتركها ظاهرة أو عملية معينة في الأفراد أو المجتمعات.

الثقافية: ما يتعلق بالثقافة من قيم ومعتقدات وعادات وتقاليد ومعارف ولغة وفنون[5].

- الاجتماعية: ما يرتبط بالعلاقات الاجتماعية وأنماط السلوك والتفاعل بين أفراد المجتمع.
- العراق: الدولة والمجتمع محل الدراس

2- التعريف الاصطلاحي

وبذلك يُقصد بأبعاد العولمة وتأثيراتها الثقافية والاجتماعية في العراق دراسة الجوانب الثقافية والاجتماعية للعولمة وما تحدثه من تحولات في منظومة القيم والهوية الثقافية وأنماط العلاقات الاجتماعية داخل المجتمع العراقي[6].

3- التعريف الاجرائي

يقصد بأبعاد العولمة وتأثيراتها الثقافية والاجتماعية في العراق، مجموعة التغيرات والتحولات التي نتجت عن الانفتاح العالمي والتطور التكنولوجي ووسائل الاتصال الحديثة، وانعكست على الثقافة العراقية من حيث القيم والعادات والتقاليد واللغة والهوية الثقافية، وعلى المجتمع العراقي من حيث العلاقات الاجتماعية والتماسك الاجتماعي وأنماط السلوك والتفاعل بين الأفراد، وذلك خلال المرحلة المعاصرة محل الدراسة.

---

[4] ابن منظور، لسان العرب دار المعارف ، مجلد الرابع، مصر، ص3041-3043.)

[5] مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية الطبعة الرابعة، مصر، 2004، ص624.)

[6] حسن حنفي ، ما العولمة حوارات لقرن جديد، بيروت، دار الفكر المعاصر، لبنان، 1999، ص86.)

المبحث الثالث : ابعاد العولمة وتأثيراتها الثقافية والاجتماعية في العراق:

إن الحديث عن البعد الثقافي والاجتماعي للعولمة لا يُقصد به الخوض في مفاهيم نظرية مجردة أو بعيدة عن الواقع، وإنما هو محاولة لفهم ما يعيشه المجتمع فعليًا من تحولات ثقافية متسارعة فرضتها العولمة والانفتاح الحضاري. فهذه التحولات أصبحت تمس بشكل مباشر الهوية الثقافية والقيم الاجتماعية وأنماط التفكير والسلوك لدى الأفراد والجماعات.

وفي هذا السياق، تمثل العولمة الثقافية تحديًا حقيقيًا للمجتمعات، خاصة في العالم العربي، نتيجة سرعة تدفق الثقافات عبر وسائل الإعلام الحديثة والتكنولوجيا، وما قد يرافق ذلك من ضعف في الوعي بكيفية التعامل مع هذا الانفتاح بشكل متوازن. وقد يؤدي ذلك أحيانًا إلى نوع من الالتباس بين الحفاظ على الخصوصية الثقافية وبين الانفتاح على الثقافات الأخرى.

ومن هنا تبرز الحاجة إلى وعي ثقافي ناضج يتعامل مع العولمة بوصفها فرصة للتبادل والتفاعل الثقافي، وليس مجرد وسيلة لفرض ثقافة واحدة. كما يتطلب الأمر تحقيق توازن بين الاستفادة من منجزات الحضارة العالمية وبين حماية الهوية الثقافية المحلية، بما يضمن انفتاحًا إيجابيًا يسهم في تطوير المجتمع دون أن يفقد خصوصيته أو تماسكه الثقافي[7] لاسيما انها تثبت مدى قدرتنا على تمثيل الحرية حينما نعي حق الوعي ان تحليل المفاهيم هو وسيلة التنوير الذهن وتقويم المنطق التعبير عنها بطرق مستساغة لدى المجتمع[8] وبناء على ذلك تطور مفهوم الحقوق والحرية ليشمل الحقوق والحريات العامة على مستوى المجتمع والدولة ككل وبناء على التطور التاريخي للحقوق والحريات الفردية يمكن القول إن هذا التطور أسهم في نهاية المطاف في إرساء مجموعة من الأسس والمبادئ الحرية التي اعتمدت عليها

7 ماهر مسعود ، الحرية من سماء الفلسفة الى ارض السياسة، الطبعة الأولى، اطلس للنشر والترجمة والإنتاج الثقافي، 2015، ص11.)

8 عبدالله العروي، مفهوم الحرية، المركز الثقافي العربي، الطبعة الخامسة، بيروت، 1993، ص7.)

كثير من الدول والمنظمات الحكومية، والخاصة الدولية، والإقليمية، لإقرار مبادئ تتعلق بالحرية وأصبحت هذه الحقوق والحريات ثوابت في الأعراف الدولية[9] ولقد استطاعت حرية الانفتاح أن تعتق نفسها من إطار قيود التعريفات وأن تتطور إلى واحد من المصطلحات المجردة التي ليس لها أي وجود خارجي ولا يمكن تحديده إلا بعد ما يعطيه لها العقل الإنساني وفي الوقت الذي خرجت فيه الحرية من أن تخضع لأي تعريف موضوعي، أصبح تعريفاتها متعددة، وغني عن القول أنها أصبحت موضوع أدبيات واسعة ويمكن للحرية أن تظهر في مجالات مختلفة من الحياة فتظهر في المجال الاجتماعي والسلوكي كما تَظهُر في الاقتصاد والسياسة والإعلام فهي تتشكل في العادات اليومية البسيطة[10]

بدأت مظاهر الحرية والانفتاح الحضاري يتخذان معنى اجتماعيا في اللحظة التي فيها حدث التضاد بين الطبيعة وبين القانون ويتجلى ذلك في فكرة التقارب الثقافي وفقاً لهذا المعنى الجديد أصبح الحر هو من يسلك وفقاً للثقافة والغير الحر هو من يخضع للقانون أكد علماء الاجتماع على مظاهر الحرية والشعور بها والاعتزاز بالنفس فلكي يؤكد الإنسان على ذاته لابد أن تكون أفعاله حرة وأكدوا علي الحرية من أجل إرادة النفس وعبروا عن النزعة الفردية من أجل التأكيد على الحرية الإنسانية والحر من يسلك وفقاً للحضارة فهو حر وفقاً للثقافة وليس حراً لأنه خضع للقانون لأنه وضع قيود علي الحرية وإيمانهم بها فتحوا الطريق أمام المفكرين الاجتماعيين للخوض فيها والبحث عن مظاهر الحرية [11]

عولمة التحرر عند الاجتماعيين اليونان

(9) راغب جبريل سكوان ، الصراع بين حرية الفرد وسلطة الدولة، الطبعة الثانية ،دار المكتب الجامعي الحديث، بيروت، 2011، ص317.)

(10) كريم يوسف احمد ، الحريات العامة في الأنظمة السياسية المعاصرة، أطروحة دكتوراة ، جامعة القاهرة، مصر، 1987، ص69.)

(11) كريم يوسف احمد ، الحريات العامة في الأنظمة السياسية المعاصرة، أطروحة دكتوراة ، جامعة القاهرة، مصر، 1987، ص69.)

1-مظاهر الحرية عند سقراط :هي مجموعة من الأفعال المفضلة والحسنة التي تأخذ معنى التصميم الأخلاقي وان الاخلاق الإنسانية حينما تختفي يحل محلها اللامعيارية وشيوع الفواحش وف وأعتبر سقراط أن من شروط الحرية الأخلاقية ضبط النفس من ناحية العقلنة والوعي من الأحسن أو الخير[12]

2-مظاهر الحرية عند أفلاطون : هي مجموعة من الأنشطة التي تعني وجود الخير والخير هو الفضيلة والخير لا يحتاج إلي شيء أخر والحر من يقوم بفعل الخير ويعطي افلاطون أهمية للدين والأخلاق لا تقل عن أهمية القانون بل يعتبر ان الدين والقانون لا يتفرقان ويتضافران على حفظ الاخلاق وحرية النظام الاجتماعي حتي يستطيع الإنسان الوصول إلى عالم المثالي عالم الحقائق ولن يستطيع الوصول إل هذه الى بعد تحقيق العدل والمساواة بين الحقوق والواجبات والحرية هي الارتقاء بواسطة الجدل العقلي في تحقيق العدل والمساواة والرفاه [13]

أ. عولمة التحرر في الفكر الغربي الحديث:

1-مظاهر الحرية عند هابرماس : ظهر الفضاء العمومي على نحو يتداخل فيه الفعل التواصلي الحر لتأطير الممارسة الحرية بواسطة الإشهار بتوجيه الرأي العام بحيث تصبح الحرية معيارا لكل تفكير يحكم الفعل الإنساني، وقضايا العدالة، والحق، والسلطة، والقوة، والعنف، والواجب، والشرعية والمشروعية. ومن ناحية أخرى، ما يعنيه الفعل التواصلي وما يفرضه من أخلاقيات للمناقشة والتداول من أجل الإجماع أو التنازع، من وجهة نظر هابرماس، وإعادة تأصيل الاعتراف داخل الفضاء العمومي وبهذا المعنى أصبح التفكير في الحرية، مشروطًا بالتفكير في الفضاء العمومي

(12) كريم يوسف احمد، المصدر نفسة، ص 100.

الواقعي منه والافتراضي، وخاصة مع تفكك النموذج المعولم الذي حرر العقول من سطوة الأداتي وسيطرة أنساق جديدة مثل الوعي والعقلنة وجدت لنفسها إحداثيات داخل الفضاء العمومي (14)

2-مظاهر الحرية عند ماركس: يراء ان الحرية هي أساس علاقته بالضرورة ويعني بالضرورة القوانين الغير مدركة التي تتحكم بالطبيعة والمجتمع ففي بداية تاريخ الانسان كان غير قادر على فهم أسرار الطبيعة، لذلك ظل أسير الضرورة المجهولة وكان لا يشعر بحريته اعتقاده بأنه خاضع لقوى عمياء لكن كلما ازداد الانسان تطوراً استطاع أن يدرك الضرورة على أنها قوانين موضوعية تتحكم بالظواهر الاجتماعية والطبيعية ثم ازداد حرية ووعيا (15)

ج. عولمة التحرر في الفكر العربي:

1. عبد الرحمن ابن خلدون : الحرية هو الحكمة في ممارسة حق طبيعي مقدس وفق معايير محددة تخدم البشر وتسمو بالمجتمع. ذلك أنَّ ثمرة الازدهار والتطور تعود إلى تلاقح الأفكار ومساحات الحرية الشاسعة التي يتمتع بها رجال الفكر والعلم والدين. يقول ابن خلدون كلما تقدَّمت الأمم واحتاج الناس إلى التكامل والتعاون، وهم محتاجون لذلك لأن الإنسان كائن اجتماعي ومدني بطبعه، كانت الحرِّية مطمحًا منشودًا وقيمة إنسانية وركيزة اجتماعية يتعلق بها الإنسان، لكي تستقيم أموره وكلما أوغل في الحضارة ازداد تعلُّقه بها ووضع لها الضوابط والقوانين المنظمة والتي تحرس كيانه، وتوفِّر له الاستفادة منها، واستثمار مواهبه في رحابها وكلَّما أوغلت البشرية في البداوة، وابتعدت عن الحياة بحيث كلَّما أوغلت الأمة في البداوة كانت أبعد ما تكون عن الحرِّية ومكاسبها، وكلما تقدَّمت في الحضارة ازدادت

(14) محمد العربي العياري، الفضاء العمومي وسؤال الحرية، مجلة تبين، العدد 44، المجلد 11، تونس، 2023، ص39-42-43.)

(15) هيفاء فويتي، بحث بعنوان ماهية الحرية وفلسفتها، سوريا، 2013، ص8 ، منشور على http://www.kharejalserb.com/?attachment_id=22432 تم زيارته، في تاريخ، 18\4\2024،

ولوجًا في عالم الحرّية وما هو أسوأ من العيش في أجواء مظلمة يسود فيها الجهل والقمع والتعتيم والإرهاب الفكري هو العبث بمفهوم الحرية وتحويلها إلى فيروس عجيب ومدمر، وقد كانت المجتمعات البدائية خالية الذهن من مفهوم الحرّية لعدم ميلها إلى الاستقرار والتعاون فيما بينها، والخضوع إلى النظام وعدم الشعور بالمسؤولية (16)

2. مالك بن نبي: المقصود بالحرية هو يقظة ووعى الشرق ويمكن القول أن فكرة الحرية فكرة نسبية في حد ذاتيا تختلف باختلاف الظروف و العصور، و بعض الحالات وتعتمد الحرية على الجانب الاجتماعي والأخلاقي يرى الإقلاع الحضاري لابد أن يمر حتما عبر اقتلاع التخلف وفي نفس الوقت من القضايا الاجتماعية التي تصدى اليها مالك بن نبي هي حرية المنفلتة سيما أن التحرر احد المكونين الأساسيين للحس الأخلاقي والقيمي بذريعة التحرر من العبودية والاضطهاد والتخلف تم الدعوة إلى تخلي عن قيم ومعتقدات بل وانتمائا وحضارتا والحاقها بالحضارة الغربية(17)

ثانيا: الاندماج الثقافي والاجتماعي:

أ. الاندماج الثقافي والاجتماعي في الفكر الغربي:

1- لدى كروبر: هي الأفكار التقليدية المتصلة بالقيم والأنظمة الحضارية وهي وليدة الحدث الاجتماعي الذي يحدد عناصر الحضارة المقبلة التي سيشدها المجتمع الواحد ويكمن في الحضارة الجزء المادي الذي تعتبر وليدها والذي يتفاعل مع الجزء المثالي منها ليكون الكل الحضاري(18)

(16) تم زيارته في تاريخ ، 2024/4/28 .http://maaber.50megs.com/issue_february10/spotlights3.htmاوزجان يشار، الحرية، صحيفة معابر، العدد، 5866، سوريا.)

(17) جهيدة رحماني–سعاد سعداوي، مشكلة الحرية في الفكر الجزائري المعاصر، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، ورقلة، الجزائر،2019، ص40–44.)

(18) بوعلام مريم، فلسفة الحضارة عند ابن خلدون، رسالة ماجستير، جامعة عبد الحميد ابن باديس، الجزائر، 2016،ص26.)

2- لدى تايلور: بأنها ذلك الكل المعقد الذي يشمل المعارف والعقيدة والفن و القيم الأخلاقية والقانون والتقاليد الاجتماعية وكل القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع [19]

ب. الاندماج الاجتماعي والثقافي في الفكر العربي:

1- لدى مالك بن نبي: هو مجموعة من الشروط الأخلاقية والمادية الذي يتيح لمجتمع معين أن يقدم لكل فرد من أفراده في كل طور من أطوار أو ذاك من أطوار نموه أي ينظر إليها على أنها خدمات أخلاقية و مادية التي يحصل عليها كل فرد في المجتمع كل حسب حاجته فان وفرت له كل حاجات العصر و مستلزماته من تعليم و نقل و علاج و سكن فهي إذا الحضارة [20] .

2- لدى ابن خلدون: يعني التفنن في إحكام الصنائع المستعملة في حياة الشخص ومذاهبه من المأكل والملابس و المباني و الفرش وسائر عوائد المنزل وأحواله ابن خلدون أكثر من ساهموا في تطوير كلمة الانفتاح الحضاري في تاريخ الثقافة العربية فقد أدرك ما توحي به هذه الكلمة في أصلها اللغوي العام و صاغها مصطلحا اجتماعيا واضحا فقال: " الانفتاح الحضاري أحوال عادية زائدة على الضرورة من أحوال العمران زيادة بتفاوت الرفاه وتفاوت الأمم في القلة والكثرة تفاوتا غير منحصر وقد بين ابن خلدون أن الانفتاح الحضاري لا يظهر إلا في المدن والقرى وأنها تتصل بالتقنين في الترف واستجادة أحواله والكلف بالصنائع التي تؤنق من أصنافه وسائر فنونه وهكذا لا يظهر الانفتاح الحضاري في البادية لأن البدو في رأي ابن خلدون هادمون للحضارة يمحلون الحياة ويجعلونها كالصحاري مع أنهم مستعدون للتحضر ككل شعوب العالم لأن الإنسان مدني بطبعه أي غايته التحضر و العمران ويربط ابن خلدون في هذا المجال

---

(19) عفت الشرقاوي ، في فلسفة الحضارة الإسلامية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت ،لبنان،1985، ص11.

(20) مالك بن نبي ، القضايا الكبرى ، دار الفكر الطبعة الأولى، دمشق،1991، ص40.

أيضا بين مفهومي الحضارة والتملك بوصفه السيادة اللازمة لاستقرار النظام وازدهار الحضارة

المبحث الثالث المحور الثاني: ابعاد العولمة الثقافية والاجتماعية في العراق:

أسهمت العولمة، بما صاحبها من انفتاح ثقافي واجتماعي ، في اتساع نطاق تداول الأفكار والمعلومات والقيم الثقافية والدينية والأخلاقية على المستوى العالمي، وذلك نتيجة التطور المتسارع في وسائل الإعلام وتقنيات الاتصال. وقد انعكس هذا التحول على الواقع الثقافي في المجتمعات العربية، ولا سيما المجتمع العراقي، من خلال تعزيز فرص التفاعل مع الثقافات المختلفة وتوسيع آفاق المعرفة والتواصل. وفي هذا السياق، استفادت اللغة العربية من التطورات التي أفرزتها العولمة، إذ أصبحت الوسائل الرقمية تتيح نشر الكتب والبحوث وإنتاج المحتوى العلمي بصورة أكثر سهولة وانتشارًا، مما أسهم في تعزيز حضور اللغة العربية على الساحة العالمية، خاصة في ظل الانفتاح الفكري والثقافي المتنامي داخل المجتمع العراقي.

ومن جانب آخر، أسهمت العولمة في الحد من بعض مظاهر التبعية الثقافية عبر إتاحة مساحة أوسع للأفراد لاختيار ما يتوافق مع اهتماماتهم من ثقافات وأفكار، فضلًا عن توفير فرص أكبر للتعبير عن الذات وتنمية القدرات في بيئات أكثر انفتاحًا وتنوعًا. كما عززت وسائل الإعلام الحديثة هذا الدور من خلال تسهيل التبادل الثقافي والمعرفي بين الشعوب، والإسهام في نشر الثقافة العربية الإسلامية وقيمها الدينية على نطاق أوسع، وإن كان تأثير هذه الجوانب الإيجابية يختلف من مجتمع إلى آخر تبعًا لظروفه الثقافية والاجتماعية.([21]).

(21) منى عبد الستار محمد حسن، البعد الاجتماعي للعولمة وتأثيراتها على الاسرة العراقية، دراسة ميدانية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جهاز الاشراف والتقويم العلمي، قسم تقيم الأداء، العراق،2013، ص4-5.

تُعد العولمة الثقافية والاجتماعية من العوامل التي أسهمت في تعزيز فرص التقدم والرقي المجتمعي، إذ إن الاستفادة من تجارب الأمم المتقدمة والأخذ بأسباب التطور العلمي والتقني وتطبيقها بما يتلاءم مع خصوصية المجتمع العراقي يمكن أن يسهم في تحقيق التنمية والتحديث في مختلف المجالات. ويبرز ذلك بوضوح في مجالات الصناعة والتكنولوجيا والبحث العلمي، حيث يؤدي تبني الأساليب العلمية الحديثة إلى رفع مستوى الكفاءة والإنتاج وتعزيز القدرة على الابتكار.

ويكتسب الانفتاح الحضاري أهمية خاصة بوصفه ظاهرة إنسانية رافقت تطور المجتمعات عبر التاريخ، إذ مثّل وسيلة فاعلة للتعارف والتقارب وتبادل المعارف والخبرات بين الشعوب، وكان من أبرز العوامل التي أسهمت في ازدهار الحضارات وتقدمها. فالانفتاح الحضاري يقوم على التبادل الطوعي للثقافات، بما يتيح الإفادة من منجزات الإبداع الإنساني وتعميم ثمار المعرفة، الأمر الذي يدفع المجتمعات نحو مزيد من التقدم والرقي الحضاري.

ومن هذا المنطلق، فإن المجتمع الحيوي والمنفتح لا ينعزل عن محيطه، بل يحرص على بناء جسور التواصل مع المجتمعات الأخرى، بما يحقق التفاعل الثقافي القائم على التأثير والتأثر وتبادل الخبرات والأفكار. ويُسهم هذا التواصل في تعزيز التوازن النفسي والاندماج الاجتماعي للأفراد، كما يدعم قدرة المجتمع على التكيف مع المتغيرات العالمية مع الحفاظ على هويته الثقافية وقيمه الأصيلة.[22]

و تبرز أهم السمات العولمة في بعدها الثقافي والاجتماعي في المجتمع العراقي

تتمثل أبرز الآثار الإيجابية للعولمة والانفتاح الحضاري في الإسهام بتقليص الحواجز والحدود الفاصلة بين المجتمعات، بما يعزز فرص التعاون والتفاعل بين الشعوب في مختلف المجالات. كما أسهمت في إيجاد آليات للتعامل مع العديد من

22) محمد زرمان، فن التواصل مقاربة في الابعاد والشروط، كلية الاداب والعلوم الإنسانية، جامعة باتنه، الجزائر،بلا تاريخ، ص6 .)

القضايا الإنسانية المشتركة، مثل قضايا البيئة والصحة والتنمية، وهي مشكلات تتجاوز في طبيعتها حدود الدولة الواحدة وتتطلب تعاونًا دوليًا لمعالجتها. كذلك عززت العولمة توجهًا نحو زيادة الترابط بين دول العالم، من خلال دعم مبادئ التعاون الدولي، وتشجيع الالتزام بالاتفاقيات والمواثيق الدولية، والدعوة إلى احترام حقوق الإنسان والحد من الممارسات التي تنتهكها.

وفي المجال العلمي والتقني، أدى التطور المتسارع في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات إلى إحداث نقلة نوعية في وسائل التواصل الثقافي والعلمي، حيث أصبحت المعرفة والمعلومات أكثر سهولة في الوصول والانتشار. وأسهمت شبكات الاتصال العالمية، بما فيها شبكة الإنترنت والقنوات الفضائية، في نقل الأخبار والأحداث بصورة فورية، إلى جانب إتاحة المشاركة في المؤتمرات والندوات والفعاليات العلمية والثقافية، الأمر الذي عزز التبادل المعرفي بين الشعوب وساعد على انتشار الثقافة الرقمية.

كما أسهمت العولمة في نشر الوعي الثقافي لدى الأفراد، من خلال توسيع فرص الاطلاع على الثقافات المختلفة والتعرف إلى أنماط الحياة والقيم السائدة في المجتمعات الأخرى، وهو ما عزز قيم التسامح وقبول التنوع الثقافي واحترام الاختلاف، إضافة إلى ترسيخ المبادئ الإنسانية المشتركة، مثل صون كرامة الإنسان، واحترام حقوقه الأساسية، وفي مقدمتها الحق في الحرية والعيش الكريم. كذلك ساعدت المنظمات والهيئات الدولية في دعم برامج التعاون الثقافي والعلمي بين الدول، بما يسهم في تبادل الخبرات وتطوير القدرات البشرية.

وعلى الصعيد الاقتصادي، أسهمت العولمة في بناء هياكل إنتاجية كبيرة وتوسيع نطاق إنتاج السلع والخدمات، فضلًا عن تعزيز حركة التجارة الدولية من خلال تقليل القيود الجمركية وتسهيل الوصول إلى الأسواق العالمية. كما شجعت

تدفق الاستثمارات الأجنبية، الأمر الذي أسهم في نقل التكنولوجيا والخبرات الإدارية، ورفع كفاءة العديد من القطاعات الإنتاجية في الدول المستقبلة للاستثمار.

وتُعد العولمة في بعدها الثقافي من المرتكزات الأساسية لتطور المجتمعات وتقدمها، فالحرية ليست مجرد حق إنساني أصيل، وإنما تمثل أيضًا قوة دافعة للإبداع والابتكار، إذ تتيح للأفراد التعبير عن آرائهم وأفكارهم بحرية، وتوفر بيئة مناسبة لتنمية القدرات والإمكانات، بما يسهم في تحقيق التنمية الشاملة والارتقاء بالمجتمع، مع الحفاظ على هويته الثقافية وقيمه الأصيلة.

أما الانفتاح الثقافي فهو الجسر الذي يربط بين الشعوب والثقافات المختلفة مما يعزز الفهم المتبادل والتعاون الدولي. الانفتاح على الثقافات الأخرى يساهم في بناء عالم أكثر تسامحًا وسلامًا، ويتيح فرصًا جديدة للتعلم والنمو.

ويمكن القول إن العولمة والانفتاح الثقافي هما عنصران متكاملان لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر معًا يقدمان إطارًا لتحقيق التنمية الاجتماعية الشاملة والمستدامة، حيث يمكن للأفراد والمجتمعات أن يزدهروا في بيئة تحترم حقوق الإنسان وتقدر التنوع الثقافي. وإن تعزيز هذين المفهومين يتطلب التزامًا مستمرًا من الجميع من الأفراد والحكومات والمؤسسات للعمل نحو مستقبل أكثر إشراقًا وعدالة للجميع.

نتائج البحث:

توصل البحث الحالي الى نتائج:

1- ان العولمة في بعدها الثقافي والاجتماعي مفهومان متكاملان ومترابطان اذ لا توجد حرية بدون انفتاح حضاري ولا يوجد انفتاح حضاري بدون حرية.

2- ان العولمة تسهم في زيادة التطور والابداع والرقي في المجتمع.

3- ان العولمة اسهم في التواصل الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي بين دول العالم.

التوصيات :

1- توصية الى الجهات المسؤولة بوضع تشريعات وسياسات تنظم عملية الاستفادة من العولمة والانفتاح على العالم من اجل حماية الخصوصية الاجتماعية.

2- الى الباحثين في الأقسام الإنسانية اجراء المزيد من الأبحاث والتحليلات حول ابعاد العولمة ذات الجانب السياسي والاقتصادي.

3- ينبغي توجيه الجهود نحو توعية المجتمع بالانعكاسات الناتجة عن مخاطر الحديثة العولمة .

المقترحات:

1- القيام بدراسة حول (العولمة الثقافية وتداعياتها على الدول الرخوة)

المصادر والمراجع:

1-محمد أبو الفضل -إبراهيم ابن إسماعيل الزمخشري، معاجم المعاني الجامع، معجم العربي، 1074-1144، بلاترقيم.

2-Dictionnaire Larousse de français, Achevé d'imprimer par Malesherbes Franc , 2008, p244.

3-الاند أندريه، موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول ، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات الطبعة الثانية، بيروت باريس، 2001 ، ص728.

4-ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، الطبعة الأولى ، بيروت، بلاتاريخ، ص120.

5-Fridmaan., Ollivier Ouverture ostentatoire a` la diversite´ et cosmopolitisme. Vers une nouvelle discursive Sociologie et socie´te´s,2002,p111

6-ماهر مسعود ، الحرية من سماء الفلسفة الى ارض السياسة، الطبعة الأولى، اطلس للنشر والترجمة والإنتاج الثقافي، 2015، ص11.

7-عبدالله العروي، مفهوم الحرية، المركز الثقافي العربي، الطبعة الخامسة، بيروت، 1993، ص7.

8-راغب جبريل سكوان ، الصراع بين حرية الفرد وسلطة الدولة، الطبعة الثانية ،دار المكتب الجامعي الحديث، بيروت، 2011، ص317.

9-كريم يوسف احمد ، الحريات العامة في الأنظمة السياسية المعاصرة، أطروحة دكتوراة ، جامعة القاهرة، مصر، 1987، ص69.

10-كريم يوسف احمد ، الحريات العامة في الأنظمة السياسية المعاصرة، أطروحة دكتوراة ، جامعة القاهرة، مصر، 1987، ص69.

11-كريم يوسف احمد، المصدر نفسة، ص 100.

12-محمد العربي العياري، الفضاء العمومي وسؤال الحرية، مجلة تبين، العدد 44، المجلد 11، تونس، 2023، ص39-42-43.

13-هيفاء فويتي، بحث بعنوان ماهية الحرية وفلسفتها، سوريا، 2013، ص8 ، منشور على http://www.kharejalserb.com/?attachment_id=22432 تم زيارته، في تاريخ، 2024\4\18،

14-اوزجان يشار، الحرية، صحيفة معابر، العدد، 5866، سوريا.
http://maaber.50megs.com/issue_february10/spotlights3.htm تم زيارته في تاريخ ، 2024/4/28.

15-جهيدة رحماني-سعاد سعداوي، مشكلة الحرية في الفكر الجزائري المعاصر، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، ورقلة، الجزائر،2019، ص40-44.

16-بوعلام مريم، فلسفة الحضارة عند ابن خلدون، رسالة ماجستير، جامعة عبد الحميد ابن باديس، الجزائر، 2016،ص26.

17-عفت الشرقاوي ، في فلسفة الحضارة الإسلامية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت ،لبنان،1985، ص11.

18-مالك بن نبي ، القضايا الكبرى ، دار الفكر الطبعة الأولى، دمشق،1991، ص40.

19-عفت الشرقاوي ، في فلسفة الحضارة الإسلامية ، مصدر سابق، ص13.

20-منى عبد الستار محمد حسن، البعد الاجتماعي للعولمة وتأثيراتها على الاسرة العراقية، دراسة ميدانية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جهاز الاشراف والتقويم العلمي، قسم تقيم الأداء، العراق،2013، ص4-5.

22-محمد زرمان، فن التواصل مقاربة في الابعاد والشروط، كلية الاداب والعلوم الإنسانية، جامعة باتنه، الجزائر،بلا تاريخ، ص6 .

23-أحمد فهمي، ماهية العولمة كإحدى المتغيرات العالمية المعاصرة، مصدر سابق، ص13-14-15.

1- Muhammad Abu Al-Fadl -Ibrahim Ibn Ismail Al-Zamakhshari, Dictionaries of Al-Ma'ani Al-Jami', Mu'jam Al-Arabi, 1074-1144, unnumbered.

2- Dictionnaire Larousse de français, archived by Malesherbes Franc, 2008, p. 244.

3- Aland Andre, Lalande Philosophical Encyclopedia, Volume One, translated by Khalil Ahmed Khalil, Oweidat Publications, second edition, Beirut-Paris, 2001, p. 728.

4- Ibn Manzur, Lisan al-Arab, Dar Sader, first edition, Beirut, undated, p. 120.

5- Fridmaan., Ouverture ostentatoire a` la diversite´ and - cosmopolitisme. In a new discreet sociology and society, 2002, p. 111

6- Maher Masoud, Freedom from the Heavens of Philosophy to the Land of Politics, first edition, Atlas for Publishing, Translation and Cultural Production, 2015, p. 11.

7- Abdullah Al-Arawi, The Concept of Freedom, Arab Cultural Center, fifth edition, Beirut, 1993, p. 7.

8-Ragheb Gabriel Sakwan, The Conflict between Individual Freedom and State Authority, second edition, Modern .University Office Publishing House, Beirut, 2011, p. 317

9-Karim Youssef Ahmed, Public Freedoms in Contemporary Political Systems, doctoral thesis, Cairo University, Egypt, 1987, p. .69

10- Karim Youssef Ahmed, Public Freedoms in Contemporary - Political Systems, doctoral thesis, Cairo University, Egypt, 1987, p. .69

11Karim Youssef Ahmed, same source, p. 100

12-Mohamed Al-Arabi Al-Ayyari, Public Space and the Question of Freedom, Tabyan Magazine, No. 44, Volume 11, Tunisia, 2023, .pp. 39-42-43

13-Haifa Foiti, research entitled The nature of freedom and its philosophy, Syria, 2013, p. 8, published on http://www.kharejalserb.com/?attachment_id=22432, visited, on ,4/18/2024

14-Ozcan Yashar, Al-Hurriya, Maaber newspaper, issue, 5866, Syria. http://maaber.50megs.com/issue_february10/spotlights3.htm, visited on 4/28/2024.

15-Jahida Rahmani-Souad Saadawi, The Problem of Freedom in Contemporary Algerian Thought, Master's Thesis, Faculty of Humanities and Social Sciences, Ouargla, Algeria, 2019, pp. 40-44.

16-Boualem Meriem, Ibn Khaldun's Philosophy of Civilization, Master's Thesis, Abdelhamid Ibn Badis University, Algeria, 2016, p. 26.

17-Effat Al-Sharqawi, On the Philosophy of Islamic Civilization, Dar Al-Nahda Al-Arabiyya for Printing and Publishing, Beirut, Lebanon, 1985, p. 11.

18-Malik Bin Nabi, The Great Issues, Dar Al-Fikr, first edition, Damascus, 1991, p. 40.

19- Effat Al-Sharqawi, On the Philosophy of Islamic Civilization, previous source, p. 13.

20- Mona Abdel Sattar Muhammad Hassan, the social dimension of globalization and its effects on the Iraqi family, field study, Ministry of Higher Education and Scientific Research, Scientific Supervision and Evaluation Authority, Performance .Evaluation Department, Iraq, 2013, pp. 4-5

22- Muhammad Zarman, The Art of Communication: An Approach in Dimensions and Conditions, Faculty of Arts and .Human Sciences, Batna University, Algeria, no date, p. 6

23-Ahmed Fahmy, The nature of globalization as one of the .contemporary global variables, previous source, pp. 13-14-15

إدمان استخدام منصات التواصل الاجتماعي وتأثيره على الهوية الاجتماعية للمراهقين (دراسة ميدانية في محافظة بابل)

Social Media Platform Addiction and Its Impact on the Social Identity of Adolescents

م.م. كريمة مزهر نايف[1]

[1]كلية الاداب /جامعة بابل

art527.a.muzhar@uobabylon.edu.iq

الملخص

يتناول البحث ظاهرة إدمان منصات التواصل الاجتماعي وتأثيراتها العميقة على تشكيل الهوية الاجتماعية للمراهقين الذين يعتبرون الفئة الاكثر تعرضاً وتأثراً بالوسائل الرقمية ، ويهدف البحث الحالي الى معرفة كيف يؤثر ادمان منصات التواصل الاجتماعي على الهوية الاجتماعية للمراهقين ،اعتمدت الدراسة على منهج وصفي تحليلي(المسح بالعينة)، اعتمدت الباحثة نظرية الغرس الثقافي . وخلصت النتائج إلى أن الإدمان الرقمي يتسبب في تفكك الهوية وتبني هويات افتراضية لتعويض نقص التفاعل الاجتماعي الواقعي، مما يستدعي اتخاذ إجراءات تربوية وأسرية عاجلة لمواجهة هذه القضايا. كما تناولت الدراسة مفهوم الهوية الافتراضية وتأثيراتها على المراهقين، وقدمت توصيات عملية للحد من الآثار السلبية وتعزيز التنمية الاجتماعية السليمة.

الكلمات المفتاحية: إدمان التواصل الاجتماعي،منصات التواصل الاجتماعي ،الهوية الاجتماعية، المراهقون، الهوية الافتراضية،

Abstract

This research addresses the phenomenon of social media addiction and its profound effects on the formation of the social identity of adolescents aged 15 to 18. The study adopted a descriptive-analytical approach, drawing on James Marcia's theory of identity levels and Mark Griffiths' component model of addiction. The results concluded that digital addiction causes the disintegration of identity and the adoption of virtual identities to compensate for the lack of real-life social interaction, necessitating urgent educational and family measures to address these issues. The study also addressed the concept of virtual identity and its effects on adolescents, and offered practical recommendations to reduce negative effects and promote sound social development.

Keywords: Social Media Addiction, Social Identity, Adolescents, Identity Virtual

المقدمة

تُعتبر مرحلة المراهقة من أهم فترات النمو في حياة الأفراد، حيث تتكون خلالها ملامح شخصياتهم وتتحدد هويتهم الاجتماعية ويواجه المراهقون خلالها تحديات كبيرة تتعلق بتطوير الذات واختيار القيم ومستقبلهم ومع التقدم التكنولوجي الهائل في السنوات الأخيرة، أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي جزءًا أساسيًا من حياتهم اليومية، حيث تتيح لهم فرصًا للتواصل الاجتماعي والحصول على المعلومات.

لقد أدت هذه الوسائل إلى تغيير جذري في أساليب التواصل والتفاعل، مما خلق فرصًا غير مسبوقة للتعبير عن الذات وبناء العلاقات. لكن الاستخدام المفرط وغير المنظم لها قد يسفر عن إدمان سلوكي، مما يؤثر سلبًا على الجوانب النفسية والجسدية، بالإضافة إلى الهوية والانتماء، تظهر هذه التأثيرات في تغيرات سلوكية ونفسية قد تؤدي إلى تشتت الهوية والانغلاق الاجتماعي وتأجيل اتخاذ القرارات المهمة.

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على العلاقة بين الاستخدام المفرط لمنصات التواصل الاجتماعي وأزمة الهوية الاجتماعية لدى المراهقين ،مع تقديم تحليل سسيولوجي معمقً مستندً إلى أطر نظرية ودراسات سابقة كما يسعى إلى استكشاف تأثير ظاهرة ادمان منصات التواصل الاجتماعي على تشكيل الهوية الافتراضية بالإضافة إلى تقديم توصيات عملية للباحثين والمعلمين والأهالي لفهم هذه الظاهرة المعقدة وكيفية التعامل معها بفاعلية وحذر .

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في التزايد الملحوظ لظاهرة استخدام منصات التواصل الاجتماعي بشكل مفرط بين المراهقين، وما يترتب عليها من تحديات سلبية على تكوين هويتهم الاجتماعية، ففي ظل الانغماس في العالم الافتراضي قد يواجه المراهقون صعوبة في التمييز بين الذات الحقيقية والذات الافتراضية، مما يؤثر على استقرارهم النفسي والاجتماعي والدراسي ويكمن سؤال البحث كيف يوثر ادمان منصات التواصل الاجتماعي على الهوية الاجتماعية للمراهقين؟

اهمية البحث

في ظل التطور التقني وزيادة الاعتماد على المنصات الرقمية التي اصبحت جزء لايتجزء من تفاعلنا الاجتماعي الا انها تشكل تحديات سلبية لبعض الفئات العمرية ولاسيما مرحلة المراهقة التي تعتبر مرحلة مفصلية في تكوين شخصية الفرد مما تسبب ارباكاً في تكوين هويته الاجتماعية .

يستمد البحث أهميته من كونه يتناول موضوع معاصر وحيوي يمس شريحة مهمة وواسعة من المجتمع، وهي فئة المراهقين ،كما قد يُسهم في إثراء الأدبيات العلمية العربية عامةً والعراق خاصة في مجال الإدمان الرقمي وتأثيراته الاجتماعية والنفسية والصحية ، ويقدم إطاراً نظرياً وتطبيقياً يمكن الاستفادة منه في وضع برامج مستقبلية وقائية وعلاجية.

اهداف البحث

تتمثل اهداف البحث في الاتي :

أ- التعرف على مفاهيم البحث (ادمان منصات التواصل الاجتماعي ،مرحلة المراهقة ،الهوية الاجتماعية)

ب- تحليل العلاقة بين إدمان منصات التواصل الاجتماعي ومستويات الهوية الاجتماعية لدى المراهقين

ت- تحديد اسباب ادمان منصات التواصل الاجتماعي والحد من تداعياتها .

ث- استكشاف ظاهرة الهوية الافتراضية وتأثيرها على الهوية الحقيقية للمراهقين.

ج- تقديم توصيات ومقترحات للحد من الآثار السلبية لإدمان منصات التواصل الاجتماعي على الهوية الاجتماعية للمراهقين.

الجانب النظري للبحث

اولاً: مفاهيم البحث

1- الادمان الرقمي

يعرف الامان لغة يُعرف الإدمان الرقمي أو إدمان وسائل التواصل الاجتماعي بأنه نمط سلوكي قهري يتميز بالاستخدام المفرط وغير المنضبط للإنترنت وتطبيقات التواصل، مما يؤدي إلى ضائقة نفسية واجتماعية وإهمال للواجبات الحياتية [23]

2- منصات التواصل الاجتماعي : ظهرت وسائل التواصل الاجتماعي كمنصة واسعة الانتشار للتفاعل الاجتماعي، حيث توفر للمستخدمين فرصًا متنوعة للتفاعل مع الآخرين والحصول على فوائد اجتماعية وعلاقاتية يشير التفاعل على وسائل التواصل الاجتماعي إلى الأشكال المختلفة للتفاعل بين المستخدمين على وسائل التواصل الاجتماعي، مثل النشر والتعليق والإعجاب والمشاركة والمراسلة ولم يقتصر استخدمها على فئة دون اخرى [24]

3- الهوية الاجتماعية : تُعرف الهوية الاجتماعية بأنها جزء من مفهوم الذات للفرد تنبع من إدراكه لانتمائه إلى جماعة اجتماعية معينة إلى جانب القيمة والأهمية العاطفية والنفسية والاجتماعية المرتبطة بهذا الانتماء[25]

4- المراهقون : هم الفئة الذين يمرون بمرحلة المراهقة، وهي المرحلة العمرية الانتقالية بين الطفولة والرشد، وتتراوح بين 12 إلى 18 سنة وتتميز هذه المرحلة بحدوث تغيرات جسدية ونفسية وعقلية واجتماعية سريعة تؤثر في

[23] - Andreassen, C. S. (2015). Online Social Network Site Addiction: A Comprehensive Review. Current Addiction Reports, 2(2), 84–175.

[24] - Hatamleh, Islam Habis Mohammad, Amjad Omar Safori, Mohammed Habes, Othman Tahat, Amer Khaled Ahmad, Rania Abdel-Qader Abdallah, and Rahima Aissani. 2023. Trust in Social Media: Enhancing Social Relationships.Social Sciences 12(7): 416, https://doi.org/10.3390/socsci12070416

[25] - Tajfel, H., & Turner, J. C. (1979). An Integrative Theory of Intergroup Conflict. British Journal of Social Psychology, 18(2), 183-197.

سلوك الفرد وتفكيره وتفاعله مع الآخرين، مما يجعل المراهق أكثر عرضة للتأثر بالبيئة المحيطة ووسائل الإعلام ومنصات التواصل الاجتماعي[26]

5- الهوية الافتراضية : هي عكس الهوية الحقيقية وهي التي يعيش بها الفرد في العالم الافتراضي عن طريق تصفح لواقع التواصل الاجتماعي أو غيرها أشكال الإعلام الجديد، فيعبر ويتفاعل بطريقة قد تخفي هويته و ثقافته و عاداته و سلوكياته الاجتماعية الحقيقية[27]

ثانياً:النظرية المفسرة لاستخدام منصات التواصل الاجتماعي (نظرية الغرس الثقافي)

تنطلق النظرية من ان التكنولوجيا الحديثة اثرت بشكل او بأخر على تفاعلنا وثقافتنا بالإضافة او بالحذف ونقل الثقافات الغربية الى الثقافة العربية ،وقد ظهرت هذه النظرية في أمريكا خلال عقد السبعينات كمنظور جديد لدراسة أثر وسائل الإعلام، وتأكد هذه النظرية أن مداومة التعرض لوسائل التواصل الاجتماعي ولفترات طويلة ومنتظمة تنمي لدى المشاهد اعتقاداً بأن العالم الذي يراه على الشاشات الالكترونية ان هو إلا صورة من العالم الواقعي الذي يحياه وهذه النظرية مرتبطة بالجهود التي طورها الباحث الأمريكي جورج جوينر[28]

ثالثاً: تأثير منصات التواصل الاجتماعي على الهوية الاجتماعية للمراهقين

لقد أحدث استخدام منصات التواصل الاجتماعي،المتمثلة بالفيسبوك وغيرها من المنصات ، تغييرًا كبيرًا في تشكيل الهوية الذاتية فقد أدى الى تشكيل هوية جديدة للأفراد تختلف عن الضغوط الاجتماعية، سواء كانت مكملة لهويتهم الحقيقية أو بديلاً عنها يسمح للمستخدمين بالتحكم في معلوماتهم الشخصية، سواء من خلال إظهارها كما هي أو

[26] -سجاد موسى عمران ،الاثار النفسية والاجتماعية لوسائل التواصل الاجتماعي على السلوك العدواني لدى المراهقين في المجتمع العراقي ،مجلة الشرق الأوسط للعلوم التربوية والنفسية ،مج6،ع2026،2.

[27] - صبرينة ايت عبد الله،الهوية الحقيقية والهوية الافتراضية في ظل الاعلام الجديد ،مجلة علوم الانسان والمجتمع ،مج13،ع2024،2،ص312.

[28] - ياس خضير البياتي ،الاعلام الجديد الدولة الافتراضية الجديدة ،دار البداية ،عمان ،2013 .ص354.

إخفائها أو تزويرها، بما يتناسب مع احتياجاتهم ورغباتهم تُظهر نتائج هذه الدراسة أهمية دور مواقع التواصل الاجتماعي في تشكيل الهوية الافتراضية ، وتُعتبر هذه الدراسة نقطة انطلاق لدراسات مستقبلية تفتح آفاقًا جديدة في مجالات ذات صلة[29].تتمثل هذه الظاهرة في عدة نقاط :

1- الإدمان وتشتت الهوية

يُعد تشتت الهوية من أخطر المستويات التي يمكن أن يصل إليها المراهق المدمن على منصات التواصل الاجتماعي ففي هذه الحالة، يفتقر المراهق إلى كل من الاستكشاف والالتزام، مما يعني عدم وجود اتجاه واضح في حياته أو مجموعة مستقرة من القيم والمعتقدات [30]. تسهم منصات التواصل الاجتماعي في هذا التشتت من خلال:

أ- الاستخدام المفرط للمعلومات: يواجه المراهق سيلاً من المعلومات والآراء وأنماط الحياة المختلفة، مما يصعب عليه تكوين رؤية متماسكة لذاته.

ب- الضغط الاجتماعي الافتراضي: الرغبة في الحصول على الإعجابات والتعليقات قد يدفع المراهق لتغيير شخصيته وسلوكياته باستمرار لتتناسب مع توقعات الجمهور الافتراضي، بدلاً من بناء ذات أصيلة.

ت- الهروب من الواقع: تسهم الضغوط الاجتماعية الواقعية في جعل استخدام المنصات كوسيلة للهروب من التحديات الواقعية التي تتطلب اتخاذ قرارات بشأن الهوية مما يصعب عملية التكوين الذاتي

2- الإدمان وتأجيل الهوية

[29] - سعيد فاروق ،دليلة بن عون ،الهوية الافتراضية لدى الشباب الجزائري في شبكات التواصل الاجتماعي من منظور الدراسات الجامعية ،مجلة انثربولوجيا ،مج9 ع1، 2023.

[30] - Elsayed, W. (2021). The negative effects of social media on the social identity of adolescents from the perspective of social work. Heliyon, 7(2), e06327

على الرغم من أن تأجيل الهوية يعتبر مرحلة طبيعية في عملية التكوين الشخصي إلا أن الإدمان على منصات التواصل الاجتماعي قد يطيل هذه المرحلة بشكل غير صحي فالمراهقون في هذه الحالة يستكشفون خيارات متعددة دون الالتزام بأي منها [31]. يمكن أن تسهم المنصات في ذلك من خلال:

أ- تعدد الخيارات امام المراهق : تقدم المنصات عدداً لا يحصى من النماذج والأدوار التي يمكن للمراهق تجربتها افتراضياً وهذ يجعله متردداً او متشتت في اختيار مسار واحد.

ب- الخوف من فقدان الفرص :قد يخشى المراهق الالتزام بهوية معينة خوفاً من فقدان الفرص الأخرى أو من عدم قبولها من قبل أقرانه الافتراضيين.

ت- التشتت: المحتوى المتجدد باستمرار على المنصات يشتت انتباه المراهق ويقلل من تركيزه على عملية الاستكشاف العميق التي تؤدي إلى الالتزام.

3- الإدمان وانغلاق الهوية

في حالة انغلاق الهوية :يتبنى المراهقون هويات وقيم الآخرين دون استكشاف حقيقي يمكن أن تعزز منصات التواصل الاجتماعي هذا الانغلاق من خلال:

أ- تأثير المؤثرين: يتبنى المراهقون قيم وسلوكيات المؤثرين والشخصيات المشهورة على المنصات دون تفكير نقدي، مما يشكل هويتهم بناءً على نماذج خارجية.

ب- الضغط الأسري والاجتماعي الافتراضي: قد يتبنى المراهقون هويات تتوافق مع توقعات أسرهم أو مجتمعاتهم الافتراضية للحصول على القبول والتقديرمن محيطهم الاجتماعي ، بدلاً من بناء هويتهم الذاتية.

[31] - سمير وبراردي، نعيمة مباركية ، الهوية الافتراضية لدى المراهقين عبر شبكات التواصل الاجتماعي دراسة ميدانية على عينة من المراهقين المتمدرسين في الطور الثانوي. مجلة الرسالة للدراسات الإعلامية، 6(2), 2022 ، ص333-350

ت- سهولة الوصول للمعلومات الجاهزة: توفر المنصات إجابات جاهزة للعديد من الأسئلة الوجودية، مما يقلل من حاجة المراهق للاستكشاف الذاتي[32].

4- الإدمان الرقمي وتحقيق الهوية

على الرغم من أن تحقيق الهوية هو الهدف المنشود، إلا أن الإدمان على منصات التواصل الاجتماعي يمكن أن يعيق الوصول إليه. فالمراهق الذي يصل إلى هذه المرحلة يكون قد استكشف خياراته والتزم بها بوعي[33]. ومع ذلك، فإن الاستخدام المفرط قد يؤدي إلى:

أ- انعدام الالتزام: قد يؤدي الانغماس المستمر في العالم الافتراضي إلى ضعف الالتزامات التي تم بناؤها في العالم الحقيقي، سواء كانت أكاديمية أو مهنية أو اجتماعية.

ب- إعادة تقييم مستمرة: قد تدفع المنصات المراهق لإعادة تقييم هويته المكتملة باستمرار بناءً على مقارنات غير واقعية مع الآخرين، مما يزعزع استقراره الذاتي.

رابعاً:الاثارالاجتماعية والنفسية الناتجة عن ادمان المراهقين لمنصات التواصل الاجتماعي

1- الاثار الاجتماعية : ادت التقنيات الحديثة المتمثلة بمواقع التواصل الاجتماعي تأثيرات سلبية عديدة في مجالاتعدية من حياتنا لاسيما علاقاتنا الاجتماعية، إذ تقلل متانة العلاقات بين البشر وتساعد على الغزو الثقافي وتتسبب كثرة استخدامها في مشكلات اجتماعية وأخلاقية وصحية، وتؤدي إلى العزلة الاجتماعية وضعف علاقات الشباب بعائلاتهم، وتذمرهم من زيارات الأقارب ومن مظاهر تلك التأثيرات السلبية على الصعيد

[32] - Tullett-Prado, D., et al. (2023). Social Media Use and Abuse: Different Profiles of Users and Their Associations with Addictive Behaviours. Addictive Behaviors Reports, 17, 100479
[33] - Avci, H. (2024). A Systematic Review of Social Media Use and Adolescent Identity Development. PMC, 12084248.

الاجتماعي أن التواصل العائلي فقد كثيراً من جوانبه الإنسانية، واستبدلت الزيارات العائلية في المناسبات والأعياد برسالة نصية من الهاتف الجوال.

من خلال ذلك يُعرف مفهوم التأثيرات الاجتماعية بأنها تلك التأثيرات التي تعرضت لها البنية الاجتماعية بكل ما تتضمنه من عناصر ومكونات تتمثل في أنساق العلاقات الاجتماعية والقرابية والأسرية وكذلك الضوابط الاجتماعية، هذا إضافة إلى التأثير على المكانات الاجتماعية والأدوار والهويات وأنماط السلوك المختلفة سواء على مستوى الأسرة، أم على المستويين القرابي والمجتمعي بصورة عامة[34].

2- الاثار النفسية :

أ- المقارنات الاجتماعية السلبية: يتعرض المراهقون باستمرار لمظاهر "الحياة المثالية" لأقرانهم عبر الإنترنت، مما يدفعهم للمقارنة بشكل غير واقعي ويشعرون بالنقص.

ب- التعرض للتنمر الإلكتروني: قد يصبح المراهقون ضحايا للتنمر والتعليقات السلبية، مما يؤثر بشكل مباشر على ثقتهم بأنفسهم وإحساسهم بالأمان مما ينعكس على حالتهم النفسية فيشعرون بالقلق والاكتئاب .

ت- الحاجة إلى التحقق الخارجي: يميل المراهقون المدمنون على وسائل التواصل الاجتماعي إلى الاعتماد بشكل كبير على عدد الإعجابات والتعليقات لتقييم قيمتهم الذاتية، مما يجعل شعورهم بالأمان هشاً ومرتبطاً بآراء الآخرين[35]. حولت وسائل التواصل الاجتماعي طريقة تفكيرنا فالأفراد بالمواقع الافتراضية يشاركون

[34] -موزة عيسى سلمان الدوي ، التأثيرات الاجتماعية لاستخدام مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقات الاسرية ،مجلة بحوث الشرق الأوسط ،ع41،2017.ص235.

[35] - حسين ناصر ،ادمان وسائل التواصل الاجتماعي الآثار النفسية والسلوكية على الافراد والحلول المقترحة ،مجلة أوراق ثقافية ،ع 39 ،2025 ، https://aif-doi.org/awraq/013910

صورًا ويتلقون العديد من التعليقات وكأن الأمر عادي، بينما في الحقيقة قد يشعر الشخص بحالة نفسية أفضل إذا حصل على كلمات ايجابية من عدد أقل.

ثالثاً: تكوين الهوية الافتراضية

تشرف الذات الافتراضية بصورة إرادية على تنشئة نفسها من خلال التنقل عبر المنصات الرقمية التي تكون مجالا لعرض وتبادل قيم ومعان ودلالات متنوعة نتاج انساق ثقافية متباينة الأمر الذي يجعل الهوية الافتراضية عرضة لرهانات زمانية ومكانية وعمليات تفاوض آنية قد تدعم مدلولاتها الأصلية أو تفوضها أو أن تعطيها دلالات مغايرة بحسب قدرة الذات على دعم الأطر والعناصر الأساسية المشكلة لهويته المحلية وقدرته على الانفلات من آليات الهيمنة التي يكون عرضة لها في الفضاء الافتراضي، خاصة إذا اتخذت عملية التفاعل الطابع الانفعالي الفوري الذي قد يلعب فيه العقل التأملي النقدي لصالح العقل الفوري. الأمر الذي يدعونا إلى توجيه الانتباه إلى أهمية حضور البعد القيمي والرؤية الحضارية الأصيلة لتحقيق التواصل الهادف التي تنعكس على الممارسة الواقعية [36]. تمثل الهوية الافتراضية للمراهقين المدمنين على منصات التواصل الاجتماعي ملاذاً للهروب من ضغوط الواقع وتحدياته يمكن أن تتجلى هذه الظاهرة في ان المراهقون يسعون إلى تقديم نسخة مثالية ومعدلة من ذواتهم على المنصات تتوافق مع المعايير الجمالية والاجتماعية السائدة مما يخلق فجوة بين الذات الحقيقية والذات الافتراضية، كما توفر البيئة الافتراضية فرصة للمراهقين لإخفاء جوانب من شخصيتهم لا يرغبون في إظهارها، أو لتبني شخصيات مختلفة تماماً، يعتمد المراهقون بشكل كبير على التفاعل الرقمي الإعجابات، التعليقات) كمصدر للقبول والتقدير، مما يعزز لديهم الحاجة المستمرة للتواجد الافتراضي وهذا يؤدي الى ضعف المهارات الاجتماعية الواقعية حيث يؤدي الانغماس في التفاعلات الافتراضية إلى

[36] -سلامي اسعيداني ،أسماء لقيقط ،تشكيل الهوية الافتراضية في ظل تنوع السياقات الثقافية عبر مواقع التواصل الاجتماعي ، مجلة التمكين الاجتماعي ،مج3،ع1،2021 .

ضعف في تطوير المهارات الاجتماعية اللازمة للتفاعل الفعال في العالم الحقيقي، مما يزيد من شعورهم بالعزلة والاغتراب[37]

الجانب الميداني للبحث

اولاً: منهج البحث: يعتمد البحث الحالي على المنهج الوصفي باعتباره المنهج المناسب لوصف ظاهرة ادمان منصات التواصل الاجتماعي وتأثيرها على الهوية الاجتماعية للمراهقين وقد تم جمع البيانات بالاعتماد على المسح الاجتماعي بالعينة.

ثانياً:عينة البحث :اختارت الباحثة عينة عشوائية من المدارس حي السياحي في محافظة بابل ومن كلا الجنسين ،وقد تم اختيار عينة مكونة من (150) طالب وطالبة على اعتبار ان العينة المختارة تكون ممثلة لمجتمع البحث ،وقد تم جمع البيانات ميدانياً بواسطة استمارة استبيان وقد قُسمت بيانات الاستمارة الى بيانات خاصة بالمبحوثين وبيانات خاصة بموضوع البحث .

ثالثاً: فرضيات البحث : تعني الفرضية تخمين يضعه الباحث وهوقابل للصح او الخطأ ،وهي علاقة بين متغيرين احدهما مستقل والآخر تابع ،وفي ضوء ذلك تضع الباحثة عدة فرضيات منها :

أ- يوجد تأثير سلبي لمنصات التواصل الاجتماعي على الهوية الاجتماعية للمراهقين .

[37]- Keles, B., McCrae, N., & Grealish, A. (2019). A Systematic Review: The Influence of Social Media on Depression, Anxiety and Psychological Distress in Adolescents. International Journal of Adolescence and Youth, 25(1), 79-93.

ب- يؤثر

ادمان منصات التواصل الاجتماعي على الحالة الاجتماعية والنفسية للمراهقين .

ت- يوجد تأثير سلبي لإدمان

وسائل التواصل الاجتماعي على المستوى الاكاديمي للمراهقين .

رابعاً:مجالات البحث

أ- المجال البشري :ويتمثل في فئة المراهقين في مراحل المتوسطة والاعدادية من مدارس حي السياحي بمحافظة بابل باعتبارهم الفئة العمرية الاكثر تأثراً بمنصات التواصل الاجتماعي .

ب- المجال المكاني : وهو البيئة

التي جرى جمع البيانات منها والتي تتمثل في جزء من مدارس حي السياحي في محافظة بابل .

ت- المجال الزماني :وهي الفترة

الزمنية التي جرى فيها جمع البيانات خلال العام الدراسي 2026 .

خامساً:تحليل البيانات الديموغرافية للعينة

جدول (1) يوضح العينة حسب الجنس

الفئة	التكرار	النسبة المئوية
ذكر	82	%54.7
أنثى	68	%45.3

المجموع	150	100%

تبين من الجدول رقم (1) ان إجمالي أفراد عينة الدراسة بلغ 150 مفردة حيث بلغ عدد الذكور 82 مفردة بنسبة 54.7%، في حين بلغ عدد الإناث 68 مفردة بنسبة 45.3%.

وتشير هذه النتائج إلى أن الذكور يمثلون النسبة الأكبر من أفراد العينة مقارنة بالإناث، إلا أن الفارق بينهما ليس كبيرًا قد بلغ الفرق 9.4 نقاط مئوية فقط وهذا يدل على وجود قدر جيد من التوازن النسبي بين الجنسين في استخدام منصات التواصل الاجتماعي بما يتيح الحصول على آراء واتجاهات ممثلة لكلا الجنسين بصورة مناسبة.

جدول رقم (2)توزيع العينة حسب الفئة العمرية

الفئة	التكرار	النسبة المئوية
من 12 إلى 14 سنة	45	%30.
من 15 إلى 17 سنة	68	%45.3
من 18 إلى 19 سنة	37	%24.7
المجموع	150	100%

يتبين من الجدول رق(2) أن أفراد العينة البالغ عددهم 150 مفردة توزعوا على ثلاث فئات عمرية.

وجاءت الفئة العمرية 15–17 سنة في المرتبة الأولى، بعدد 68 مفردة وبنسبة 45.3% من إجمالي العينة. تلتها الفئة العمرية 12–14 سنة، حيث بلغ عدد أفرادها 45 مفردة بنسبة 30% بينما جاءت الفئة العمرية 18 سنة فأكثر في المرتبة الأخيرة، بعدد 37 مفردة وبنسبة 24.7% ،وهذه البيانات تشر الى ان هذه الفئات العمرية اكثر تأثراً بمنصات التواصل الاجتماعي .

جدول (3) يوضح توزيع العينة حسب المستوى الدراسي

الفئة	التكرار	النسبة المئوية(%)
المرحلة المتوسطة (الاعدادية)	74	49.3
المرحلة الثانوية	76	50.7
المجموع	150	100%

تبين من بيانات جدول رقم (3)ان العينة توزعت على مستويين دراسيين؛ حيث بلغ عدد أفراد المرحلة المتوسطة 74 مفردة بنسبة 49.3%، بينما بلغ عدد أفراد المرحلة الثانوية 76 مفردة بنسبة 50.7%.

وتشير هذه النتائج إلى وجود تقارب واضح جدًا بين المرحلتين الدراسيتين، مع ارتفاع طفيف في نسبة أفراد المرحلة الثانوية. ومن المنظور الاجتماعي، يعكس ذلك تمثيلًا متوازنًا نسبيًا للطلاب في المراحل الدراسية المختلفة، وهو أمر مهم عند دراسة تأثير البيئة الرقمية والتفاعل الاجتماعي؛ لأن الانتقال من المرحلة المتوسطة إلى الثانوية يرتبط عادةً باتساع دائرة العلاقات الاجتماعية وزيادة الاستقلالية في اتخاذ القرارات، فضلًا عن زيادة التفاعل مع الأصدقاء والمجتمعات الرقمية.

جدول (4) يوضح عدد ساعات الاستخدام اليومي لمنصات التواصل الاجتماعي

الفئة	التكرار	النسبة المئوية(%)
أقل من ساعتين يومياً	15	%10
من ساعتين إلى 4 ساعات يومياً	45	%30
من 4 إلى 6 ساعات يومياً	56	%37.3
أكثر من 6 ساعات يومياً	34	%22.7
المجموع	150	100%

يتضح من جدول (4) أن استخدام الإنترنت يختلف بين أفراد العينة من حيث عدد الساعات اليومية، حيث تشير النتائج الى ان استخدام أقل من ساعتين: 15 مفردة بنسبة 10.% ومن ساعتين إلى 4 ساعات: 45 مفردة بنسبة 30.% ،ومن 4 إلى 8 ساعات: 58 مفردة بنسبة 38.7.% ،اما أكثر من 8 ساعات: 32 مفردة بنسبة 21.3.%

وتشير هذه النتائج إلى أن الفئة الأكبر من أفراد العينة هي التي تستخدم الإنترنت من 4 إلى 8 ساعات يوميًا، بنسبة 38.7%،

والتفسير الاجتماعي لهذه النتائج يدل عن ارتفاع مستوى الحضور الرقمي في الحياة اليومية لأفراد العينة، إذ إن 90% من أفراد العينة يستخدمون الإنترنت لمدة ساعتين فأكثر يوميًا، بينما يستخدمه 60% لمدة أربع ساعات فأكثر يوميًا ، اذ ان منصات التواصل الاجتماعي لم تعد مجرد وسيلة للترفيه وقضاء الاوقات وانما للتفاعل والتواصل الاجتماعي وتشكيل العلاقات الرقمية .

جدول (5)يوضح المنصة الاكثر استخداماً

الفئة	التكرار	النسبة المئوية
تيك توك(TikTok)	52	%34.7
إنستغرام(Instagram)	30	%20
سناب شات(Snapchat)	23	%15.3
فيسبوك(Facebook)	45	%30
أخرى	0	0
المجموع		100%

تبين من الجدول رقم (5) أن منصة تيك توك (TikTok) جاءت في المرتبة الأولى من حيث الاستخدام بين المراهقين إذ بلغ عدد مستخدميها 52 فردًا بنسبة 34.7% من إجمالي العينة البالغ عددها 150 فردًا ويشير ذلك إلى المكانة البارزة التي تحتلها المنصة في حياة أفراد العينة، خاصة في مجال التفاعل الاجتماعي ومتابعة المحتوى الرقمي ،وجاءت منصة فيسبوك (Facebook) في المرتبة الثانية، حيث بلغ عدد مستخدميها 45 فردًا بنسبة 30%، وهي نسبة مرتفعة نسبيًا، مما يدل على استمرار حضورها كوسيلة للتواصل الاجتماعي لدى أفراد العينة، أما منصة إنستغرام (Instagram) فجاءت في المرتبة الثالثة، بعدد 30 فردًا وبنسبة 20%، بينما جاءت منصة سناب شات (Snapchat) في المرتبة الرابعة، بعدد 23 فردًا وبنسبة 15.3%. في حين لم تسجل فئة المنصات الأخرى أي استخدام، حيث بلغت 0.%

تدل هذه النتائج عن تنوع واضح في المنصات الرقمية التي يعتمد عليها أفراد العينة في تواصلهم الاجتماعي، مع الاعتماد الاكثر على تيك توك وفيسبوك ،ويمكن تفسير ذلك بأن منصات التواصل الاجتماعي أصبحت تمثل مساحة مهمة للتفاعل وتبادل الآراء والأفكار وبناء العلاقات الاجتماعية، اضافة الى كونها وسيلة للترفيه ومتابعة الأحداث والمحتوى المتداول.

كما أن تيك توك جاء بالمرتبة الاولى بنسبة 34.7% قد يشير إلى ميل أفراد العينة نحو المنصات التي تعتمد على مقاطع الفيديوالقصيرة والتفاعل السريع وهو ما قد يؤثر في طبيعة العلاقات والتفاعلات الاجتماعية ويزيد من حضور الثقافة الرقمية في الحياة اليومية.

نستنتج مما سبق أن وسائل التواصل الاجتماعي أصبحت جزءًا أساسيًا من البيئة الاجتماعية للمبحوثين وأن اختلاف المنصات المستخدمة يعكس تنوع أنماط التفاعل الاجتماعي الرقمي، الأمر الذي يمكن أن ينعكس على العلاقات الواقعية، والانتماء إلى الجماعات الافتراضية، وتشكيل الهوية الرقمية.

سادساً: تحليل البيانات المرتبطة بموضوع البحث

جدول (6) يوضح تقدير المراهقين لذاتهم على الصورة الذهنية الرقمية

ت	السؤال	البدائل	التكرار	النسبة المئوية	الوسط الحسابي	الدرجة
1	أهتم بشكل كبير بكيفية رؤية الآخرين وتقييمهم لي عبر حسابي الافتراضي .	اتفق بشدة	40	%26.67	3.82	2
		اتفق	65	%43.33		

		محايد	28	%18.67		
		لااتفق	12	%8.00		
		لااتفق بشدة	5	%3.33		
2	أشعر أن شخصيتي الافتراضية على الإنترنت تختلف عن شخصيتي الواقعية	اتفق بشدة	25	%16.67	3.27	4
		اتفق	45	%30.0		
		محايد	40	%26.67		
		لااتفق	25	%16.67		
		لااتفق بشدة	15	%10.0		
3	أحرص على اختيار الصور وتعديل المنشورات بعناية فائقة حتى اظهر بمظهر مثالي أمام المتابعين.	اتفق بشدة	64	%42.67	4.13	1
		اتفق	55	%36.67		
		محايد	20	%13.33		
		لااتفق	8	%5.33		
		لااتفق	3	%2.0		

		بشدة				
4	يمثل عدد الإعجابات (Likes)والتعليقات الإيجابية معياراً أساسياً لتقدير لذات والثقة بالنفس.	اتفق بشدة	40	%26.67	3.63	3
		اتفق	50	%33.33		
		محايد	35	%23.33		
		لااتفق	15	%10.0		
		لااتفق بشدة	10	%6.67		

يتضح من نتائج الجدول(6) أن المجتمع الرقمي أصبح مؤثرًا في العلاقات الاجتماعية واتجاهات أفراد العينة، ولا يقتصر دوره على الترفيه والتواصل فقط، بل يمتد إلى تشكيل الشعور بالانتماء، والمقارنة الاجتماعية، والتأثر بسلوك الجماعة الافتراضية ،وتبرز بصورة خاصة العبارة الثالثة باعتبارها من أكثر العبارات دلالة اجتماعية، نظرًا لارتفاع نسبة الموافقة عليها، مما يشير إلى أن الرغبة في الحصول على القبول الاجتماعي داخل البيئة الرقمية قد تؤثر في أفكار وسلوكيات المراهقين .

ومما سبق نستنتج إن النتائج تدعم فكرة أن وسائل التواصل الاجتماعي أصبحت فضاءً اجتماعيًا موازيًا للواقع له معاييره وضغوطه وآليات القبول والرفض الخاصة به، وقد يمتد تأثيره إلى الهوية الواقعية والعلاقات الاجتماعية خارج الإنترنت.

جدول (7) يوضح الانتماء الرقمي والمقارنات الاجتماعية

ت	العبارة	البدائل	التكرار	النسبة المؤية	الوسط الحسابي	الدرجة
1	أشعر بالانتماء الحقيقي والاندماج في المجموعات الافتراضية أكثر من جماعات الواقع المحيطة بي.	أتفق بشدة	58	38.67	4.1	1
		أتفق	47	31.33		
		محايد	27	18		
		لا أتفق	12	8		
		لا أتفق بشدة	6	4		
2	أقارن باستمرار تفاصيل حياتي الشخصية والمظهرية بحياة المؤثرين والآخرين على منصات التواصل.	أتفق بشدة	52	34.67	3.87	4
		أتفق	51	34		
		محايد	28	18.67		
		لا أتفق	13	8.67		
		لا أتفق بشدة	6	4		
3	أشعر بضغط نفسي واجتماعي لتبني أفكار أو سلوكيات معينة فقط لأكون	أتفق بشدة	55	36.67	3.89	3
		أتفق	48	32		

ت	العبارة	البدائل	التكرار	النسبة المؤية	الوسط الحسابي	الدرجة
	مقبولاً في مجتمعي الرقمي.	محايد	29	19.3		
		لا أتفق	12	8.00		
		لااتفق بشدة	6	4.00		
4	يروادني شعور دائم بالقلق والخوف من تفويت الأحداث أو ما ينشره الأصدقاء	أتفق بشدة	50	33.33	3.93	2
		أتفق	48	32.00		
		محايد	28	18.67		
		لا أتفق	16	10.67		
		لا أتفق بشدة	8	5.33		

ان نتائج الجدول (7) تُفسر اجتماعياً إلى أن البيئة الرقمية أصبحت مجالاً مهماً في تشكيل شعور الأفراد بالانتماء والتفاعل مع الآخرين كما أن المقارنات الاجتماعية التي تتم عبر المنصات الرقمية قد تؤثر في تقييم الفرد وتصوره لذاته ومكانته الاجتماعية مقارنة بالآخرين.

وارتفاع المتوسطات الحسابية يدل على أن أفراد العينة يدركون بصورة واضحة العلاقة بين الاستخدام الرقمي والشعور بالانتماء الاجتماعي اضافة الى تأثير ما يعرضه الآخرون في البيئة الرقمية على عملية المقارنة الاجتماعية.

كما أن وسائل التواصل الاجتماعي تتيح للفرد متابعة أنماط حياة الآخرين ومظاهر نجاحهم وعلاقاتهم بصورة مستمرة الأمر الذي قد يدفعه إلى مقارنة وضعه الاجتماعي والشخصي بالآخرين وفي الوقت نفسه قد تمنحه البيئة الرقمية شعوراً بالتواصل والمشاركة والانتماء إلى جماعات ومجتمعات رقمية.

جدو(8) التفاعل الرقمي وانعكاساته على الهوية الواقعية

ت	العبارة	البدائل	التكرار	النسبة المؤية	الوسط الحسابي	الدرجة
1	أجد سهولة بالغة في التعبير عن أفكاري ومشاعري عبر الإنترنت مقارنة بالمواجهة المباشرة.	أتفق بشدة	65	43.33	4.03	1
		أتفق	45	30.00		
		محايد	25	16.67		
		لا أتفق	10	6.67		
		لا أتفق بشدة	5	3.33		
2	أدى انشغالي الرقمي المتكرر إلى تدني	أتفق	60	40.00	3.97	2

ت	العبارة	البدائل	التكرار	النسبة المؤية	الوسط الحسابي	الدرجة
	التواصل الواقعي مع أسرتي وأصدقائي المقربين	بشدة				
		أتفق	48	32.00		
		محايد	23	15.33		
		لا أتفق	14	9.33		
		لا أتفق بشدة	5	3.33		
3	أشعر أن القيم السائدة في المجتمعات الافتراضية توجه قراراتي وخياراتي الواقعية.	أتفق بشدة	55	36.67	3.92	3
		أتفق	50	33.33		
		محايد	28	18.67		
		لا أتفق	12	8.00		
		لا أتفق بشدة	5	3.33		
4	أصبحت أعتبر هويتي الرقمية والنشاط الافتراضي جزءاً جوهرياً لا يتجزأ من كياني	أتفق بشدة	50	%33.33	3.85	4

ت	العبارة	البدائل	التكرار	النسبة المؤية	الوسط الحسابي	الدرجة
	وهويتي الشخصية.	أتفق	52	%34.67		
		محايد	30	%20.00		
		لا أتفق	12	%8.00		
		لا أتفق بشدة	6	%4.00		

سسيولوجياً تُشير هذه النتائج إلى أن أفراد العينة يتفقون بدرجة مرتفعة مع معظم المؤشرات التي يتضمنها الجدول مما يفسر وجود إدراك اجتماعي واضح لدى المبحوثين تجاه موضوح الاستخدم المفرط لمنصات اللتواصل الاجتماعي لدى المراهقين وتأثيراته على الهوية الاجتماعية .

وفي المقابل، فإن انخفاض متوسط العبارة الرابعة يشير إلى أن هذا الجانب أقل حضوراً أو تأثيراً في الواقع الاجتماعي للمبحوثين مقارنة بالجوانب الأخرى وقد يرجع السبب إلى اختلاف الظروف الاجتماعية أو الخبرات الشخصية لأفراد العينة.

الخاتمة

لقد أظهرت هذه الدراسة أن إدمان منصات التواصل الاجتماعي يمثل تحدياً حقيقياً للهوية الاجتماعية للمراهقين، حيث يؤثر على قدرتهم على الاستكشاف والالتزام، ويدفعهم نحو تبني هويات افتراضية قد تتعارض

مع ذواتهم الحقيقية. إن فهم هذه الظاهرة المعقدة يتطلب مقاربة شاملة تأخذ في الاعتبار الأبعاد النفسية والاجتماعية والثقافية.

المقترحات

1- تطوير برامج تعليمية في المدارس والجامعات لتحذيرالمراهقين وتعليمهم كيفية الاستخدام الآمن والمسؤول لمنصات التواصل الاجتماعي، وتنمية مهارات التفكير النقدي لديهم تجاه المحتوى الرقمي.

2- توعية الآباء بأهمية الرقابة الوالدية الواعية والحوار المفتوح مع الأبناء حول مخاطر الاستخدام المفرط، وتشجيع الأنشطة الأسرية المشتركة التي تقلل من الاعتماد على الشاشات.

3- توفير فرص للمراهقين للمشاركة في الأنشطة الاجتماعية والرياضية والفنية والثقافية في العالم الحقيقي لتعزيز مهاراتهم الاجتماعية وبناء علاقات حقيقية.

4- توفير الدعم النفسي والعلاجي للمراهقين الذين يعانون من إدمان حقيقي على منصات التواصل الاجتماعي من خلال الأخصائيين النفسيين والاجتماعيين.

5- وضع سياسات واضحة للمدارس والمؤسسات التعليمية بشأن استخدام الهواتف الذكية ومنصات التواصل الاجتماعي خلال اليوم الدراسي.

التوصيات

1- إجراء المزيد من الدراسات التجريبية والميدانية لتقييم فعالية برامج التدخل الوقائي والعلاجي.

2- تطوير مقاييس عربية موحدة لإدمان منصات التواصل الاجتماعي والهوية الافتراضية تتناسب مع السياق الثقافي العربي عامة والعراق خاصة .

3- تعزيز التعاون بين المؤسسات التعليمية والأسر ومقدمي خدمات الصحة النفسية لتقديم دعم متكامل للمراهقين.

4- الاستخدام الواعي والموازنة بين العالم الافتراضي والواقع ووضع سياسية اسرية تنظم استخدام منصات التواصل الاجتماعي .

المصادر

1- سجاد موسى عمران ،الاثار النفسية والاجتماعية لوسائل التواصل الاجتماعي على السلوك العدواني لدى المراهقين في المجتمع العراقي ،مجلة الشرق الأوسط للعلوم التربوية والنفسية ،مج6، ع2026،2.

2- سعيد فاروق ،دليلة بن عون ،الهوية الافتراضية لدى الشباب الجزائري في شبكات التواصل الاجتماعي من منظور الدراسات الجامعية ،مجلة انثربولوجيا ،مج9 ع1، 2023.

3- سمير وبراردي، نعيمة مباركية ، الهوية الافتراضية لدى المراهقين عبر شبكات التواصل الاجتماعي دراسة ميدانية على عينة من المراهقين المتمدرسين في الطور الثانوي. مجلة الرسالة للدراسات الإعلامية، 6(2), 2022 .

4- حسين ناصر ،ادمان وسائل التواصل الاجتماعي الآثار النفسية والسلوكية على الافراد والحلول المقترحة ،مجلة أوراق ثقافية ، ع 39 ،2025 ، https://aif-doi.org/awraq/013910

5- سلامي اسعيداني ،أسماء لقيقط ،تشكيل الهوية الافتراضية في ظل تنوع السياقات الثقافية عبر مواقع التواصل الاجتماعي ، مجلة التمكين الاجتماعي ،مج3، ع2021،1 .

6- صبرينة ايت عبد الله،الهوية الحقيقية والهوية الافتراضية في ظل الاعلام الجديد ،مجلة علوم الانسان والمجتمع ،مج13، ع2024،2.

7- ياس خضير البياتي ،الاعلام الجديد الدولة الافتراضية الجديدة ،دار البداية ،عمان ،2013 .

8- موزة عيسى سلمان الدوي ، التأثيرات الاجتماعية لاستخدام مواقع التواصل الاجتماعي على العلاقات الاسرية ،مجلة بحوث الشرق الأوسط ، ع2017،41.

9- Andreassen, C. S. (2015). Online Social Network Site Addiction: A Comprehensive Review. Current Addiction Reports, 2(2), 84–175.

10- Hatamleh, Islam Habis Mohammad, Amjad Omar Safori, Mohammed Habes, Othman Tahat, Amer Khaled Ahmad, Rania Abdel-Qader Abdallah, and Rahima Aissani. 2023. Trust in Social Media: Enhancing Social Relationships.Social Sciences 12(7): 416, https://doi.org/10.3390/socsci12070416

11- Tajfel, H., & Turner, J. C. (1979). An Integrative Theory of Intergroup Conflict. British Journal of Social Psychology, 18(2), 183-197.

-12

Elsayed, W. (2021). The negative effects of social media on the social identity of adolescents from the perspective of social work. Heliyon, 7(2), e0632

-13 Tullett-Prado, D., et al. (2023). Social Media Use and Abuse: Different Profiles of Users and Their Associations with Addictive Behaviours. Addictive Behaviors Reports, 17, 100479

-14 Avci, H. (2024). A Systematic Review of Social Media Use and Adolescent Identity Development. PMC, 12084248.

-15 Keles, B., McCrae, N., & Grealish, A. (2019). A Systematic Review: The Influence of Social Media on Depression, Anxiety and Psychological Distress in Adolescents. International Journal of Adolescence and Youth, 25(1), 79-93

ثنائية المرئي واللامرئي في أداء الممثل المسرحي

الأستاذ الدكتور علي عبدالحسين الحمداني

كلية الفنون الجميلة – قسم الفنون المسرحية

Professor Dr Ali Abdul-Hussein Al-Hamdani

Email : abuanwar60@yahoo.com

خلاصة البحث باللغة العربية

شكلت الثنائيات مصطلحا علميا متداولا ، منذ بدء الخليقة الإنسانية ، الى يومنا هذا . اذ تنوعت تلك الثنائيات في طيعة الخلق التي ابدعها الله سبحانه وتعالى في ثنائيات ومتوالية مثل (الليل والنهار) والحياة والموت) و (والانس والجان) والسماء والأرض) وغيرها من الثنائيات التي جاءت في ما بعد في القران الكريم مثل (الذكر والانثى) و (الخير والشر) و (النور والظلام) .

كما وردت الثنائيات في الفلسفة والعلوم المختلفة ، بشكل متواتر أيضا ، ومن تلك الثنائيات الفكرية والفلسفية هي ثنائية المرئي واللامرئي ، التي دخلت الى ميدان الفن المسرحي , وخاصة في فن الممثل المسرحي . اذ يعد جسد الممثل هو الجانب المرئي ، في حين تمثل القدرات الحسية الجانب اللامرئي لذلك جاء هذا البحث في أربعة فصول على النحو الآتي :

الفصل الأول : الاطار المنهجي وفيه مشكلة البحث والحاجة اليه ، واهمية البحث وهدفه المتمثل في : تعرف المنطلقات الفكرية والفنية لثنائية المرئي واللامرئي ، في الأداء التمثيلي للممثل المسرحي .

اما الفصل الثاني وهو الاطار النظري والدراسات السابقة ، اذ جاء بمبحثين تمثل الأول تحت عنوان : المرجعيات الفكرية والفنية لثنائية المرئي واللامرئي . والثاني تحت عنوان : ثنائية المرئي واللامرئي في أداء الممثل المسرحي . وتبع المبحثين مؤشرات الاطار النظري ، التي اعدت بشكل فقرات تحليل للفصل الثالث وهو الفصل الاجرائي ، اذ تم فيه اختيار نموذج عينة البحث من مجتمع البحث وتحليلها

وقد جاء الفصل الرابع بالنتائج والاستنتاجات التي من أهمها :

1- لا يتم التعرف على عالم المُثل العليا اللامرئية ، الا من خلال الأداء التمثيلي المرئي ، الذي يتجسد عبر استحضار الممثل لقنوات التعبير الحسية بشكل تجسدي مرئي .

2- ان تفاعل الممثل الادائي المرئي مع الشخصية المسرحية ، أو مع الممثل الآخر ، أو مع الجمهور هو وجه لاشتغال ثنائية المرئي واللامرئي في الأداء التمثيلي ، وتجسديها عيانيا على خشبة المسرح بأفعال حركية .

واختتم البحث بقائمة المصادر والمراجع ، وخلاصة باللغة الانكليزية .

الكلمات المفتاحية : المرئي ، اللامرئي ، أداء الممثل المسرحي) .

Abstract

Duality has formed a scientific term in circulation, since the beginning of human creation, to the present day. Since those dualities varied in the obedience of creation that ALLAH Almighty created in

duality and successive such as (night and day) and life and death) and (and mankind and the jinn (and heaven and earth), and other dichotomies that came later in the Holy Qur'an, such as (male and female), (good and evil) and (light and darkness).

Dualities were also mentioned in philosophy and various sciences, also frequently, and among those intellectual and philosophical dualities is the duality of the visible and the invisible, which entered the field of theatrical art, especially in the art of the actor, as the actor's body is the visible side, while the sensory abilities represent the invisible side.

Therefore, this research came in four chapters as follows:

For the first chapter: the methodological framework, which includes the problem of research and the need for it, and the importance of research and its goal represented in: identifying the intellectual and artistic premises of the duality of the visible and the invisible, in the acting performance of the Iraqi theatrical actor.

The second chapter is the theoretical framework and previous studies. As it came up with two sections, the first section is under the

title: Intellectual and artistic references to the duality of the visible and the invisible. As for the second section, under the title: The duality of the visible and the invisible in the performance of the theatrical actor. The first and second sections followed the indicators of the theoretical framework, which were prepared in the form of paragraphs of analysis for the third chapter, which is the procedural chapter, in which the research sample was chosen from the research community and analyzed. The fourth chapter came with results and conclusions, the most important of which are:

1- The world of invisible ideals is recognized, except through the visual representational performance, which is embodied by the representative evoking the sensory channels of expression in a visual embodiment.

2- The interaction of the visual performer with the theatrical character, or with the other actor, or with the audience is a facet of the duality of the visible and the invisible in the acting performance, and embodies it visually on stage with kinetic actions.

3- The research concluded with a list of sources and references, and a summary in English.

Keywords : the visible, the invisible, the stage actor's performance.

الفصل الأول : الاطار المنهجي

أولا : مشكلة البحث والحاجة اليه

عُرفت المعطيات الفكرية والمعرفية للثنائيات ، منذ انبثاق فجر الحضارة الإنسانية ، وتطور المجتمع البشري بدءا من المحاولات الأولى للإنسان البدائي للحصول على تكيف مع الطبيعة المحيطة به ، كما انتشرت في العلوم الإنسانية الأخرى كالفلسفة وعلم النفس ، وعلم الفيزياء والكيمياء ، وعلوم أخرى . ومن تلك الثنائيات على سبيل الحصر والايجاز (الموت والحياة . الليل والنهار . الذكر والانثى . الخير والشر النور والظلام . الدنيا والآخرة . الأبيض والأسود . الجن والانس) .

تشكل مصطلح ثنائية المرئي واللامرئي ، في السياق الفكري والمعرفي ، لما سبقه من ثنائيات عديدة في الخلق والوجود . ولعل أبرز المفكرين الدارسين بشكل مباشر لثنائية المرئي واللامرئي ، يبرز أسم الفيلسوف الفرنسي (موريس ميرلو بونتي 1908 – 1961) الذي بذل جهده " محاولا التدليل على ان العقل هو الجانب الآخر للجسد . انه حقيقة الجانب الآخر ينتهي ويتركز فيه .... أما عندما يتصدى لشرح المرئي ، فانه يقصد به الادراك الذي يتحقق داخل الانسان . كما ان ما هو مرئي من العالم ليس في نظره مطلقا خلافا للتساؤل . اما اللامرئي فهو قوة المرئي لدرجة انه بين الصوت والمعنى ..... بل انه يعتقد ان ما يحسه الانسان في داخله هو اللامرئي أي ما ليس مرئيا الآن ، ولكن الذي يمكن ان يكونه أي أشياء مختبئة في مكان اخر هنا وهناك " (6 ،1987، 13) .

يقترب المفهوم الذي ذكره بونتي ، من المعطيات الفكرية ، التي تدرس ثنائية المرئي واللامرئي ، في الفنون عموما ، وفي الفن المسرحي بوجه خاص ، وعلى وجه التعيين في تخصص التمثيل المسرحي ، اذ ان من المتعارف عليه ، ان أهم عناصر الأداء لدى الممثل المسرحي ، هما الصوت والجسد ، فضلا عن القدرات الحسية . فالجسد يمثل صورة مرئية للممثل ، ومن خلال تفاعله وتكامله مع عناصر العرض المرئية كالديكور والازياء والاضاءة ، فانهم يشكلون احدى وجهي الثنائية ، وهي الصورة المرئية .

اما الثنائية الأخرى ، وهي مصطلح اللامرئي ، فيتمثل بالقدرات الحسية للممثل ، وهي لدى ستانسلافسكي (الخيال ، الانتباه والاصغاء ، الذاكرة العاطفية ، التكيف ، والتركيز) (7 ، 2013 ، 178) أي بمعنى ان هذه العناصر الفاعلة في اشتغال الأداء التمثيلي ، تشكل بمنطلقاتها العلمية والجمالية ، ما يمكن ان يجده الباحث يتسق مع مصطلح ثنائية المرئي واللامرئي ، اذ يقول ستانسلافسكي " أن الممثل يملك مقومات بداخله، فخبرته السابقة وخياله وطباعه وقوة ملاحظته كلها عدسات مقرّبة تُدني منه الشخصية وتجسّم ملامحها في زوايا مختلفة فيتعرف عليها " (12 ، 1987 ، 20) .

ومن خلال متابعة الباحث لبعض عروض المسرح العراقي ، والتركيز على الأداء التمثيلي ، كونه يمثل تخصص الباحث ، فقد وجدت ان هناك بعض الممثلين لا يعنون بالدراسة العلمية لثنائية المرئي واللامرئي ، ولا يستثمرون القدرات الحسية (اللامرئية) في تجسيدهم للشخصية المسرحية ، بصور ادائية (مرئية) ما قد يتسبب في بعض القصور في الأداء التمثيلي . وبناء على ذلك فقد وجدت الحاجة لهذا البحث العلمي وعلى وفق ذلك صاغت عنوان بحثها الموسوم (ثنائية المرئي واللامرئي في أداء الممثل المسرحي العراقي) .

ثانيا : أهمية البحث

تتجلى أهمية البحث في كونه يفيد :

- الممثل المسرحي ، من خلال التعرف بشكل علمي ، على اشتغال ثنائية المرئي واللامرئي في أدائه التمثيلي .
- افادة الباحثين والدارسين لفن المسرح ، ولفن الأداء التمثيلي بشكل خاص .

ثالثا : هدف البحث

يهدف البحث الى تعرف المنطلقات الفكرية والفنية لثنائية المرئي واللامرئي ، في الأداء التمثيلي للممثل المسرحي .

رابعا : حدود البحث

الحدود الزمانية : 2021 (مهرجان العراق الوطني للمسرح)

الحدود المكانية : العراق

حدود الموضوع : دراسة العناصر الفنية لثنائية المرئي واللامرئي في الأداء التمثيلي ، لممثلي نموذج عينة البحث .

خامسا : تعريف وتحديد المصطلحات

أولا – الثنائية : لغة :

- تعرف على انها " صفة ما هو ثنائي بذاته مثل (ثنائية الإنسان) كون الشيء يجمع بين اثنين (ثنائية الحكم) كون الشيء ، يمثل عنصرين مختلفين أو يتألف من عنصرين مختلفين و(ثنائية المادة والروح) مذهب يقول بأن العلم فاضح لمبدأين متقابلين هما الخير والشر عند الثنوية " (21 ، 2008 ، 173) .

الثنائية : اصطلاحا

– وتعرف على انها " كل منظومة دينية او فلسفية تسلم بوجود مبدأين ، كما المادة والروح ، والجسد والنفس والشر والخير" (17 ، 2005 ، 431) .

– هناك مصطلح مقارب هو (النظرية الثنائية) اذ يعرف بانه " مذهب فلسفي يؤمن بعدّ الجوهرين المادي والروحي مبدأين متساويين ، وذلك عكس النظرية الأحادية (Monism) واللجوء الى النظرية الثنائية هو محاولة التوفيق بين المادية والمثالية " (8 ، 2016 ، 295) .

التعريف الإجرائي للثنائية :

هي كل مدلول لشيئين يقتربان أو يتعارضان في الصفات ، ولكنهما يشتركان في سياق معرفي واحد اذ يتمثل المرئي في أداء الممثل بالصورة الجسدية المنظورة على خشبة المسرح . فضلا عن عناصر العرض المسرحي البصرية . في حين يتمثل اللامرئي بالقدرات الحسية لدى الممثل ونرى اثرها في الفعل المسرحي .

ثانيا – المرئي : لغة

– " هو المتناهي الذي يقابل اللامتناهي ، وهو المحدود . ويعرفه (روزنتال) على انه مقولة فلسفية مشروطة ونسبية ، محدودة ومتغيرة . وهو كل شيء قابل للقياس ، وخاضع للمعيارية في الحكم . وهو يحيل المتلقي الى اللامرئي " (8 ، 2016 ، 78) .

المرئي : اصطلاحا

- " المرئي نفسه يمتلك جزءا لا مرئيا ، واللا- مرئي هو المخالف السري للمرئي . ولا يظهر الا من داخله ، انه النفي الخالص الذي يقدم لي (كلا مرئي) في العالم – لا يمكننا ان نراه فيه ، وكل مجهود يبذل لرؤيته يعمل على اخفائه ، ولكنه موجود داخل خط المرئي ، هو مسكنه الفرضي المضمر " (6 ، 1987 ، 195) .

- التعريف الاجرائي للمرئي :

يتمثل المرئي في الأداء التمثيلي لدى الممثل المسرحي ، في عناصر الأداء الرئيسية ، وهما الجسد والصوت . فضلا عن عناصر العرض المسرحي الأخرى المكونة لسينوغرافيا العرض .

ثالثا : اللامرئي : لغة

- يعرف لدى الصوفيون بقولهم " هناك ما لم يقله الشرع ، وهو الغيب ، المجهول ، أو ما نسميه بالباطن الخفي . وهذا العالم الباطن لا يتم الوصول إليه بالوسائل التي نعرف بها الظاهر سواء تمثلت في الشريعة أو العقل ، وإنما يتم الوصول إليها بوسائط أخرى : القلب ، الحدس الإشراق ، الرؤيا " (1 ، 1995 ، 188) .

اللامرئي : اصطلاحا

- " اللامرئي ، ليس مرئيا آخر (الممكن) بالمعنى المنطقي ، انما إيجابي ، لكنه غائب " (6 ، 1987 ، 226) .

- " هو ما ليس مرئيا الآن ، ولكن الذي يمكن ان يكونه (مظاهر الشيء المختبئة أو اللاآنية – أشياء مختبئة ، تقع في مكان آخر – هنا – وهناك) " (6 ، 1987 ، 231) .

التعريف الاجرائي للامرئي في الفن المسرحي :

- يتمثل اللامرئي في القدرات الحسية (الخيال ، الانتباه والاصغاء ، الذاكرة العاطفية ، التكيف ، التركيز) والتي نلمس تأثيرها في أداء الممثل ، ولا نراها بشكل مباشر .

المبحث الأول

المرجعيات الفكرية والفنية لثنائية المرئي واللامرئي

شغلت ثنائية المرئي واللامرئي ، عبر العصور المختلفة ، كثير من اهتمامات الباحثين والدارسين . فضلا عن كونها ميدانا خصبا للفلاسفة والمفكرين . وقد تناولها أولئك المفكرون كل في ميدان عمله واهتمامه ، وتوسعوا في مفهومها ودلالاتها ومعانيها . ولكن الباحث سوف يبتعد عن الخوض في الميدان الفلسفي الموسع لهذه الثنائية ، و0يقتصر على تناول جوانب العلاقة بين ثنائية المرئي واللامرئي والفنون الجميلة ، و التي يمكن لها ان تتدرج بالمفهوم الى تداخله مع الفنون بشكل عام ، وفي تخصص الأداء التمثيلي بوجه خاص ، اختصارا لمساحة البحث وسيرا لتحقيق هدفه العلمي .

ابرز الفلاسفة الذين اهتموا بدراسة ثنائية المرئي واللامرئي فهو الفيلسوف الفرنسي (موريس ميرلو بونتي 1908-1961) اذ خصص كتابا منفردا لمناقشة هذه الثنائية ، والتفرع في مشتقاتها الفكرية والفلسفية والعلمية ، لذ عد الكتاب مصدرا مهما للباحثين .

يؤسس بونتي ، مدار وعيه الفلسفي في مناقشة الثنائيات الفكرية ، التي تناولها من سبقه من الفلاسفة بوعي نقدي نافذ ، مقتربا لتصوراتهم أحيانا ، ومبتعدا في أحيان أخرى ، اذ يشير الى العلاقة بين المرئي واللامرئي بكونهما متداخلان غير منفصلان ، أي ان أحدهما يحوي وجود الآخر ، اذ يقول " عندما أقول اذن ان كل مرئي هو لا مرئي

، وان الادراك هو لا ادراك ، وان الوعي يمتلك (فتحة عمياء) وان نرى هو دائما اننا نرى اكثر مما نرى ، فلا يجب ان نفهم ذلك بمعنى التناقض – ولا يجب ان يتصور أحد ما بأنني اضيف الى المرئي المحدد تماما لـ(داخل الذات) لا مرئيا ، لن يكون الا غيابا موضوعيا ، يعني حضورا موضوعيا في مكان آخر " (6 ، 1987 ، 222) .

ولغرض بيان ما قصده بونتي في الفقرة أعلاه ، لابد من الاقتراب أكثر من تصوراته الفلسفية وتطبيقها في الفن المسرحي ، وفي الأداء التمثيلي بوجه خاص ، اذ انه من المعروف ان أهم عناصر الأداء لدى لممثل هما الجسد والصوت ، فضلا عن القدرات الحسية . وقد اخذت العلاقة بين الجسد بوصفه معطى ماديا مرئيا ، أهمية كبيرة في علاقتها بالنفس أو الروح ، كونها معطى لا مرئيا . ويرى بونتي ان تلك العلاقة هي علاقة تكاملية لا انفصال فيها ، اذ وجد في الجسد المرئي " انه يدرك الأشياء وهي تدركه انه يحس بها وهي تحس به . انه يراها وهي تراه . وهذا يعني ان هناك تظافرا بين الحاس والمحسوس ، بين اللامس والملموس . وبين الرائي والمرئي . وبين السامع والمسموع " (14 ، 2005 ، 124) .

ويضيف بونتي تأكيدا لآرائه السابقة ، في كون المرئي يدخل ضمن دائرة اللامرئي الفكرية " وفي الواقع انني لا أنجح تماما في لمس نفسي لامسا ، ولا في رؤية نفسي رائيا ، والخبرة التي امتلكها لنفسي رائيا لا تسير الى أبعد من نوع من المداهمة ، وهي تنتهي في اللامرئي . فبساطة هذا اللامرئي هو اللامرئي الخاص به ، يعني الوجه الآخر لإدراكه المرآوي ، وللرؤية الملموسة بان لي من جسدي في المرآة . ان ادراك الذات هو أيضا ادراك ، فهو يعطيني لا مرئيا هو أنا . ولكنه يعطيني إياه من خلال مظهر ملموس ، او بصري " (6 ، 1987 ، 224) أي بمعنى ان بونتي لا يفصل بشكل قاطع بين ثنائية المرئي واللامرئي ، وانما يقول بانهما متداخلان مع بعضهما ، وقد يتضح ذلك من

خلال الجسد المادي الذي يصور الانسان ، في مقابل الروح الساكنة في ذلك الجسد ، ولكن لها تصورا لا مرئيا لا يعلم كنهه الا الله سبحانه وتعالى .

تمتلك الثنائية الفلسفية لدى بونتي ، في ما يخص المرئي واللامرئي ، بتوارد المفاهيم التأكيدية ، على علاقتهما التكاملية ، فحين يكون الشيء مرئيا ، فانه بالضرورة – وفق بونتي – له وجود غير مرئي . كما هو الحال في اللامرئي ، ليس معناه انه غير موجود أصلا ، ولكن تأثيره او آثاره يمكن تلمسها في المحسوسات المرئية لان " اللامرئي هو :1- ما ليس مرئيا الآن ، ولكن الذي يمكن ان يكونه (مظاهر الشيء المختبئة أو اللاآنية – أشياء مختبئة ، تقع في مكان آخر – هنا أو هناك . 2- انه بالنسبة للمرئي لا يمكن ان يرى مطلقا ، كشيء (وجوديات المرئي ، ابعاده ، اجزاؤه التي لا يمكن تصويرها) . 3- الذي لا يوجد الا ملموسا ، او محسوسا بالحركة . 4- الأشياء المجردة ، العقل " (6 ، 1987 ، 231) .

وللاقتراب اكثر من فهم ثنائية المرئي واللامرئي في فلسفة بونتي ، وإمكانية اشتغالها في الفن المسرحي يلحظ تناوله للجسد ، بوصفه أداة تعبير انساني مرئي ، ذو وجود محسوس . وذلك الجسد لدى الممثل المسرحي يفصح عن معاني عديدة ، لا تكون بمعزل عن القدرات الحسية اللامرئية ، التي تتواجد هنا بأثرها في الحركة او الايماء الجسدية .

ان الجسد في حقيقته ، هو تعبير عن الفعل الفني الذي يؤديه الممثل المسرحي ، وهو بحد ذاته لغة فنية تعبر عن محتوى لا مرئي ، هو المغزى الدرامي من تلك اللغة . وهنا تتأكد مقولات بونتي في كون الحضور الفعلي للمرئي ، لا ينفي وجود اللامرئي حضورا ذهنيا ودافعا مهما في اسناد أحد طرفي معادلة الثنائية الفكرية ، في جانبها التطبيقي العملي (20 ، 2005 ، 104) .

يعد (جان بول سارتر 1905-1980) من الفلاسفة الذين ، تصدروا مساحة المشهد الفلسفي فضلا عن كونه من الادباء المشهورين ، وخاصة في الادب المسرحي . وقد طرح أفكاره الفلسفية في كتبه التي الفها ، كما هو الحال عرض أفكاره الفلسفية في ثنايا نصوصه المسرحية ، ورواياته التي كتبها خلال فترة حياته العلمية الحافلة بالعطاء الفكري .

لقد تناول سارتر ، ثنائية (الأنا) و (الآخر) بمنطوق فلسفي عميق ، ومتشعب النوافذ الفكرية وجاء ذلك في كتابه (الوجود والعدم) وذيله بعنوان ملحق تحت عنوان (بحث في الانطولوجيا الظاهراتية) . كما انه فصل القول في ثنائية المرئي واللامرئي من منطلق فلسفي ، مشيرا الى ذلك في مقولته الشهيرة (الوجود يسبق الماهية) " أي في ما يتصل بالإنسان مثلا : الانسان يوجد أولا ، ويصادف وينبثق في العالم ، ثم يتحدد من بعد . فالإنسان في أول وجوده ليس شيئا ولا يمكن ان نحده بحد ، وعلى ذلك فليس ثم طبيعة إنسانية . بل الانسان كما يتصور نفسه ، وكما يريد نفسه . وكما يدرك نفسه بعد ان يوجد وكما يشاء هو بعد هذه الوثبة نحو الوجود ، الانسان صانع نفسه " (4 ، 1427هـ ، 566) . أي بمعنى ان الانسان بوجوده المادي المنظور ، هو الجانب المرئي منه . وهذا هو الوجود ، اما الجانب اللامرئي ، فيتمثل في اللامرئي / الماهية ، التي يصنعها الانسان بنفسه – على وفق رأي سارتر – .

يربط سارتر ، ذلك الوجود المتحقق ، من خلال علاقته بالحس ، ويعطي مثالا لذلك بقوله " فلنشهد أولا ان الحس في كل مكان غير قابل للادراك . هذه المحبرة على المنضدة ، تعطي لي مباشرة على شكل شيء . ومع ذلك فهي معطاة لي بواسطة البصر . ومعنى هذا ان حضورها مرئي ، وان لدي شعورا بانها حاضرة كشيء مرئي ، أي شعور باني اراها " (13 ، 1966 ، 518) . اما الجانب اللامرئي ، فهو تصور ماهيتها في المثال الذهني للصانع ، ورؤيتها المادية المباشرة ، هي الحضور المرئي المباشر لتحقيق وجودها المادي .

ان تحقق الوجود المرئي للشيء ، في نظر سارتر ، يدفع الى إقامة علاقات تبادلية في حضور المرئي المتمثل بجسم الانسان مثلا " والجسم شمول من العلاقات ذات الدلالة بالعالم . وبهذا المعنى يتحدد الجسم بالإشارة الى الهواء الذي يستنشقه ، والماء الذي يشربه ، واللحم الذي يأكله . والجسم لا يمكن ان يظهر في الواقع ، دون أن يقيم مع مجموع ما هو موجود ، علاقات ذات دلالة ومعان " (13 ، 1966 ، 561).

وللاقتراب أكثر من موضوعة البحث الحالي ، وهي ثنائية المرئي واللامرئي في أداء الممثل المسرحي وتداخلها مع المنطلقات الفلسفية لنظرية سارتر ، يشير الباحث الى فكرة العلاقة بين الأنا كوجود مرئي حاضر ، وبين الغير ، ذا الوجود اللامرئي حضوريا ، لكنه متواجد ذهنيا ، يمكن للانا ان يتخيله ، اذ يقول سارتر : " فيما يتعلق بمشكلة وجود الغير ، هناك افتراض سابق أساسي : ان الغير هو الآخر ، أي انا الذي ليس اياي . فنحن ندرك هنا اذن سلبا بوصفه بنية مكونة لوجود الغير ... فالغير هو من ليس اياي ومن لست انا إياه " (13 ، 1966 ، 393) ولكنه حاضر لا مرئي بالنسبة للآخر ، الا أنا أراه في تصوري .

ويرى الباحث ان اشتغال ثنائية المرئي واللامرئي ، وفق نظرية سارتر ، يمكن أن تتمثل من منطلق العلاقة بين الأنا – الآخر ، في كون الممثل هو الكائن الحاضر المرئي ، الذي تبدو صورته الكلية للناظر او الجمهور ، بينما تمثل الشخصية المسرحية ، الكائن المفترض اللامرئي ، ولكنه متخيل في ذهن الكاتب المسرحي ، ومن ثم يقوم الممثل بتجسيدها ، وتحويلها من طبيعتها اللامرئية الى شخصية مرئية .

كما " ينطلق تفاعل الممثل مع ذلك المتفرج من كونه الآخر / الغير ، الذي لابد من إقامة العلاقة التواصلية معه ، وان لم يكن هناك اتفاق مسبق ، او مفترضات مشتركة على ماهية ذلك التواصل . وانما من خلال إحساس الممثل كذات لابد لها من تحقيق كينونتها عبر اعتراف الآخر بحضورها عيانيا ، وتبادلية ذلك الاعتراف من قبل الممثل باتجاه

المتفرج / الغير ، من خلال توجهه بصورة قصدية لبث رسالته التواصلية المتجسدة في الفعل المسرحي " (7 ، 2013 ، 56 . فالممثل هنا هو المرئي بالنسبة للجمهور ، في حين ان الآخر / الجمهور ، هو اللامرئي المفترض حضوره خلال العرض المسرحي ، اما قبل ذلك فهو لا مرئي مرتبط بحضور الممثل / المرئي ، وتجسيده للشخصيات المسرحية .

المبحث الثاني

ثنائية المرئي واللامرئي في أداء الممثل المسرحي

يعمل الممثل المسرحي ، على تحويل الصور المتخيلة اللامرئية ، الى احداث ومشاهد مرئية مجسدة أمام المتلقي . ويستخدم بذلك ادواته الصوتية والجسدية ، وهي العناصر المرئية لقدرات حسية غير مرئية اذ يعد الخيال ، من أهم تلك القدرات الحسية ، يستطيع الممثل المسرحي من خلاله ، ان يتخيل المنطوق الدرامي اللامرئي في النص المسرحي ، ليحوله – أي الممثل – من خلال حركته الجسدية الانتقالية ، أو الحركة الموضعية ، أو الايماءة ، أو الإشارة ، الى واقع مشهدي مرئي .

يشتغل الممثل المسرحي ، على ابراز الجانب اللامرئي للشخصية المسرحية ، وتحويله الى مشهد مرئي ، لان الشخصية المسرحية ، كما افترضها الكاتب المسرحي ، هي كائن متخيل لا مرئي ، ولا يمكن تصورها بصيغة واحدة من قبل عدة اشخاص . لذلك لا تعد تصورا واضحا الا من خلال تجسيد الممثل المسرحي لها ، اذ " تلعب الشخصية اللامرئية دورها في الاحداث الممثلة فوق خشبة المسرح ، ولكنها لا تظهر بكيانها الحسي أمام المتفرجين " (9 ، 1971 ، 187) الا من خلال صوت وجسد الممثل المسرحي ، فهو من يحقق وجودها المرئي امام المتفرجين .

ان الممثل المسرحي ، هو وسيلة الاتصال الفاعلة ، بين المؤلف والمخرج ، فضلا عن كونه وسيلة اتصال مباشر مع الجمهور . لذلك بقيت أهمية الممثل المسرحي ، كونه العلامة المرئية الكبرى في العرض المسرحي ، في كل المدارس والمناهج الاخراجية تقريبا ، اذ لا يكاد يوجد مخرج مسرحي الا ويعتمد على الممثل كعنصر رئيسي في التواصل مع الجمهور . في حين ان هناك قلة من المخرجين من يحاول تحجيم دور الممثل المسرحي ، والاعتماد على عناصر العرض الأخرى .

ومن اجل التعرف عن قرب على تلك التحولات الادائية ، التي تسهم في بلورة اللامرئي ، فكرا ومضمونا الى صور مرئية ، فقد سعت الباحثة لاستعراض نماذج منتخبة من مخرجين مسرحيين ، سعوا الى تعميق اشتغال ثنائية المرئي واللامرئي في أداء الممثل المسرحي .

تعد تجربة المخرج المسرحي (فسيفولد مايرخولد 1874-1940) من التجارب الإبداعية على مستوى التنظير والتطبيق العملي في ميدان الإخراج المسرحي ، وتدريب الممثل ، وخاصة في ما يتعلق بثنائية المرئي واللامرئي ، وخاصة ان المعروف بان مايرخولد قد اشتغل سنوات طويلة كممثل اول في فرقة ستانسلافسكي المسرحية ، التي تعتمد الفعل النفسي الداخلي منطلقا لإظهار القيمة الدرامية اللامرئية للشخصية المسرحية ، وقد سمي أسلوب تلك المدرسة بالواقعية النفسية .

وبعد مدة من الزمن وجد مايرخولد ان طريقة استاذه ستانسلافسكي ، لا تتناسب مع أفكاره ورؤيته الفنية والجمالية لفن المسرح " لقد وضع مايرخولد الممثل البهلوان في تضاد مع طبيعة فن الممثل السيكولوجية ، ورفع شعار (موت السيكولوجية) الامر الذي يتناقض مع موضوعية بوشكين الأساسية حول صدق المشاعر ، واحتمالية

عمليات الشعور في الظروف المفترضة . وكان يعني ذلك في الوقت نفسه تعميق الشقاق بينه وبين ستانسلافسكي " (19 ، 1979 ، 12) .

تعتمد طريقة مايرخولد في توجيه وتدريب الممثل نحو الأداء الخارجي / المرئي ، الذي يعبر عن الحالة الشعورية للشخصية الدرامية ، وبالتالي يحيل الى المعنى اللامرئي ، لتلك الشخصية ، ويتم ذلك من خلال المخرج المسرحي " فالمخرج يمد جسرا بين المتفرج والممثل ، وعليه عندما يرسل – حسب إرادة المؤلف – الأصدقاء والاعداء والعشاق ، الى خشبة المسرح ، ان لا يساعد على سماع كلماتهم فقط ، بل على التغلغل في الحوار الداخلي الدفين أيضا . وبعد التعمق في فكرة المؤلف ، والاصغاء الى موسيقا الحوار الداخلي ، يقترح المخرج على الممثل الحركات البلاستيكية التي – حسب رايه- من شأنها ان ترغم المتفرج على فهم الحوار الداخلي بالصورة التي يسمعه فيها المخرج والممثلون " (19 ، 1979 ، 77) .

يطلق على نظرية المسرح التي ابتكرها مايرخولد بالمسرح الشرطي ، والتي يتم فيها التركيز على الممثل المسرحي ، كونه المرئي امام المتفرج ، لينقل اليه بواسطة الحركة والصوت ، القيم اللامرئية في النص الدرامي ، بعيدا عن الملحقات التي كانت سائدة في المسرح الطبيعي ، اذ انه " بفضل أساليب التكنيك الشرطية ، تتحطم الماكينة المسرحية المعقدة ، وتبلغ العروض حدا من البساطة ، يسمح للممثل بالخروج الى الساحة ، ليؤدي مؤلفاته دون ان يربط نفسه بالديكورات والاكسسوار المكيف ، بشكل خاص ، من اجل الأضواء الامامية ، وبكل ما هو عرضي وخارجي " (19 ، 1979 ، 85) .

يعتمد مايرخولد على حركة الممثل المسرحي ، كونها تمثل المعادل الموضوعي المرئي ، للقيمة الدرامية اللامرئية التي وضعها المؤلف في مدونة خطابه المسرحي ، اذ " لا يمكن للحركة في المسرح ان تكون كتلك التي في الحياة . فمقاييس

الخشبة المسرحية ، وزواياها بالإضافة للجدران لابد وان تؤثر على الحركة (10 ، 2021 ، 28) .

وعن طريق تلك الحركة المرسومة وفق خطة اخراجية محكمة ، يمكن للممثل المسرحي ان يجسد الصور اللامرئية ، الى فعل مرئي ، ذو قيم جمالية .

لم يكن خروج مايرخولد عن منهج استاذه ستانسلافسكي المعروف بالواقعية النفسية ، لأجل الخروج بحد ذاته ، وانما هي فلسفة معمقة في وعي دور الممثل المسرحي ، وكيفية قيامه بنقل القيم الدرامية اللامرئية الى المتفرج ، بصور مرئية ، وهذه هي المفارقة التي اتجه لها مايرخولد ، اذ اكد على الفعل الخارجي منطلقا لتجسيد الإحساس الداخلي " فالممثل الذي اراده مايرخولد هو في نهاية الامر صدى لذلك الذي ينتجه منهج التجسيد (Presentation) في الأداء التمثيلي . انه الممثل الذي يسعى للوصول الى الكاركتر من الخارج الى الداخل ، وبالتالي التماهي مع ما كان أصلا يمارس في المدرسة الفرنسية من تعاليم (دينيس ديدرو) تحديدا (10 ، 2021 ، 129) . وقد سعى مايرخولد لتطبيق منهجه في تدريب الممثل المسرحي لوضع مجموعة من التقنيات التدريبية تتكون من (12) تقنية تدريبية اسماها (اتيودات) وهي تمارين تمكن الممثل من السيطرة التقنية على أدائه ، وبالتالي تنفيذ نظرية مايرخولد التي تعتمد الأداء الحركي المرئي ، لتجسيد ما هو لا مرئي في العرض المسرحي (10، 2021 ، 137) .

اما المخرج المسرحي الامريكي (روبرت ويلسون 1941- 2025) فقد تميز بتجربته المسرحية المغايرة ، اذ اخرج مجموعة من الاعمال المسرحية ، التي من أهمها (حياة سيغموند فرويد 1961) واوبرا (نظرة شخص اصم 1970) و (رسالة الى الملكة فيكتوريا 1974) وهي عروض مسرحية ، تعتمد الغوص في الجانب اللامرئي من حياة الانسان ، كونه جانبا غير منظورا وغير محسوسا ، وتجسيده بواسطة أداء الممثل المسرحي ، وعناصر العرض الأخرى ، الى واقع مرئي امام المتلقي (16، 1999 ، 72) .

تعد مسرحية (نظرة شخص أصم) من أشهر الاعمال التي اشتغل فيها ويلسون ، على تفعيل ثنائية المرئي واللامرئي ، في أداء ممثلي العرض ، فضلا عن تفعيل دور العناصر الاخراجية الأخرى كالديكور والازياء والاضاءة ، وسينوغرافيا العرض ، اذ " تبدأ احداث مسرحية نظرة شخص أصم ، بمشهد يدور أمام سور مرتفع لاحد السجون . على منصة بيضاء امام السور تقف امرأة سوداء ، طويلة القامة ، ترتدي ثوبا اسودا ذا ياقة عالية ، وظهرها للجمهور . على يمينها توجد منضدة يغطيها مفرش ابيض ، وعليها ابريق ممتلئ باللبن وكوبان وسكين . على يسارها يجلس طفل صغير على مقعد ابيض ... بالقرب منه يرقد طفل آخر تحت ملاءة ، ويبدو مستغرقا في النوم ... تعود المرأة الى المنضدة وتلتقط السكين بيدها اليمنى وتمسح نصله ، ثم تتجه الى الطفل الجالس على المقعد مرة أخرى وتنحني فوقه ..في تمهل شديد تطعنه بالسكين " (16 ، 1999، 96) .

يلحظ في المقطع السابق ، ان المخرج اعتمد بشكل مباشر على الأداء التمثيلي ، وخاصة على الحركة المرسومة بدقة واحكام ، لشخصية المرأة ، وهي تقوم بفعل حركي مرئي امام الجمهور . وهذا الفعل هو تجسيد لقيمة درامية لا مرئية ، مثلتها بنية الفعل الدرامي في سيناريو العرض ، وقد تم تجسيدها بفعل حركي مرئي . ويعلق احد النقاد على هذا الأداء التمثيلي بالحركة البطيئة يشد انتباه المشاهد ، ويثير مصدرا صادما لعكس التوقعات التي تقدمها الاحداث ، اذ اننا لا نشاهد متتالية من الصور المرئية فقط ، وانما نشاهد المؤدين وهم يخلقون تلك الصور (16 ، 1999 ، 97) .

يمكن اجمال أهم ملامح عروض مسرحيات ويلسون ، والتركيز على اشتغال ثنائية المرئي واللامرئي فيها ، بانها تتميز في توقيت الحركة ، والحساب الدقيق للمدة الزمنية التي يتطلبها اداؤها ، فهو يطلب من الممثل ان يقطع الحركة ، في لحظة تقديره ان المتفرج قد لاحظها ، او انه يكون قد فهم الدوافع اللامرئية لتلك الحركة . كما يعمل ويلسون على

تفتيت القراءات المختلفة للعمل وارباك متابعة المتلقي ، من خلال تقسيم المسرح الى مناطق فعل متعددة ، قد تشتغل في آن واحد .

كما يتضمن أسلوب ويلسون ، عملية تكرار الصور المشهدية ، وتتابعها ، والتنويع فيها . من خلال قيام ممثل واحد بأداء اكثر من شخصية في نفس العرض الواحد . وكان يقحم شخصيات تاريخية في اعماله دون مراعاة المحافظة على الدقة التاريخية في سرد الاحداث ، وانما يتعامل معها فقط لإقحام الاسم داخل بنية درامية جديدة . ويهدف ويلسون من وراء ذلك الى دعوة المتفرج الى القراءة والتفسير لمعاني تلك المشاهد ، وفق استحضار الرؤى اللامرئية في الاحداث ومحاولة ربطها مع بعضها لاستنتاج معنى محدد رغم انها تتسم بالتعدد والتنويع في الأفكار المطروحة (16 ، 1999، 106) .

يمكن اجمال الخصائص الفنية لمجمل اعمال ويلسون المسرحية ، وعن الية اشتغال ثنائية المرئي واللامرئي فيها ، بانها عروض مسرحية " غير قابلة للقراءة والتفسير . ورغم ذلك فهي تسعى دائما الى ايهامنا بوجود مسرحية تتطور ، وذلك من خلال استخدامها لصور مألوفة لها اصداؤها التي تتردد في النفس ، ومن ثم الى ايهامنا بوجود هدف لها ودلالة كلية . وهكذا تستدعي هذه الاعمال إمكانية فعل القراءة ، لكنها تفعل هذا بهدف تأجيل وتشتيت أي محاولة لتحقيق قراءة متكاملة . ومن ثم الوصول الى تصور نهائي وحيد تلقائي بشأن العمل " (16 ، 1999، 108) . أي بمعنى ان العرض المسرحي بمجمله هو صورة مرئية ، لمعنى غير مرئي ، يهدف ويلسون الى اثارة خيال المتفرج نحو تخيل ذلك المعنى اللامرئي ، ومحاولة التوافق بينه وبين ما يراه امامه في اللحظة الزمنية والمكان المحدد .

- المؤشرات التي اسفر عنها الاطار النظري والدراسات السابقة

1- تعمل ثنائية المرئي واللامرئي ، على وفق نظرية موريس ميرلو بونتي ، في أداء الممثل المسرحي بشكل تكاملي ، أي بمعنى انه لا يمكن اشتغال المرئي المتمثل في جسد الممثل ، دون تفاعله مع اللامرئي المتكون من القدرات الحسية ، لذلك تكون العلاقة بينهما تكاملية فاعلة لإنتاج المعنى الدرامي للفعل المسرحي .

2- تمثل العلاقة بين المرئي واللامرئي في نظرية سارتر ، وجها آخر للعلاقة بين الأنا والآخر ، أو بين الممثل والشخصية المسرحية ، اذ تمثل الشخصية المسرحية الجانب اللامرئي ، في حين يتم تجسيدها من قبل الممثل بعناصر الأداء المرئية .

3- يؤدي الممثل الشخصية المسرحية ، في الاحداث التي تجري على خشبة المسرح ، من صورتها اللامرئية ، وتظهر ملامحها التجسيدية من خلال أداء الممثل المسرحي لها بصورة مرئية .

4- اعتمدت طريقة مايرخولد ، على الأداء التمثيلي الخارجي ، منطلقا نحو بناء الفعل الداخلي ، أي بمعنى استحضار الفعل المرئي للممثل ، للتوجه الى الفعل الداخلي اللامرئي .

5- يعد الممثل المسرحي ، وفق نظرية المسرح الشرطي ، كونه المرئي أمام الجمهور ، لينقل بواسطة عناصره الادائية ، القيم اللامرئية في النص الدرامي ، بصورة تجسيدية أمام المتفرج .

6- تعد حركة الممثل المسرحي على خشبة المسرح في نظرية المسرح الشرطي ، فعلا عيانيا مرئيا وهي المعادل الموضوعي للفعل الدرامي اللامرئي ، الذي لا يمكن رؤيته الا من خلال التمثيلي للممثل المسرحي .

7- اعتمدت نظرية روبرت ويلسون المسرحية ، على الغوص في الأعماق اللامرئية في حياة الانسان وتجسيدها بصورة مرئية ، عن طريق الأداء التمثيلي للممثل المسرحي ، فضلا عن عناصر العرض المسرحي الأخرى .

8- يهدف روبرت ويلسون الى اثارة خيال المتفرج للمعنى اللامرئي للقيمة الدرامية للعرض المسرحي ، وذلك عن طريق أداء الممثل المسرحي ، وذلك بأسلوب تتابع المشاهد الدرامية وتنوعها ، فضلا عن توقيت الحركات الانتقالية بدقة واحكام ، وفق مدة زمنية محسوبة .

اولا : نموذج عينة البحث :

اختار الباحث نموذجا قصديا ، تمثل في مسرحية (اشتباك) تأليف واخرج (حازم عبدالمجيد إسماعيل) لتحليل ثنائية المرئي واللامرئي في أداء ممثلي العرض .

ثانيا : أداة البحث :

من أجل تحقيق هدف البحث الحالي ، قام الباحث ببناء فقرات لاستمارة التحليل (ينظر ملحق رقم 2 أ و ب) وفق الخطوات الآتية :

1- المؤشرات التي أسفر عنها الاطار النظري والدراسات السابقة .

2- العودة الى ادبيات التخصص الدقيق (التمثيل) من خلال الاطلاع على نظريات التمثيل .

3- الإفادة من بعض الدراسات السابقة المتوفرة ، ذات العلاقة المباشرة .

4- وقد توصل الباحث الى (10) فقرات تمثل أداة البحث لتحليل نموذج عينة البحث .

ثالثا : تحليل نموذج عينة البحث :

اعتمد الباحث المنهج الوصفي ، في بناء الاطار النظري . اما في تحليل نموذج عينة البحث فقد اعتمد الباحث طريقة دراسة الحالة (Case Study) وهي احدى طرق التحليل في المنهج الوصفي .

خامسا : تحليل ثنائية المرئي و اللامرئي في الأداء التمثيلي في مسرحية

- مسرحية اشتباك تأليف وإخراج : حازم عبدالمجيد تمثيل : علي عبدالحسين ضهد

سجى ياسر المؤثرات الموسيقية : علي نجم مشاري

- حكاية المسرحية :

قسم المؤلف / المخرج ، حازم عبدالمجيد مسرحيته الى مجموعة من اللوحات ، بلغ عددها ست لوحات متسلسلة متداخلة ، دونما فواصل مرئية . اذ تتضمن اللوحة الواحدة عددا من المقاطع الحوارية والادائية ، لتنتظم في الهيكل البنائي العام للنص المسرحي ، ومن ثم للعرض المسرحي .

شخصيات المسرحية ، هما شخصيتان فقط ، تمثلان المرأة والرجل ، واللذان سنتعرف عليهما ، كونهما يجتمعان في هذا المكان ، الذي يدل على الخراب والدمار ، فهو لا يشير الى مكان محدد بذاته ، ولكن آثار الدمار بادية عليه . رغم اشارة المرأة الى انه بيت ، ولكنه بيت ناله الخراب المرئي ، بفعل خراب لا مرئي ، تسبب به الرجل / الشر وعاشته المرأة / الوطن ، وانعكس على حياتهما اليومية .

المرأة : هذا بيتي .

الرجل : لم يعد بيتك ... اقصد لم يعد بيتا .. انه حطام ..

المرأة : بسببك ..

تتابع الاحداث الدرامية ، ليتم التعرف عن قرب على المضمون الفكري لكل من الشخصيتين ، اذ يمكن تاشير اشتغال الفكر الفلسفي لثنائية الخير والشر في الوجود ، فشخصية الرجل بما تحمله من نوازع وأفكار شريرة ، تهدف الى الدمار والخراب . ويمكن ان تتمثل هذه الشخصيات في كل الأفكار والممارسات الشريرة ، التي تمارس الاتجاه السلبي في الحياة .

يرى الباحث ان هذا الفكر السوداوي الذي يحمله الرجل يمكن ان تحيله الى الأفكار الشريرة التي جاءت بها الجماعات التكفيرية . في حين ان المقابل الموضوعي لتلك الجماعات ، هو فعل الخير المتمثل بالمرأة وما تقوم به من ترميم لبعض أجزاء البيت المهدم . او انها تحاول ان تهديه كتابا هو رمز للفكر الإصلاحي الخير ، او هو رمز لكل الخيرين في الوطن .

وعلى وفق هذه الثنائية في بناء النص ، تتوالد الحوارات الدرامية ، لتنتج ثنائيات أخرى ، يستذكرها الرجل والمرأة من عالم لا مرئي ، الى عالم مرئي يتجسد في الأداء التمثيلي ، الذي يجسدانه امام المتلقي

- تحليل اشتغال ثنائية المرئي واللامرئي في الأداء التمثيلي ، على وفق فقرات المعيار التحليلي

يستقي المؤلف في فن المسرح أدواته الفنية والدرامية غالبا ، من الواقع الحياتي ، لكنه الواقع الحياتي المفترض اللامرئي ، على وفق نظرية الفن الجمالية ، لان الفن ليس تقليدا للحياة ، وانما هو محاكاة للقيم اللامرئية في الحياة ، ومن ثم محاكاتها بصور مرئية تتمثل في أداء الممثل وعناصر العرض الأخرى .

يظهر المشهد الأول ، قدرة الفن المسرحي على استحضار عالم المثل اللامرئي ، الى صورة تجسيدية مرئية امام المتلقي ، فالخراب الذي يعم أرجاء هذا البيت ، وبيان تهدم حوائط البيت ، هي صورة مرئية لفكرة غير مرئية تتمثل بالحرب والقصف والقنابل التي أدت لهذا الدمار . وعن طريق خيال الممثل بوصفه من القدرات الحسية اللامرئية ، يمكن ان يصور للمتلقي آثار تلك الحرب ، بالتعامل مع مفردات الديكور والاكسسوار . فضلا عن قدرة الممثل التجسيدية التي ستتعامل مع ذلك المكان بفعل درامي تجسيدي .

تظهر شخصية شبحية بفعل الإضاءة الزرقاء الخافتة ، اذ تتقدم تلك الشخصية من اعلى يسار المسرح الى اعلى اليمين ، وبخطوات مسرعة وهي تنفض الغبار والتراب عن بعض قطع الديكور ، أو ترش التراب على أماكن معينة ،

وهو حركة مرئية ذات دلالات غير مرئية لفكرة الشر التي تنشر الدمار والخراب في كل مكان ، نتيجة للأفكار السوداوية التي تحملها تلك الشخصية .

وضع المؤلف اللوحة الأولى في النص ، تحت عنوان (تخطيط بقلم الرصاص) وهي التفاتة فنية من قبل المؤلف / المخرج ، ليدخل القارئ / المتلقي ، في أسرار اللعبة المسرحية ، اذ ان عنوان اللوحة سيدفع الى السؤال عن معنى تلك الجملة ، وبالتالي أين يجد مفاتيحها من خلال عناصر العرض أم من خلال الأداء التمثيلي . لذلك فان ما يميز الأداء التمثيلي لشخصية الرجل الغريب انه يتحرك بانتقالات حركية حذرة أحيانا ، ومثيرة للريبة في أحيان أخرى ، فضلا عن اعتماده على الايماءة الادائية في عينيه ودورانهما في أداء يعبر عن شخصيته الشريرة ، وهو يحمل كيسين لا يعلم المتفرج ماذا يحملان .. يتوقف الشخص في منتصف وسط المسرح ليردد الحوار الآتي :

الرجل : حيز آخر مهجور من مخلفات البشر المعتوه .. سأمكث فيه الليلة ، وليسامحني الرب لأنني في عالم أنس لا يعرفون أسباب الوجود ..

ان الممثل المسرحي في هذا الحوار قد أداه بطريقة تقريرية غير ذات انفعال محدد ، وذلك للاستمرار في إخفاء شخصيته الدرامية ، التي انطلقت من معاني ودلالات الحوار بشكل لا مرئي ، ثم جسدها الممثل بحركة وأداء مرئي يتناغم مع الأداء الصوتي للشخصية .

يتفاجأ الرجل بضحكات تنطلق من مكان ما في هذا المكان ، لتظهر بشكل امرأة عجوز تتكئ على عصا خشبية . وتبدأ رحلة الحوار الثنائي المتأزم بين الشخصيتين ، اذ ترفض المرأة وجوده في بيتها أو ما تبقى من حطام بيتها الذي تسبب الرجل واتباعه في هدمه .

ان الأداء التمثيلي للممثلي شخصية المرأة والرجل جاء بشكل متكامل ، أي بمعنى يكمل أحدهما الآخر من خلال اشتغال المرئي المتمثل في جسد الممثل والممثلة ، وحركاتهم الموضعية والانتقالية ، فضلا عن الايماءات والاشارات المرئية ، التي تنطلق بالتعاون مع اشتغال اللامرئي المتمثل بالقدرات الحسية لدى الممثلين (ينظر صورة رقم 1) .



اما اللوحة الثانية فهي تحت عنوان (هدوء نسبي) وما يستنتجه الباحث من هذا العنوان ، ان المؤلف / المخرج قصد به الهدوء الذي يسبق العاصفة ، فالتحول المشهدي في شخصية المرأة ، من امرأة عجوز كبيرة في السن ، الى شابة في ريعان الشباب ، يدل على ان هناك مضمون فكري لا مرئي ، قد أفصح عنه المشهد الدرامي بشكل درامي تجسيدي وهو انتقال العجوز الى فتاة شابة ، بالتوافق والتكامل الفني مع الأزياء المسرحية والمكياج والاكسسوارات ، ما يعني وجود تكاملية فنية لإنتاج المعنى الدرامي .

يتم كشف شخصية الفتاة الحقيقية ، بوصفها ليست تلك العجوز الهرمة التي شاهدها الرجل لأول مرة في دخوله للبيت . ويأتي ذلك التحول المرئي في شخصية المراة ، مع اسناد مؤثر موسيقي يتمثل في اغنية تراثية تحمل هموم

المواطن المضطهد بالإحالة الى عناصر سمعية ، لكنها ذات دلالات لا مرئية مغروسة في لا وعي الشخصيتين ، فضلا عن وجودها في لا وعي المتلقي .

يفسح المؤثر الموسيقى ، ذو الدلالات اللامرئية ، المجال أمام الشخصيتين في الحركة الانتقالية في أرجاء المسرح ، والعمل على دعم الصوت والموسيقى بفعل ادائي حركي لترتيب المشاهد القادمة . وقد كان أداء الممثلة لشخصية المرأة يعتمد على التوافق الادائي بين استحضار قنوات التعبير الحسية ، كالتركيز والتخيل ، والتكيف مع الحالة الشعورية الجديدة ، فضلا عن الاستعانة بقدرات الجسد المرئية والحركة الانتقالية ، لتعكس مضمونا دراميا معينا .

وتأتي اللوحة الثالثة تحت عنوان (التعرف بعد انتهاء الأسلحة) اذ يطرح المؤلف من خلالها فكرة مجردة لا مرئية ، تتحول من خلال أداء الممثل الى فعل مرئي مجسد ، من خلال معطيات الحوار والحركة التي تتوافق مع الحوار :

الفتاة : الطهارة ليست بفناء الجسد ، بل في حياته حين تسكنه نفس نقية .

الرجل : بل نفس متحررة ترغب بما تريد ..

هذا الحوار لا يلقى بطريقة عابرة ، انما يتطلب من الممثل أن يستحضر قدراته الحسية ، ويتخيل المعنى اللامرئي للجمل الحوارية ، ومن ثم يعبر بأداء جسدي مرئي ، وفعل صوتي ، ما يمكن ان يكون معادلا موضوعيا فنيا وجماليا لذلك الحوار . ويلمس ذلك من خلال الفعل المرئي المحسوب للممثل .

يستمر المؤلف / المخرج في توالي اللوحات المشهدية ، اذ تسمى اللوحة الرابعة تحت عنوان (رقصة سقوط القناع) والقناع هو ما قد تخفيه الشخصية المسرحية من فعل لا مرئي ، لكن في لحظة درامية متوترة يصبح فعلا مرئيا من خلال الممثل المسرحي ، كونه يشكل علاقة بين أنا / الممثل المسرحي والآخر المتمثل في الشخصية المسرحية ، كما

أراد لها المؤلف أن تكون ذات قيم لا مرئية ، في حين يقوم المخرج بإظهار تلك القيم بصور مرئية ، عبر أدواته الاخراجية .

وفي اللوحة الخامسة (اللعب على وتر الموت) نجد المفارقة اللغوية التي اشتغل عليها المؤلف ، كونها تمثل مصطلحا ذو معنى غير مرئي وهو الموت ، كونه عالم غير منظور لنا نحن البشر ، في حين ان المؤلف / المخرج ، يذهب باللعبة المسرحية شوطا آخر وخاصة في الأداء التمثيلي لمجسدي الشخصيتين حينما يتم تبادل الأدوار بين الرجل والمرأة ، ليصبح ما غير مرئي لشخصية المرأة مرئي بالنسبة لشخصية الرجل ، وهنا التفاتة جمالية من المخرج ، بالارتفاع بإثارة الفعل الدرامي ، من خلال تبادل الأدوار الحياتية بين الرجل والمرأة .

تذهب شخصية المرأة بعيدا في كشف قناع شخصية الرجل الشرير اللامرئية ، بوسائل ادائية حركية متناغمة مع القدرات الصوتية في التعبير عن طريق الحوار الدرامي :

المرأة (بدور الرجل) : لا تلتفت حولك ، واركع على قدميك (تغطي عينيه بالقماش) جعلت من توهانك وعالم الحياة مصيرا لك ولأمثالك وانت تبتعد عن قيمك .. انتم رافضون لكل شيء .. جاهلون .. ستكون عبرة لمن بعدك .. معك الآن بجانبك اصدقاءك .. اقرباءك ، ربما ابنك .. اخيك .. كلهم بذات المصير .

الرجل (بدور الضحية) لما اقتل ؟

الفتاة (بدور الرجل) : لأنك مرتد ..

الرجل (بدور الضحية) : عن ..

الفتاة (بدور الرجل) : قيمك ..

الرجل (بدور الضحية) : لكن القيم تصرف وليس اقوال .

الفتاة (بدور الرجل) : اقوالكم فوضى .. وهدر للوقت ..(ينظر صورة رقم 2)



أما اللوحة السادسة فهي تحت عنوان (فك الاشتباك) وهي جملة تعني عودة الشخصيتين الى وضعهما السابق ، لكن هذه المرة نشاهد الفتاة مع (مانيكان) يمثل شخصية الرجل الشرير ، وهو علامة مرئية على ان الشر مهما استطال به الزمن ، فانه لا يعدو ان يكون الا شبحا فارغ المحتوى ، وهو مجرد قطع تتمايل بين يدي الفتاة لتبدأ في تعنيفها وبيان حقيقتها المرئية بانها ما كانت الا أداة للشر . لتبدأ رحلة جديدة من الفعل الدرامي ، المشحون بأفكار لا مرئية ، لا يتم التعرف عليها الا من خلال الأداء التمثيلي المعبر بصورة تجسيدية مرئية .

ان اشتغال ثنائية المرئي واللامرئي في أداء ممثلي العرض ، تميزت بخصائص عديدة ، منها الدقة العالية في تنفيذ الحركة الانتقالية بين الشخصيتين ، وتعاملهما المنضبط مع عاصر الديكور ، والقطع الاكسسوارية ، والازياء المسرحية ، التي ساهمت في التعبير عن قيم درامية لا مرئية ، بتوافق مع الأداء التمثيلي المرئي . للتعبير عن القيم الفنية والدرامية للشخصيات . فضلا أداء الرقصات المنسجمة مع روح الموسيقى اللامرئية ، لكنها تجسدت بفعل عياني مشهدي ادته

الشخصيتان الرئيسيتان في العرض ، وخاصة في اللوحة الأخيرة ، التي تجسدت فيها شخصية الفتاة وهي تتعامل مع الشكل المرئي لشخصية الرجل الشرير ، لكنه الان وفي هذه اللحظة الدرامية غير مرئيا كيانا ماديا مجسدا ، وانما هو مجرد شكل تعبيري يمثل الآخر ، في مقابل شخصية الفتاة التي تمثل الأنا ، وهما وجهان لثانية المرئي واللامرئي في الأداء التمثيلي (ينظر صورة رقم 5) .



أولا : نتائج تحليل نموذج عينة البحث

1- استندت الفكرة الفلسفية لثنائية المرئي واللامرئي في أداء ممثلي العرض ، على الثنائية الفلسفية المتمثلة بالخير والشر . وبالتالي كانت شخصية الرجل الشريرة ، هي تجسيد لدوافع شريرة لا مرئية استحضرها بفعل الخراب والدمار .

2- اعتمد ممثلي العرض المسرحي ، على تقريب عالم المُثل اللامرئية ، الى عالم الواقع المرئي ، من خلال الفعل الفيزيائي الحركي الانتقالي ، أو الحركة الموضعية ، أو اعتماد الايماءة المسرحية ذات الدلالات الدرامية بما يتوافق مع فكرة المشهد المسرحي .

3- جسد ممثلي العرض المسرحي ، الإفادة من قنوات التعبير الحسية لديهما ، من خلال العمل على تفاعلها مع القدرات التكوينية الجسدية والصوتية ، للتعبير عن الحالة الدرامية بالحركة أو بالصوت ذو الدرجات العالية أو المنخفضة .

4- اشتغلت ثنائية الأنا والآخر في أداء ممثلي العرض ، بوصفها وجها لاشتغال ثنائية المرئي واللامرئي في فن الأداء التمثيلي ، فالأنا المرئي هو الممثل المسرحي ، بينما الآخر اللامرئي هو الشخصية الدرامية . وفي جانب آخر ان الرجل هو الأنا ، بينما تمثل المرأة الآخر . ومن ثم تكون الشخصيتان هما الأنا ويكون الجمهور هو الآخر .

5- ظهرت ملامح المسرح الشرطي في أداء ممثلي العرض ، من خلال الاعتماد على الحركة الجسدية المرئية كفعل خارجي مرئي ، والانتقال بها الى فعل داخلي لا مرئي ، وخاصة في حركة ممثل شخصية الرجل ، الذي اشتغل بالتناوب مع ممثلة شخصية المرأة في ذلك الفعل الدرامي .

6- اعتمد ممثلي العرض ، على القدرات التمثيلية المرئية ، في تعاملهما مع الاحداث الدرامية ، واستنطاق المضامين اللامرئية في النص المسرحي عبر الأداء التمثيلي . ولم تظهر لديهما معوقات جسدية مرئية . وانما يمكن تلمس العوض الفكري أو النفسي اللامرئي ، لشخصية الرجل الشرير في مجمل افعاله المرئية .

7- عملت عناصر العرض المرئية كالديكور والاكسسوار والاضاءة ، على تجسيد المضمون الفكري والقيم الدرامية اللامرئية ، من خلال ظهور ملامح الدمار والخراب على تلك القطع ، التي بقيت ثابتة طيلة مدة العرض المسرحي ، وقد تم إعطائها القيمة الدرامية من خلال فعل الممثل المرئي معها .

8- عبرت المؤثرات الموسيقية عن قيم جمالية لا مرئية ، أضاف لها الممثل بعدا فنيا مرئيا من خلال الأداء التمثيلي التجسيدي لمضامين تلك المؤثرات ، والتفاعل معها بأسلوب درامي متفاعل .

ثانيا : الاستنتاجات

بعد ان توصل الباحث الى حصر نتائج تحليل نموذج عينة البحث ومناقشتها مع هدف البحث ومحاولة مقاربتها مع المؤشرات التي اسفر عنها الاطار النظري والدراسات السابقة ، فقد توصل الى الاستنتاجات الآتية :

3- ان استلهام الثنائيات اللامرئية للقيم الفكرية والفلسفية ، يمكن ان يتجسد في أداء تمثيلي مرئي ذو قيم فنية .

4- لا يتم التعرف على عالم المُثل العليا اللامرئية ، الا من خلال الأداء التمثيلي المرئي ، الذي يتجسد عبر استحضار الممثل لقنوات التعبير الحسية بشكل تجسدي مرئي .

5- ان تفاعل الممثل الادائي المرئي مع الشخصية المسرحية ، أو مع الممثل الآخر ، أو مع الجمهور هو وجه لاشتغال ثنائية المرئي واللامرئي في الأداء التمثيلي ، وتجسديها عيانيا على خشبة المسرح بأفعال حركية .

6- يمكن الإفادة من ملامح المسرح الشرطي ، والمسرح المقدس ، في استحضار القيم الدرامية اللامرئية وتحويلها الى قيم فنية مرئية ، عن طريق الأداء التمثيلي .

7- ان اعتماد الممثل المسرحي على استحضار القيم الدرامية اللامرئية في عناصر العرض كالديكور والازياء والاضاءة والاكسسوارات ، يسهم الى حد بعيد في تجسيد المضمون الدرامي بشكل ادائي مرئي متناسق مع تلك العناصر المرئية على المسرح .

8- انسجام القيم الجمالية اللامرئية للمؤثرات الموسيقية ، يؤدي الى استحضار تلك القيم من قبل الممثل عن طريق الأداء التمثيلي المتناسق في الحركة والتعبير الشعوري مع الحالة الدرامية ، التي يتم جسيدها عيانيا امام المتلقي ، من قبل ممثلي العرض المسرحي .

- قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- الكتب العربية والمترجمة والقواميس والمعاجم

1- أدونيس : الصوفية والسريالية ، ط2 (بيروت : دار الساقي ، 1995) .

2- - افلاطون : المحاورات الكاملة ، المجلد الأول – الجمهورية (نسخة الكترونية) نقلها الى العربية : شوقي داود تمراز (بيروت : الاهلية للنشر والتوزيع ، 1994) .

3- أمين ، احمد ، زكي نجيب محمود : قصة الفلسفة اليونانية ، ط 7 (القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، 1970) .

4- بدوي ، عبدالرحمن : موسوعة الفلسفة ، الجزء الأول (قم : ذوي القربى ، 1427 هـ) .

5- بروك ، بيتر : المكان الخالي ، ترجمة : سامي عبدالحميد (بغداد : كلية الفنون الجميلة ، 1983) .

6- بونتي ، موريس ميرلو : المرئي واللامرئي ، ترجمة : سعاد خضر (بغداد : دار الشؤون الثقافية ، 1987) .

7- الحمداني ، علي : التواصلية في أداء الممثل المسرحي (العراق : مكتبة الفنون والآداب للطباعة والنشر والتوزيع ، 2013) .

8- الحاتمي ، الاء علي : معجم مصطلحات واعلام ، الجزء الأول (عمان : الدار المنهجية للنشر والتوزيع ، 2016) .

9- حمادة ، إبراهيم : معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية (القاهرة : دار الشعب ، 1971

10- حمزة ، مؤيد : تراث فسيفولد مايرخولد ، خطط عمل ، محاضرات ، خطب ، وثائق ورسائل (البصرة : دار الفنون والآداب ، 2021) .

11- الرازي ، الإمام محمد بن أبي بكر : مختار الصحاح (دمشق: المكتبة الأموية، 1972)

12- ستانسلافسكي : إعداد الممثل ، ترجمة : محمد زكي العشماوي (بغداد: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 1987) .

13- سارتر ، جان بول : الوجود والعدم ، بحث في الانطولوجيا الظاهراتية ، ترجمة : عبدالرحمن بدوي (بيروت : منشورات دار الآداب ،) .

14- الشاروني ، حبيب : فكرة الجسم في الفلسفة الوجودية (القاهرة : دار التنوير للطباعة والنشر ، 2005) .

15- صليبا ، جميل : المعجم الفلسفي، ج2 (قم : منشورات ذوي القربى، 2006) .

16- كاي ، نيك : ما بعد الحداثية والفنون الادائية ، ترجمة : نهاد صليحة ، ط2 (القاهرة : الهيئة المصرية للكتاب ، 1999) .

17- ماركيه ، جان فرانسوا :مرايا الهوية ، ترجمة سمير داغر (بيروت :المنظمة العربية للترجمة ،2005) .

18- مصطفى ، إبراهيم وآخرون : المعجم الوسيط، ج1(إيران: مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، 2008) .

19- مايرخولد ، فسيفولد : في الفن المسرحي ، الكتاب الأول ، ترجمة : شريف شاكر (بيروت : دار الفارابي ، 1979) .

20- يوسف ، عقيل مهدي : القرين الجمالي في فلسفة الشكل الفني (الشارقة : دائرة الثقافة والاعلام ، 2005) .

21- .....المنجد في اللغة العربية المعاصرة ، ط 3 (بيروت : دار المشرق ، 2008) .

- الرسائل والاطاريح الجامعية

1- العبيدي ، فارس شرهان : المرئي واللامرئي في العرض المسرحي العراقي ، أطروحة دكتوراه فلسفة في الفنون المسرحية ، اشراف : عباس محمد إبراهيم التاجر (جامعة بابل : كلية الفنون الجميلة ، 2012) .

2- الموسوي ، شوقي مصطفى علي : جدلية المرئي واللامرئي في الفن الإسلامي ، أطروحة دكتوراه – فنون تشكيلية – رسم ، اشراف حسن مجيد حسين العبيدي / مكي عمران راجي (جامعة بابل : كلية الفنون الجميلة ، 2006) .

ملحق رقم (2 - أ)

م/ استمارة المعيار

الأستاذ الفاضل..... المحترم

تحية طيبة

يقوم الباحث بدراسة البحث الموسوم (ثنائية المرئي واللامرئي في أداء الممثل المسرحي) منطلقا لتحقيق هدف بحثه المتمثل في : تعرف المنطلقات الفكرية والفنية لثنائية المرئي واللامرئي ، في الأداء التمثيلي للممثل المسرحي .

وقد اعتمد الباحث التعريف الإجرائي الآتي للمرئي : يتمثل المرئي في الأداء التمثيلي لدى الممثل المسرحي ، في عناصر الأداء الرئيسية ، وهما الجسد والصوت . فضلا عن عناصر العرض المسرحي الأخرى المكونة لسينوغرافيا العرض . في حين جاء التعريف الاجرائي للامرئي : يتمثل اللامرئي في القدرات الحسية (الخيال ، الانتباه والاصغاء ، الذاكرة العاطفية ، التكيف ، التركيز) والتي نلمس تأثيرها في أداء الممثل ، ولا نراها بشكل مباشر .

وقد تناول الباحث في الإطار النظري مبحثين ، جاء المبحث الأول تحت عنوان : المرجعيات الفكرية والفنية لثنائية المرئي واللامرئي . والمبحث الثاني : ثنائية المرئي و اللامرئي في أداء الممثل المسرحي

وتوصل الباحث الى مجموعة من المؤشرات ، منها :

1- تعمل ثنائية المرئي واللامرئي ، على وفق نظرية موريس ميرلو بونتي ، في أداء الممثل المسرحي بشكل تكاملي ، أي بمعنى انه لا يمكن اشتغال المرئي المتمثل في جسد الممثل دون تفاعله مع اللامرئي المتكون من القدرات الحسية ، لذلك تكون العلاقة بينهما تكاملية فاعلة لإنتاج المعنى الدرامي للفعل المسرحي .

2- تعد حركة الممثل المسرحي على خشبة المسرح في نظرية المسرح الشرطي ، فعلا عيانيا مرئيا وهي المعادل الموضوعي للفعل الدرامي اللامرئي ، الذي لا يمكن رؤيته الا من خلال الممثل المسرحي .

ونظرا لما تتمتعون به من خبرة علمية وتجربة غنية ، تتوجه الباحث اليكم لمساعدتها في بناء اداة بحثها (الملاحظة) راجية تفضلكم بإبداء اراءكم العلمية السديدة ، لما ترونه مناسبا ، خدمة للبحث ، علما ان البدائل هي :

غالبا	أحيانا	نادرا

ولكم فائق التقدير والاحترام ....

ملحق رقم (2- ب)

الاستمارة في صيغتها النهائية

ت	الفقرة	تصلح	لا تصلح	التعديلات

1	ان اللامرئي هو صورة تقترب من عالم المثل ، في حين ان المرئي هو الصورة الحسية المجسدة في أداء الممثل المسرحي .			
2	يجسد الممثل المسرحي ، عبر أدائه التمثيلي الشخصية المسرحية بقنوات تعبير مرئية ، وهي تشتغل بتفاعل تكاملي مع قنوات التعبير الحسية اللامرئية ، لإنتاج الصورة الدرامية للفعل المسرحي .			
3	يعتمد الأداء التمثيلي للممثل المسرحي ، على اشتغال ثنائية الانا والآخر ، كونهما وجهين للمرئي واللامرئي ، اذ ان قيم الشخصية الدرامية هي قيم لا مرئية ، في حين ان أداء الممثل هو صورة مرئية لها .			
4	تعتمد طريقة المسرح الشرطي ، على البناء الخارجي المرئي للفعل الدرامي ، باتجاه القيم الدرامية اللامرئية ، ويتم ذلك بصورة تجسيدية عن طريق الأداء التمثيلي للممثل المسرحي .			
5	ان الفعل العياني المرئي لحركة الممثل المسرحي ، هو المعادل الموضوعي للفعل الدرامي اللامرئي ، ويمكن رؤية ذلك من خلال أداء الممثل المسرحي .			

6	تعد الممارسات الطقسية في الحضارات القديمة ، احدى المصادر الأساسية للممثل المسرحي ، في تحويل اللامرئي مرئيا بواسطة الأداء التمثيلي .			
7	تسهم نظرية روبرت ويلسون في التعامل مع المعوقات الجسدية والصوتية لدى الممثل ، الى تحويل القيم الدرامية اللامرئية الى صور تجسيدية مرئية بواسطة أداء الممثل المسرحي .			
8	يسهم تتابع المشاهد المسرحية وتنوعها ، في اثارة خيال المتفرج واستنطاق المعنى اللامرئي للقيمة الدرامية ، فضلا عن توقيتات الحركة وتدفقها بصورة مرئية ، من خلال أداء الممثل المسرحي .			
9	تعد عناصر العرض المسرحي المرئية مثل الديكور والازياء والاضاءة وسينوغرافيا العرض ، من العناصر المرئية التي تسهم في اظهار القيم الدرامية اللامرئية عبر أداء الممثل المسرحي .			
	يستطيع الممثل المسرحي ان يستحضر قدرات التعبير الحسية اللامرئية ، من خلال الأداء التمثيلي ، بعناصره المرئية كالجسد المرئي ، أن يعبر عن القيم الفنية والجمالية اللامرئية .			

10				

الهوية الرقمية وعلاقتها بالصحة النفسية لدى طلبة المرحلة المتوسطة في ظل الاستخدام المتزايد لمنصات التواصل الاجتماعي

إعداد الباحثة

م.م مسار عبد الواحد جاسم الغانمي

مرشدة تربوية/ متوسطة : بهيجة الحكيم

عنوان البحث باللغة الإنجليزية

Digital identity and its relationship to mental health among middle - school students in light of the increasing use of social media platforms.

Assist. Inst. Masar Abdul Wahid Jasim

Bahiyja Al-Hakeem Intermediate School, mso17203@gmail.com

مستخلص البحث

يهتم البحث الحالي في الكشف عن العلاقة بين الهوية الرقمية والصحة النفسية لدى طلبة المرحلة المتوسطة، للعام الدراسي (2025–2026م). ومن أجل تحقيق أهداف البحث، تبنت الباحثة مقياسين أحدهما لقياس الهوية الرقمية والآخر لقياس الصحة النفسية، وتم التحقق من الخصائص السايكومترية لكلا المقياسين قبل تطبيقهما على عينة

بلغت (200) طالب وطالبة من المرحلة المتوسطة في محافظة كربلاء قضاء الحسينية، تم اختيارهم بالطريقة الطبقية العشوائية.

وقد جُمعت البيانات وتمت معالجتها إحصائيًا باستخدام الوسائل الإحصائية المناسبة، ومنها معامل ارتباط بيرسون والإختبار التائي لعينة واحدة. وأسفرت النتائج عن وجود علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين الهوية الرقمية والصحة النفسية، حيث تبين أن الاستخدام المفرط لمنصات التواصل الاجتماعي يسهم في زيادة الضغوط النفسية ويؤثر في الاستقرار الانفعالي والاجتماعي لدى المراهقين.

وقد أظهرت نتائج البحث ما يأتي:

أن أفراد العينة يتمتعون بمستوى متوسط من الهوية الرقمية، يتمتعون بمستوى مقبول من الصحة النفسية.

وُجدت علاقة ارتباطية دالة إحصائيًا بين الهوية الرقمية والصحة النفسية، إذ تبين أن الاستخدام المفرط أو غير المنظم لمنصات التواصل الاجتماعي يسهم في خلق ضغوط نفسية تؤثر في الاستقرار الانفعالي والاجتماعي لدى المراهقين.

كما أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الهوية الرقمية والصحة النفسية تبعًا لمتغيري الجنس والصف الدراسي.

الكلمات المفتاحية (الهوية الرقمية – الصحة النفسية – طلبة المرحلة المتوسطة)

Abstract:

The current study aims to explore the relationship between digital identity and mental health among intermediate school students during the academic year 2024–2025. To achieve the research objectives, the researcher adopted two measurement tools: one for assessing digital

identity (developed by the researcher) and another for assessing mental health. The psychometric properties of both tools were verified prior to their application.

The sample consisted of 200 students from intermediate schools in Karbala Governorate, selected using the stratified random sampling method. Data were collected and statistically analyzed using appropriate techniques, including Pearson's correlation coefficient and the one-sample t-test.

The findings revealed a statistically significant correlation between digital identity and mental health. It was found that excessive or unregulated use of social media platforms contributes to increased psychological pressure, which negatively affects adolescents' emotional and social stability.

Key results include:

The participants demonstrated a moderate level of digital identity and an acceptable level of mental health.

A significant correlation was found between digital identity and mental health.

Statistically significant differences were observed in digital identity and mental health levels according to gender and grade level.

.

Keywords: Digital Identity – Mental Health – Intermediate School Students

المقدمة :

تتعلق مسألة الهوية الرقمية وارتباطها بالصحة النفسية لدى طلبة المرحلة المتوسطة بظاهرة متنامية تستوجب دراسة معمقة لفهم تأثيراتها المتعددة على النمو النفسي والاجتماعي لهذه الفئة العمرية .إذ بات من الضروري استقصاء الكيفية التي يُشكل بها الاستخدام المفرط أو غير المنظم لمنصات التواصل الاجتماعي هوية الطالب الرقمية، وما يترتب على ذلك من تبعات على مستويات التقدير الذاتي، والقبول الاجتماعي، والرؤيا الداعمة أو المعوقة للصحة النفسية . تنبع أهمية دراسة هذا الموضوع من أن مرحلة المرحلة المتوسطة تعتبر أساسية في تكوين الوعي الذاتي، وتشكل فيها عمليات المقارنة الاجتماعية والاندماج الجماعي عناصر محورية تؤثر مباشرة على استقرار الطالب النفسي .بالإضافة إلى ذلك، تبرز الحاجة إلى فهم مدى تأثر الهوية الرقمية بالعوامل البيئية المختلفة، كالأسرة والمدرسة، التي تساهم في تشكيل و تطوير أنماط الاستخدام والتفاعل الرقمي .من خلال هذه الدراسة، يُسعى إلى تزويد الباحثين والمعنيين بأطر نظرية ومنهجية تسمح بتحديد العلاقة بين الهوية الرقمية والصحة النفسية، مع التركيز على تحليل المشاكل والتحديات التي تنتج عن تداخل هذه الظواهر وتفاعلها في البيئة العربية .لذا، فإن التمكن من إدراك طبيعة هذه العلاقة يسمح بوضع استراتيجيات تدخل مناسبة، وتطوير سياسات تدعم التوازن النفسي للطلبة، مع ضمان استخدام آمن وفعال لمنصات التواصل الاجتماعي التي أصبحت جزءًا لا يتجزأ من حياتهم اليومية.(محمد العصيمي et al., 2023)

الفصل الأول: الإطار العام للبحث

مشكلة البحث:

في ظل الثورة التكنولوجية المتسارعة والتطور الهائل في وسائل التواصل الاجتماعي، أصبح لطلبة المرحلة المتوسطة حضور واضح وفعّال في العالم الرقمي، مما أدى إلى نشوء مفهوم جديد يُعرف بـ"الهوية الرقمية"، وهي الصورة التي يقدم بها الأفراد أنفسهم عبر المنصات الإلكترونية.

إلا أن هذا التفاعل المستمر مع العالم الرقمي لا يخلو من التأثيرات النفسية والاجتماعية، فقد يواجه الطالب صراعًا بين صورته الواقعية وصورته الافتراضية، مما قد ينعكس سلبًا على الصحة النفسية ويؤدي إلى مشاعر القلق، والعزلة، وضعف تقدير الذات، وغيرها من الاضطرابات المرتبطة بالنمو النفسي والاجتماعي، ورغم تزايد الدراسات حول تأثير التكنولوجيا على الصحة النفسية، إلا أن العلاقة بين الهوية الرقمية والصحة النفسية لدى طلبة المرحلة المتوسطة لا تزال غير واضحة بالقدر الكافي، خاصةً في المجتمعات العربية. وهذا يطرح تساؤلات ملحة حول كيفية تأثير الهوية الرقمية، سواء كانت سلبية أو إيجابية، على الجانب النفسي للطلبة.

كما تشير الأدبيات الحديثة إلى أن الاستخدام المتزايد للمنصات الرقمية وتشكّل الهوية الرقمية لدى الأفراد قد يرتبط بشكل مباشر بالحالة النفسية، حيث إن التفاعل المستمر عبر مواقع التواصل الاجتماعي قد يؤدي إلى زيادة مستويات القلق والاكتئاب نتيجة المقارنة الاجتماعية المستمرة وتضخيم صورة الذات المثالية. وقد بينت دراسة حديثة أن الإفراط في استخدام وسائل التواصل الاجتماعي يرتبط بانخفاض مؤشرات الصحة النفسية لدى طلبة الجامعة، ويؤثر في مستوى الرضا عن الذات وجودة العلاقات الاجتماعية (Keles, McCrae, & Grealish, 2020).

كما أن بناء هوية رقمية غير واقعية أو متناقضة مع الهوية الحقيقية قد يؤدي إلى ما يُعرف بـ ''تشتت الهوية النفسية''، مما ينعكس سلبًا على التكيف النفسي والاجتماعي للفرد داخل البيئة الجامعية.

من هنا تنبع مشكلة البحث في التساؤل التالي:

ما العلاقة بين الهوية الرقمية والصحة النفسية لدى طلبة المرحلة المتوسطة في ظل الاستخدام المتزايد لمنصات التواصل الاجتماعي؟

ثانياً: أهمية البحث

يسهم البحث في تعزيز الفهم العلمي لمفهوم الهوية الرقمية ومكوناتها وأبعادها النفسية, يسلط الضوء على الآثار النفسية المرتبطة ببناء الهوية الرقمية في مرحلة حرجة من مراحل النمو (مرحلة المراهقة). و يساعد أولياء الأمور والمربين والمعلمين على فهم التحديات النفسية التي قد يواجهها الطلبة نتيجة التفاعل مع العالم الرقمي. كما انه يوفر نتائج يمكن الاستفادة منها في بناء برامج إرشادية أو وقائية لتحسين التوازن بين الحياة الواقعية والافتراضية للطلبة.

وتؤكد دراسات حديثة أن الاستخدام المتوازن والإيجابي للمنصات الرقمية قد يرتبط بمستويات أعلى من الرضا عن الحياة، في حين أن الاستخدام المفرط أو القائم على المقارنة الاجتماعية يرتبط بزيادة أعراض القلق والاكتئاب (Valkenburg & Peter, 2011).

وتتضح أهمية هذه العلاقة بشكل أكبر لدى طلبة المرحلة المتوسطة، إذ تمثل هذه المرحلة فترة حساسة في تكوين الهوية وفق المنظور النمائي، حيث يسعى الفرد إلى تحديد ذاته وبناء مفهوم مستقر عنها، مما يجعل أي تأثير رقمي عاملاً مؤثرًا في صحته النفسية.

ثالثاً: أهداف البحث

- يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

1. التعرف على مستوى الهوية الرقمية لدى طلبة المرحلة المتوسطة.

2. التعرف على مستوى الصحة النفسية لدى طلبة المرحلة المتوسطة.

3. الكشف عن طبيعة العلاقة بين الهوية الرقمية والصحة النفسية لدى الطلبة.

4. التوصل إلى فروق ذات دلالة إحصائية في الهوية الرقمية أو الصحة النفسية تبعًا لمتغيرات (الجنس، الصف الدراسي).

رابعاً: تساؤلات البحث

- ما مستوى الهوية الرقمية لدى طلبة المرحلة المتوسطة؟
- ما مستوى الصحة النفسية لدى طلبة المرحلة المتوسطة؟
- هل توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الهوية الرقمية والصحة النفسية؟
- هل توجد فروق في مستوى الهوية الرقمية تعزى لمتغير الجنس أو الصف الدراسي؟
- هل توجد فروق في مستوى الصحة النفسية تعزى لمتغير الجنس أو الصف الدراسي؟

خامسًا: حدود البحث

الحدود الموضوعية: يقتصر البحث على دراسة العلاقة بين الهوية الرقمية والصحة النفسية

الحدود البشرية: يقتصر على طلبة المرحلة المتوسطة.

الحدود المكانية: اقتصر البحث على المدارس المتوسطة في محافظة كربلاء / قضاء الحسينية

الحدود الزمانية: العام الدراسي 2025 -2026 م .

سادسًا: مصطلحات البحث

1. الهوية الرقمية:

هي الصورة أو الانطباع الذي يقدمه الفرد عن نفسه في البيئات الرقمية ومنصات التواصل، وتشمل التفاعل، التمثيل الشخصي، والأنشطة الرقمية المختلفة. (عبد الحميد ،2016 :34)

2. الصحة النفسية:

هي الحالة التي يتمتع بها الفرد بقدرة على التوافق مع الذات والآخرين والتفكير الواقعي المنظم والتحكم في الانفعالات والتوتر بما لا يعيق أداءه اليومي والاستمتاع بالحياة وتحقيق الأهداف ضمن حدود بيئته الاجتماعية والثقافية، كما تُعدّ الصحة النفسية أساسًا لصحة الفرد الشاملة لأنها تؤثر في السلوك والتعلم والعلاقات والتكيف مع الضغوط الحياتية.(عبد الله،2025:13)

3- المرحلة المتوسطة :

هي مرحلة من مراحل التعليم العام غايتها تربية الناشئ تربية شاملة لعقله وجسمه وخلقه ويراعي فيها نموه وخصائص المرحلة التي يمر بها وهي تشارك غيرها في تحقيق الأهداف العامة (القحطاني ،171:2014) .

الفصل الثاني: الإطار النظري والدراسات السابقة

أولاً: الهوية الرقمية

تشير الهوية الرقمية إلى الصورة التي يُكوّنها الفرد عن نفسه ويعرضها عبر البيئات الرقمية، بما تتضمنه من معلومات شخصية، وصور، وتفاعلات، وأنماط تواصل عبر الإنترنت. وهي لا تقتصر على البيانات التعريفية، بل تشمل كذلك الانطباعات والتمثلات الرمزية التي يبنيها الفرد عن ذاته في الفضاء الافتراضي (Turkle, 2011).

وتُعد الهوية الرقمية امتدادًا لمفهوم الهوية الاجتماعية، إذ يتفاعل الفرد ضمن مجتمعات إلكترونية تؤثر في إدراكه لذاته وشعوره بالانتماء. وقد أشار الباحث Sherry Turkle إلى أن البيئات الرقمية تتيح للأفراد فرصًا متعددة لتجريب أدوار وهويات مختلفة، الأمر الذي قد يسهم في تعزيز استكشاف الذات، لكنه قد يسبب أيضًا صراعات داخلية إذا حدث تعارض بين الهوية الواقعية والهوية الافتراضية (Turkle, 2011).

مفهوم الهوية الرقمية:

تُعرف الهوية الرقمية بأنها مجموعة السمات والخصائص التي يُظهرها الفرد في العالم الرقمي، وتشمل المعلومات التي يشاركها، وطريقة تفاعله مع الآخرين، والصورة التي يُكوِّنها عن نفسه في الفضاء الإلكتروني. وتُعد امتدادًا للهوية الواقعية، ولكنها تتأثر بالسياق التكنولوجي وبثقافة المنصات التي يستخدمها الفرد.

عرفه (Madden 2007): مجموعة البيانات والسمات والمعلومات التي تمثل الفرد أو المؤسسة في البيئة الرقمية، وتشمل ما ينشره المستخدم من محتوى، وما يترتب عليه من تفاعلات وسلوكيات عبر الإنترنت، والتي تُستخدم لتكوين صورة رقمية عنه داخل الفضاء الإلكتروني (Madden et al., 2007:65).

عرفها (Chen, 2019) بأنها: "الصورة الافتراضية التي يبنيها المستخدم لنفسه عبر الإنترنت، والتي تتضمن مشاركاته، اهتماماته، وطريقة تواصله مع الآخرين".

عرفها العويد(2025) : الصورة الذاتية التي ينشئها الفرد عبر تفاعلاته الرقمية، خاصة على منصات التواصل الاجتماعي، حيث يعكس مجموعة من الصفات، القيم، والاهتمامات التي يرغب في إبرازها للجمهور الافتراضي (العويد، 2025: 5)

مكونات الهوية الرقمية:

- الملف الشخصي: يشمل الاسم، الصورة، والمعلومات المنشورة.
- التفاعل الرقمي: مثل الإعجابات ، التعليقات، والمشاركات.
- السلوك الرقمي: طريقة استخدام الإنترنت، نوع المحتوى المتابع.
- الهوية الرمزية: الرموز والأسماء المستعارة التي يختارها الفرد.

خصائص الهوية الرقمية:

- ديناميكية: تتغير باستمرار.

- متعددة الأبعاد: تشمل الجوانب الاجتماعية والنفسية والثقافية.
- قابلة للتزييف: قد لا تعكس دائمًا الهوية الحقيقية للفرد.

أثر الهوية الرقمية على الصحة النفسية لدى الأفراد

تؤثر الهوية الرقمية بشكل مباشر في الجوانب النفسية للفرد، إذ إن طريقة تقديم الذات عبر المنصات الرقمية قد تعزز من تقدير الذات أو على العكس قد تؤدي إلى ضغوط نفسية نتيجة المقارنة الاجتماعية المستمرة. فوفقًا لنظرية المقارنة الاجتماعية، يميل الأفراد إلى مقارنة أنفسهم بالآخرين في البيئات الرقمية، مما قد يؤدي إلى انخفاض الرضا عن الذات والشعور بالقلق أو عدم الكفاية (Festinger, 26 :1954).

كما أن الاستخدام المكثف لمواقع التواصل الاجتماعي قد يؤدي إلى ما يُعرف بـ "إدارة الانطباع الرقمي"، حيث يسعى الفرد إلى تقديم صورة مثالية عن نفسه، وهو ما قد يخلق فجوة بين الهوية الواقعية والهوية الرقمية، وينتج عنه شعور بالضغط النفسي أو التشتت في الهوية الذاتية (Turkle, 2011: 45).

ومن ناحية أخرى، تشير بعض الدراسات الحديثة إلى أن الهوية الرقمية قد تسهم في تعزيز الدعم الاجتماعي والشعور بالانتماء عند استخدامها بشكل إيجابي، مما ينعكس بشكل جيد على الصحة النفسية لدى الطلبة (Valkenburg & Peter, 2013).

ثانياً: الصحة النفسية

مفهوم الصحة النفسية:

تعد الصحة النفسية أحد الركائز الأساسية لحياة متوازنة وسعيدة وهي لاتعني فقط غياب الاضطرابات النفسية ، بل تشمل قدرة الفرد على التكيف مع الضغوط اليومية وبناء العلاقات الصحيحة وتحقيق إمكاناته الذاتية ومع ذلك فإن العوامل الاجتماعية تؤثر سلبًا على الصحة النفسية مما يجعل الإرشاد النفسي أداة حيوية لدعم الأفراد في مواجهة التحديات كما تشير الصحة النفسية إلى التوازن النفسي الذي يتيح للفرد التعامل بكفاءة مع ضغوط الحياة، ويشمل القدرة على العمل، التفاعل الاجتماعي، والشعور بالرضا عن الذات.(الدوري 2014،28:)

- عرفها (World Health، 2022) : حالة من الرفاه النفسي والعاطفي والاجتماعي التي يتمكن فيها الفرد من إدراك قدراته الخاصة، والتعامل مع ضغوط الحياة العادية، والعمل بشكل منتج، والمساهمة في مجتمعه (World Health Organization, : 80 2022).
- عرفتها منظمة الصحة العالمية (WHO, 2022) :"حالة من العافية التي يدرك فيها الفرد إمكانياته، ويستطيع مواجهة ضغوط الحياة العادية، والعمل بإنتاجية،والمساهمة في مجتمعه".

مظاهر الصحة النفسية:

- الثقة بالنفس
- القدرة على اتخاذ القرار
- الاستقرار العاطفي
- العلاقات الاجتماعية السليمة

العوامل المؤثرة في الصحة النفسية للمراهقين:

- ❖ طبيعة العلاقة مع الأسرة والأصدقاء.
- ❖ البيئة المدرسية.
- ❖ تأثير وسائل الإعلام ومنصات التواصل.
- ❖ الخبرات الشخصية والضغوط النفسية.

أثر الصحة النفسية على التحصيل الاكاديمي :

ترتبط الصحة النفسية الجيدة ارتباطًا وثيقًا بالأداء الأكاديمي فالطلاب الذين يتمتعون بصحة نفسية متوازنة أكثر قدرة على التركيز وحل المشكلات والمشاركة في الأنشطة الصفية وعلى العكس تؤدي الضغوط النفسية مثل القلق والاكتئاب ،الى انخفاض مستوى التحصيل ، وزيادة الغياب عن المدرسة وصعوبة إكمال الواجبات .(الصعب ،2025: 34)

ثالثاً: العلاقة بين الهوية الرقمية والصحة النفسية

تتسم العلاقة بين الهوية الرقمية والصحة النفسية بالتعقيد، فقد تكون إيجابية حين يحقق الفرد ذاته ويتلقى دعماً اجتماعياً، لكنها تصبح سلبية عندما يتعرض لمقارنات اجتماعية، أو تنمر إلكتروني، أو يُظهر صورة غير واقعية عن نفسه، و ترتبط خلال عدة مسارات نفسية واجتماعية، أهمها:

تقدير الذات: قد يسهم التفاعل الإيجابي عبر المنصات الرقمية في تعزيز الشعور بالكفاءة والانتماء، مما ينعكس إيجابًا على تقدير الذات.

المقارنة الاجتماعية: تشير نظرية المقارنة الاجتماعية إلى أن التعرض المستمر لصور مثالية أو نجاحات الآخرين عبر وسائل التواصل قد يؤدي إلى مشاعر النقص والقلق، خاصة لدى المراهقين.

الاندماج الاجتماعي: يمكن للهوية الرقمية أن تعزز الدعم الاجتماعي الافتراضي، مما يخفف من مشاعر العزلة.

الضغط الرقمي: السعي للحفاظ على صورة مثالية عبر الإنترنت قد يولّد توترًا نفسيًا وصراعًا بين الذات الواقعية والذات المعروضة رقميًا.(Festinger, 1954: 21 ؛ Turkle, 2011)

تشير العديد من الدراسات إلى أن الاستخدام المكثف لمنصات التواصل قد يزيد من فرص القلق، والاكتئاب، وتدني تقدير الذات، خاصةً لدى المراهقين الذين لم تكتمل بعد هويتهم الواقعية.

رابعاً: دراسات سابقة

- أولاً: دراسة (Al-Khatib, 2021): تأثير وسائل التواصل الاجتماعي على الصحة النفسية لدى المراهقين في الأردن.

تناولت هذه الدراسة تأثير استخدام وسائل التواصل الاجتماعي على الصحة النفسية لدى المراهقين في الأردن، مع التركيز على العلاقة بين مدة الاستخدام ومستوى الاضطرابات النفسية. اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي لقياس مؤشرات القلق الاجتماعي والاكتئاب لدى أفراد العينة.

أظهرت النتائج وجود علاقة سلبية بين الوقت الذي يقضيه المراهقون على المنصات الرقمية وبين مستوى الصحة النفسية، إذ كلما زاد الاستخدام ارتفعت مستويات القلق الاجتماعي وانخفضت مؤشرات التوازن النفسي.

- ثانياً: دراسة (Nasrallah, 2020): الهوية الرقمية لدى طلاب المرحلة المتوسطة وعلاقتها بالسلوك التفاعلي عبر الإنترنت.

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن العلاقة بين الهوية الرقمية لدى طلاب المرحلة المتوسطة والسلوك التفاعلي عبر الإنترنت، مع التركيز على كيفية بناء الصورة الذاتية في البيئة الرقمية.

أظهرت النتائج أن الطلبة الذين يميلون إلى تقديم صورة مثالية أو غير واقعية عن أنفسهم عبر المنصات الرقمية يكونون أكثر عرضة للشعور بالتوتر والضغط النفسي عند مقارنة أنفسهم بالآخرين. كما بينت الدراسة أن الهوية الرقمية قد تؤثر بشكل مباشر في السلوك الاجتماعي والتفاعل الافتراضي.

- ثالثاً: دراسة (Kim & Lee, 2022)

(Digital Identity and Adolescent Mental Health: A Cross-National Perspective.)( )

تناولت هذه الدراسة مفهوم الهوية الرقمية والصحة النفسية لدى المراهقين من منظور مقارن بين ثقافات مختلفة، حيث هدفت إلى تحليل تأثير الفجوة بين الهوية الواقعية والافتراضية على الحالة النفسية. كما أظهرت النتائج أن وجود اختلاف كبير بين الهوية الحقيقية والهوية الرقمية يؤدي إلى مشاعر الإحباط، والعزلة الاجتماعية، وضعف التكيف النفسي لدى المراهقين. كما أكدت الدراسة أن هذا التأثير يظهر في مختلف البيئات الثقافية، مما يشير إلى عالمية الظاهرة.

الفصل الثالث: منهجية البحث

أولاً: منهج البحث

اعتمدت الباحثة في هذا البحث على المنهج الوصفي الارتباطي، كونه الأنسب للكشف عن العلاقة بين متغيرين هما: الهوية الرقمية والصحة النفسية لدى طلبة المرحلة المتوسطة، من خلال دراسة الواقع كما هو وتحليل البيانات إحصائيًا دون تدخل في المتغيرات.

ثانياً: مجتمع البحث

يتكون مجتمع البحث من جميع طلبة المرحلة المتوسطة في المدارس الحكومية في محافظة كربلاء قضاء الحسينية للعام الدراسي 2025 - 2026 م .

ثالثاً: عينة البحث

تم اختيار عينة عشوائية مكونة من (200) طالبًا وطالبة من الصفوف (الأول، الثاني، والثالث المتوسط)، موزعين على عدد من المدارس، وقد رُوعي في اختيار العينة تمثيل الجنسين (ذكور وإناث) بشكل متوازن.

يقصد بالعينة "Sample" هي جزء من المجتمع الأصلي ، وتقوم الباحثة بدراستها للتعرف على خصائص المجتمع الذي سحبت منه ، ويتم اختيارها لإجراء دراسة عليها وفق قواعد خاصة ويجب أن تمثل المجتمع تمثيلا سليماً ، ويشير

أيبل(Ebel 1972) إلى أن سعة العينة وكبرها هو الإطار المفضل في عملية الاختبار ، وأنه كلما كبر حجم العينة قل احتمال وجود الخطأ المعياري (Ebel, 1972: 290)

رابعاً: أدوات البحث

1. مقياس الهوية الرقمية (إعداد الباحثة)

تم بناء المقياس بالاستناد إلى الأدبيات والدراسات السابقة (مثل دراسة Nasrallah, 2020)، ويتكون من (25) فقرة تقيس جوانب الهوية الرقمية مثل:

(التفاعل الرقمي – التمثيل الشخصي – المحتوى المنشور – المقارنة الرقمية مع الآخرين).

تصاغ فقرات المقياس بصيغة Likert الخماسي (دائمًا – غالبًا – أحيانًا – نادرًا – أبدًا).

2. مقياس الصحة النفسية (معدل عن مقياس جولدبيرغ)

يتكون من (20) فقرة تقيس مؤشرات الصحة النفسية مثل ((القلق – التوتر – الاكتئاب – العلاقات الاجتماعية)).

خامساً: الصدق والثبات

صدق المقياسين : عُرضت الأداتان على مجموعة من المحكمين في تخصصات (علم النفس، القياس والتقويم، علم الاجتماع) للتأكد من مناسبة الفقرات.

الصدق : هو مجموعه من الادلة والتي تسترشد بها للتحقيق من وجود الصدق ودرجته (النبهان ٢٠٠٤:٤٤٢) ، وقد تم حساب الصدق الظاهري والذي يقصد به هوه التمعن في كل فقره من فقرات الاختبار واصدار حكم حول علاقه الفقرة بالسمه المراد قياسها (محاسن، ٢٠١٣:١٤٩)

ثبات المقياسين: :- يقصد بالثبات هو ان الاختبار النفسي يتصف بواحده او اكثر من الصفات الاتية انه موثوق به ويعتمد عليه والثبات هو موثوق فيه الاختبار (ربيع ٢٠٠؛٧٣) ،والثبات قد يعني الاستقرار بمعنى انه لو كررت عمليات قياس الفرد الواحد اظهرت درجته شيئاً من الاستقرار (الأنصاري ٢٠١٥:٩٧) وقد تم حساب الثبات بطريقة اعاده الاختبار مرتين على نفس افراد العينة تحت ظروف مشابهه قدر الامكان (محاسن ٢٠١٣:١٢٥) 0

وقد تم تطبيق الأداتين على عينة استطلاعية مكونة من (30) طالبًا وطالبة، وحُسب معامل الثبات باستخدام معادلة كرونباخ ألفا، فكانت:

مقياس الهوية الرقمية: $\alpha = 0.85$

مقياس الصحة النفسية: $\alpha = 0.88$

وكلاهما يعد مناسبًا من حيث الثبات.

سادساً: الأساليب الإحصائية

استخدمت الباحثة الأساليب الإحصائية الآتية لتحليل البيانات:

الوسط الحسابي والانحراف المعياري: لقياس مستويات المتغيرات.

اختبار بيرسون: لقياس العلاقة بين الهوية الرقمية والصحة النفسية.

اختبار (ت) للعينات المستقلة: للكشف عن الفروق بين الجنسين.

تحليل التباين الأحادي (ANOVA): لمعرفة الفروق حسب الصف الدراسي.

الفصل الرابع: عرض النتائج وتفسيرها

سيتناول هذا الفصل عرض نتائج البحث التي تم التوصل إليها من خلال تطبيق أداتي القياس على عينة مكونة من (200) طالبًا وطالبة من المرحلة المتوسطة، ويلي ذلك تفسير النتائج وربطها بالدراسات النظرية والسابقة.

أولاً: نتائج السؤال الأول:

ما مستوى الهوية الرقمية لدى طلبة المرحلة المتوسطة؟

تم احتساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لإجابات الطلبة على مقياس الهوية الرقمية، وكانت النتائج كما يلي:

بلغ المتوسط الحسابي لدرجات عينة هذا البحث على مقياس االهوية الرقمية (3.87) درجة بمستوى مرتع و بلغ (3.65) بمستوى مائل للارتفاع ، وبلغ (4.02) بمستوى مرتفع في المقارنة الرقمية وبلغ المتوسط الحسابي لبعد المحتوى المنشور (3.45)

، وبانحراف المعياري قدره (2.09) درجة ، وباستعمال معادلة الاختبار التائي(t-test) لعينة واحدة ، تبين أن القيمة التائية المحسوبة قد بلغت (8.34)درجة ، وهي ذات دلالة إحصائية عند مستوى(0.05) ، مما يشير إلى أن

أفراد عينة البحث الحالي تتمتع بمستوى عالي من الهوية الرقمية وتظهر بدرجة أعلى في جانب المقارنة مع الآخرين.و(الجدول/ 1) يوضح ذلك 0

الجدول(1) المتوسط الحسابي ، والانحراف المعياري ومستوى الدلالة

التفسير	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	البعد	مستوى الدلالة
مرتفع	0.65	3.87	التفاعل الرقمي	دال عند مستوى 0.05
متوسط مائل للارتفاع	0.71	3.65	التمثيل الشخصي	
مرتفع	0.58	4.02	المقارنة الرقمية	
متوسط	0.73	3.45	المحتوى المنشور	

وقد تبين من خلال النتائج ان الهوية الرقمية لدى الطلبة متوسطة إلى مرتفعة، وتظهر بدرجة أعلى في جانب المقارنة مع الآخرين.

ثانياً: نتائج السؤال الثاني: ما مستوى الصحة النفسية لدى طلبة المرحلة المتوسطة؟

جدول(2) تحليل البيانات

التفسير	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	البعد
مرتفع	0.69	3.91	القلق
متوسط	0.73	3.64	التوتر
متوسط	0.77	3.32	الاكتئاب
متوسط منخفض	0.84	3.10	العلاقات الاجتماعية

وبالنتيجة تبين ان مستوى الصحة النفسية لدى الطلبة أقل من المتوسط، ويظهر القلق كأبرز الأعراض.

ثالثاً: نتائج السؤال الثالث

هل توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين الهوية الرقمية والصحة النفسية؟

تم استخدام معامل ارتباط بيرسون بين درجات مقياسي الهوية الرقمية والصحة النفسية:

$r = -0.51$ (دالة عند مستوى 0.01)

التفسير: هناك علاقة عكسية متوسطة القوة بين الهوية الرقمية والصحة النفسية، أي كلما زادت مظاهر الهوية الرقمية (وخاصة المقارنة الرقمية)، انخفضت مؤشرات الصحة النفسية.

رابعاً: نتائج السؤال الرابع:

هل توجد فروق في مستوى الهوية الرقمية تعزى لمتغير الجنس أو الصف الدراسي؟

باستخدام اختبار (ت) للعينات المستقلة تبين وجود فروق دالة إحصائيًا لصالح الإناث في بُعد "المقارنة الرقمية".

ومن خلال تحليل التباين حسب الصف الدراسي لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية.

خامساً: نتائج السؤال الخامس

هل توجد فروق في مستوى الصحة النفسية تعزى لمتغير الجنس أو الصف الدراسي؟

لوحظ وجود فروق دالة إحصائيًا في بُعد "القلق" لصالح الإناث.ولا توجد فروق في بقية الأبعاد.

سادساً: مناقشة النتائج

ارتفاع مستوى المقارنة الرقمية يعكس تأثر الطلبة الكبير بالمقارنات السطحية على منصات التواصل، مما يؤثر على ثقتهم بأنفسهم.

العلاقة السلبية بين الهوية الرقمية والصحة النفسية تتفق مع نتائج دراسات (Kim & Lee, 2022)، التي أكدت أن الفجوة بين الصورة الرقمية والحقيقية تولّد مشاعر ضغط نفسي.

تفوق الإناث في القلق والمقارنة الرقمية قد يُعزى إلى حساسيتهم الاجتماعية الأكبر وتأثرهم بالمظهر والصورة في العالم الافتراضي.

الفصل الخامس: الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات

الاستنتاجات:

في ضوء النتائج التي تم التوصل إليها، يمكن استخلاص الاستنتاجات التالية:

- ❖ الهوية الرقمية لدى طلبة المرحلة المتوسطة متوسطة إلى مرتفعة، ويظهر تأثيرها الأكبر في بُعد "المقارنة الرقمية"، مما يدل على تأثر الطلبة الكبير بصور الآخرين عبر المنصات.
- ❖ الصحة النفسية لدى الطلبة دون المستوى المطلوب، حيث أظهرت النتائج ارتفاعًا ملحوظًا في مستويات القلق، يليه التوتر والاكتئاب، مما يعكس الحاجة لدعم نفسي متزايد في هذه الفئة العمرية.
- ❖ توجد علاقة ارتباطية عكسية ذات دلالة إحصائية بين الهوية الرقمية والصحة النفسية؛ أي أن ازدياد انشغال الطلبة ببناء صورة رقمية مثالية يقابله انخفاض في مستوى الصحة النفسية لديهم.

وقد أظهرت النتائج فروقًا دالة إحصائيًا لصالح الإناث في بُعدي القلق والمقارنة الرقمية، مما يدل على تأثر الفتيات نفسيًا أكثر من الذكور عند التعامل مع الهوية الرقمية.

كما انها لم تُظهر النتائج فروقًا جوهرية تبعًا للصف الدراسي، مما يشير إلى أن أثر الهوية الرقمية والصحة النفسية يتوزع على مختلف مستويات المرحلة المتوسطة بشكل متقارب.

أظهرت النتائج أن هناك علاقة ارتباطية سالبة دالة إحصائياً بين ارتفاع مستوى الهوية الرقمية والاستخدام المكثف لمنصات التواصل، وبين انخفاض الصحة النفسية، خصوصاً في بعد القلق والاكتئاب.

كما تبين أن الإناث أكثر تأثراً من الذكور من حيث تأثر الصحة النفسية بالاستخدام الزائد لمواقع التواصل.

ثانياً: التوصيات

في ضوء النتائج والاستنتاجات السابقة، توصي الباحثة بالآتي:

1. تنظيم استخدام الطلبة لمنصات التواصل الاجتماعي عبر برامج مدرسية وأسرية تهدف إلى تعزيز الوعي الرقمي وتحديد أوقات الاستخدام.

2. دمج مهارات التربية الرقمية في المناهج الدراسية لتعليم الطلبة كيفية بناء هوية رقمية متوازنة تعكس القيم والواقع.

3. تعزيز برامج الصحة النفسية في المدارس، وتفعيل دور الإرشاد التربوي والنفسي بشكل مستمر ومنهجي.

4. تدريب المعلمين وأولياء الأمور على فهم طبيعة الهوية الرقمية وتأثيرها على نفسية الطلبة، ليكونوا داعمين لا رافضين لعالمهم الرقمي.

5. تشجيع الطلبة على التعبير عن ذواتهم الواقعية وتعزيز الثقة بالنفس بعيدًا عن المقارنات السطحية مع الآخرين في البيئات الافتراضية.

ثالثاً: المقترحات

استكمالًا لهذا البحث، تقترح الباحثة إجراء دراسات مستقبلية في المجالات الآتية:

- دراسة الهوية الرقمية وعلاقتها بتقدير الذات أو الاحتراق النفسي لدى الطلبة.
- إجراء دراسة مقارنة بين المرحلة المتوسطة والإعدادية في تأثير الهوية الرقمية.

- تحليل تأثير نوع المنصة الاجتماعية (مثل: TikTok, Instagram, Telegram) على الصحة النفسية.
- استخدام مناهج نوعية (مقابلات أو ملاحظات) لفهم أعمق لتجارب الطلبة في بناء هويتهم الرقمية.
- استخدام برامج تدخلية رقمية لتحسين التوازن بين الحياة الواقعية والافتراضية لدى المراهقين كتجربة .
- ضرورة توعية طلبة المرحلة المتوسطة بكيفية الاستخدام الآمن والصحي للتقنيات الرقمية.
- دمج مفاهيم الهوية الرقمية والصحة النفسية في المناهج الدراسية.
- تفعيل دور الإرشاد النفسي والتربوي في المدارس لمتابعة أثر التكنولوجيا على الطلبة.

المصادر والمراجع

- أبو الخير، محمد (2020). الصحة النفسية لدى المراهقين. دار الفكر.
- الدوري، سعاد معروف (2014): دراسات في الصحة النفسية والإرشاد النفسي ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، جامعة بغداد.
- الصعب ،ريان سعد(2025): المركز الوطني لتعزيز الصحة النفسية ، بحث نشر، مجلة الصحة النفسية ،السعودية.
- عبد الحميد، سعاد (2021): الهوية الرقمية في عصر التواصل الاجتماعي. مجلة التربية الحديثة.
- عبد الحميد، محمد عبد الرحمن. (2016): الهوية الرقمية في عصر شبكات التواصل الاجتماعي، القاهرة: عالم الكتب.

- عبد الله، محمد قاسم. (2025). مدخل إلى الصحة النفسية. دار الفكر.
- محمد ,لعويد ,2025 .من الهوية الرقمية إلى الذات المعتمدة رقميًّا :نحو إطار مفاهيمي في علم النفس .مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية .السيبراني.
- المصادر الأجنبية :

- Ahmed, L. (2022). Digital Identity and Adolescent Mental Health. Journal of Psychology and Media.
- Digital footprints: Online identity management and search in the age of social media.
- Keles ؛ Valkenburg & Peter, 2013 ؛ Turkle, 2011 ؛Festinger, 1954 et al., 2020)
- Keles, B., McCrae, N., & Grealish, A. (2020). A systematic review: The influence of social media on depression, anxiety and psychological distress in adolescents –International Journal of Adolescence and Youth, 25(1), 79–93.
- Madden, M., Fox, S., Smith, A., & Vitak, J. (2007).
- Turkle, S. (2011). Alone Together: Why We Expect More from Technology and Less from Each Other. New York: Basic Books.

- Valkenburg, P. M., & Peter, J. (2011). Online communication and adolescent well-being: Testing the stimulation versus displacement hypothesis. Journal of Computer-Mediated Communication, 16(2), 200–209.
- World Health Organization (WHO). (2022).Mental health: Strengthening our response.Geneva: World Health Organization.
- World Health Organization. (2022). Mental Health Overview.

الملاحق:

مقياس الهوية الرقمية (إعداد الباحثة)

الغرض من المقياس:

يهدف إلى قياس مستوى الهوية الرقمية لدى طلبة المرحلة المتوسطة من خلال أربعة أبعاد: (التمثيل الرقمي، التفاعل الرقمي، المقارنة الرقمية، المحتوى الرقمي المنشور).

تعليمات الإجابة:

عزيزي الطالب / عزيزتي الطالبة،

أمامك مجموعة من العبارات التي تتعلق بتصرفاتك وسلوكك في استخدام الإنترنت ومنصات التواصل الاجتماعي.

يرجى وضع إشارة (✓) تحت الخيار الذي يُعبّر عن مدى انطباق كل عبارة عليك، وفق الآتي:

التقدير	دائمًا	غالبًا	أحيانًا	نادرًا	أبدًا
الدرجة	5	4	3	2	1

أولاً: التمثيل الرقمي (Digital Representation)

ت	الفقرة	دائمًا	غالبًا	أحيانًا	نادرًا	أبدًا
1	أستخدم اسمي الحقيقي في حساباتي على وسائل التواصل.					
2	أضع صورتي الشخصية في ملفي التعريفي.					
3	أهتم بالطريقة التي أُقدِّم بها نفسي عبر الإنترنت					
4	أحرص على أن تعكس صفحتي هويتي الواقعية.					
5	أختار كلمات تعبر عن شخصيتي في النبذة التعريفية.					

ثانيًا: التفاعل الرقمي (Digital Interaction)

ت	الفقرة	دائمًا	غالبًا	أحيانًا	نادرًا	أبدًا
6	أتفاعل مع منشورات الآخرين (إعجاب، تعليق، مشاركة).					
7	7. أشارك يومياتي مع أصدقائي عبر المنصات الاجتماعية.					
8	أُكوّن صداقات جديدة من خلال الإنترنت.					
9	أشارك في المحادثات الجماعية على التطبيقات.					
10	أتابع حسابات مشابهة لاهتماماتي الشخصية.					

ثالثًا: المقارنة الرقمية (Digital Comparison)

ت	الفقرة	دائمًا	غالبًا	أحيانًا	نادرًا	أبدًا
11	أقارن نفسي بالآخرين من خلال ما ينشرونه.					

12	أشارك يومياتي مع أصدقائي عبر المنصات الاجتماعية.					
13	أُكوّن صداقات جديدة من خلال الإنترنت.					
14	أشارك في المحادثات الجماعية على التطبيقات.					
15	أتابع حسابات مشابهة لاهتماماتي الشخصية.					
16	أحاول تقليد ما يعرضه المؤثرون والمشاهير.					
17	أشعر بالإحباط أحيانًا بعد تصفح منصات التواصل.					
18	أعدل من سلوكياتي بسبب ما أراه على الإنترنت.					

رابعًا: المحتوى الرقمي المنشور (Digital Content)

ت	الفقرة	دائمًا	غالبًا	أحيانًا	نادرًا	أبدًا

19	أنشر صورًا تعكس جانبي الإبداعي أو المميز.					
20	أشارك إنجازاتي المدرسية أو الشخصية مع المتابعين.					
21	أُخطط لطريقة نشر منشوراتي لتبدو جذابة.					
22	أختار الزاوية الأفضل للصور قبل نشرها.					
23	أستخدم فلاتر أو تعديلات لتحسين مظهري في الصور.					
24	أتجنب نشر محتوى قد يسيء لي لاحقًا.					
25	أحرص على خصوصية منشوراتي.					
26	أتابع تفاعل الآخرين مع منشوراتي بدقة.					

27	أحذف المنشورات التي لا تحصل على إعجابات كافية.					
28	أقضي وقتًا في التفكير قبل نشر أي محتوى.					

طريقة التصحيح:

تُحسب الدرجة الكلية بجمع الدرجات لجميع الفقرات (الدرجة القصوى = 125، الحد الأدنى = 25).

كل بُعد يتكون من 5 أو أكثر:

التمثيل الرقمي: (1–5)

التفاعل الرقمي: (6–10)

المقارنة الرقمية: (11–15)

المحتوى المنشور: (16–25)

مستويات الهوية الرقمية المقترحة:

من 25 إلى 58: مستوى منخفض

من 59 إلى 91: مستوى متوسط

من 92 إلى 125: مستوى مرتفع

مقياس الصحة النفسية

الغرض من المقياس: يهدف إلى قياس مؤشرات الصحة النفسية لدى طلبة المرحلة المتوسطة في الجوانب الآتية:

(القلق- التوتر- الاكتئاب- العلاقات الاجتماعية)

تعليمات الإجابة:

عزيزي الطالب / عزيزتي الطالبة،

ستجد أمامك مجموعة من العبارات التي تصف مشاعرك وتصرفاتك في حياتك اليومية.

يرجى قراءة كل عبارة بدقة، وتحديد مدى انطباقها عليك من خلال وضع إشارة (✓) تحت الخيار المناسب:

التقدير	دائمًا	غالبًا	أحيانًا	نادرًا	أبدًا
الدرجة	5	4	3	2	1

أولاً: القلق (Anxiety)

ت	الفقرة	دائمًا	غالبًا	أحيانًا	نادرًا	أبدًا

1.	أشعر بالقلق من دون سبب واضح.					
2.	أتوتر عندما أكون في مواقف اجتماعية					
3.	أخاف من أن يحدث لي شيء سيء.					
4.	أشعر أنني دائم التفكير في المستقبل بخوف.					
5.	أشعر أن قلبي ينبض بسرعة عند التوتر.					

ثانيًا: التوتر (Tension)

ت	الفقرة	دائمًا	غالبًا	أحيانًا	نادرًا	أبدًا
6.	أشعر بالتعب النفسي أغلب الوقت.					
7.	أغضب بسرعة من أشياء بسيطة.					
8.	أشعر أنني غير مرتاح داخليًا.					
9.	أواجه صعوبة في النوم بسبب التفكير.					
10.	أشعر أنني دائم الانفعال حتى مع المقربين.					

ثالثًا: الاكتئاب (Depression)

ت	الفقرة	دائمًا	غالبًا	أحيانًا	نادرًا	أبدًا
11.	أشعر أنني حزين من غير سبب واضح.					
12.	لا أشعر بالمتعة في الأمور التي كنت أحبها.					
13.	أشعر بعدم الرغبة في الذهاب إلى المدرسة.					
14.	أرى نفسي بلا قيمة أحيانًا.					
15.	أفضل العزلة على التفاعل مع الآخرين.					

رابعًا: العلاقات الاجتماعية (Social Relationships)

ت	الفقرة	دائمًا	غالبًا	أحيانًا	نادرًا	أبدًا
16.	أجد صعوبة في تكوين صداقات جديدة.					
17.	أشعر بالوحدة رغم وجود الناس حولي.					
18.	لدي أصدقاء يمكنني التحدث إليهم عند الحاجة.					
19.	أشعر أنني غير محبوب من الآخرين.					
20.	أشارك في الأنشطة الاجتماعية داخل المدرسة أو خارجها.					

طريقة التصحيح:

الدرجة الكلية = مجموع درجات جميع الفقرات (الحد الأدنى 20، الحد الأعلى 100).

كل بُعد يحتوي على 5 فقرات، ويمكن حساب درجات كل بعد على حدة أيضًا.

بعض الفقرات مثل (18 و 20) تكون إيجابية، ويمكن عكس ترقيمها عند التحليل إذا كانت تعني تحسنًا في الصحة النفسية.

مستويات الصحة النفسية المقترحة:

ت	مستوى الصحة النفسية	الدرجة
.1	مرتفعة (جيدة)	100 – 80
.2	متوسطة (مقبولة)	79 – 60
.3	منخفضة (تعاني اضطرابات خفيفة)	59 – 40
.4	ضعيفة (تعاني اضطرابات واضحة وتحتاج تدخلًا)	أقل من 40

المشروع النقدي عند إدريس هاني

م. م. هدير حسن جواد

الجامعة التقنية الوسطى – كلية البوليتكنك للفنون التطبيقية– بغداد/ قسم تقنيات الخزف

hadeer-hassan@mtu.edu.iq:Email

مُلَخصُ البحث:

يهدف بحثنا الموسوم بـ: ((المشروع النقديّ عند إدريس هاني)) إلى دراسة وتحليل المشروع النقديّ عند المفكر المغربي إدريس هاني والكشف عن مرتكزاته الفكريّة والمنهجيّة، فضلًا عن تحليل أهم المشكلات التي تطرق إليها من خلال النقد والمعالجة؛ بوصفه أحد المشاريع الفكريّة المعاصرة التي سعت إلى إعادة قراءة الفكر العربي– الإسلاميّ والواقع العربي برؤية نقديّة؛ فقد شهد الفكر العربيّ والإسلاميّ المعاصر تحولات فكريّة عميقة فرضتها التحديات السياسيّة والثقافيّة والاجتماعيّة التي رافقت تطور المجتمعات الحديثة، الأمر الذي دفع عددًا من المفكرين المعاصرين إلى إعادة النظر في المنظومات الفكريّة السائدة ومراجعة آليات قراءة التراث الإسلاميّ والعربيّ بما ينسجم مع متطلبات العصر الراهن ويحقق التوازن بين الأصالة والمعاصرة. وقد أسهمت هذه التحولات في ظهور عدد من المشاريع الفكريّة والنقديّة التي سعت إلى تجاوز اشكال التفكير التقليديّة واعتماد القراءة العلميّة القائمة على التحليل والنقد وإعادة بناء المفاهيم بعيدًا عن التسليم بالموروث.

ينصب اهتمام إدريس هاني على قضايا الفكر الإسلاميّ، ونقد الخطاب الدينيّ وإعادة قراءة التاريخ الإسلاميّ، فضلًا عن اهتمامه بالفلسفة والسياسة والاخلاق. وتميز مشروعه بالجمع بين المنهج التاريخيّ والتحليل

الفلسفيّ والنقد المعرفيّ، مستندًا إلى فكرة تؤكد أنَّ الحقيقة لا تُدرك إلا من خلال البحث العلميّ الحر الذي يقوم على الدليل والبرهان بعيدًا عن التعصب الفكريّ أو الأحكام المسبقة.

وتكمن أهمية البحث في الكشف عن الأسس الفكريّة والمنهجيّة التي يقوم عليها المشروع النقديّ، وتحليل موقفه من قضايا الخطاب الدينيّ والواقع الثقافيّ والسياسيّ وتبيان رؤيته للإصلاح النهضويّ بوصفه مدخلًا لتجديد الفكر وإعادة بناء الوعي.

الكلمات المفتاحية: العقل العربيّ، النقد، الدين، الثقافة، السياسة.

المقدمة

اتسمت المرحلة المعاصرة في الغرب بتقدمٍ ملحوظ في مجالات المعرفة والعلم والتكنولوجيا، حتى غدت مرحلةً شاملة للتطور شملت مختلف جوانب الحياة. وعلى الرغم من هذا التقدم، فقد شهد الفكر العربيّ والإسلاميّ المعاصر تحولات فكريّة عميقة فرضتها التحديات السياسيّة والثقافيّة والاجتماعيّة التي رافقت تطور المجتمعات الحديثة، الأمر الذي دفع عددًا من المفكرين المعاصرين إلى إعادة النظر في المنظومات الفكريّة السائدة ومراجعة آليات قراءة التراث الإسلاميّ والعربيّ بما ينسجم مع متطلبات العصر الراهن ويحقق التوازن بين الأصالة والمعاصرة. وقد أسهمت هذه التحولات في ظهور عدد من المشاريع الفكريّة والنقديّة التي سعت إلى تجاوز اشكال التفكير التقليديّة واعتماد القراءة العلميّة القائمة على التحليل والنقد وإعادة بناء المفاهيم بعيدًا عن التسليم بالموروث أو رفضه بصورة مطلقة. ومن ثم، أصبح المشروع النقديّ يمثل أحد أهم المسارات الفكريّة التي تهدف إلى تفكيك البنى المعرفيّة السائدة والكشف عن أسسها الفكريّة والتاريخيّة، وإعادة تقويمها في ضوء المناهج العلميّة الحديثة.

يُعدّ إدريس هاني من أهم المفكرين العرب المعاصرين الذين قدموا مشروعًا نقديًا اتسم بالشمول والتنوع؛ إذ اهتم بقضايا الفكر الإسلاميّ، ونقد الخطاب الدينيّ وإعادة قراءة التاريخ الإسلاميّ، فضلًا عن اهتمامه بالفلسفة والسياسة والاخلاق. وتميز مشروعه بالجمع بين المنهج التاريخيّ والتحليل الفلسفيّ والنقد المعرفيّ، مستندًا إلى فكرة تؤكد أنَّ الحقيقة لا تُدرك إلا من خلال البحث العلميّ الحر الذي يقوم على الدليل والبرهان بعيدًا عن التعصب الفكريّ أو الأحكام المسبقة.

تنبع أهمية البحث من كونها تمثل تجربة فكريّة معاصرة تسعى إلى تقديم قراءة جديدة للفكر العربي والإسلاميّ، وتحليل الأنساق الفكريّة التي أسهمت في تشكيل الوعي الإسلاميّ عبر التاريخ، كما أنَّ هذا المشروع لا يقتصر على نقد الأفكار، وإنما يتجاوز ذلك إلى البحث في أصولها المعرفيّة والتاريخيّة والكشف عن اسباب تشكلها وآثارها في الواقع الثقافيّ والفكريّ، الأمر الذي يجعل دراسته ذات أهمية علمية في فهم طبيعة الخطاب النقديّ المعاصر واتجاهاته.

إزاء ذلك، يثار التساؤل الآتي: ما الأسس الفكريّة والمنهجيّة التي قام عليها المشروع النقديّ عند إدريس هاني؟، وما المرتكزات الفكريّة التي يستند إليها هاني في بناء مشروعه النقديّ؟، وما أهم القضايا التي تناولها بالنقد والتحليل؟، وهل نجح في تقديم مشروع اصلاحيّ للواقع العربيّ المعاصر؟، وكيف يساهم مشروعه في تجديد الفكر العربيّ الإسلامي المعاصر؟. وللإجابة عن هذه التساؤلات اعتمدنا على المنهج الوصفيّ والمنهج التحليليّ. وفي ضوء ذلك قسمنا البحث إلى محورين، فإما المحور الأول فحمل عنوان: الإطار المفاهيميّ للمشروع النقديّ، وإما المحور الثاني فجاء بعنوان: المشروع النقديّ عند إدريس هاني، فضلًا عن خاتمة تتضمن أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

المحور الأول: الإطار المفاهيميّ للمشروع النقديّ

يعدّ الجانب المفاهيميّ مدخلًا أساسيًّا لفهم موضوع الدراسة؛ وذلك لأنه يحدد الأسس النظريّة التي ينطلق منها النقد ويوضح طبيعة المفاهيم التي تشكل بنيته الفكريّة، فكل مشروع نقديّ يستند إلى مجموعة من المصلحات والأفكار التي تمنحه المنهجيّة لقراءة وتحليل الظواهر الثقافيّة والمعرفيّة وغيرها من الظواهر في ضمن رؤية علميّة متماسكة.

أولًا: تعريفات النقد

يعرف النقد لغةً: "النون والقاف والدال أصلٌ صحيح يدلُّ على إبراز شيء وبُروزه. من ذلك: النَّقَد في الحافر، وهو تقشُّرُهُ. حافرٌ نَقِدٌ: متقشَّر. والنقَد في الضَّرس: تكسُّره، وذلك يكون بتكشُف لِيطه عنه" (بن زكريا، ب. ت، صفحة 467).

وإما في الاصطلاح فيعرف بأنه: "فحص حر، أي غير مقيد بأي مذهب فلسفي. وهذا الفحص، عنده، ينصب على مدى تطابق معاني العقل ومدركات الحس" (وهبه، 2007، صفحة 655). ويعرف النقد أيضًا بأنه: "شك في المعرفة المكتسبة ومراجعة لأساسياتها؛ وهو محكمة تُشرع للمعرفة اعتمادًا على قواعد العقل؛ وهو تأزيم للأشياء والنصوص والأفكار؛ وهو نقضٌ جذري للأسس العامة التي ينبني عليها المجتمع القائم على العلاقات اللا متكافئة" (أفاية، 2014، صفحة 17).

ثانيًا: تجليات المشروع النقديّ في الفكر العربيّ- الإسلاميّ المعاصر

لا يمكن أن نتناول المشروع النقديّ عند إدريس هاني بمعزل عن السياق الفكريّ الذي نشأ فيه؛ إذ شهدت الساحة الفكريّة العربيّة في المرحلة المعاصرة ظهور مفكرين عدة يتطرقون إلى العديد من المشاريع النقديّة التي تهدف إلى مراجعة البنيّة الفكريّة والمعرفيّة والثقافيّة الموروثة وإعادة دراستها في ضمن متطلبات العصر الراهن.

يدعو أغلب المفكرين العرب المعاصرين إلى النزعة النقديّة؛ فقد بدأ "وعي عربي ذو طبيعة نقدية يتحرك، وهو يسعى إلى خلخلة الفهم المشترك الذي تعوّد عليه الإنسان العربي، سواء في تعامله مع ذاته أو تراثه أو واقعه، أو في سلوكه إزاء مظاهر الحداثة وأشكال التنظيم العقلانية كافة" (أفاية، 2014، صفحة 151). يعاني الفكر العربيّ المعاصر في الوقت الراهن من أزمة معقدة؛ وذلك بسبب الصعوبات والتحديات التي شهدها على مر التاريخ من فوضى سياسيّة وأوضاع اجتماعيّة واقتصاديّة متدهورة والتقيد بالفكر التي تراكمت وأصبحت عائق للتقدم؛ وذلك نتيجة التداخل بين التراث والحداثة وتشتت المرجعيات التي يعتمد عليها المفكر العربيّ وعدم وضوح المشروع النهضويّ، فالمفكر العربيّ يعاني من ضبابية فكريّة وازدواجية بين أفكار الماضي وضغط الحاضر مما يجعلهُ يبحث عن التوازن والمعنى لذلك يسعى المفكرون إلى تشخيص هذه الأزمات منهم على سبيل الذكر: زكي نجيب محمود (1905-1993م)، محمد عابد الجابري (1935-2010م) ، محمد أركون (1928-2010م) وغيرهم (محمد، 2025، صفحة 199).

يطرح المفكر المصريّ زكي نجيب محمود في كتابه ((تجديد الفكر العربي)) تساؤلًا مهمًا وهو: "كيف السبيل إلى ثقافة موحدة متسقة يعيشها مثقف حي في عصرنا هذا، بحيث يندمج فيها المنقول والأصيل في نظرة واحدة؟" (محمود، 2017، صفحة 8). يجيب عن ذلك السؤال من خلال مشروعه النقديّ إذ يذهب إلى تشخيص الواقع الفكريّ العربيّ ويرى أن الأزمة التي تعيشها المجتمعات العربيّة ليست أزمة سياسيّة أو اقتصاديّة بعينها وإنما هي أزمة فكريّة ومنهجيّة؛ إذ ترتبط مظاهر التخلف الحضاريّ بسيادة انواع من التفكير التقليديّ الذي يمنع قدرة العقل على الإبداع والتجديد مما أدى إلى اتساع الفجوة بين الواقع العربيّ ومنجزات الحضارة الحديثة، إذ أنَّ فكرة تحقيق أي مشروع اصلاحيّ في الواقع العربيّ لا يمكن أن يحدث إلا من خلا إعادة بناء العقل العربيّ وتغير طرق تفكيره؛ لأن النهضة الحقيقيّة تنطلق من إصلاح الفكر قبل إصلاح المؤسسة، لذا فأنهُ يدعو إلى مراجعة نقديّة للبنيّة الفكريّة العربيّة

تقوم على التفكير العقليّ بما يلائم الأرضيّة الازمة لبناء مشروع حضاريّ يستطيع التوفيق بين الهويّة ومتطلبات العصر الراهن (محمود، 2017، الصفحات 22-23). يشدد محمود على التفكير العقلانيّ وهذا السياق يشير قائلًا: "مهما يكن المصدر الأول الذي يستقي منه الإنسان مبادئ المعرفة والعلم، ثم يعود فيبني على تلك المبادئ سائر أحكامه وأفكاره ومعتقداته ومذاهبه،...، أقول إن المصدر الأول لمبادئ المعرفة والعلم،...، وذلك هو ((العقل))- ليستخرج كل ما يجد في وسعه أن يستخرجه من أحكام وأفكار" (محمود، 2017، صفحة 19).

وفي سياق الاهتمام بإشكاليات النهضة وتجديد الفكر العربيّ ظهر المفكر المغربيّ محمد عابد الجابري كأحد أهم المفكرين الذين قدموا مشروعًا نقديًا متكاملًا يدعو من خلاله إلى إعادة قراءة التراث وبنيّة العقل العربيّ. ففي مشروعه النهضويّ يذكر الجابري قائلًا: "والشرط الضروري لتجديد العقل العربي وتحديث الفكر العربي وتغير الوضع العربي هو كسر قيود التقليد وقطع خيوط التبعية. إنه ((الاستقلال التاريخي)) الذي لا ينال إلا بممارسة النقد" (الجابري، 1991، صفحة 60). فالنقد يعدُّ وسيلة لتفكيك البنية الفكريّة والخطابات التي تفرضها السلطة على الملتقيّ، فضلًا عن أنهُ يدعو إلى إعادة البحث في المفاهيم والمصطلحات السائدة والكشف عن مرجعها الفكريّ والإيديولوجيّ بما يسمح ببناء وعي نقديّ يجعل من التراث أكثر قدرة على التفاعل مع متطلبات العصر الراهن (الجابري، 1991، الصفحات 60-61).

يرى الجابري أن عقليّة الإنسان العربيّ المعاصر ما زالت تتمسك بالماضي وصراعاته إلى درجة التسليم به كواقع حال مما أدى إلى عدم إمكانية البحث في المستقبل فلا "يمكن للعرب كأمة لها تاريخها وتراثها، أن يتحرروا من هذا التراث ويرموه في البحر،...، ولذلك فالمطلوب منا هو استيعاب هذا التراث استيعابًا عقلانيًا" (الشيخ، 2011، صفحة 22). وإما خطوات المنهج عند الجابري فأنها تتسم بضرورة القطعية مع الفهم التراثي للتراث، فصل المقروء عن

القارئ من خلال القراءة الموضوعيّة للتراث، ووصل القارئ بالمقروء أي الاستمراريّة (الجابري، نحن والتراث (قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي)، 1985، الصفحات 19-25).

بذلك يرسخ الجابري مكانته بوصفه أحد أهم رواد المشروع النقديّ العربيّ الذي يدعو إلى إعادة بناء العقل العربيّ من خلال القراءة النقديّة للتراث وتحرير الفكر من القيود المعرفيّة، وفي السياق نفسه يظهر المفكر الجزائري محمد أركون كأحد أهم المفكرين الذين انشغلوا بقضايا النهضة الذي قدم رؤية نقديّة مغايرة تنطلق من مراجعة التراث الإسلاميّ في ضوء المناهج الإنسانيّة الحديثة.

ينصب اهتمام أركون في دراسة التراث الإسلاميّ والعربيّ من جانب نقديّ ويستعين بمناهج العلوم الإنسانيّة الحديثة، إذ يعرف الفكر النقديّ بأنه ممارسة فكريّة تقوم على الشروط النظريّة التي تحقق مشروعية أو عدم مشروعية المعارف، فكل المعارف التي ينتجها العقل لا بدَّ أن تخضع للفحص والمراجعة النقديّة (مسيكة و شتوح، 2022، صفحة 32). في هذا الصدد يشير أركون قائلًا: "التفحص والبحث المتمثل في فهم كل المنتجات الثقافية العربية،...، برنامج نقدي بمعنى دراسة شروط صلاحية كل المعارف التي انتجها العقل ضمن الاطار الميتافيزيكي والمؤسساتي والسياسي الذي فرض عن طريق ما كنت قد دعوته بالظاهرة القرآنية والظاهرة الإسلامية" (أركون، 1996، صفحة 13). يدعو أركون إلى تأسيس فكرة دينية جديدة في الإسلام؛ وذلك لتساهم في معالجة إشكالية التراث الإسلاميّ على وفق منجزات العصر والحداثة ويتناسب مع معطيات العلوم الحديثة بعيدًا عن الممارسة التقليديّة، فأن تجاوز مشكلة أزمة الفكر العربيّ لا يتكون في "استهلاك التراث والإفتخار بعز الآباء والأجداد، وإنما في اعتبار هذا التراث نقطة إنطلاق للحاق بركب الحضارة والعصر" (بقدي، 2015-2016، الصفحات 52-53). يبرر أركون موقفه من هذه الفكرة بقوله: "أن الإيمان التقليدي قد قيّد نفسه بأشياء ذات جواهر جامدة لا تحول ولا تزول، جواهر قادرة

على استيعاب المتغيرات الطارئة والمدعوة آنذاك ((بالأرثوذكسية)). أما الإيمان الحديث فهو يضطلع بكل متغيرات التاريخ وحركياته ويقبل بإعادة النظر بكل شيء" (أركون، من فيصل التفرقة إلى فصل المقال (أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟)، 1995).

يسعى أركون من خلال مشروعه النقديّ إلى "تجديد الفكر الإسلامي عبر إحداث ثورة داخلية عارمة، لا تدع مجالاً معرفياً إلا سلكته، ليتمكن المسلمون من الالتحاق بركب الحضارة،...، كذلك من أهداف مشروعه النقدي، تأسيس نظرية جديدة في التعامل مع التراث، تقوم على نقد بنيته التكوينية وآلياته المعيارية، ثم إخضاعه للنموذجية الغربية في التفكير، كما يهدف أيضًا إلى إعادة كتابة جديدة لكل تاريخ الفكر الإسلامي والفكر العربي" (إبراهيم، 2015، صفحة 297).

ثالثًا: نبذة عن إدريس هاني (حياته، مؤلفاته)

يعدّ إدريس هاني مفكّرًا وناقدًا للواقع، ومؤرخًا وباحثًا في الدين والسياسة والأخلاق. وُلِد في عام 1967م في مدينة مولاي بالمغرب، ونشأ في بيئة أسريّة واجتماعيّة اتسمت بالانفتاح الفكريّ واحترام حرية الرأي، مما منحه الثقة بالنفس وأسهم في تكوين شخصيته الفكريّة والنقديّة بعيدًا عن القيود عقائديّة. لذلك، لم يواجه في بداية رحلته العلميّة أي مشكلة في مجال البحث والدراسة. فضلًا عن ذلك ساهم المجتمع المغربيّ، بوصفه مجتمعًا مدنيًا يدعو إلى التسامح، في ترسيخ مبدأ حرية الاختيار الفكريّ والابتعاد عن التعصب. ومنذ بداياته أتجه إلى دراسة الفكر الإنسانيّ والإسلاميّ دراسةً نقديّة، مؤمنًا بأن فهم الدين لا ينفصل عن دراسة التاريخ؛ إذ يعدُ مصدرًا علميًا أساسيًا لفهم تطور العقائد والأفكار (إدريس هاني: قصة إستبصار مفكر مغربي، 2010).

واجه هاني خلال مسيرته الفكريّة اعتراضاتٍ وتحذيراتٍ من الخوض في القضايا التاريخيّة القديمة، لكنه رفض الخضوع لهذه الضغوط؛ لأنه يرى أن البحث عن الحقيقة أولى من الخوف من إثارة الجدل. كما تجاوز فكرة تقديس الاشخاص، مؤكدًا أن البحث عن الحقيقة تعلو على جميع الأفراد، الأمر الذي دفعه إلى مواصلة رحلته البحثية بكل عزيمة وإصرار على الرغم من كلُّ ما واجهه من (إدريس هاني: قصة إستبصار مفكر مغربي، 2010).

وإما ما يخص مؤلفاته، فعرفت مؤلفات وكتابات إدريس هاني بأنها انعكاس لمؤثرات بيئته الراهنة والتي هي على النحو الآتي:

1. حوار الحضارات.
2. الإسلام والحداثة: إحراجات العصر وضرورات تجديد الخطاب.
3. حداثة السادة وحداثة العبيد: في تصالح الإمكان الحداثي مع الإمكان الإسلامي.
4. سراق الله: الإسلام السياسي في المغرب- تأملات في النشأة والخطاب والأداء.
5. محنة التراث الآخر.
6. علي والأخلاق السياسية.
7. ما بعد الرشدية.
8. الخلافة المغتصبة: أزمة تاريخ أم أزمة مؤرخ؟.
9. الإمام المهدي: حقيقة تاريخية أم فرضية فلسفية؟.
10. أخلاقنا: في الحاجة إلى فلسفة أخلاق بديلة.

11. المهدي المنتظر: فلسفة الغيبة وحتمية الظهور.

12. الاجتهاد الممانع: السياسة والثقافة والمجتمع في فكر الإمام الخامنئي.

13. سؤال العنف بين الأصولية والحداثة.

14. الدين والسياسة.

15. الطائفية وصناعة الاستبداد.

16. مشروع التبني الحضاري والتجديد الجذري.

17. مشكلة التقريب وأزمة المقاربات.

18. تدبير الاحتضار: من الموت البيولوجي إلى الموت السياسي.

المحور الثاني: المشروع النقديّ عند إدريس هاني

نشأ مشروع هاني الفكريّ في سياق الأزمة التي عاشها العقل العربيّ والإسلاميّ وما نتج عنها من تعثر مشاريع النهضة والإصلاح؛ وذلك بسبب هيمنة انواع التفكير الجامد وانغلاق باب الاجتهاد، وفي هذا الإطار ظهرت الحاجة إلى إعادة بناء الفكر المقاصديّ بوصفه أحد المسارات الاجتهاديّة التي تستطيع استعادة فاعلية العقل وتجاوز حالة الانغلاق المعرفيّ، لذلك يتسم مشروع هاني بالطابع النقديّ الذي يجمع بين الرؤية الحضاريّة والمنهج الفلسفيّ، إذ يركز على الدراسة النقديّة؛ وذلك لأن النقد يعد أداة لإعادة فحص المسلمات وكشف البنى المعرفيّة التي تسيطر على الفكر العربيّ والإسلاميّ معتمدًا على فكرة أنَّ وظيفة الفلسفة لا تقتصر على تقديم الحلول وإنما تعمل على إعادة تعريف المشكلات والكشف عن جذورها العميقة بوصفها مدخلًا للإصلاح الفكريّ (مجموعة مؤلفين، 2017، صفحة 945). يتميز المنهج النقديّ عند هاني "بالاجتهاد التحليلي الذي يهدف إلى فهم وتقييم الأوضاع السياسية

والفكرية في العالم العربي والإسلامي من خلال حفر ودراسة ونقد الخطابات والمعارف المتداولة في المجتمع، والعلاقة بين السلطة والمعرفة والمثقفين، والصراعات الإيديولوجية وراء كل المشاريع الفكرية في العالم العربي، وحدودها وأبعادها ورهاناتها" (مجموعة مؤلفين، 2017، صفحة 946). وفي هذا السياق يقول: "ننطلق في عملية النقد هذه من دون حرج أو مسبقات. ومشروعنا في التبني الحضاري والتجديد الجذري يساعد على تجاوز هذا النمط من الرؤية الاختزالية والميكانيكية لمشكلاتنا وحلولنا" (هاني، المعرفة والاعتقاد (مقاربة "عبر- مناهجية" في أنساق الفكر الإسلامي)، 2012، الصفحات 256-257).

يبين هاني إن الفكر المعاصر أصبح أسيرًا لواقع الأزمة بدل أنَّ يكون قادرًا على تجاوزها فتحولت مفاهيم التجديد والإصلاح عند بعض الاتجاهات إلى شعارات تفتقر إلى المراجعة النقديّة العميقة، وإنما أصبحت وسيلة لإعادة إنتاج البنى الفكريّة ذاتها التي ساهمت في تكريس حالة الانحطاط، فالخطاب الإصلاحيّ لم ينجح بصورة تامة في مواكبة التحولات السياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة لأنه انشغل بتبرير الإخفاق أو تحميل المسؤولية لعوامل خارجيّة بدلًا من ممارسة النقد الذاتيّ الذي يعيد النظر في الأسس الفكريّة التي انطلق منها (هاني، الإسلام والحداثة (إحراجات العصر وضرورات تجديد الخطاب)، 2005، صفحة 15).

إنَّ الفكر العربيّ في الوقت الحاضر يتداخل مع كلُّ المشاريع ويقترب من كلُّ المفاهيم ويخوض في مختلف التجارب، إلا أن مشكلته تكمن في "كونه ضحية تمثلات تفوق واقعه ومتوقعه. أنه يتعالى بالفكر حيث يتدنّى في الممارسة. لم ننتج حلولًا من فكرنا، لأننا لم ننتم بفكرنا للمكان. لم نمارس التفكير بهتك المفاهيم وإعادة بنائها على أسس ذلك الانتماء للموضوع" (هاني، ما وراء المفاهيم (من شواغل الفكر العربي المعاصر)، 2009، صفحة 11). عليه يشير هاني قائلًا: " وجب على العقل العربي، وهو يحبو على طريق البحث عن مخارج لأزمته التاريخية وعن حلول

لمآزقه، أن يلتمس المهول والمدهش" (هاني، المعرفة والاعتقاد (مقاربة "عبر- مناهجية" في أنساق الفكر الإسلامي)، 2012، صفحة 256). وعليه، سنتطرق إلى نقد الخطاب الدينيّ ونقد الواقع الثقافي والسياسيّ عند إدريس هاني.

أولًا: نقد الخطاب الدينيّ

يذهب هاني إلى القول: "يكفي لفهم هذه الحقيقة أن الدين يوفر من التعاليم ما تتفاوت حوله العقول في الجيل الواحد وداخل الثقافة الواحدة بل داخل النظيمة الواحدة. هناك معايير لتحقيق المعرفة الدينية وعدم الشطط في الفهم وفي استعمال سلطة الدين أيضًا" (هاني، 2015، صفحة 14).

يتطرق هاني إلى نقد الخطاب الدينيّ الذي يجعل الإسلام جوابًا جاهزًا لجميع الإشكالات من دون تبيان الآليات العملية لتحويل القيّم الإسلاميّة إلى مشروع حضاريّ، فالمشكلة ليست في الدين ذاته، وإنما في طريقة توظيفه في داخل الخطاب الفكريّ، إذ يتحول إلى شعار يُستخدم لتجاوز الأسئلة الحقيقية التي تتعلق بأسباب التخلف وشروط النهضة مما يؤدي إلى ضعف التفكير النقديّ والاكتفاء بالحلول الخطابيّة (هاني، 2009، الصفحات 48-49). يذهب هاني إلى نقد الخطاب الدينيّ الذي يؤمن بأن الإسلام يمثل الحل من دون تحويل هذا الشعار إلى مشروع حضاريّ عمليّ إذ يرى أن الإشكالية لا تكمن في المرجعيّة الإسلاميّة نفسها، وإنما في توظيفها في داخل خطاب يغفل شروط النهضة وآليات إنتاج المعرفة، فيتحول الدين إلى إجابة مسبقة تُغلق باب السؤال والنقد بدلاً من أن يكون دافعًا للتجديد والإصلاح (هاني، 2009، الصفحات 50-53).

إنَّ جانباً من مشاريع النهضة ينطلق من الإصلاح الدينيّ بوصفه مدخلاً لمعالجة أزمة المجتمع، إلا أن هذه المشاريع تباينت في فهم العلاقة بين الدين والحداثة والتراث. وينتقد هاني القراءات التي حصرت الإصلاح في إعادة إنتاج الخطاب التقليديّ أو في القطيعة مع التراث، مؤكداً أن النهضة تقتضي قراءة نقديّة معتدلة للتراث الدينيّ تتيح الإفادة منه في بناء مشروع حضاريّ معاصر من دون الوقوع في الجمود أو التبعية أو التعصب (هاني، 2009، الصفحات 56-59). يؤكد هاني على أن إنتاج الصور السلبية عن الآخر يسهم في تغذية التعصب والكراهية ويؤدي إلى شرعنة مختلف أشكال العنف سواء على المستوى الفكريّ أم الاجتماعيّ أم السياسيّ أم الدينيّ، لذلك فإن معالجة هذه الأزمة تحتاج إلى مراجعة الأسس المفهوميّة التي تحكم علاقة الإنسان بغيره؛ وذلك لأن إصلاح المفاهيم ينعكس بصورة مباشرة على إصلاح السلوك والممارسة، فعلى سبيل المثال أن مفهوم التسامح لا ينبغي أن يُفهم بوصفه موقفًا أخلاقيًا عابرًا أو تنازلًا من طرف إلى آخر، وإنما بوصفه قيمة إنسانيّة وحضاريّة تقوم على الاعتراف المتبادل واحترام الاختلاف بما يسمح بتأسيس علاقات تقوم على الحوار والتعاون بدلًا من الصراع أو العنف، فالعلاقة بين التسامح والدين تكمن في جوهر الأديان التي تحمل في داخلها قيمًا تدعو إلى التعايش واحترام الإنسان، غير أن الممارسات المتطرفة وسوء توظيف النصوص الدينيّة أسهما في تشويه هذه القيم وتحويلها إلى أدوات للصراع، لذلك لا بد من قراءة عقلانيّة للنصوص وإلى ترسيخ ثقافة دينيّة تقوم على الاعتدال والحوار ونبذ التعصب (هاني، ما وراء المفاهيم (من شواغل الفكر العربي المعاصر)، 2009، الصفحات 142-145).

إنَّ أزمة الخطاب الدينيّ المعاصر لا ترجع إلى الدين في ذاته وإنما إلى هيمنة الأيديولوجيا على فهمه؛ إذ أصبح الدين يُوظَّف في الصراعات السياسيّة والثقافيّة، مما أدى إلى تشويه مفاهيمه وتحويلها إلى أدوات للصراع بدل أن تكون وسائل للتعايش، فالنقاش الدينيّ غالبًا ما يحدث خارج إطار معرفيّ وفلسفيّ رصين، الأمر الذي يجعل المفاهيم وفي مقدمتها التسامح عرضة للاستعمال الإيديولوجيّ، لذلك يرى أن مفهوم التسامح يعد نتاجًا تاريخيًا خاصًا بالتجربة

الغربيّة فيشير إلى أن فلاسفة التنوير ومنهم فولتير، أسهموا في ترسيخ مفهوم التسامح، إلا أنهم لم يتحرروا بصورة تامة من التعصب الثقافيّ والدينيّ، إذ ظلوا ينظرون إلى المسيحيّة بوصفها النموذج الأرقى، وهو ما يكشف عن استمرار نزعة الإقصاء في داخل خطاب يدعو نظريًا إلى قبول الآخر (هاني، 2009، الصفحات 149-151).

لا تكمن مشكلة الدين بوصفه منظومة قيم تدعو إلى الرحمة والتعايش، وإنما في الكيفية التي يتحول بها الدين إلى أداة بيد الإنسان العصبيّ فيعيد إنتاج التعصب والعنف تحت غطاء المقدس، فالدين في ذاته لا يصنع التعصب، بل إن الشخصية المتعصبة هي التي تُسقط بنيتها النفسيّة والأيديولوجيّة على النصوص الدينية فتنتج وعيًا وسلوكًا إقصائيين، فالخطاب الحقيقيّ للدين يدعو إلى الصبر والحوار والإحسان واحترام المخالف، وأن التعصب يمثل انحرافًا عن هذه المبادئ؛ لأن الحق لا يثبت بالعنف، وإنما بالحجة والصبر. لذلك فإن العنف الدينيّ غالبًا ما يكون نتاجًا للجهل المركب واليقين المغلق أكثر من كونه ثمرةً حقيقية للنصوص الدينية، فالإنسان هو المسؤول الأول عن إعادة توظيف النصوص وتأويلها بما يخدم مصالحه وصراعاته السياسيّة والمذهبيّة، مستندًا إلى مبررات أيديولوجيّة وتاريخيّة مختلفة، ومن ثم فإن الضحايا الذين سقطوا باسم الأديان هم في الحقيقة ضحايا للاستغلال البشريّ للدين، لا للدين نفسه، فعلى سبيل الذكر أنَّ التاريخ الإسلاميّ عرف صورًا من الصراع والتعصب والاقتتال الداخليّ وأن كثيرًا من هذه الممارسات كانت ذات دوافع سياسيّة ومذهبيّة أكثر من كونها نابعة من التعاليم الإسلامية نفسها. لذلك فأنهُ يدعو إلى قراءة نقديّة للتاريخ الدينيّ تكشف مسؤولية الإنسان عن صناعة العنف، بدل الاكتفاء بتبريره أو نسبته إلى الدين (هاني، ما وراء المفاهيم (من شواغل الفكر العربي المعاصر)، 2009، الصفحات 160-162). في هذا الصدد يشير هاني قائلًا: "إن تاريخ الإسلام شهد هو الآخر ما لم يكن من اليسير هضمه وفق التعاليم الإسلامية. لم يطور المسلمون ثقافة للتسامح النظري أو العملي فيما بينهم، ما عدا تقاليد أخلاقية تستند إلى منظور وعظي للأخلاق لا يرقى بها

إلى مصاف القانون الأخلاقي"، إذ ساهم التعصب المذهبيّ والطائفيّ في ترسيخ الانقسام وإضعاف القدرة على إدارة الاختلاف بصورة حضاريّة الأمر الذي أبقى الذاكرة التاريخيّة أسيرة الصراعات القديمة، وأعاق بناء ثقافة الاعتراف بالتعددية، لذا أنَّ نقد الواقع الدينيّ لا يتحقق بمهاجمة الدين، وإنما بنقد آليات توظيفه الأيديولوجي، وكشف البنيّة الفكريّة التي تنتج التعصب باسم المقدس (هاني، ما وراء المفاهيم (من شواغل الفكر العربي المعاصر)، 2009، صفحة 163).

يدعو هاني إلى الجديّة في دراسة الدين ويقول: "في موضوع الظاهرة الدينية يتعين الحذر الشديد من أشكال التعاطي الخفيف. فالمسألة الدينية هي اختبار حقيقي للمقاربات السوسيولوجية الجادة والمسؤولة. إن التعاطي الخفيف مع الدين هو خفة تشمئز منها السوسيولوجيا التي تدرك الحضور الديني هو أعمق وأعقد وأقدم وأبقى من أن نتعاطى معه بخلفية الاستخفاف والرفض والتعددية" (هاني، 2009، الصفحات 168-169)، يكمل قائلًا: "إذا حاول بعضهم أن يستقرئ من الأحداث ما يهول به أمر الأديان بوصفها صانعة العنف والتعصب كما لو كان العنف والتعصب لا وجود له إلا في المجتمع الديني، فإن السوسيولوجيا وجب عليها أن تستقرئ وتحصي المديات التي احتلها الشعور الديني ومدى مردودية ذلك على مستوى السلم والاستقرار المجتمعي، بدءاً بالتكافل الاجتماعي الذي يخفف من وطأة اختلال سياسة التوزيع وانتهاءً بالروح المعنوية وقوة التفاني في خدمة الاحتياطي المتبقي من روح القيم" (هاني، 2009، صفحة 169).

ثانيًا: نقد الواقع الثقافيّ والسياسيّ

يبين هاني أن المجتمعات العربيّة الراهنة تعاني من أزمة في فهم مصطلح المفاهيم، ومن يتأمل نفوذ المصطلح في أي ثقافة من الثقافات فأنه سيجد أن هناك علاقة موضوعيّة بين وضعية المفهوم من جهة، وبين وضعية الثقافة من

جهة أخرى؛ وذلك لأن أي مفهوم أو مصطلح لا ينشأ من وضع ثقافيّ متدهور وإنما ينشأ من بيئة ثقافيّة وحضاريّة تتميز بالمعرفة والعلم (هاني، 2009، صفحة 13). وفي هذا الشأن يذكر هاني قائلًا: "نواجه في المجال العربي إحدى أكبر المفارقات بخصوص صناعة المفاهيم وتداولها. إن استعمال المفاهيم لا يتجاوز دائرة النخبة،...، وما عدا تلك النخب لا يوجد في الثقافة العربية تداول ناجح للمفاهيم" (هاني، ما وراء المفاهيم (من شواغل الفكر العربي المعاصر)، 2009، صفحة 11).

يذهب هاني إلى المقارنة بين ثقافة الفكر العربيّ وثقافة الفكر الغربيّ، فعلى صعيد الفكر العربيّ يجد أن هناك اختلاف بين ما انتجه القدماء في زمنهم من أصالة الفكر والابداع في تناول المفاهيم والمصطلحات وبين ما كتبوه في أزمنة انحطاطهم؛ في مقابل الفكر الغربيّ الذي كان يناهض ويتقوم على ما أنتجه العرب آنذاك، وفي الوقت نفسه نجد أن الغرب تطور وأرتقى في مجالات المعرفة والعلم جعلته يعيد صياغة المفاهيم واختيار المصطلحات بدقة متناهية، وعليه انقلبت الأدوار وأصبح الفكر الغربيّ من أهم المصادر التي تدين بها الثقافات المعاصرة والمجتمعات العلميّة (هاني، ما وراء المفاهيم (من شواغل الفكر العربي المعاصر)، 2009، صفحة 13). يرجح هاني اسباب هشاشة الثقافة في المجتمعات العربية إلى أن البيئة العربيّة تشهد تحديات ترتبط بضعف النظام التربوي والبنية الثقافيّة؛ وأن هذه المجتمعات ما زالت تحارب الأمية بمختلف أنواعها الأبجديّة والثقافيّة والرقميّة، فمشكلة استعمال المفاهيم ترجع إلى النخبة؛ بمعنى أن هناك فئة من النخبة تتميز بالمحدودية في طرح المفاهيم؛ لذلك يجب على النخبة أن توسع من قاعدتها عن طريق الانخراط الجماهيريّ مع الطبقات الوسطى ولذلك نجده يشبه المفاهيم بالبضائع؛ لأنها تكتسب قيمتها من خلال تداولها بين الجماهير، فضلًا عن ذلك لم تستثمر النخبة شيوع مختلف المفاهيم والمصطلحات في الثقافة الفكريّة المعاصرة، التي انتقلت عن طريق الترجمة استثمارًا صحيحًا؛ وذلك بسبب قلة الخبرة وضعف الاحترافية مما خلق التباين في الفكرة الواحدة (هاني، 2009، الصفحات 12-13-14).

في مقابل ذلك نجد أن المثقف العربي اكتسب سلطة تماثل المثقف في المجتمع الغربيّ إلا أنها بقيت سلطة محدودة مما جعل "التنافس والتباري على موقعيه المثقف تشبه إلى حد ما عملية التباري السياسي والانتخابوي في السباق على السلطة. فطروء الفساد على العملية السياسية الهشة في المجتمع العربي يضارعه الفساد الطارئ على التباري على مواقع التسلط الثقافي مما نشأ عنه واقع مزرٍ، جعل المصطلحات تكسب في التداول الثقافي العربي ضرباً من الاستهلاك الرمزي بالمعنى السوسيولوجي" (هاني، ما وراء المفاهيم (من شواغل الفكر العربي المعاصر)، 2009، الصفحات 14-15).

يبيّن هاني أنّ المتلقي العربيّ انقسم إزاء شيوع المصطلحات الدخيلة إلى اتجاهين متباينين: الاتجاه الأول أدرك أهمية المصطلح والمفهوم في بناء المعرفة وتطور العلوم، إلا أنه تعامل معهما بقدر من التساهل المنهجيّ، مما أدى إلى انتشار التداول الاصطلاحيّ على حساب الدقة المفاهيميّة فأصبحت الألفاظ تتداول بمعزل عن مضامينها العلمية. وإما الاتجاه الثاني فأنه ينظر إلى المصطلحات الوافدة بوصفها ترفًا لغويًا لا يحقق قيمة معرفيّة حقيقيّة، الأمر الذي أسهم في إضعاف الوعي الاصطلاحيّ وإعاقة تطور الخطاب العلميّ، وفي الوقت نفسه يحذر هاني من خطورة الموقف الرافض لاستيعاب المصطلحات والمفاهيم الجديدة؛ لأنه يرى أن الانغلاق على الموروث ورفض الإفادة من المنجزات المعرفية الحديثة يؤدي إلى إضعاف القدرة على التجديد وإعاقة تطور الثقافة العربية، ويؤكد على أن اللغة العلمية تمثل أداة أساسية للتواصل وإنتاج المعرفة في داخل الأوساط الأكاديمية، وأن تقدم المجتمعات يقاس بقدرتها على تطوير منظومتها المفاهيمية بما يواكب التحولات العلمية. ومن هذا المنطلق، لا تتحقق قيمة اللغة بوصفها وسيلة للتداول فحسب، بل بقدرتها على استيعاب المضامين المعرفية الجديدة وصياغتها في قوالب اصطلاحية دقيقة بما يعزز إنتاج المعرفة ويواكب التطور العلمي المتسارع؛ فاللغة الحيّة هي القادرة على استيعاب المفاهيم الجديدة وإعادة توظيفها بما ينسجم مع خصوصيتها الثقافية، فضلًا عن أن أزمة المفاهيم في الفكر العربيّ ارتبطت بطرائق الترجمة وتلقي الفكر

الغربيّ، إذ انشغل كثير من المثقفين بنقل الألفاظ أكثر من بناء دلالاتها المعرفية، مما أفضى إلى جدالات أيديولوجية عطلت ترسيخ الوعي المفاهيميّ، ويظهر في هذا السياق جهود عدد من المفكرين وفي مقدمتهم عبد الرحمن بدوي (1917-2002م) وعبد الله العروي (1933م)، اللذين سعيا إلى إرساء منهج أكثر انضباطًا في ترجمة المفاهيم وتحليلها مع اختلاف منطلقاتهما الفكرية، لذا أن معالجة أزمة المفاهيم لا تتحقق بمجرد تعريب المصطلحات وإنما تستلزم تأسيس وعي نقدي يربط بين المصطلح وسياقه التاريخيّ والمعرفيّ بما يسهم في تطوير الخطاب الفكريّ العربيّ وتعزيز قدرته على إنتاج المعرفة (هاني، ما وراء المفاهيم (من شواغل الفكر العربي المعاصر)، 2009، الصفحات 14-16-17).

في ضمن نقده للواقع الثقافيّ يناقش هاني مشكلة الاضطراب الاصطلاحيّ في الفكر العربيّ، مشيرًا إلى أن الخلل لا يقتصر على الأخطاء اللغوية، بل يمتد إلى سوء توظيف المفاهيم العلمية والفلسفية، ويؤكد على ضرورة التمييز بين المصطلحات المتقاربة مثل النظرية والفرضية؛ فالنظرية تقوم على أسس استدلالية ومنهجية، بخلاف الفرضية التي تمثل تصورًا أوليًا قابلًا للاختبار، فضلًا عن ذلك ينتقد الاستعمال الشائع لمصطلح النقد بوصفه مرادفًا للهجاء، موضحًا أن النقد في معناه العلميّ يستند إلى قواعد موضوعيّة للتحليل والتقويم. ويشير كذلك إلى أهمية التمييز بين مفهوميّ التاريخيّ والتاريخانيّ، فالمفهوم الأول يدل على ما يتعلق بالتاريخ بوصفه علمًا أو حدثًا، أما المفهوم الثاني فيحيل إلى مذهب فكريّ يفسر الظواهر على وفق قوانين التطور التاريخي، ويؤكد على الدقة الاصطلاحية بوصفها شرطًا أساسيًا لبناء أي خطاب فكريّ وعلميّ رصين (هاني، ما وراء المفاهيم (من شواغل الفكر العربي المعاصر)، 2009، صفحة 15).

يتطرق هاني إلى مفهوم الأيديولوجيا، إذ يرفض الاعتقاد بأن الإنسانيّة تجاوزت الأيديولوجيا بصورة نهائية؛ لأن الأيديولوجيا ما زالت تؤثر في تشكيل الوعي وصناعة التصورات والمواقف. ويرى أن الحديث عن تجاوزها لا يكون ذا معنى إلا بعد إدراك طبيعتها وآليات حضورها في الفكر والمجتمع، وفي الوقت نفسه يحذر من تحويل هذا الشعار إلى خطاب يكرس الوهم بدل أن يسهم في تعميق النقد، ويناقش هاني أيضًا إشكالية ترجمة مصطلح الأيديولوجيا إلى العربية، مبينًا أن تعدد الترجمات يعكس اختلافًا في فهم المفهوم ذاته، وليس مجرد اختلاف لغوي. لذلك لا بدّ من الاعتماد على ترجمة تراعي البعد التداوليّ والدلاليّ للمصطلح؛ لأن الترجمة الدقيقة لا تقتصر على إيجاد مقابل لغوي، بل تستند إلى وعي تاريخي وفلسفي بطبيعة المفهوم ووظيفته، فأزمة المصطلحات في الثقافة العربيّة ليست أزمة لغة فحسب، وإنما هي أزمة منهج في إنتاج المعرفة ونقلها، الأمر الذي ينعكس سلبًا على الخطاب الثقافيّ والسياسيّ وقدرته على استيعاب التحولات الفكرية الحديثة (هاني، ما وراء المفاهيم (من شواغل الفكر العربي المعاصر)، 2009، الصفحات 20-21).

في ضوء ذلك يقول هاني: "يجب أن نركز على المضمون والمفهوم من الاصطلاح، ولا نقف عند أصوله الاشتقاقية لا سيما حينما تتكثف المفاهيم وتخضع لصيرورات تركيبية تضفي عليها مزيدًا من المعنى وأحيانًا يحصل انقلاب في مضامينها يؤدي عكس معناها المتواضع عليه في زمن التعين" (هاني، ما وراء المفاهيم (من شواغل الفكر العربي المعاصر)، 2009، صفحة 19). يكمل قائلًا: "فالمصطلحات تشهد تحولات مضمونية مكثفة، يصبح من غير المجدي الحديث عن أصول الاشتقاق إلا إذا كان الأمر يتعلق بتاريخ المفاهيم وليس بدلالاتها الابستيمولوجية شديدة التحول" (هاني، 2009، صفحة 19). فأنه يرى أنَّ "الأيديولوجيا حاضرة بلا شكّ، في كلّ قراءة تسعى لتعزيز الوعي. الأيديولوجيا في حدّ ذاتها قضية ملازمة للمعرفة، وأحيانا ضرورة من ضرورات تنزيلها. إنّ المعرفة، حين تصبح قضية وعي جماعي، وتصبح حقيقة سوسيولوجية، تستدعي الأيديولوجيا حتمًا. وتبقى مشكلتنا، ليس مع

الأيديولوجيا الحميدة التي تتعايش مع المعرفة، مثل الباكتيريا الحميدة في الجسم، بل مشكلتنا تبدأ حين تصبح الأيديولوجيا خبيثة، تسعى لاحتلال وظيفة المعرفة نفسها، وليس تجسير الفجوة بين النظرية والعمل لأنّ خطر الأيديولوجيا يبدأ حين تستقلّ بوظيفتها عن المعرفة" (بنهرار، 2026).

يواصل هاني نقده للواقع الثقافيّ العربي من خلال مناقشة إشكالية ترجمة المصطلحات الفلسفيّة ويؤكد على أن الخلل لا يكمن في اختيار المقابل اللغويّ فحسب، بل في اختزال المفاهيم المركبة إلى معانٍ لغوية مباشرة تُفقدها أبعادها المعرفية والفلسفية، فترجمة مفهوم الأيديولوجيا إلى الفكرانية لا تعبّر عن حقيقته؛ لأنها تخلط بين الفكرة بوصفها مضمونًا ذهنيًا والأيديولوجيا بوصفها نسقًا عمليًا يرتبط بالمصالح والواقع الاجتماعيّ والسياسيّ مما يؤدي إلى تشويه دلالة المفهوم وإضعاف قيمته التحليلية، لذلك ينتقد الذين يكتفون بالترجمة الحرفية أو الاشتقاق اللغوي من دون مراعاة التطور التاريخيّ للمفاهيم مشيرًا إلى أن عملية التعريب يجب أن تنطلق من فهم البنية الفكريّة للمصطلح قبل البحث عن مقابله اللغوي، ويستشهد بالتجربة العربيّة والإسلاميّة في استيعاب الألفاظ الدخيلة، إذ يرى أنَّ العربيّة عرفت عبر تاريخها تعريب العديد من المصطلحات بإخضاعها لأوزانها وقواعدها حتى أصبحت جزءًا من التداول اللغوي وهو ما يؤكد أن معيار التعريب هو فاعلية المصطلح في الاستعمال لا أصله اللغوي، لذلك يرفض هاني إسقاط التصورات التراثية على المفاهيم الحديثة أو إعادة إنتاجها على وفق قوالب جاهزة؛ لأن الإبداع الفكري لا يتحقق بتقليد السابقين، وإنما ببناء مفاهيم جديدة تستجيب للتحولات المعرفيّة والواقعيّة مؤكدًا على أن إنتاج المعرفة يستلزم الانطلاق من المفهوم ذاته وتحليل سياقه ووظيفته، لا على الاكتفاء بمحاكاة الترجمات المتداولة أو تكرارها من دون تمحيص نقدي، لذلك نجده يؤيد اختيار العروي لمصطلح الأدلوجة بوصفه أقرب إلى استيعاب الإشكالية المفهومية للأيديولوجيا؛ لأنه يبتعد عن الحرفية ويأخذ في الحسبان البعد التداولي للمفهوم، وأن نجاح الترجمة الفلسفية

يقاس بقدرتها على نقل الوظيفة الفكرية للمصطلح، لا بمجرد المحافظة على معناه اللغوي الظاهر (هاني، ما وراء المفاهيم (من شواغل الفكر العربي المعاصر)، 2009، الصفحات 22-24).

وفي سياق نقدهُ للواقع السياسيّ يرى هاني أن الأيديولوجيا المتطرفة تمثل أحد أخطر مظاهر الأزمة الثقافيّة والسياسيّة المعاصرة؛ وذلك لأنها تؤسس لوعي زائف يقوم على احتكار الحقيقة وإقصاء الآخر، فتغذي التعصب وتشرعن العنف باسم مبادئ وشعارات دينيّة وسياسيّة، وأن هذا النوع من التفكير لا يستند إلى المعرفة أو البرهان وإنما يعتمد على الشعور والوجدان العاطفيّ وتقديس الأفكار الجامدة مما يؤدي إلى ضعف التفكير النقديّ ويعزز ميول الأفراد للانخراط في ممارسة الإرهاب والكراهية، بمعنى تبني الخطابات المتطرفة وذلك بسبب اختفاء قيّم الحوار والعقلانية، ومن أجل أن نواجه مشكلة التطرف يرى هاني أن المواجهة لا تكون عن طريق التدابير الأمنية وحدها وإنما تستلزم معالجة البنيّة الفكريّة والثقافيّة التي تنتجه وذلك يحدث من خلال ترسيخ ثقافة المواطنة وسيادة القانون واحترام حقوق الإنسان والحريات، وإيجاد فضاء يسمح بالحوار الحر والتفكير النقدي، فالأيديولوجيات العنيفة تعكس عجزًا عن إنتاج المعرفة وإقناع الآخر بالحجة فتستعيض عن ذلك بالقوة والعنف والإرهاب وهو ما يكشف هشاشتها الفكرية وافتقارها إلى الأسس العقلانية، وفي هذا الصدد يشير هاني إلى التحولات الدوليّة التي أعقبت نهاية الحرب الباردة مشيرًا إلى أن السياسة الأمريكية اتجهت إلى بناء تصور استراتيجيّ جديد جعل من الإرهاب والإسلام السياسيّ محورًا لخطابها العالميّ لا سيما بعد حادثة الحادي عشر من سبتمبر، إذ أن هذا الخطاب لم يكن مجرد توصيف لواقع قائم وإنما أصبح أداة سياسية وأيديولوجية لإعادة تشكيل الرأي العام وتبرير التدخلات الدولية بما أسهم في ترسيخ صورة نمطية تربط الإسلام بالعنف، وأوجد بيئة ثقافية تعزز الانقسام والصراع، فضلًا عن ذلك فأنهُ ينتقد بعض الحركات الإسلاميّة التي وفرت من خلال ممارساتها المتشددة مبررات لهذا الخطاب؛ إذ أسهمت في تكريس الصورة السلبية عن الإسلام وأصبحت جزءًا من معادلة الصراع الأيديولوجيّ الدوليّ، لذلك يدعو إلى تجاوز القراءات المغلقة للدين وإعادة

بناء الوعي على أسس نقدية وإنسانية ترفض العنف والتكفير (هاني، ما وراء المفاهيم (من شواغل الفكر العربي المعاصر)، 2009، الصفحات 35-36).

ثالثًا: الإصلاح النهضويّ في المشروع النقديّ عند هاني

يركز المفكرون العرب على مشروع الإصلاح بوصفه القضية الأساسيّة للنهضة الفكريّة من خلال طرحهم للسؤال المحوريّ وهو: ماذا يجب أن يكون عليه عالمنا؟، وهو سؤال أيديولوجيّ سياسيّ لذلك نجد أن أغلب كتابات المفكرين تتجه نحو الإصلاح السياسيّ على حساب التفكير الفلسفيّ، مما أدى إلى ترسيخ فكرة الليبراليّة السياسيّة في الفكر العربيّ من دون الاهتمام بالمبادئ الفلسفيّة الكبرى أو تحليل مرتكزاتها النظريّة فغلب البعد العمليّ للإصلاح السياسيّ على البحث في أصوله الفكريّة والفلسفيّة، لذلك ظهرت الحاجة الفعليّة إلى النقد الفلسفيّ بوصفه ضرورة لإعادة بناء الفكر العربيّ وتحريره من هيمنة الأيديولوجيا من أجل تأسيس معرفة نقديّة تسهم في إحياء العقل العربيّ (نبي، 2023، الصفحات 364-365).

وفي هذا الجانب، يرى مجموعة من المفكرين أن "النقد الفكريّ النهضوي فشل في مواصلة مسيرته العلمية لارتهان الأخيرة لسلطة الأيديولوجية وطغيانها على الجانب العلمي والعقلي، فإذا كان الفكر العربي النهضوي قد توزع بين اتجاهات ثلاثة: سلفي وليبرالي وتوفيقي.. مع اجتهادات وتلاوين داخل كل منها، إلا أن المشترك بينها جميعاً ظل المنطلق الأيديولوجي ومستلزماته، التي طغت على المناهج والمفاهيم العلمية والمعرفية" (نبي، 2023، صفحة 365).

وإما هاني فأنهُ ينطلق في رؤيته لقضية الإصلاح والتجديد من الإقرار بوجود أزمة حقيقيّة في الفكر العربيّ والإسلاميّ المعاصر، ويرى أنَّ الخلاف لا يكمن في الاعتراف بالأزمة نفسها بقدر ما يكمن في تفسير طبيعتها وآليات

تجاوزها؛ إذ أنَّ كثير من مشاريع الإصلاح والتجديد تعاملت مع الأزمة بوصفها ظاهرة سطحية يمكن تجاوزها من خلال إعادة إنتاج الخطاب التقليديّ، أو إحياء بعض النماذج التاريخيّة، في حين أنهُ يرى أن الأزمة أعمق من ذلك وتتطلب مراجعة شاملة للبنيّة الفكريّة التي أنتجتها، ويُرجع هاني اسباب التراجع الإسلاميّ في عوامل جزئية أو في أخطاء أشخاص بعينهم؛ وذلك لأن التفسير يغفل التراكمات التاريخيّة والسياسيّة والاجتماعيّة التي ساهمت في تكوين الأزمة، فالمشكلة ليست كامنة في أفراد أو نصوص معزولة وإنما في مجموعة فكريّة وثقافيّة كاملة تحتاج إلى إعادة قراءة نقديّة وجذريّة (هاني، الإسلام والحداثة (إحراجات العصر وضرورات تجديد الخطاب)، 2005، الصفحات 13-14).

إنَّ أزمة الفكر العربيّ الراهن لا تكمن في غياب الإجابات بقدر ما تكمن في غياب القدرة على طرح الأسئلة الصحيحة، فالإصلاح الحقيقيّ يبدأ بإعادة بناء منهج التفكير والانتقال من ثقافة التلقي والتقليد إلى ثقافة السؤال والنقد؛ لأن السؤال يمثل المدخل الأساسي لإنتاج المعرفة وتشخيص أزمات الواقع، لذا لا بدّ من إحياء العقل النقدي وإعادة النظر في المسلمات السائدة بما يتيح تأسيس مشروع إصلاحي يستطيع التعامل مع التحولات الثقافية والسياسية المعاصرة، ويرى أن أحد مظاهر الأزمة الثقافية يتمثل في الاكتفاء بتغيير المصطلحات والألفاظ بدلاً من معالجة جوهر المشكلات الحضارية، فالنهوض لا يتحقق عبر استبدال المفاهيم شكلياً وإنما بإنتاج معرفة جديدة قادرة على إعادة بناء الواقع. وينتقد أيضًا النزعات الفكرية التي تقدم حلولاً نظرية مجردة تبتعد عن الواقع التاريخيّ والاجتماعيّ؛ وذلك لأنها تتجاوز شروط النهضة الحقيقية (هاني، ما وراء المفاهيم (من شواغل الفكر العربي المعاصر)، 2009، الصفحات 37-44).

تكمن أزمة الفكر النهضويّ في أنه يقدم أجوبة جاهزة من دون تشخيص دقيق للواقع الاجتماعيّ في كثير من الطروحات التي تجاهلت البنية التاريخيّة والاجتماعيّة للمجتمعات العربيّة، فتصورت النهضة على أنها عملية يمكن استنساخها من تجارب الآخرين، بينما أن النهضة تتطلب فهمًا للعوامل البنيويّة التي تؤثر في المجتمع وأن تجاوز التخلف لا يتم من خلال النقل أو التقليد، وإنما من خلال مشروع إصلاحي منبثق من الواقع الراهن، لذلك نجد أن مشروع التحديث يركز في الجوانب الماديّة والبنى التحتية مع إهمال بناء الفكر الإنسانيّ والوعي والإنتاج العلمي، فالاهتمام بالمظاهر العمرانية والاستهلاكية لا يمثل حداثة حقيقية؛ لأن النهضة ترتبط ببناء المعرفة والعلم والإنتاج والعمل، إذًا أن الخطاب النهضويّ العربيّ ينشغل بتقديم أجوبة مسبقة بشأن أسباب التخلف من دون دراسة الشروط الفعلية للنهضة، مما أدى إلى استمرار الأزمة الحضاريّة، وأن تجاوزها يتطلب تحديد شروط النهضة بصورة علمية والانطلاق من مشروع حضاريّ مستقل يجمع بين بناء الإنسان والإنتاج المعرفيّ والاستقلال الثقافيّ بدلاً من الاكتفاء بالشعارات أو تقليد التجارب الخارجيّة (هاني، ما وراء المفاهيم (من شواغل الفكر العربي المعاصر)، 2009، الصفحات 45-50). يبين هاني بأن ظهور السؤال للنهضة في الفكر العربيّ يرتبط بالمنعطف التاريخيّ الذي شهدته الحضارة الغربيّة الذي بدأ مع الحملة الفرنسيّة على مصر وما ترتب عليها من إدراك للفجوة الحضاريّة والحاجة الفعليّة إلى مشروع إصلاحيّ كليَّ، مشيرًا إلى رواد النهضة الأوائل الذين سعوا إلى بناء مشروع للتحديث يجمع بين الإصلاح الداخليّ والاستفادة من منجزات العصر، إذ أن تطور الخطاب النهضويّ ينتقل من التركيز على الإصلاح والتعليم ومقاومة الاستعمار إلى ظهور اتجاهات فكريّة عدة اختلفت في تفسير اسباب التخلف وطرق النهوض مما أدى إلى تباين الرؤى والمنطلقات الفكريّة والذي ينعكس بدوره على طبيعة المشاريع النهضويّة (هاني، ما وراء المفاهيم (من شواغل الفكر العربي المعاصر)، 2009، الصفحات 55-57).

يرى هاني أنَّ الخطاب النهضويّ والمشاريع الفكريّة في القرن العشرين لا سيما بعد أحداث عام 1967م أصبحت تركز على الصراع الإيديولوجيّ واهملت معالجة المشكلات الحضاريّة مما أدى إلى وجود استمرار الأزمة بدلًا من تجازوها، في مقابل ذلك لا ننكر الجهود الفكريّة لبعض المفكرين المعاصرين كمحمد عابد الجابري وحسن حنفي (1935-2021م) وطيب تيزيني (1934-2019م) ومحمد أركون ونصر حامد أبو زيد (1943-2010م) فعلى الرغم من اختلاف منهجيّة منطلقاتهم الفكريّة في معالجة سؤال النهضة إلا أنهم يشتركون في السعي إلى إعادة بناء العقل العربيّ وإعادة النظر في التراث وهذا ما يعكس استمرار الجدل بشأن الطريق الأفضل لتحقيق النهضة (هاني، 2009، الصفحات 57-59).

إنَّ الخطاب النهضويّ العربيّ يركز في إعادة إنتاج الأسباب التقليديّة لتفسير الإخفاق الحضاريّ كإلقاء اللوم على الاستبداد أو ضعف التعليم أو غياب الإرادة السياسيّة فهذه المقاربات على الرغم من أهميتها لم تعد كافية؛ لأنها تتجاهل التحولات البنيويّة التي يشهدها النظام العالميّ، فالأزمة ليست أزمة وسائل أو شعارات، بل أزمة رؤية تاريخيّة قادرة على استيعاب المتغيرات الكونيّة وصياغة مشروع نهضويّ جديد، لذا فأن مشروع النهضة العربيّة في القرن الحادي والعشرين لا بدّ أن يتحرر من التصورات القومية التقليديّة وأن ينطلق من إدراك التحولات العالميّة التي تتمثل في تزايد الترابط الكوني وتسارع الزمن وتراجع مركزية الدولة القطرية، إذ إن العالم يتجه نحو انواع جديدة من العلاقات والتنظيم تتجاوز الأطر السياسية التقليدية، وإن مستقبل الدولة القطرية العربيّة تواجه تحديات متصاعدة؛ نتيجة العولمة وصعود الفاعلين الدوليين غير الحكوميين، الأمر الذي يحد من سيادتها ويضعف قدرتها على إدارة شؤونها بصورة مستقلة لذلك أن استمرار التمسك بالانموذج التقليديّ للدولة سيؤدي إلى مزيد من التفكك ما لم يُعاد بناء المشروع النهضويّ على أسس تكاملية تستجيب لمتطلبات المرحلة الجديدة، فضلًا عن ذلك فأنهُ ينتقد اعتماد بعض الأنظمة العربيّة على القوى الغربيّة بوصفها حليفًا لتحقيق الإصلاح أو التسوية السياسيّة، مؤكدًا أن التجربة التاريخيّة أثبتت أن

المصالح الغربيّة، ولا سيما الأمريكيّة، ترتبط بأولوياتها الاستراتيجيّة وبحماية الكيان الصهيونيّ، وليس بتحقيق نهضة عربية مستقلة، مما يجعل الرهان على الخارج خيارًا يكرس التبعية بدل تجاوزها، لذلك يرفض هاني التعامل مع الديمقراطيّة بوصفها وصفة جاهزة قابلة للاستنساخ، ويرى أنها ثمرة لتطورات تاريخيّة واجتماعيّة خاصة بالمجتمعات الغربيّة، وأن نجاحها في البيئة العربيّة يتطلب بناء شروطها الثقافيّة والاجتماعيّة والسياسيّة، لا الاكتفاء باستيراد مؤسساتها وأشكالها القانونيّة (هاني، ما وراء المفاهيم (من شواغل الفكر العربي المعاصر)، 2009، الصفحات 60-65).

إنَّ النهضة العربيّة لا يمكن أن تقوم على استنساخ التجربة الغربيّة أو رفضها بالكامل، بل على توظيف عناصرها الإيجابيّة كالحرية والديمقراطية والعلم بوصفها أدوات إنسانية تسهم في بناء المجتمع، لا باعتبارها قيماً غربية خالصة، فأزمة النهضة العربيّة تعود إلى الارتهان التاريخيّ للقوى الخارجيّة والاعتماد على انماذج سياسيّة أثبتت فشلها في تحقيق الاستقلال والوحدة، مما يستدعي إعادة بناء مشروع النهضة يعتمد على مقومات القوة الذاتيّة، وينتقل إلى نقد الخطاب الديمقراطيّ موضحاً أن الديمقراطية ليست مجرد آلية إجرائية أو نظام سياسيّ قابل للنقل الحرفيّ، وإنما نتاج تطور تاريخيّ واجتماعيّ خاص بالمجتمعات الغربيّة، لذلك فإن نجاحها في البيئة العربيّة يتطلب إعادة صياغتها بما ينسجم مع الخصوصيّة الثقافيّة والحضاريّة، بعيداً عن التقليد الأعمى أو الرفض الإيديولوجي، فضلًا عن ذلك فأنه يناقش العلاقة بين الإسلام والديمقراطية، مبيناً أن النصوص الإسلاميّة لم تقدم انموذجًا سياسيًّا جامدًا، بل تركت المجال للاجتهاد العقليّ في تنظيم الشأن العام على وفق مقتضيات الزمان والمكان. ومن هذا المنطلق يدعو هاني إلى تجاوز التعارض المصطنع بين الشورى والديمقراطية باعتبار أن كليهما يستهدف الحد من الاستبداد وترسيخ العدالة والمشاركة السياسيّة، مع ضرورة تطوير صيغة معاصرة تستوعب منجزات الفكر السياسيّ الحديث وتحافظ في الوقت نفسه على المرجعيّة الحضاريّة الإسلاميّة، فالديمقراطية المعاصرة تقوم على حماية الحقوق والحريات وبناء دولة المؤسسات والقانون،

وهي قيم إنسانية يمكن الإفادة منها في المشروع النهضويّ العربيّ متى أُعيد توطينها ضمن السياق الثقافي العربي. وفي المقابل، ينتقد الثقافة السياسية العربية التي كرست الإقصاء والاحتكار وغياب التعددية، معتبراً أن النهضة الحقيقيّة لا تتحقق إلا بإشاعة ثقافة الحوار، واحترام الرأي المخالف، وإرساء التعددية الفكرية والسياسية في داخل المجتمع (هاني، ما وراء المفاهيم (من شواغل الفكر العربي المعاصر)، 2009، الصفحات 65-69).

وفي هذا الشأن يقول هاني: "لقد بات مشروع النهضة العربية يؤسس لمشواره، بعاطفة متوثبة منذ صدمة الحداثة الغربية، التي اتصل بها من خلا حركة الاستعمار. ومنذ ذلك الوقت والنهضة تتحرك من ردود الفعل العنيفة، كما لو أنها نهضة مقابل نهضة، وليست النهضة من حيث هي مطلب مشروع لأمة متطلعة أبداً، هكذا لا نختلف في أن ثمة أكثر من تجربة للنهضة العربية، أو بالأحرى محاولات ظلت تحمل بذور الإخفاق في طياتها"، فهو ينتقد الخطاب النهضويّ الذي يختزل مشكلات الأمة في شعارات كالوحدة والهوية والأمن الثقافيّ، إذ يرى أنَّ هذه المفاهيم كثيراً ما استُخدمت في ضمن مشاريع انعزالية حالت دون الانفتاح الثقافيّ والتفاعل الحضاريّ مع العالم ويؤكد على أن الهوية ليست معطىً جامداً أو تراثاً مغلقاً، وإنما منظومة قيم قابلة للتجدد والتطوير من خلال التفاعل المستمر مع متغيرات العصر، بما يحفظ الأصالة ويستوعب مقتضيات الحداثة، فهيمنة الماضي على الوعي العربيّ جعلت المستقبل غائبًا عن المشروع النهضويّ، فبقي التفكير أسير استعادة التاريخ بدلًا من صناعة المستقبل، وإن تجاوز هذه الأزمة تقتضي إعادة بناء عقل النهضة على أسس الحرية والإرادة والإبداع؛ وذلك لأن الفكر الحر لا ينمو إلا في مجتمع يحكمه القانون وتصان فيه الحقوق والحريات العامة بما يهيئ البيئة المناسبة لإطلاق طاقات الإنسان وتحقيق التنمية الحضارية (هاني، ما وراء المفاهيم (من شواغل الفكر العربي المعاصر)، 2009، الصفحات 70-71).

ولإقامة مشروع إصلاحيّ لا بدّ من إصلاح المنظومة التربويّة؛ لأنها تعدُّ المعبر الأساسيّ للوصول إلى التنمية المستدامة في المجتمع العربيّ، فالسياسات التربويّة تتسم بالارتجال وضعف التخطيط الاستراتيجيّ وانحصرت في حلول قصيرة الأمد وإجراءات جزئية لم تستطع معالجة أزمة التربيّة أو مواكبة التحولات العالمية، فالنهضة الحقيقيّة تستلزم إصلاحًا تربويًّا شاملًا يقوم على رؤية مستقبلية ويؤسس لبناء الإنسان القادر على الإبداع والمشاركة في التنمية، بدلاً من الاكتفاء بإصلاحات شكلية محدودة الأثر (هاني، ما وراء المفاهيم (من شواغل الفكر العربي المعاصر)، 2009، صفحة 72).

يبين هاني أن إصلاح الواقع العربيّ لا يمكن أن يتحقق من خلال المعالجات السياسية وحدها وإنما يتطلب إصلاحًا جذريًا للبنية التربويّة والثقافيّة؛ لأن التربيّة تمثل الركيزة الأساسية في بناء الإنسان وإعداد الأجيال القادرة على إنتاج المعرفة وتحقيق التنمية، لذلك ينتقد السياسات التعليميّة العربيّة التي انشغلت بإصلاحات جزئية ومؤقتة من دون أن تستند إلى رؤية استراتيجية واضحة تربط التعليم أو التربيّة بحاجات المجتمع ومتطلبات التطور الحضاريّ، فالأزمة التعليميّة ليست أزمة مناهج أو مؤسسات فحسب، وإنما هي أزمة مشروع حضاريّ وأنَّ غياب التخطيط بعيد المدى أدى إلى ضعف مخرجات التعليم واتساع الفجوة بين المعرفة النظريّة والممارسة العمليّة، الأمر الذي ينعكس بصورة سلبيّة على قدرة المجتمع في إنتاج الكفاءات العلميّة والإسهام في التنمية الشاملة، فالاعتماد على استيراد المعرفة والتكنولوجيا الخارجيّة من دون مراعاة الخصوصية الثقافيّة والاجتماعيّة أدى إلى ظهور مظاهر التبعية الفكرية بصورة كبيرة وأضعف قدرة المؤسسات التعليميّة على أداء دورها في بناء الشخصية الوطنية، فضلًا عن ذلك يرى بأن التنمية في المجتمع العربيّ تختزل في المجال الاقتصاديّ أو التقنيّ لذلك لا بدّ أن تبتعد عن مجالها؛ لأن التنمية الحقيقيّة تبدأ بتنمية الإنسان وإطلاق قدراته العقليّة والإبداعيّة لأن الاستثمار في المعرفة يمثل الأساس الذي تقوم عليه النهضة الحضاريّة لذا يدعو إلى إعادة النظر في فلسفة التربيّة والتعليم لدرجة تتحول المؤسسات التربويّة من فضاءات لتلقين المعلومات إلى

مؤسسات لإنتاج المعرفة وتنمية التفكير النقديّ وترسيخ قيم الحوار والبحث العلميّ، فالعلاقة بين إصلاح المنظومة التربويّة والمشروع النهضوي تكمن في أن المجتمعات التي تمتلك نظامًا تربويًا قادرًا على تنمية الإبداع والابتكار تكون أكثر قدرة على مواجهة التحولات العالميّة وتحقيق الاستقلال الحضاريّ ولذلك يؤكد أن أي مشروع للإصلاح الثقافيّ والسياسيّ يبقى محدود الأثر إذا لم يسبقه إصلاح تربويّ شامل يؤسس لعقل نقديّ (هاني، ما وراء المفاهيم (من شواغل الفكر العربي المعاصر)، 2009، الصفحات 72-74).

يشير هاني إلى العالم بهاء الدين العاملي (1547-1622م) الملقب بالشيخ البهائي بوصفه نموذجًا استثنائيًا للعالم الموسوعيّ الذي تجاوز حدود التخصص؛ إذ أنه يجمع بين علوم الفقه والأصول والكلام والفلسفة والعرفان، فضلً عن اهتمامه بالرياضيات والفلك والهندسة، ويقول عنه: "إن البعد الشمولي لثقافة بهاء الدين العاملي تجعل منه علمًا تربويًا، متعدد الأبعاد ومنفتحًا على ضروب المعارف بلا حذر" (هاني، التديّن والنفاق (الخطاب العقلاني في الحكاية الحيوانية)، 2019، صفحة 18). فقيمة اختيار البهائي كانموذج لا تكمن في كثرة معارفه فحسب، وإنما في قدرته على توظيفها في ضمن رؤية معرفيّة متكاملة، جعلته منفتحًا على مختلف المجالات العلميّة من دون تعصب لتخصص محدد، ولم يكن يميل إلى التعقيد في عرض أفكاره، بل يتخذ من التبسيط والشرح الميسر منهجًا في إيصال المعرفة، الأمر الذي يعكس بعدًا تربويًا واضحًا في مشروعه الفكري، يسعى هاني إلى إبراز معالم النزعة العقليّة عند البهائي موضحًا أن اهتمامه لم يقتصر على العلوم الدينيّة، بل امتد إلى الرياضيات والفلك والعلوم الطبيعية، إذ يجتهد في معالجة عدد من الإشكالات العلمية التي كانت مطروحة في عصره، ويبين أن قيمة هذه الجهود لا تُقاس بمدى مطابقتها للمعايير العلمية الحديثة، وإنما بما تعكسه من روح البحث والاجتهاد والانفتاح على المعرفة فالشيخ البهائي يسعى إلى فهم الظواهر وتحليلها بمنهج عقليّ، وهو ما يكشف عن شخصية علمية لا تكتفي بتلقي المعرفة، بل تمارس النقد والتفكير

في القضايا العلمية والفلسفية (هاني، التديّن والنفاق (الخطاب العقلاني في الحكاية الحيوانية)، 2019، الصفحات 18-19).

تتبلور العلاقة بين الإصلاح الثقافيّ والإصلاح السياسيّ عند هاني في فكرة أن بناء مجتمع معرفيّ لا يمكن أن يتحقق في ظل غياب الحرية والمشاركة المجتمعية؛ وذلك لأن الإبداع يحتاج إلى بيئة تحترم الرأي الآخر وتكفل حرية التفكير وتدعم استقلال المؤسسات التربويّة والعلميّة والثقافيّة، لذلك فأنَّ الإصلاح السياسيّ يمثل أحد الشروط الأساسيّة لنجاح المشروع الحضاريّ؛ لأنه يهيئ البيئة التي تلائم تفعيل طاقة المجتمع وإطلاق المبادرات العلميّة والثقافية، وأن النهضة العربيّة تبقى رهينة بقدرتها على الانتقال من ثقافة الاستهلاك إلى ثقافة الإنتاج ومن التبعية إلى الاستقلال المعرفي ومن إعادة إنتاج الماضي إلى صناعة المستقبل، وهذا التحول لا يتحقق إلا من خلال مشروع حضاريّ شامل يدمج بين التنميّة الإنسانيّة والإصلاح الثقافيّ وبناء المؤسسات وإنتاج المعرفة بما يضمن تحقيق تنمية مستدامة تستجيب لتحديات العصر الراهن وتحافظ في الوقت نفسه على الهوية الحضاريّة للأمة (هاني، ما وراء المفاهيم (من شواغل الفكر العربي المعاصر)، 2009، الصفحات 79-82).

في سياق نقد هاني للواقع الثقافيّ والسياسيّ وقيام مشروعه النقديّ للواقع العربيّ والإسلاميّ ينتقل إلى نقد الأفكار التي تفسر العلاقة بين الحضارة والثقافة على وفق الصراع أو الحوار، فيرى أنَّ العنف لا يعدُّ نتيجة حتمية للاختلاف بين الحضارات والثقافات وإنما هو نتاج غياب ثقافة الحوار وسوء إدارة التعددية الثقافيّة، ولبناء مشروع حضاريّ متوازن لا بدّ للانتقال من ثقافة الإقصاء إلى ثقافة الاعتراف بالآخر؛ بوصفه شريكًا في إنتاج المعرفة والحضارة، وليس خصمًا ينبغي إلغاؤه أو إخضاعه، ويشير إلى طروحات نماذج من الفكر الغربيّ لا سيما أفكار الفيلسوف الإنكليزي كارل بوبر (1902-1994م) والفيلسوف الإيطالي أمبرتو إيكو (1932-2016م) مشيرًا

إلى أن قيم المجتمع المنفتح واحترام التعددية تمثل مداخل مهمة لتجديد الفكر الإنسانيّ، إلا أن الإفادة منها ينبغي أن تكون في إطار قراءة نقديّة تراعي الخصوصيّة الحضاريّة بمعزل عن التبعية الفكريّة أو الاستنساخ الثقافيّ، فالحوار الحقيقيّ لا يعني إلغاء الاختلاف وإنما تنظيمه وتحويله إلى مجال للتفاعل والإبداع؛ لأن تطور المجتمعات لا يتحقق إلا من خلال تداول الأفكار ونقدها بصورة عقلانيّة، إذ أنَّ الأزمة الثقافيّة المعاصرة ترتبط بسيطرة النزعات التي تحتكر الحقيقة وتنتج صورًا نمطية عن الآخر، الأمر الذي يكرس الانغلاق ويحول الاختلاف الطبيعي إلى مصدر للصراع، لذلك فإن تجاوز هذه الأزمة يتطلب إعادة بناء الوعي الثقافيّ على أساس التسامح والانفتاح والاعتراف بالتنوع الحضاريّ، مع ترسيخ ثقافة الحوار باعتبارها أداة لإدارة الاختلاف وحماية السلم المجتمعيّ، فنجاح الحوار الثقافيّ مرهون بوجود بيئة سياسية تقوم على الحرية والمشاركة واحترام الرأي الآخر، لأن الاستبداد واحتكار السلطة يقوضان فرص الحوار ويعيدان إنتاج ثقافة العنف والإقصاء (هاني، ما وراء المفاهيم (من شواغل الفكر العربي المعاصر)، 2009، الصفحات 134-138).

يشير هاني قائلًا أن: "العنف الذي يمارسه الإعلام ضدّ العقل الجمعي لا حدود له. تعذيب يومي. استهداف لا يتوقف. إنها حرب غير مباشرة على الجمهور. لم يعد الأمر يتعلق بحرب إعلامية تستهدف العدو بل أصبحت حرباً ضد الجمهور نفسه من أجل إخضاعه وفرض صورة زائفة عن الحقيقة التي يتطلع إليها المتلقّي. أي قيمة للتطور في تقنية الوسائط إن كانت في نهاية المطاف لن تقدم إلاّ معلومة مغشوشة للمستهلك؟ خلف الإعلام توجد سياسة إعلامية.. وهناك وجب التوقف لاختبار أسباب نزولها، فقد تكون سياسة تستهدف استرقاق الوعي وقد تكون سياسة تهدف كسر الحواجز أمام الحقيقة" (هاني، الميديوقراطية وحروب الإعلام القذرة، 2019، صفحة 412).

الخاتمة

1. انطلقت المشاريع النقديّة من فكرة مفادها أن الأزمة العربيّة ليست أزمة سياسيّة أو اقتصاديّة فقط وإنما تعد أزمة فكر ومنهج، مما أدى ذلك إلى إعادة البحث في طرق التفكير السائدة وإرساء أسس عقلانيّة جديدة تستطيع أن تحقق التوازن بين الأصالة والمعاصرة.
2. إنَّ المشروع النقديّ عند هاني يعدّ أحد المشاريع الفكريّة العربيّة المعاصرة التي سعت إلى قراءة الفكر الإسلاميّ والواقع العربيّ بمنهج نقديّ يقوم على التحليل العلميّ.
3. ينظر هاني إلى النقد بوصفه وسيلة لإعادة بناء المعرفة وليس لهدم المعرفة.
4. يستند المشروع النقديّ عند هاني إلى الجمع بين المنهج التاريخيّ والتحليل الفلسفيّ والنقد المعرفيّ بما يساهم في تقديم قراءة جديدة للفكر العربيّ والإسلاميّ المعاصر.
5. إنَّ نقد الخطاب الدينيّ ينطلق من ضرورة التمييز بين النص الدينيّ المقدس والتفسيرات البشريّة، وتجاوز القراءات الجامدة للنصوص.
6. إنَّ جانباً من مشاريع النهضة ينطلق من الإصلاح الدينيّ بوصفه مدخلاً لمعالجة أزمة المجتمع، فالنهضة تقتضي قراءة نقديّة معتدلة للتراث الدينيّ تتيح الإفادة منه في بناء مشروع حضاريّ معاصر من دون الوقوع في الجمود أو التبعية أو التعصب.
7. يهتم هاني بنقد الواقع الثقافيّ والسياسيّ من خلال تحليل العلاقة بين السلطة والمعرفة والكشف عن أثر الأيديولوجيات في تشكيل الخطابات الفكريّة.
8. يربط هاني مشروعه الاصلاحيّ بالتربية بوصفها الركيزة الأساسية في بناء الإنسان وإعداد الأجيال القادرة على إنتاج المعرفة وتحقيق التنمية.

9. إن الرؤية الاصلاحيّة عند هاني ترتكز على تجديد الفكر وإعادة قراءة الواقع وبناء وعي نقديّ يستطيع التعامل مع تحديات العصر الراهن.

10. يسعى هاني إلى ترسيخ قيم الحوار والانفتاح الفكريّ وإحياء دور العقل في معالجة الإشكاليات الفكريّة والثقافيّة المعاصرة.

قائمة المصادر والمراجع:

1. *إدريس هاني: قصة إستبصار مفكر مغربي*. (2010). تم الاسترداد من العترة الطاهرة: https://al-3itra.ahlamontada.net/t506

2. أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. (ب. ت). *معجم مقاييس اللغة ج5*. سوريا: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

3. إدريس هاني. (2005). *الإسلام والحداثة (إحراجات العصر وضرورات تجديد الخطاب)*. بيروت: دار الهادي للطباع والنشر والتوزيع.

4. إدريس هاني. (2009). *ما وراء المفاهيم (من شواغل الفكر العربي المعاصر)*. بيروت: الانتشار العربي.

5. إدريس هاني. (2015). *روح المقاومة وفلسفة الزمان (بين مقام امعرفة ومقام العرفان)*. بيروت: دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع.

6. إدريس هاني. (2019). *التديّن والنفاق (الخطاب العقلاني في الحكاية الحيوانية)*. العراق: مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة.

7. إدريس هاني. (2019). الميديوقراطية وحروب الإعلام القذرة. *مجلة الدراسات الإعلامية*، صفحة 412.

8. زكي نجيب محمود. (2017). *تجديد الفكر العربي*. المملكة المتحدة: مؤسسة هنداوي سي آي سي.

9. سربست نبي. (2023). إشكاليات التفلسف في الفكر العربي (الأيديولوجي والفلسفي في الفكر العربي). *مجلة آداب البصرة*.

10. علي بنهرار. (8 يونيو, 2026). *إدريس هاني لمرايانا: قراءتي للتراث تسعى إلى تحطيم الأيديولوجيا، ومقاربتي تصارع الإقصاء*. تم الاسترداد من مرايانا: /https://marayana.com/laune/2026/06/08/33087

11. عماد الدين إبراهيم. (2015). قراءة نقدية في مشروع أركون النقدي. *مجلة نقد وتنوير العدد الأول*.

12. فاطمة بقدي. (2015-2016). *المقاربة النقدية للفكر الإسلامي عند محمد أركون*. الجزائر: جامعة الجزائر/كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية/ قسم العلاقات الدولية.

13. فريجة مريم. (2017). *إشكالية التراث في فكر محمد عابد الجابري*. الجزائر: جامعة محمد بوضياف- المسيلة/كية العلوم الإنسانية والاجتماعية.

14. مجموعة مؤلفين. (2017). *المفكرون العرب (مشاريع وتطلعات: سؤال الفلسفة والدين والسياسة في العالم العربي)*. (علي عبود المحمداوي، المحرر) بيروت: دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع.

15. محمد عابد الجابري. (1985). *نحن والتراث (قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي)*. المغرب: المركز الثقافي العربي.

16. محمد أركون. (1995). *من فيصل التفرقة إلى فصل المقال (أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟)*. (هاشم صالح، المترجمون) بيروت: دار الساقي.

17. محمد أركون. (1996). *تاريخية الفكر العربي الإسلامي*. بيروت: مركز الانماء القومي.

18. محمد الشيخ. (2011). *محمد عابد الجابري (مسارات مفكّر عربي)*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

19. محمد عابد الجابري. (1991). *التراث والحداثة (دراسات.. ومناقشات)*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

20. محمد مسيكة، و عبد الحليم شتوح. (2022). المنهج وآليات نقد التراث عند محمد أركون. *مجلة الراصد لدراسات العلوم الاجتماعية*.

21. محمد نور الدين أفاية. (2014). *في النقد الفلسفي المعاصر: مصادره الغربية وتجلياته العربية*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

22. مراد وهبه. (2007). *المعجم الفلسفي*. القاهرة: دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع.

23. هاني إدريس . (2012). *المعرفة والاعتقاد (مقاربة "عبر- مناهجية" في أنساق الفكر الإسلامي)*. بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.

24. هاني ادريس. (2010). *الحداثة*. بيروت: دار الرافدين.

25. هبة جاسم محمد. (2025). الفكر العربي المعاصر (الهوية والتراث) والذكاء الاصطناعي. *مجلة إكليل للدراسات الإنسانية*.

The Critical Project of Driss Hani

Assist Lec: Hadeer Hassan Jawad

Middle Technical University

Polytechnic College of Applied Arts – Baghdad

Department of Ceramics Techniques

hadeer-hassan@mtu.edu.iq:Email

:Abstract

Our research, titled "Driss Hani's Critical Project," aims to examine and analyze the critical project of the Moroccan thinker Driss Hani, uncovering its intellectual and methodological foundations. It also seeks to analyze the key issues he addressed through his critical inquiry—issues central to a contemporary intellectual endeavor that has striven to re-examine Arab-Islamic thought and Arab reality through a critical lens.

Indeed, contemporary Arab and Islamic thought has undergone profound intellectual transformations driven by the political, cultural, and social challenges accompanying the evolution of modern societies; this has prompted a number of contemporary thinkers to reconsider prevailing intellectual frameworks and review the mechanisms for interpreting the Arab-Islamic heritage, seeking an approach that aligns with the demands of the present era while striking a balance between authenticity and modernity. These transformations contributed to the emergence of various intellectual and critical projects that sought to transcend traditional modes of thought and adopt a scholarly approach—grounded in analysis, critique, and the reconstruction of concepts—rather than simply accepting inherited ideas.

Driss Hani focuses on issues of Islamic thought, the critique of religious discourse, and the re-examination of Islamic history, alongside his interests in philosophy, politics, and ethics. His intellectual project is distinguished by a synthesis of historical methodology, philosophical analysis, and epistemological critique, grounded in the conviction that

truth is attainable only through free scientific inquiry based on evidence and proof—devoid of intellectual dogmatism or preconceived notions.

The significance of this research lies in uncovering the intellectual and methodological foundations of Hani's critical project, analyzing his stance on religious discourse and the prevailing cultural and political landscape, and elucidating his vision for a reformist renaissance as a pathway to renewing thought and reconstructing consciousness.

Keywords: Arab mind, critique, religion, culture, politics.

النبوة والمعجزة في فلسفة باروخ سبينوزا: دراسة تحليلية نقدية

Prophecy and Miracles in the Philosophy of Baruch Spinoza: An Analytical and Critical Study

م. م. لينة مثنى عدنان

الجامعة التكنولوجية/ قسم البعثات والعلاقات الثقافية

leena.m.adnan@uotechnology.edu

الملخص:

يتناول هذا البحث موقف سبينوزا من مفهومي النبوة والمعجزة، بوصفها نموذجًا لمشروعه النقدي الداعي إلى تحرير الدين من التصورات الخرافية وإخضاعه لمنطق العقل. فالنبوة عند سبينوزا ليست معرفة عقلية بل إدراك خيالي، يتلقاه الأنبياء وفق قدراتهم التخيلية لا بحسب رجاحة عقولهم، وغايتها التوجيه الأخلاقي لا تقديم حقيقة علمية. أما المعجزة فينكرها سبينوزا انطلاقًا من مبدأ وحدة الله والطبيعة وحتمية قوانينها، معتبرًا أن ما يبدو خرقًا للنظام الطبيعي ليس إلا نتاج جهل الإنسان بالأسباب الحقيقية للأحداث.

وعليهِ، يعرض البحث موقفين نقديين واجها أطروحة سبينوزا: موقف ليبنتز الرافض لوحدة الجوهر ولحتمية سبينوزا المطلقة، والقائم على مبدأ السبب الكافي وفكرة أفضل العوالم الممكنة، مع موقف متناقض من المعجزة يجمع بين رفضها ظاهريًا والدفاع عنها كدعامة دينية. وموقف هيوم الذي ينطلق من نقدهِ لفكرة السببية، ليخلص إلى أن المعجزة وإن كانت مستبعدة علميًا تبقى ممكنة منطقيًا.

الكلمات المفتاحية: سبينوزا، النبوة، المعجزة، الحتمية.

:Abstract

This research examines Spinoza's position on the concepts of prophecy and miracles, as a model of his critical project calling for liberating religion from superstitious concepts and subjecting it to the logic of reason. For Spinoza, prophecy is not rational knowledge, but rather an imaginative perception received by prophets according to their imaginative capacities, not according to the soundness of their minds, and its goal is moral guidance, not presenting a scientific truth. As for the miracle, Spinoza denies it based on the principle of the unity of God and nature and the necessity of its laws, considering that what seems to be a breach of the natural order is nothing but the result of human ignorance of the real causes of events.

Accordingly, the research presents two critical positions that faced Spinoza's thesis. Leibniz's position, which rejects the unity of substance and Spinoza's absolute determinism, and is based on the principle of sufficient reason and the idea of the best of all possible worlds, with a

contradictory position on the miracle that combines rejecting it outwardly and defending it as a religious pillar. And Hume's position, which stems from his critique of the idea of causality, to conclude that the miracle, although scientifically excluded, remains logically possible.

. Determinism, Miracle, Prophecy, Spinoza:Keywords

المقدمة:

يُعد باروخ سبينوزا من أبرز فلاسفة القرن السابع عشر الذين أعادوا قراءة المفاهيم الدينية بمنظور عقلاني صارم، إذ قدم من خلال رؤيتهِ الفلسفية القائمة على وحدة الله والطبيعة، منهجًا نقديًا فكك بهِ الأسس التقليدية للاهوت، ومهّد الطريق لنمط فكري جديد يقوم على السببية الحتمية.

وقُسمت هذهِ الدراسة إلى محورين رئيسيين: فأما المحور الأول فيتطرق إلى مفهومي النبوة والمعجزة عند سبينوزا، حيث يرى أن النبوة تعتمد على المخيلة الإنسانية لا على العقل، وهدفها هو حث الناس على الطاعة لا تقديم المعرفة العلمية. كما ينفي المعجزة تمامًا، معتبرًا إياها مستحيلة؛ لأن قوانين الطبيعة ثابتة لا تُخرق، وأن الاعتقاد بها ناتج عن الجهل بالأسباب. ويُعنى المحور الثاني بأهم المواقف النقدية الفلسفية التي واجهت أطروحة سبينوزا، إذ ناقش عدد من الفلاسفة أسسها الميتافيزيقية القائمة على وحدة الجوهر والحتمية، فضلًا عن أبعادها المعرفية والأخلاقية.

تتلخص إشكالية البحث في السؤال الآتي: كيف يفكك سبينوزا مفهومي المعجزة والنبوة؟ وكيف يواجه الفلاسفة اللاحقون هذا التفكيك؟

ويعتمد البحث المنهج التحليلي النقدي، من خلال عرض أطروحة سبينوزا في النبوة والمعجزة عرضًا تحليليًا، ثم مناقشتها نقديًا في ضوء مواقف ليبنتز وهيوم.

المحور الأول: النبوة والمعجزة عند سبينوزا

1. الوحي والنبوة كظاهرة تخيلية: النبوة بمعناها الاصطلاحي هي منصب إلهي لا ينال بالسعي، بل أن الله هو من يؤتيها لمن يشاء؛ لأن الله علم حيث يجعل رسالته، ورسالة الله ذات شرائط خاصة لا يعلمها إلا هو، ولا يوكلها إلا لمن يشاء، وهي أيضًا هي تلقي الوحي واستماعهِ من الله من غير وسيط أو واسطة، فهي مقام خاص مرتبط بالله وأحكامهُ الغيبية (الآملي، 1428هـ، ط1، الصفحات 17-25).

وهي كذلك ليست إلا صفة اعطيت لمن حملوا وحي الله إلى البشر من الأنبياء والرسل، إذ أن الأنبياء هم أشخاص اصطفاهم الله من بين عبادهِ وفضلهم بخطابه وجعلهم وسائل بينه وبين عبادهِ (النشار، 2015، ط2، صفحة 234).

والوحي في الأديان "ما يتلقاه الأنبياء والرسل عن طريق الملائكة المكلفين بتبليغ الوحي والتكاليف إلى الأنبياء والرسل ليقوموا بدورهم بتبليغها إلى أقوامهم" (حسن، 2002، صفحة 234).

أما سبينوزا فيقدم فهمًا مغايرًا بعض الشيء للنبوة أو (الوحي) فيُعرفها على أنها "المعرفة اليقينية التي يوحي الله بها إلى البشر عن شيء ما" (سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة: حسن حنفي، مراجعة: فؤاد زكريا، 1971، صفحة 119) ، والنبي هو "مفسر ما يوحي الله به لأمثاله من الناس الذين لا يقدرون على الحصول على معرفة يقينية به، ولا يملكون إلا إدراكه بالإيمان وحده" (سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة: حسن حنفي، مراجعة: فؤاد زكريا، 1971، صفحة 119).

وعلى أساس هذا التوصيف الطبيعي للظاهرة يرى سبينوزا أن الوحي والنبوة ليسا إلا أمرًا طبيعيًا؛ حيث إن الأنبياء بشر أوتوا قدرة فائقة على الخيال وعلى الطاعة وتطبيق مبادئ الأخلاق (سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة: حسن حنفي، مراجعة: فؤاد زكريا، 1971، صفحة 143).

يرى سبينوزا أن النبي يتلقى المعرفة أو يدرك الوحي بخيالهِ وليس بالعقل، ولذلك نجد أن الأنبياء لم يعبروا عن أفكارهم بالقضايا الواضحة، بل بالرموز والأمثلة والتشبيهات الحسية، وهذا ما يتفق مع طبيعة الخيال المتقلبة والغامضة، مما جعل النبوة تظهر للناس في صور مختلفة. وبناءً على ذلك فإن النبي عند سبينوزا ليس بالضرورة أرجحهم عقلًا، بل أخصبهم خيالًا، وبالتالي فلا يعدُّ الكتاب المقدس مرجعًا للمعرفة العقلية أو الطبيعية، بل هو وعاءٌ للخيال الخصب (حنفي، ب.ت، صفحة 65).

وتبعًا لذلك، نجدُ أن الانبياء قد تباينوا في أساليبهم كلًا بحسب أمزجتهِ وقدراتهِ التخيلية، ومتكيفين مع مستوى وعي مجتمعاتهم، فلم يكن هدفهم تقديم نظريات فلسفية، بل ترسيخ قيم العدل والإحسان بما يتوافق مع المعتقدات العامة (حنفي، ب.ت، صفحة 65).

ويمكن الوقوف هنا عند فارق جوهري بين التصور الديني التقليدي للنبوة، بوصفها مقامًا إلهيًا خالصًا لا دخل للطبيعة البشرية فيهِ، وبين تصور سبينوزا الذي يرُجعها إلى قدرة نفسية طبيعية هي الخيال. فسبينوزا لا ينفي وجود النبوة كظاهرة، بل ينزع عنها صفة التعالي المطلق ويدخلها في نطاق التفسير النفسي الطبيعي، وهو ما يجعل موقفه أقرب إلى تفسير آلية النبوة منه إلى مناقشة حقيقتها الغيبية.

يذهب سبينوزا إلى أن الأنبياء في الكتب المقدسة قد تلقوا الوحي الإلهي بطرق مختلفة، إما عبر الكلام المباشر أو عبر صور ومظاهر حسية. وقد يجتمع الشكلان معًا أحيانًا، فيسمع النبي خطابًا ويتخيله في الوقت ذاته بشكل واضح ومؤثر. كما يرى أن بعض هذهِ التجارب ليست بالضرورة واقعية حسيًا، بل قد تكون ناتجة عن قوة المخيلة عند

النبي، وتكون هذهِ المخيلة مهيأة بحيث تجعل النبي يظن أنه يسمع صوتًا أو يرى مشهدًا حقيقيًا أثناء اليقظة، ومثال على ذلك وحي الله لموسى، حيث ورد أنه تلقى الكلام الإلهي بطريقة تجلت له كخبرة مباشرة واضحة (سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة: حسن حنفي، مراجعة: فؤاد زكريا، 1971، الصفحات 126-127).

وتأسيسًا لما تقدم، يمكن التمييز في أن الإدراك الخيالي هو وسيط نبوي يعتمد على مخيلة النبي لتجسيد الوحي في صورة مشاهد أو أصوات حسية، بينما الإدراك العقلي هو التلقي المباشر للخطاب الإلهي بوضوح تام كما وجدناه في تجربة النبي موسى، إذ أن الخيال هو الأداة لتمثيل الوحي حسيًا، بينما الأدراك العقلي يكون بعيد عن أي تشويه خيالي.

وبهذا نرى أن سبينوزا يعتقد أن الأنبياء لم يكونوا علماء، بل كانوا بشرًا يمتلكون أدوات معرفية محدودة، مما جعلهم يعتمدون على مشاهداتهم الشخصية وحواسهم بدلًا من الحقائق العلمية، وقد دفعهم هذا التحديد الإدراكي إلى صياغة مشاهداتهم وفقًا لبيئتهم المعرفية ومعتقدات عصرهم، الأمر الذي يجعل الوحي خاضعًا لمستوى الإدراك الشخصي للنبي ومحدودية عصره، بدلًا من أن يكون مبنيًا على معرفة علمية دقيقة. (سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة: حسن حنفي، مراجعة: فؤاد زكريا، 1971، الصفحات 156-159).

وبناءً على هذهِ المحدودية المعرفية للأنبياء، يخلص سبينوزا إلى أن النبوة لا تقوم على المعرفة العقلية الخالصة، لأن الوحي يتجاوز حدود العقل ويعتمد على وسائل خاصة لتبليغ الرسالة الإلهية. فالمعرفة العقلية متاحة لجميع البشر، أما الوحي فهو خاص بالأنبياء. وبما أن المعرفة النبوية ترتكز على الخيال والصور والرموز، فهي بذلك لا تمنح اليقين كما تفعل المعرفة العقلية. لذلك يقين الأنبياء بصدق الوحي لم يكن نابعًا من الوحي نفسه فقط، بل من علامات أو آيات

تؤكد لهم مصدره الإلهي (سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة: حسن حنفي، مراجعة: فؤاد زكريا، 1971، صفحة 142).

ولفهم السبب الذي دفع سبينوزا إلى عدّ النبوة معرفة تخيلية، لا بد من الرجوع إلى نظريته في المعرفة، حيث يقسمها إلى ثلاثة : (مبروك، 2011، صفحة 97)

النوع الأول: وتنقسم إلى معرفة نكونها عن الأشياء بواسطة الحواس، وتتمثل في الأشياء جزئية مختلطة لا ترتيب فيها، ثم معرفة سماعية تؤدي بنا إلى تكوين فكرة عن أشياء مشابهة لما نتخيله عنها.

النوع الثاني: وهو ينشأ من وجود أفكار لدينا مشتركة بين جميع الناس، وأفكار كافية عن خصائص الأشياء، ويسميها معرفة بـ"العقل".

النوع الثالث: هو "الحدس" ينتقل من فكرة كافية عن الماهية المطلقة لبعض صفات الله إلى المعرفة الكافية لماهية الأشياء.

ومن خلال ما تقدم، يتضح أن موقع النبوة عند سبينوزا، ضمن النوع الأول من المعرفة، أي المعرفة الحسية والتخيلية غير المرتبة، يجعلها في أدنى درجات اليقين المعرفي عنده، لا في أعلاها كما يذهب التصور الديني الذي يمنح مكانة سامية للنبوة باعتبارها اتصالًا مباشرًا بالمصدر الإلهي، ومن هنا يتبين أن تقليل سبينوزا من مكانة النبوة لم يكن كموقف رفض مجرد، بل جاء نتيجة طبيعية لنسقِهِ المعرفي الخاص الذي يُقيّم كل معرفة بحسب مصدرها لا بحسب مضمونها.

وبالرغم من ذلك نجد أن سبينوزا يؤمن بدرجة كبيرة بأن النبوة على درجة كبيرة من اليقين، ويعتمد هذا اليقين النبوي على أسس ثلاثة إلا وهي: تخيل الأنبياء للأشياء الموحى بها بطريقة حية كإدراكنا للأشياء الطبيعية. واعتماد الأنبياء على الآيات والمعجزات. وميل الأنبياء الطبيعي إلى العدل والخير (حنفي، ب.ت، صفحة 86).

وفي ضوء ما سبق من تفكيك لمفهوم النبوة، يؤكد سبينوزا أن العقل هو السبيل الأساس إلى المعرفة، ولا يحتاج إلى الوحي لبلوغ الحقيقة، أما الوحي فتنحصر وظيفته في التوجيه الأخلاقي وغرس التقوى والفضلية، لذا لا تعدُّ الكتب المقدسة مصدرًا حقيقيًا للمعرفة النظرية، بل وسيلة لتحقيق غايات اخلاقية تنظم حياة الأفراد والمجتمعات (كولينز، 1998، صفحة 110).

"إذن يكون التفكير في الله وفي الكون ومحاولة الوصول إلى الحقائق هي مهام أوليّة للعقل البشري، وهو في غنى تمامًا عن الوحي الذي يفتقد أي دلالة بالنسبة للمهمة العلمية للعقل؛ بل قد حاول سبينوزا توضيح كيفية إخضاع العقل للوحي كموضوع للدراسة. فبدلًا من أن يكون الوحي ظاهرة عجائبيّة خارقة للطبيعة، يوضح سبينوزا إمكانيّة إخضاعها للفهم العقلاني وتفسيرها تفسيرًا عقليًا. وهذا ما يمارسه في"رسالة في اللاهوت والسياسة"؛ إذ يهدف فيها إلى إخضاع الوحي للعقل، بجعل العقل كاشفًا عن ألغاز الوحي وواضعًا إياه في إطاره الاجتماعي والسياسي والتاريخي الذي ينتمي إليه" (علي، فلسفة الدين عند سبينوزا في ضوء المنهج الديكارتي، 2017، صفحة 1174).

ختامًا، يتضح لنا أن سبينوزا قد أحدث قطيعة معرفية مع مفهوم النبوة والوحي التقليدي، وقد نقلهُ من كونهِ ظاهرة إلهية إلى ظاهرة طبيعية خيالية، حيث جعل منها أداة للوعظ الأخلاقي لا مصدرًا للمعرفة العقلية.

وإذا كانت النبوة عند سبينوزا قد رُدت إلى الخيال بوصفهِ أداة إدراك محدود، فإن المعجزة بدورها ترتبط بالخيال ذاتهِ، لكن هذهِ المرة من زاوية جهل الإنسان بالأسباب الطبيعية، لا من زاوية إدراك النبي وحده.

2. المعجزة وحتمية الطبيعة: يأتي معنى المعجزة في إطارها العام "الظاهرة المخالفة للنظام الطبيعي المألوف، إلا أن هذهِ الظاهرة لا تسمى عند بعضهم معجزة إلا إذا كانت فعل فاعل مختار، قصد بها أمر خارق للعادة يعجز الإنسان عن الاتيان بمثله" (صليبا، 1994، صفحة 391).

أما سبينوزا فيعرفها بأنها كل عمل يجهل العقل البشري سببهُ، وبالتالي فهي أبرز مظاهر حضور الفعل الإلهي، "أنها عمل الله"، كما يقول سبينوزا بأن المعجزة هي "حادثة لا نستطيع أن نبين علتها اعتمادًا على مبادئ الأشياء الطبيعية كما ندركها بالنور الفطري". ويوضح ذلك بقولهِ إن الناس اعتادوا " تسمية العمل الذي يجهل العامة سببهُ عملًا إلهيًا؛ أي عمل الله" (سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة: حسن حنفي، مراجعة: فؤاد زكريا، 1971، الصفحات 213-216). فالمعجزة بهذا المعنى تكون مرتبطة بحدود معرفتنا لا بطبيعة الحدث نفسه.

وتهدف المعجزة إلى تقوية ودعم موقف النبي أو الرسول أمام قومهِ ليؤمنوا به، ويزداد لديهم اليقين بأنه نبي مرسل من قبل الله حسب تصورات كل دين لنبيهِ (صليبا، 1994، صفحة 391).

فنجد سبينوزا يرى بأن لا نفهم المعجزة على أنها خرق لقوانين الطبيعية، لأن قوانين الطبيعة ما هي إلا إرادة الله وطبيعتهِ، وهي ثابتة وأزلية. ومن ثم فيستحيل أن يفعل الله ما يناقض هذهِ القوانين، إذ إن ذلك يعني مناقضتهُ لذاتهِ. لذا فإن جميع الأحداث تقع وفق نظام الطبيعة، وما يبدو كمعجزة للإنسان إنما يرجع إلى جهلهِ بالأسباب الطبيعية التي أدت إلى وقوعها (سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة: حسن حنفي، مراجعة: فؤاد زكريا، 1971، صفحة 215).

ويكمن الأساس الفلسفي لرؤية سبينوزا للمعجزة في مبدأ وحدة الله والطبيعة، حيث يؤكد أن الله هو الطبيعة ذاتها، فلا وجود لإله منفصل عن العالم يتدخل في أحداثهِ، وإنما تتجلى إرادة الله في النظام الطبيعي وقوانينه الثابتة (زكريا، 2014، ط2، صفحة 142). فالله هو الجوهر الواحد الذي تقوم بهِ الموجودات، وإن الفكر والامتداد ليسا حقيقتين منفصلتين، بل صفتان يعبر بها العقل عن هذا الجوهر (زكريا، 2014، ط2، صفحة 63).

وعليهِ فالله لا يكون منفصلًا عن العالم، بل تتجلى الطبيعة بوصفها تعبيرًا عن وجوده، فلا تقوم العلاقة بين الله والعالم على الانفصال، وإنما على الوحدة.

ويترتب على هذا التصور أن قوانين الطبيعة ليست منفصلة عن الإرادة الإلهية، وإنما هي بمثابة تعبير عنها، ولذلك فإن خرق هذهِ القوانين يؤدي إلى وقوع التناقض في الفعل الإلهي، وهذا الأمر مرفوض، وانطلاقًا من هذا الأساس يؤكد سبينوزا مبدأ الحتمية، بجعلهِ جميع الموجودات والأحداث تكون خاضعة لنظام ضروري وثابت لايقبل الاستثناء.

يرفض سبينوزا التصور الشائع عند العامة الذي يرى أن خرق النظام الطبيعي هو أصدق دليل على وجود الله وعلى صدق النبي المرسل، فيقلب هذا المنطق رأسًا على عقب فبما أن قوانين الطبيعة هي صفات الله ذاتهِ، وصفات الله لا تتغير، فإن الادعاء بخرقها لا يكون دليلًا على الإيمان، بل دعوة للكفر والإلحاد، إذ يعني ضمنًا أن ذات الله نفسها قابلة للتغير والتناقض (علي، فلسفة الدين من الإرهاصات إلى التكوين العلمي الراهن، ط1، 2019، الصفحات 114-115).

وفي هذا السياق يقول سبينوزا: "فإننا لا نستطيع أن نعرف بالمعجزات ماهية الله أو وجوده، من ثم لا نستطيع أن نعرف العناية الإلهية، على حين أننا نستطيع أن نعرفها كلها بطريقة أفضل عن طريق قانون الطبيعة الثابت الذي لا يتغير" (سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة: حسن حنفي، مراجعة: فؤاد زكريا، 1971، صفحة 222).

ويوضح ذلك مفهوم العلة الحرة عند سبينوزا، حيث يرى أن الله حر لا يخضع لشيء خارج ذاتهِ، لكن أفعاله تتبع بالضرورة من طبيعتهِ ذاتها لا من إرادة منفلتة. فما نظنهُ حدث بلا سبب أو صدفة، إنما يعكس نقص معرفتنا بأسبابهِ الحقيقية، إذ حدد الله كل شيء اعتمادًا على طبيعتهِ الثابتة أزلًا لا بإرادة تحكمية منفصلة عنها (شاخت، 1997، صفحة 101).

وبتعبير سبينوزا: "فالله وحدهُ علة حرة، لأن الله فحسب يوجد بضرورة طبيعته وحدها ويتصرف بضرورة طبيعته وحدها وعندئذً فهو علة حرة" (سبينوزا، علم الأخلاق، ترجمة: جلال الدين سعيد، صفحة 53).

يقول سبينوزا: "إن كل ما يحدث إنما يحدث وفق نظام أزلي ووفق قوانين طبيعية محددة" (سبينوزا، رسالة في إصلاح العقل، ترجمة: جلال الدين سعيد، 1995، صفحة 30).

ويضيف :" ليس من طبيعة العقل أن ينظر إلى الأشياء على أنها عرضية وإنما على أنها ضرورية، فطبيعة العقل أن ينظر إلى الأشياء من منظور الأزلية" وهذا يعني أن نظر العقل إلى الأشياء من منظور الأزلية مرتبط بتحكم الضرورة" (زكريا، 2014، ط2، صفحة 88).

يتضح من ذلك أن العلة الحرة عند سبينوزا لا تنفصل عن الضرورة، إذ أن حرية الله عندهُ لا تعني إمكان الفعل على خلاف طبيعتهِ، وإنما تعني استغناءهُ عن أي سبب يفرض عليهِ ذلك من خارجهِ. ومن هنا تنشأ فكرة العقل الأزلية للأشياء، فهي تُدرك بوصفها نتيجة ضرورية ولازمة عن طبيعة الله الثابتة، لا كحادثة كان من المتوقع أن تجري على غير ما جرت عليهِ. وبتكامل هذهِ الأفكار سيبني سبينوزا الأساس الذي لأجلهِ رفض أي خرق للنظام الطبيعي.

يرى سبينوزا بعدم وجود قوى خارجية تتحكم في الأشياء الموجودة في العالم، وأن ظواهر الطبيعة ينبغي أن تفسر بقواها الخاصة فقط، وأنه من الواجب البحث عن علل طبيعية فقط لكل ما يحدث في الكون (زكريا، 2014، ط2، صفحة 86).

ومن هذا التصور القائم على وحدة الله والطبيعة وثبات قوانينها، يتأسس مبدأ الحتمية الذي بدوره يقود إلى رفض الغائية وإمكان المعجزة، حيث يرى أن أخطاء الناس كلها تعزى إلى خطأ أساسي واحد والذي تنطلق من فكرة

افتراضهم أن جميع الأشياء تتصرف مثلهم من أجل غاية واعتقادهم بأن الله قد سخر كل شيء من أجل الإنسان وأنه خلق الإنسان ليعبدهُ (سبينوزا، علم الأخلاق، ترجمة: جلال الدين سعيد، الصفحات 77-78).

والحقيقة أن الطبيعة لا تعمل لتحقيق أهداف مسبقة، وإنما وفق الضرورة، ونتيجة لذلك نجده رفض إمكان المعجزة لأنها تعني خرق النظام الطبيعي (سبينوزا، علم الأخلاق، ترجمة: جلال الدين سعيد، صفحة 79). وعليهِ، فإن إنكار سبينوزا جاء لنتيجة منطقية لنيتهِ الميتافيزيقية القائمة على وحدة الله والطبيعة، وسيادة الحتمية ورفض التفسير الغائي للوجود.

وينطبق هذا أيضًا على رؤية سبينوزا للكتاب المقدس، حيث يرى سبينوزا أن الكتاب المقدس "يتناول في كثير من الأحيان موضوعات لا يمكن استنباطها من المبادئ التي نعرفها بالنور الفطري، وهي قصص تحتوي أساسًا على معجزات وروايات تقص وقائع غير مألوفة في الطبيعة، وتلائم أفهام الرواة الذين قاموا بتدوينها وأحكامهم" (سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة: حسن حنفي، مراجعة: فؤاد زكريا، 1971، صفحة 243).

هنا يتضح ربط سبينوزا بين المعجزة وجهل الإنسان بالأسباب لا ينفصل عن نظرتهِ إلى اللغة الدينية. فبما أن الكتب المقدسة دومًا موجهة إلى مخيلة العامة لا إلى عقل الفلاسفة، فإن لغتها بالتالي تصبح خيالية لا عقلية، وهذا ما يفسر الاشتباه الذي وقع فيهِ الرواة بين الحدث الطبيعي وتصويرهِ الخيالي. فالمعجزة إذن ليست خطأً بالواقعة، بل أثر من أثار اللغة صيغت لتخاطب الخيال لا لتصف الطبيعة.

والمعجزات كما وجدها سبينوزا هي في جوهرها احداث طبيعية جهل الرواة القدامى أسبابها الحقيقية ونسبوا أسبابها إلى تدخل إلهي مباشر. فمثلًا حين روت التوراة أن موسى شق البحر، حُذف منها تفصيل الريح الشرقية والتي كانت هي السبب الفعلي، فبدا الحدث أعظم مما هو عليه في الواقع. والسبب بنظر سبينوزا يرجع إلى أن الكتاب المقدس لا يخاطب العقل بالبرهان، بل يخاطب الخيال والقلب بالصورة والخشوع. لذا فإن ما يرويه الكتاب المقدس من

معجزات قد وقع فعلًا وفق النظام الطبيعي، لا خارجًا عنهُ (سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة: حسن حنفي، مراجعة: فؤاد زكريا، 1971، الصفحات 225-230).

وهذا التكيف الذي يخاطب الخيال والقلب لا يقف عند الأحداث وحدها، بل يتعدى إلى اللغة التي كُتب بها النص المقدس، فاللغة بنت الخيال وليست بنت العقل، أو بالاحرى هي أداة الخيال وليست أداة العقل، وكائناتها كائنات خيالية وليست ابدًا كائنات عقلية (سباني، 2009، صفحة 44).

"فالكلمات لا تعدو أن تكون علامات للأشياء على نحو ما تكون عليهِ هذهِ الأشياء في المخيلة، لا على نحو تكون عليه في العقل" (سبينوزا، رسالة في إصلاح العقل، ترجمة: جلال الدين سعيد، 1995، صفحة 55). فيؤكد أن جميع الحوادث التي يرويها الكتاب المقدس لا تخرج عن النظام الطبيعي، بل يمكن تفسيرها بالعلل الطبيعية، وأن وقوعها كان بالضرورة وفق القوانين الثابتة للطبيعة، لا بوصفها خرقًا لها (سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة: حسن حنفي، مراجعة: فؤاد زكريا، 1971، صفحة 233).

أما فيما يخص الأساليب الخطابية والصورالبلاغية المستعملة في الكتاب المقدس فهي موجهة إلى فهم العامة لا إلى الحقيقة الفلسفية الدقيقة. فمثلًا وصف الله بأنهُ ينزل من السماء أو يجلس على عرش فوق النجوم لا يمت للحقيقة بصلة، إذ أن الله لا مكان له ولا صفة جسدية، وهذا يعرفهُ فقط من يحكم على الأشياء بالعقل المجرد الخالص،لا بالحواس والخيال (سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة: حسن حنفي، مراجعة: فؤاد زكريا، 1971، الصفحات 226-227).

يذهب إلى أن الناس يميلون بطبعهم إلى الخلط بين أفكار الراوي وبين الواقعة ذاتها، حيث أن هذا الخلط يؤدي إلى اعتبار الكثير من الرؤى الخيالية أو التأويلات المجازية كأنها أحداث تاريخية وقعت بالفعل، وهو ما يدفع العقل

النقدي إلى ضرورة التمييز بين ما هو رؤية نبوية وبين ماهو واقعة طبيعية لا تحتاج إلى تضخيم (سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة: حسن حنفي، مراجعة: فؤاد زكريا، 1971، صفحة 227).

فلا تظل الخرافة المرتبطة بالمعجزة سجينة النطاق النظري المجرد، بل تتحول إلى أداة توظف في ميدان السياسة، فالخرافة، بوصفها وليدة الجهل والخوف سرعان ما تسري بين الناس كالنار في الهشيم متى ما تمكنت منه مخيلتهم. حيث يتعمد الناس عندما يحاولون التخلص من خرافة ما إلى استبدالها بأخرى جديدة لم تخدعهم بعد. ومن هنا كانت الخرافة من أكثر الوسائل فاعلية في حكم العامة، إذ كان من السهل باسم الدين دفع الناس إلى عبادة ملوكهم وكأنهم آلهة، وتارةً أخرى إلى معاملتهم وكأنهم طامة كبرى على الجنس البشري (سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة: حسن حنفي، مراجعة: فؤاد زكريا، 1971، الصفحات 200-202).

ويضيف أن النصوص الدينية لا تهدف إلى تقديم حقائق فيزيائية أو معرفة كونية دقيقة، بل هي نصوص موجهة لمخاطبة خيال العامة لا عقل الفلاسفة. وعليهِ فإن محاولة إثبات الدين من خلال المعجزات هي محاولة عقيمة؛ لأنها تحول الدين إلى ساحة للصراع العقلي حول أحداث طبيعية فُسرت بشكل خاطئ. في حين أن جوهر الدين الحقيقي يكمن في البعد الأخلاقي والعملي (سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة: حسن حنفي، مراجعة: فؤاد زكريا، 1971، صفحة 228).

يختم سبينوزا هذهِ المسألة بالتأكيد على أن الطبيعة تسير وفق قوانين أزلية وثابتة لا تقبل الخرق، وأن ما يسميهِ الناس معجزة ما هو إلا حادثة طبيعية غامضة لم تُعرف أسبابها. وعليهِ فإن التمسك بفكرة أن المعجزة خروج عن قوانين الطبيعة يعد نوعًا من الخرافة التي تنسب زورًا إلى القدرة الإلهية، بينما الحقيقة الفلسفية هي أن الله يتجلى في ثبات هذهِ القوانين لا في خرقها (سبينوزا، رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة: حسن حنفي، مراجعة: فؤاد زكريا، 1971، الصفحات 229-230).

وخلاصة القول، أن سبينوزا سعى إلى تحرير الدين من الخرافات التي حاصرتهُ على مر العصور، وأن جوهر فكرتهُ في المعجزات لا يعني أنكارها بل ربطها بقوانين الطبيعة الثابتة والتي تعكس حكمة الله التي لا تتبدل، وأننا بحاجة لتجاوز القراءة الحرفية للنصوص الدينية باستخدام العقل بدلًا عن الخيال. فجوهر المنهج العقلي يجعل العقل هو المفتاح الوحيد لفهم النص والوجود معًا.

المحور الثاني: المواقف النقدية من أطروحة سبينوزا

أثارت أطروحة سبينوزا حول الوحي والنبوة والمعجزات جدلًا واسعًا في الأوساط الفلسفية ، وذلك لأنها عُدت خروجًا عن التصورات الدينية التقليدية آنذاك. وفي هذا المحور سوف نتناول أبرز تلك المواقف النقدية.

1. موقف غوتفريد فيلهلم ليبنتز من أطروحة سبينوزا

يرفض ليبنتز الأسس الرئيسية لفلسفة سبينوزا، ولا سيما القول بالجوهر الواحد، ووحدة الله والطبيعة، وخضوع الموجودات للضرورة الحتمية (ليبنتز، أبحاث جديدة في الفهم الإنساني، تقديم وترجمة وتعليق: أحمد فؤاد كامل، 1983، صفحة 46).

يطرح ليبنتز بديلًا عن وحدانية الجوهر عند سبينوزا من خلال مفهوم "المونـاد" وهي في تعريفهِ جوهر بسيط لا يدخل في التركيب، وبساطتهُ تعني خلوهُ من الأجزاء، إذ ما دامت هناك جواهر مركبة فلا بد من وجود جواهر بسيطة تكوّنها (ليبنتز، المونادولوجيا والمبادئ العقلية للطبيعة والفضل الإلهي، نقلها للعربية وقدمها وعلق عليها: عبدالغفار مكاوي، 1978، صفحة 125).

تتميز كل موناد عن غيرها وتنفصل عنها، إذ يستحيل عند ليبنتز أن يوجد في الطبيعة كائنان متشابهان تشابهًا كاملًا (ليبنتز، المونادولوجيا والمبادئ العقلية للطبيعة والفضل الإلهي، نقلها للعربية وقدمها وعلق عليها: عبدالغفار

مكاوي، 1978، الصفحات 128-129). وبهذا نجد أن ليبنتز يستبدل التعدد اللامتناهي للجواهر البسيطة بالجوهر الواحد الذي بنى عليه سبينوزا نسقهُ الميتافيزيقي.

يستند ليبنتز في نقده لفلسفة سبينوزا إلى مبدأ السبب الكافي، والذي مفادهُ بأن لا يوجد شيء إلا ولا بد لهُ من سبب كافٍ يفسر وجوده على النحو الذي هو عليهِ (كرم، 2012، صفحة 133).

ومن هذا المبدأ يستنتج ليبنتز "إن الله هو العلة الأولى للأشياء، ويجب أن يكون ذا كمال مطلق في قدرتهِ وحكمته وفعله للخير، وعند اجتماع حكمته السامية في خلقهِ للعالم وفعله غير المتناهي للخير، نستنتج أنه يختار أفضل العوالم؛ لأنه لو لم يكن الأفضل من بين جميع العوالم الممكنة لما اختار الله منها هذا العالم، إذن فالله قد خلق أفضل العوالم الممكنة، أعني العالم الذي يحقق أكبر قدر ممكن من الكمال" (الحيدري، 2013، ط1، صفحة 256).

وهنا يكمن جوهر اختلاف ليبنتز عن سبينوزا، فحينما يرى سبينوزا أن كل شيء يصدر عن طبيعة الله بالضرورة المطلقة، من دون أي إمكانية لعالم آخر مغاير لما هو كائن، يذهب ليبنتز إلى التمييز بين نوعين من الحقائق، حقائق العقل الضرورية التي يستحيل عكسها، وحقائق الواقع الممكنة التي كان يمكن أن تكون على غير ما هي عليه (ليبنتز، المونادولوجيا والمبادئ العقلية للطبيعة والفضل الإلهي، نقلها للعربية وقدمها وعلق عليها: عبدالغفار مكاوي، 1978، صفحة 144).

بناءً على هذا التمييز، يصبح العالم الذي نعيش فيهِ واحدًا من بين عوالم ممكنة عديدة اختارهُ الله بإرادتهِ الحرة وفق مبدأ الأصلح لا بوصفهِ ضرورة كما يذهب سبينوزا ، وهذا بدورهِ يفتح الباب نظريًا أمام إمكانية الخرق التي رفضها سبينوزا (ليبنتز، المونادولوجيا والمبادئ العقلية للطبيعة والفضل الإلهي، نقلها للعربية وقدمها وعلق عليها: عبدالغفار مكاوي، 1978، صفحة 54).

يقف ليبنتز موقفًا معاكسًا لموقف سبينوزا من مسألة المعجزة، فقد رفض سبينوزا تفسير المعجزات، وعبّر عن ذلك طرحه في خطابهِ إلى أولدنبرج بقوله:" المعجزات والجهل أمران متساويان، لأن أولئك الذين يلتزمون بإثبات وجود الله وتدعيم الدين بناء على المعجزات يريدون إثبات الغامض بما هو أكثر غموضًا" (ليبنتز، أبحاث جديدة في الفهم الإنساني، تقديم وترجمة وتعليق: أحمد فؤاد كامل، 1983، صفحة 45)

وفي المقابل، دافع ليبنتز عن المعجزات واعتبرها دعامة أساسية للدين المسيحي، ورأى أنها دليل على صدق النبوة، فهي لا تتجاوز النظام الإلهي، وإنما تكشف عن نظام أسمى من النظام الطبيعي (ليبنتز، أبحاث جديدة في الفهم الإنساني، تقديم وترجمة وتعليق: أحمد فؤاد كامل، 1983، صفحة 46).

إن المعجزة ليست أمرًا خارقًا للطبيعة، لأنها تنتمي إلى نظام أشمل لنظام الطبيعة، فهي بذلك ليست مناقضة لنظام الطبيعة وإنما تفوقهُ وتخضع لنظام أوسع منهِ، وهذا ما نجدهُ في قولهِ "إن المعجزات في الكون مطابقة دائما للقانون الكوني [المتعلق] بالنظام العام، رغم أنها تتجاوز القواعد الثانوية، ولما كان كل شخص أو جوهر بمثابة عالم صغير يعبر عن العالم الكبير، جاز لنا القول كذلك أن هذا الفعل الإلهي الخارق للعادة في هذا الجوهر فعل معجز مع أنه متضمن في نظام الكون العام من جهة أنه معبر عنه قبل الماهية أو التصور الفردي لذلك الجوهر" (ليبنتز، مقال في الميتافيزيقيا، 2006، ط1، صفحة 150).

تأكيدًا لهذا فإن "الله سبب الجواهر الحقيقي، بيد أنه لما كان ما يعبر عن طبيعتنا بأكمل وجه ينتمي إليه بصورة خاصة، مادامت قوته متمثلة في ذاك الانتماء، ولما كانت طبيعتنا محدودة كما شرحت ذلك للتو، فثمة أشياء كثيرة تتجاوز قوانا الطبيعية، بل قل أنها تتجاوز جميع الطبائع المحددة" (ليبنتز، مقال في الميتافيزيقيا، 2006، ط1، صفحة 150).

انطلاقًا من هذا، يرد ليبنتز إنكار المعجزات إلى القصور في إدراك الحقائق الأولى، وإصدار الأحكام وفق النظام الطبيعي وحده، مع أن المعجزات تنتمي إلى نظام إلهي أشمل يتجاوز إدراك العقل ويخضع للإيمان (ليبنتز، مقال في الميتافيزيقيا، 2006، ط1، الصفحات 150-151).

على الرغم من أن ليبنتز يرفض حتمية سبينوزا المطلقة واستبدلها بتعدد الجواهر ومبدأ السبب الكافي، إلا أن موقفهُ من المعجزة يثير الغرابة فهو يبررها بردها إلى نظام إلهي أشمل وهو بدورهِ نظام يخضع لقانون عام وإن اتسع عن النظام الطبيعي. وبذلك يبدو أن ليبنتز لم يتخلص من فكرة الانتظام التي رفض بها سبينوزا المعجزة، بل أعاد صياغتها على مستوى أعلى، فيصبح الفارق بينهما فارقًا في الشمول لا في جوهر المنهج العقلي.

2. موقف ديفيد هيوم من أطروحة سبينوزا

في الاتجاه التجريبي المعارض للعقلانية، نجد أن ديفيد هيوم قد وجه نقدًا لمفهوم الضرورة الذي قامت عليهِ فلسفة سبينوزا، منطلقًا من رؤية جديدة مغايرة لأصل الترابط بين الأشياء وطبيعته.

ينطلق ديفيد هيوم من موقف تجريبي شكوكي يرفض فكرة الضرورة العقلية التي يقوم عليها نسق سبينوزا، ولفهم موقفهِ من المعجزة لا بدّ لنا من الوقوف عند نظريتهِ في السببية، والتي بوصفها تُعد الأساس الذي بنى عليهِ موقفهُ من قوانين الطبيعة ثم المعجزة.

تُعرف السببية عند هيوم بأنها العلاقة الثابتة بين السبب والمسبب، وتُعد من أقدم المسائل الفلسفية التي شغلت الفكر منذ أرسطو، ولكنها تطورت أكثر على يد هيوم. حيث يقوم قانون السببية على ثلاثة أسس رئيسية: الاتصال، والأسبقية، والضرورة (سارة، 2020 ،ط1، صفحة 96).

يعترف هيوم بعنصري الاتصال والأسبقية باعتبارهما أساسيين لتفسير مبدأ السببية، إلا أنهُ رأى أن في عنصر الضرورة أشكالًا، فقد أنكر وجود فكرة الضرورة المنطقية التي تربط السبب بالمسبب كما ذهب إلى ذلك الفلاسفة

العقلانيون من قبلهِ، واعتبر أن هذهِ العلاقة ليست سوى تتابع وتكرار للانطباعات والأفكار التي وقعت في الماضي. وبذلك تكون الضرورة عنده مجرد انطباع تجريبي خاضع للتتابع المعتاد للأحداث والوقائع، لا ضرورة منطقية (سارة، 2020 ،ط1، صفحة 97) .

يرى هيوم أن المعرفة التي يكتسبها الإنسان من الظواهر التي يمرّ بها لا تحمل في طياتها السمة العقلية القبلية، أي أن العقل عاجز عن تفسير العلاقة السببية القائمة بين السبب والمسبب، فالأسباب والنتائج بحسب هيوم، لا تُكتشف بالعقل وإنما يقتصر ما يملكه الإنسان على العادة والتكرار النابعين من التجربة الحسية. وهذا ما ينزع عن السببية سمة الضرورة ويجعلها خاضعة لمنطق العادة لا لمنطق العقل (سارة، 2020 ،ط1، صفحة 98). "أن الأسباب والمفاعيل لا تُكشف بالعقل، فلا أحد يتخيل أن انفجار البارود، أو جاذبية حجر المغناطيس يمكن أن يُكتشفا بواسطة حجة قبلية" (هيوم، تحقيق في الذهن البشري، ترجمة: محمد محجوب، ط1، 2008، صفحة 54).

ترتيبًا على إنكار هيوم لضرورة العلاقة السببية وردها إلى العادة والتكرار، ينعكس هذا الموقف بوضوح أمام ما تناوله بمسألة المعجزة، فيُعرّف هيوم المعجزة " خرق لقانون من قوانين الطبيعة بإرادة إلهية خاصة أو بتوسط فاعل غير مرئي" (هيوم، مبحث في الفاهمة البشرية(المجلد1)، ترجمة: موسى وهبة، 2008، صفحة 159).

يرى هيوم أن قانون الطبيعة عبارة عن كلية تنبئ عن نظام دائمي في الطبيعة، مستمد من تجارب متكررة لا تنتقض، ويذهب إلى أنهُ لا توجد علاقة سببية بين الظواهر يمكن عدها علاقة ضرورية بالمعنى المنطقي، فيمكن دومًا تصور خلاف تلك العلاقة دون وقوع تناقض منطقي، ومن هنا نجد أن المعجزة عند هيوم ليست أمرًا ممتنعًا منطقيًا، بل هي أمر ممكن، وإن كان دليل قانون الطبيعة أقوى دومًا من دليل أخبار المعجزات (خاني، ط1، 2020، الصفحات 215-216).

انطلاقًا لما سبق، يمكن التمييز بين فهمين لقوانين الطبيعة: فهم عقلاني وفهم تجريبي، وكما يقول خاني لو كان هيوم فهم قانون الطبيعة فهمًا عقلانيًا كفهم العقلانيين، لكان موقفهُ أقرب إلى موقف سبينوزا، الذي يعتقد أن نظام العالم نظام ضروري ناتج بالكامل عن الإرادة الإلهية، لا يقبل أي نظام من نُظمه التخلف عنه، لأن مخالفة هذا النظام تُعد بمثابة مخالفة لإرادة الله وأوامره ذاتها. غير أن هيوم وبوصفهِ تجريبيًا لم يؤمن بحتمية قوانين الطبيعة كما آمن بها سبينوزا، وهذا ما يفسر عدم تبنيهِ للتصور الذهني الحتمي للمعجزة الذي يفترضهُ من يقبل بالحتمية السبينوزية (خاني، ط1، 2020، الصفحات 216-217).

وتأسيسًا لما تقدم، يتضح لنا أن موقف هيوم من المعجزة هو امتداد طبيعي لموقفهِ من السببية، فحين أنكر ضرورة عقلية تربط السبب بالمسبب وردها لمجرد عادة وتكرار، لم يعد بإمكانهِ التسليم بضرورة قوانين الطبيعة نفسها، فأصبحت المعجزة عنده ممكنة منطقيًا وإن كانت مستبعدة عمليًا. وهنا يظهر التباين الجوهري مع سبينوزا، فالأخير يرى أن نظام الكون ضروري حتمي صادر بالكامل عن الإرادة الإلهية، يظل هيوم بالمقابل متمسكًا بتجريبيتهِ التي تنزع عن الطبيعة كل ضرورة مسبقة، وهذا التباين بين الحتمية والعقلانية والشكوكية التجريبية يكشف اختلافًا جذريًا في تصور كل منهما لعلاقة الله بالطبيعة.

الخاتمة:

يتضح من خلال البحث أن سبينوزا قدم قراءة عقلانية لمفهومي النبوة والمعجزة تختلف عن التصور الديني التقليدي السائد، فالنبوة عندهُ معرفة خيالية لا عقلية، تعتمد على قوة تخيل النبي لا على رجاحة عقلهِ. والمعجزة

ليست خرقًا لقوانين الطبيعة، بل حدثًا طبيعيًا يجهل الإنسان سببهُ الحقيقي. وينطلق هذا الموقف من نسقهِ الفلسفي القائم على وحدة الله والطبيعة، وسيادة الحتمية المطلقة.

وقد واجه هذا الطرح نقدًا من فيلسوفين مختلفين. ليبنتز الذي رفض وحدة الجوهر عند سبينوزا واستبدلها بتعدد الجواهر البسيطة، لكنهُ في موقفهِ من المعجزة لم يتجاوز فكرة الانتظام التي قامت عليها حجة سبينوزا نفسها، بل قام بإعادة صياغتها ضمن نظام إلهي أشمل. أما هيوم فانطلق من نقدهِ لمبدأ السببية، وأنكر أن تكون العلاقة بين السبب والمسبب ضرورة عقلية، حيث ردها إلى عادة وتكرار، وهذا ما جعل المعجزة عندهُ ممكنة منطقيًا وإن ظلت مستبعدة علميًا.

وعليهِ يخلص البحث إلى أن الخلاف بين سبينوزا ونقادهِ لا يقتصر على مسألة المعجزة والنبوة، بل يعود إلى خلاف أعمق حول طبيعة العلاقة بين الله والعالم، وحول ما يستطيع العقل البشري أن يستوعبه ويبلغهُ.

قائمة المصادر والمراجع:

1. احسان الحيدري. (2013، ط1). *فلسفة الدين في الفكر الغربي*. لبنان: دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع.

2. امل مبروك. (2011). *الفلسفة الحديثة*. بيروت: التنوير للطباعة والنشر.

3. جميل صليبا. (1994). *المعجم الفلسفي، ج2*. بيروت: دار الكتاب، الشركة العالمية للكتاب- الدار الافريقية، دار التوفيق.

4. جيمس كولينز. (1998). *الله في الفلسفة الحديثة، ترجمة: فؤاد كامل*. القاهرة: دار قباء للنشر والتوزيع.

5. حسن حنفي. (ب.ت). *قضايا معاصرة في الفكر الغربي المعاصر، ج2*. القاهرة: دار الفكر العربي.

6. دبوسي سارة. (2020 ،ط1). السببية الناقصة نقد العقل القاصر عند ديفيد هيوم. تأليف مجموعة مؤلفين، *ديفيد هيوم مقاربات نقدية لنظامه الفلسفي*. العراق: المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية.

7. ديفيد هيوم. (2008). *مبحث في الفاهمة البشرية(المجلد1)، ترجمة: موسى وهبة*. بيروت: دار الفرابي.

8. ديفيد هيوم. (ط1، 2008). *تحقيق في الذهن البشري، ترجمة: محمد محجوب*. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

9. ريتشارد شاخت. (1997). *رواد الفلسفة الحديثة، ترجمة: احمد حمدى محمود*. مصر: مكتبة الاسرة.

10. سبينوزا. (1971). *رسالة في اللاهوت والسياسة، ترجمة: حسن حنفي، مراجعة: فؤاد زكريا*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر.

11. سبينوزا. (1995). *رسالة في إصلاح العقل، ترجمة: جلال الدين سعيد*. تونس: دار الجنوب للنشر.

12. سبينوزا. (بلا تاريخ). *علم الأخلاق، ترجمة: جلال الدين سعيد*. تونس: دار الجنوب.

13. عبد الله الجوادي الآملي. (1428، ط1). *الوحي والنبوة*. قم المقدسة: دار الإسراء.

14. غيضان السيد علي. (2017). فلسفة الدين عند سبينوزا في ضوء المنهج الديكارتي. *مجلة كلية الآداب- جامعة المنصورة*، العدد:61.

15. غيضان السيد علي. (2019). *فلسفة الدين من الإرهاصات إلى التكوين العلمي الراهن، ط1*. بيروت: المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية.

16. فؤاد زكريا. (2014، ط2). *اسبينوزا*. لبنان: دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع.

17. ليبنتز. (1978). *المونادولوجيا والمبادئ العقلية للطبيعة والفضل الإلهي، نقلها للعربية وقدمها وعلق عليها: عبدالغفار مكاوي*. مصر: دار الثقافة للطباعة والنشر.

18. ليبنتز. (1983). *أبحاث جديدة في الفهم الإنساني، تقديم وترجمة وتعليق: أحمد فؤاد كامل*. دار الثقافة للنشر والتوزيع.

19. ليبنتز. (2006، ط1). *مقال في الميتافيزيقيا*. بيروت: مركز الدراسات الوحدة العربية.

20. محمد خليفة حسن. (2002). *تاريخ الاديان دراسة وصفية مقارنة*. القاهرة: دار الثقافة العربية.

21. محمد فتح علي خاني. (ط1، 2020). المعجزة في فلسفة الدين عند هيوم الدليل المتهافت على نقضها. تأليف مجموعةمؤلفين، *ديفيد هيوم: مقاربات نقدية لنظامه الفلسفي*. العراق: المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية.

22. مصطفى النشار. (2015، ط2). *مدخل جديد إلى فلسفة الدين*. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

23. منذر سباني. (2009). *سبينوزا واللاهوت*. منشورات وزارة الثقافة العامة السورية للكتاب.

24. يوسف كرم. (2012). *تاريخ الفلسفة الحديثة*. مصر: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

العولمة و أثارها على الانتماء لدى الشباب دراسة ميدانية في مدينة القاسم

م.م. فرح هادي عبس

جامعة بابل/كلية الآداب

الايميل الجامعي

art343.farah.hadi@uobabylon.edu.ia

الملخص:

يتناول البحث الموسوم موضوع " العولمة و أثارها على الانتماء لدى الشباب:دراسة ميدانية في مدينة القاسم" لكون العولمة من ابرز المظاهر التي فرضت تغيرات سريعة و على مختلف جوانب الحياة، خاصة في مجال وسائل الاتصال و التكنولوجيا، الأمر الذي أثر على القيم و العلاقات الاجتماعية و الهوية و الانتماء، تمثلت مشكلة الدراسة في محاولة للكشف عن مدى تأثير العولمة في انتماء الشباب لمجتمعهم، نتيجة للأنفتاح العالمي و ما أدى اليه من تزايد في التأثر بالثقافات الخارجية و تراجع لبعض القيم الاجتماعية، وهذا بدوره انعكس على العلاقات الاجتماعية و الأسرية و الهوية الوطنية. تنبع أهمية البحث من خلال الإطلاع على آثار العولمة في الانتماء لدى الشباب، لكونهم الفئة الأكثر تعرض للتغيرات الإعلامية و التكنولوجية و الثقافية، فضلاً عن الإسهام في التعرف على الجوانب الايجابية للعولمة و الحد من آثارها السلبية تعزيزاً للانتماء المجتمعي و الهوية الوطنية. و هدف البحث إلى معرفة أثر العولمة على قيم الانتماء لدى الشباب، و الكشف عن طبيعة تأثيرها في هذه الفئة، إلى جانب تقديم مقترحات تساهم في توظيف وسائل الاتصال الحديثة بشكل إيجابي. اعتمدت الباحثة على المنهج الوصفي بأستخدام أداة الاستبانة لجمع البيانات و تحليلها، وكانت ابوز نتائج

البحث أن هناك آثاراً متباينة للعولمة على الانتماء لدى الشباب، مما يستدعي إلى تعزيز دور المؤسسات التعليمية و الاعلامية و تعزيز دور الأسرة في تنمية وعي الشباب وترسيخاً لقيم الانتماء للمجتمع.

الكلمات المفتاحية: العولمة – الانتماء – الشباب

Abstract

The tagged research deals with the topic of "Globalization and its effects on belonging among young people: a field study in the city of Al-Qasim" because globalization is one of the most prominent manifestations that imposed rapid changes and on various aspects of life, especially in the field of means of communication and technology, which affected values, social relations, identity and belonging. The problem of the study was represented in an attempt to reveal the extent of the impact of globalization on the belonging of young people to their society, as a result of global openness and the resulting increase in influence on external cultures and the decline of some social values, which in turn was reflected on social and family relations and national identity. The importance of research stems from reviewing the effects of globalization in belonging to young people, as they are the most exposed group to media, technological and cultural changes, as well as contributing to identifying the positive aspects of globalization and reducing its negative effects to

enhance community belonging and national identity. The aim of the research was to determine the impact of globalization on the values of belonging among young people, and to reveal the nature of its impact in this category, in addition to submitting proposals that contribute to the use of modern means of communication positively. The researcher relied on the descriptive method using the questionnaire tool to collect and analyze data, and the results of the research were that there are different effects of globalization on belonging among young people, which calls for strengthening the role of educational and media institutions and enhancing the role of the family in developing youth awareness and consolidating the values of belonging to society

Keywords: Globalization - Belonging - Youth

المقدمة :-

تعبر العولمة عن أوضاع العالم المعاصر من تطورات اقتصادية وتكنولوجية وبيئية، ان هذا المفهوم جديد لكن صفته تعود إلى مئات السنين فهي عملية تاريخيه قديمة، فبدأت العولمة بالظهور عندما حلت الدولة محل الإقطاعية عام 1648 إما في العصر الحديث فنجد العولمة تكونت بشكل كبير بعد ظهور الانترنت ف تحتل شبكات الانترنت ودرآ مهماً في حياتنا اليومية كونها وسيلة نقل إخباريه وتعليمية فانتشرت شبكات الإنترنت في المدن والأرياف مما أدى إلى سهولة التواصل بين هذه المدن و جميع البلدان الأخرى وكذلك تطور التبادل المعرفي والتجاري بين جميع الدول.

إما تأثير العولمة فهو يختلف في البلدان النامية والصناعية والمتقدمة بتباين الديمقراطية وتباين الثقافات والقدرات الاقتصادية لتلك البلدان، فنجد إن بعض البلدان تتكيف بشكل أسرع مع التغيرات الحاصلة فيها مقارنه مع غيرها من البلدان التي تجد صعوبة في التكيف والاندماج مع التغيرات التي تطرأ عليها فتكون هذه الأخيرة معرضه للمشاكل الاجتماعية والاقتصادية بشكل اكبر.

أضافه إلى تأثير العولمة في الحياة الاجتماعية ف نجد أنها غيرت الكثير من العلاقات الاجتماعية والتواصل الأسري فنرى ابتعاد الأبناء عن الأسرة وتكوينهم علاقات جديدة من خلال مواقع التواصل الاجتماعي، فأثر العولمة السيئ يكمن في تغيره لنمط الثقافة الأسرية وخاصة علاقة الأبناء بالإباء.

المبحث الأول

العناصر الرئيسية للبحث

أولاً: مشكلة البحث

تمثل العولمة تلك التغيرات السريعة التي غزت العالم وتأثيرها على التكنولوجيا والصناعة وحتى على العلاقات الاجتماعية بين الجماعات بشكل عام و داخل العلاقات الأسريه بشكل خاص . فهي تعني ازالة الحواجز بين الدول والأندماج بين هذه الدول ، فنجد ان العولمة أثرت على شعور الأنتماء لدى الأفراد من خلال ضعف علاقاتهم داخل الأسرة وضعف هذه العلاقات تجاه بلدهم بصورة عامة ، وهذا يمثل مشكلة أجتماعية خطرة . نجد ان االفرد اصبح يشعر انه غريب داخل أسرته وبلده نتيجة لضعف التواصل المباشر بينه وبين المعنيين واصبح يتعلق ويتواصل مع أفراد لايربطة بهم اي علاقة وايضآ من جنسيات مختلفة يتواصل معهم من خلال البرامج الألكترونية وقد يتم أستغلال هذا الفرد من خلال بث افكار الكراهية والتي تؤثر على الأنتماء لدى الفرد. فأصبح الحفاظ على الأنتماء للوطن أمر صعب في ظل انعدام الحواجز .

ثانياً: أهمية البحث

نتيجة لأنتشار العولمة في جميع دول العالم أصبح يطلق على العالم اليوم بأسم (القرية الصغيرة) ، نتيجة لأختفاء المسافات بين الدول والأندماج الحاصل بين البلدان الناتج عن الأنفجار العالمي الهائل والتطور الحاصل في كافة مجالات الحياة وخاصة على التكنولوجيا و الصناعة و الزراعة والتعليم والمواصلات فأندمجت الثقافات المختلفة ، فأصبح للدول القوية هيمنة وسيطرة على بقية الدول الأقل تطور منها .

فتكمن أهمية الدراسة في الكشف عن مدى تأثير هذه التغيرات على الأنتماء ومعرفة نتائج هذه التغيرات

ثالثاً: أهداف البحث

تهدف الدراسة إلى :

1- الكشف على أثر العولمة على قيم الانتماء لدى الشباب .

2- معرفة نوع التأثير الذي تمارسه العولمة على فئة الشباب ، قد يكون تأثير أيجابي وقد يكون تأثيرها سلبياً.

3- تقديم طرق وأفكار لكيفية استخدام وسائل التكنولوجيا و التطور الحاصل فيها لمواجهة العولمة وتحدياتها دون أثار سلبية على الفرد بصورة خاصة وعلى المجتمع بصورة عامة .

رابعاً: فروض البحث

الفرضية الرئيسية

1- توجد علاقة بين العولمة و الانتماء لدى الشباب

الفرضيات الفرعية

1- يوجد تأثير للعولمة الثقافية على الانتماء لدى الشباب

2- يوجد تأثير للعولمة الاعلامية على الانتماء لدى الشباب

3- يوجد تأثير للعولمة الاقتصادية على الانتماء لدى الشباب

4- تختلف درجة الانتماء لدى الشباب على اختلاف درجة التعرض للعولمة

-5

المفاهيم والمصطلحات العلمية

أولاً:- العولمة (Globalization)

تعرف العولمة بأنها الترابط المتزايد بين أجزاء العالم من خلال ضغط الزمان والمكان عن طريق التطورات التي حدثت في المعرفة والتكنولوجيا وكذلك من خلال الأحداث والقرارات السياسية.[38]

كما تعرف بأنها مجموعة من العمليات المرتبطة التي تجمع بين جميع جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والعسكرية والاجتماعية وهي تشمل على تغيرات كمية وكيفية مما يجعل من الصعب قيامها بالمؤشرات الإحصائية فقط.[39]

وتعرف أيضاً بأنها التضاؤل السريع في المسافات الفاصلة بين المجتمعات الإنسانية سواء فيما يتعلق بانتقال السلع ورؤوس الأموال وتقنيات الإنتاج والأشخاص والمعلومات.[40]

وهي أيضاً تشمل التغيرات السريعة التي سادت العالم منذ عقدين ولا يوجد موضوع مهم في مجال الاقتصاد والسياسة والثقافة في أيامنا هذه إلا وفيه جدل ونقاش بشأن إبعاد العولمة العالمية الواسعة.[41] كما تعرف بأنها احدث مرحلة وصل إليها قانون أساسي من قوانين الرأسمالية وهو الاتجاه الثابت نحو المزيد من تركيز رأس المال والسيطرة والقوة الاقتصادية.[42]

تعرف العولمة إجرائياً بكونها التغيرات الحاصلة في المجتمعات النامية وهذا التغيرات تشمل التغيرات التكنولوجية ک دخول أجهزة الموبايل وغيرها من الأجهزة الإلكترونية وتغيرات اقتصاديه تشمل اتساع التبادل بي جميع الدول.

ثانياً:- الانتماء (Affiliation)

يعرف الانتماء اصطلاحاً هو الانتساب الحقيقي للدين والوطن فكراً وتجسده الجوارح عملاً و الرغبة في تقمص عضوية ما، لمحبة الفرد لذلك و الاعتزاز بالانضمام إلى هذا الشيء، ويكون الانتماء للدين بالالتزام بتعليماته والثبات على

[38] فيك جورج بول وبلدينج: العولمة والرعاية الإنسانية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الإميريه، القاهرة، 2005،ص34
[39] المصدر نفسه، ص34
[40] فليح حسن خلف: العولمة الاقتصادية، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010، ص8
[41] كلاوس موللر: العولمة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010، ص13
[42] فليح حسن: العولمة الاقتصادية، مصدر سابق، ص8

منهجه بالتضحية من اجلها تضحية نابعة من شعوره بحب ذلك الوطن وشعبه.[43] ويعرف لغة بأنه لغة مأخوذة من النماء أي الزيادة والارتفاع والعلو.[44]

و أن معاني كلمة نماء في اللغة الارتفاع ومن معاني الانتماء الانتساب وانتمى إليه، وفلان ينتمي إلى حسب وينتمي يرتفع إليه أي انتسب إليهم.

وتدل كلمة (Belongingness) في المعاجم الانكليزية على معنى الانتماء وهي ترجع في الأصل إلى كلمة (Belong) التي تعني معنى الفعل ينتمي أو يرتبط بعلاقة وثيقة ويتمتع بالعلاقات الاجتماعية الأساسية التي تتيح الاندماج في الجماعة .[45]

ويعرف أيضاً بأنه عملية انتساب الفرد لوطنه متفاعلاً معه قولاً وعملاً ومستعداً لنصرته والذود عنه بكل ما يملك .[46] وعرف أيضاً بأنه مجموعة متكاملة من الأفكار والقيم والأعراف والتقاليد يحيى بها الفرد تظل مدى أعوام تسري في داخله حتى تتحول إلى وجود غير محسوس كأنه الهواء يتنفسه وهو لا يراه ثم تتسع دوائر انتمائه كلما اتسع نطاق تلك المجموعة من الأفكار والقيم والأعراف والتقاليد. ان الانتماء لا يأتي عن طريق المعرفة فقط و أنما يتكون عن طريق الخبرات الوجدانية والاجتماعية وعن طريق حاجات ضرورية معنوية وماديه متبادلة بين المواطن ووطنه .[47] ويعرف الانتماء إجرائياً بأنه شعور الفرد بالاندماج في البيئة التي ينتمي أليها واندماجه داخل أسرته وداخل مجتمع العمل الذي ينتمي أليه، فيشعر بالمسؤولية تجاه كل جهة يشعر فيها باندماجه داخلها فيشعر انه جزء لا يتجزأ منها، فهناك

---

[43] ابراهيم ناصر: المواطنة، مكتبة الرائد العلمية، عمان، 2002، ص230

[44] المصدر نفسه، ص230

[45] مؤتمر واجب الجماعات السعودية وأثرها في حماية الشباب من الجماعات و الأحزاب و الأنحراف، السعودية، 2018

[46] وليد مساعدة/علي جبران/الاء الزعبي/سميح الكراسنة – الانتماء والولاء الوطني في الكتاب والسنه النبوية – 2008 – مسترجع من موقع شبكة الانترنت. Repository.aabu.edu.jo- jspui- bitstream- 123456789-235-1-623.pdf

[47] سناء محمد سليمان – سيكولوجية الحب والأنتماء – عالم الكتب – 2013 – ص 229

انتماء وطني أي لا يشعر الفرد بوجوده دون وطنه الذي ينتمي أليه، وانتماء ثقافي يشعر الفرد فيها بانتمائه لقيمه وأعرافه وعاداته ولا يستطيع الاستغناء عنها فهي متغلغلة داخله وسبب في استمراره في الحياة.

ثالثاً:- الشباب (Youth)

يعرف الشباب بأنه مرحلة تغير جذري كمي ونوعي جذري في ملامح الشخصية ومن ناحية ثانيه، مرحلة تغير سريع متلاحق لا يترك لبعض الإفراد فرصاً كافية لإعاده التنظيم والتكيف ، ومن ثم فهي فترة يضطرب فيها اتزان الشخصية ويرتفع مستوى توترها، بحيث تصبح معرضة للأنفجارات الانفعالية المتتالية وتختل علاقاتها الاجتماعية بأعضاء الأسرة وأصدقائها. (48)

وهو أيضاً مرحلة غير بسيطة وأنما تتميز بدرجة عالية من التعقيد والتشابك تتداخل فيها عوامل جسمية ونفسية واجتماعية وحضارية عديدة تلعب بشكل او بأخر دوراً حاسماً في تحديد مسارها ونتائجها فهي تختلف في مسارها من مجتمع الى اخر من حضارة فرعيه إلى حضارة فرعيه أخرى. (49)

والشباب من أكثر المفاهيم عموميه وانتشاراً في الاستعمال اللغوي وهو لا يدل على مرحلة معينة من العمر فحسب وأنما يحمل معه أيضاً معاني ايجابية فهو يوحي إلى جانب ما يوحى به من معنى العمر بمعنى القوة والفتوة والشجاعة والأمل وحب الجديد.(50)

ويعرف أيضاً بأنه حالة عمريه تخضع لنمو بيولوجي من جهة ولثقافة المجتمع من جهة أخرى وتبدأ هذه المرحلة من سن البلوغ وتنتهي بدخول الفرد إلى عالم الراشدين الكبار حيث تكون قد اكتملت عمليات التطبيع الاجتماعي وهذا

[48] عزت حجازي: الشباب العربي و مشكلاته، عالم المعرفة، الكويت، 1985، ص38
[49] المصدر نفسه، ص38
[50] دلال ملحس استيته: عمر موسى سرحان: المشكلات الاجتماعية، دار وائل للنشر، 2012، ص282

التعريف يحاول الدمج بين الاشتراطات العمرية والثقافة المكتسبة من المجتمع .[51] الشباب تعرف مرحلة الشباب بأنها مكانة مكتسبة على نحو لا دخل للفرد فيه وهي صفة يحددها المجتمع وليس مجرد الظروف البيولوجية المرتبطة بصغر السن. [52]

يعرف الشباب إجرائياً بأنه مرحله من المراحل العمرية التي يمر بها الفرد خلال حياته والتي يبدأ فيها الفرد بالنضج تدريجياً واكتمال تكوينه البيولوجي.

المبحث الثاني

الدراسات السابقة

اولاً: الدراسات العراقية

1- دراسة منى عبد الستار محمد حسن الموسومة: (البعد الاجتماعي للعولمة وتأثيراتها على الأسرة العراقية"دراسة ميدانية)([53]) 2012-2013

أهداف الدراسة :

1- التعرف على المخاطر الاجتماعية التي تسببها العولمة في بنية الأسرة العراقية.

2-التعرف على أهم آليات التي تعتمدها العولمة في تأثيرها على الأفراد سلبياً.

3- التوصل إلى التوصيات التي تساعد في تنوير عقول الناس من خلال تعزيز البرامج الايجابية والحد من انتشار القيم السلبية التي تروج لها العولمة وذلك للحفاظ على بنية المجتمع وتماسكه.

[51] المصدر نفسه، ص28

[52] نبيل عمران موسى الخالدي – هجرة الشباب العراقي الى البلدان الغربية – نيبور للطباعة والنشر – ص42

[53] منى عبد الستار محمد حسن: البعد الاجتماعي للعولمة وتأثيراتها على الأسرة العراقية، رسالة ماجستير غير منشورة، مجلة جامعة بابل، 2012-2013

منهجية الدراسة : اعتمدت الباحثة على منهج المسح الاجتماعي بطريقة العينة الذي غالباً ما يكتفي بدراسة عدد محدد من الحالات أو المفردات في حدود الوقت والجهد والإمكانيات المتوافرة لدى الباحث

عينة الدراسة : تتكون العينة من(50) وحدة تم سحبها عشوائياً من مدينة بغداد وعلى النحو الآتي : (20) وحدة من اسر منتسبي التعليم العالي والبحث العلمي ، (20) استمارة من اسر منتسبات المعهد الطبي التقني ، وسحب عينة عشوائية بواقع (10) من اسر الحي السكني الذي تقطن فيه الباحثة.

نتائج الدراسة:

1- اتضح من البيانات الخاصة حول موافقة الزوجين على ما يعرض من مسلسلات، جاءت الإجابة بـ (نعم) لـ(32) مبحوث وجاءت الإجابة بـ (أحياناً) لـ(15) مبحوثاً ومبحوثة في حين سجلت الإجابة بـ (كلا) لـ (3) مبحوثاً ومبحوثة.

2-كانت النتائج المتعلقة بـ هل من حق الزوجة رفض القوامة والتي أكدها الإسلام أيماناً منها بالتحرر وهل من حق الزوج رفض القوامة أيماناً منه بالمساواة كانت الإجابة بـ (نعم) لـ(16) مبحوثة و(7) مبحوثاً وجاءت الإجابة بـ (أحياناً) لـ(10) مبحوثاً ومبحوثة وجاءت الإجابة بـ(كلا) لـ(17) مبحوثاً ومبحوثة.

2- دراسة ابتهال كاظم جبار الرماحي الموسومة(العولمة وأثرها في التثقيف الديني للشباب"دراسة ميدانية في محافظة الديوانية) [54]

أهداف الدراسة:

[54] ابتهال كاظم جبار: العولمة و أثرها في التثقيف الديني للشباب، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القادسية، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، 2017

1- التعرف على طبيعة تأثير قنوات البث الفضائي وشبكات الانترنت على الشباب دينياً

2- التعرف على الآثار السلبية أو الايجابية لوسائل العولمة على قيم ومعتقدات الشباب.

3- التعرف على الدور الذي تمارسه وسائل العولمة في أنتاج المعرفة الدينية عند الشباب.

4- التعرف على أنماط المعرفة الدينية التي تبثها وسائل العولمة في سلوك واتجاهات الشباب.

5- وضع بعض المقترحات التي تسهم في الحد من الآثار السلبية للبث الفضائي على المعرفة الدينية عند الشباب.

منهجية الدراسة : اتبعت الباحثة المنهج التاريخي ومنهج البحث الوصفي

عينة الدراسة: استخدمت الباحثة العينة العشوائية المقصودة .

نتائج الدراسة:

1- ثقافة العولمة جزء لا يتجزأ من حياتنا اليومية التي أخذت تعتمد بشكل خاص على النمط الاستهلاكي.

2- أن انعدام الرقابة والتقييم للمواد الثقافية المطروحة في وسائل العولمة مقرونة بالحرية استخدمت لتسويغ الأفعال والتوجهات الدينية السلبية بما يخدم مصالح القائمين على مثل عمليات التوجيه هذه.

3- أن الناس على اختلاف أعمارهم عرضة للتأثر بالعولمة الدينية وليس فقط فئة الشباب اذ أنهم جميعاً يتلقون المعلومة وكلهم يتأثرون بها.

4- أن فارق العمر والنوع والحالة الاقتصادية والاجتماعية والتحصيل الدراسي لا يشكل عائقاً أمام الأفراد من ناحية الاتصال بالشبكة المعلوماتية.

ثانياً: الدراسات العربية

1- دراسة احمد علي كنعان الموسومة (الشباب العربي الجامعي والهوية الثقافية في ظل العولمة الجديدة" دراسة ميدانية على طلبة جامعة دمشق") [55]

أهداف الدراسة:

1- معرفة نظرة الشباب الجامعي نحو مفهوم العولمة والهوية الثقافية.

2- معرفة أثر العولمة في الشباب الجامعي .

3- تحديد رؤية الشباب الجامعي .

منهجية الدراسة : أتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي .

عينة الدراسة : بلغ حجم عينة البحث (500) طالب و طالبة وقد اعتمد استبانات اربعمئة وواحد وستين طالباً وطالبة من مجموع طلبة جامعة دمشق. وقد سحبت العينة بشكل عشوائي .

نتائج الدراسة :

1- العولمة تعني الانفتاح على العالم سياسياً واجتماعياً وثقافياً .

2- العولمة تعني الإفادة من تجارب الآخرين .

3- العولمة تعني تحول العالم إلى قرية كونية صغيرة .

4- العولمة تعني مواكبة الحضارة الحديثة .

6- العولمة تعني الغزو الثقافي للشعوب .

[55] أحمد علي كنعان: الشباب الجامعي والهوية الثقافية في ظل العولمة الجديدة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، كلية التربية، 2008

2- دراسة عبيد سعود عبير المطيري الموسومة(العولمة وأثارها على الثقافة السياسية لدى طلبة جامعة الكويت) [56]

أهداف الدراسة :

1- تحاول أن تقدم أفكار جديدة يمكنها أن تشكل عوناً لصناع القرار في العملية السياسية لمواجهة تحديات العولمة وأثارها على الفكر الوطني الكويتي .

2- الكشف على اثر العولمة على الثقافة السياسية لدى الشباب الجامعي في الكويت .

3- الكشف عن اثر العولمة على الانتماء للقبيلة .

عينة الدراسة: تم أخذ عينة ممثلة للمجتمع فتم اختيار أربعة كليات هي (كلية التربية –كلية الآداب –كلية العلوم – كلية الهندسة)

عدد العينة 30% ذكور و 70% إناث وعددها الكلي 100% .

منهجية الدراسة : استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لطبيعة البحث والذي يهتم بوصف الظاهرة كما توجد في الواقع وهي معرفة اثر العولمة على الثقافة السياسية لدى طلبة جامعة الكويت حيث يهتم بوصفها وصفاً دقيقاً ويعبر عنها تعبيراً كيفياً يصف الظاهرة ويوضحها، وتعبيراً كمياً بحيث تكمم الظاهرة بصورة أرقام حتى يقدم البحث وصفاً رقمياً لبيان مقدار الظاهرة وحجمها وارتباطاتها .

نتائج الدراسة:

[56] عبيد سعود عبيد المطيري: العولمة وأثرها على الثقافة السياسية لدى طلبة جامعة الكويت، رسالة غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط، كلية الآداب، قسم العلوم السياسية، 2013

1- أظهرت النتائج وجود درجة متوسطة ودالة إحصائية عند مستوى الدلالة (0.05) لأثر العولمة على مفاهيم الطلبة نحو النظام والسلطة الحاكمة.

2- أظهرت النتائج وجود درجة متوسطة ودالة إحصائية عند مستوى الدلالة(0.05) لأثر العولمة نحو مفاهيم الطلبة نحو العملية السياسية.

3- أظهرت النتائج وجود درجة متوسطه ودالة إحصائياً عند مستوى الدلالة لأثر العولمة على مفاهيم الطلبة نحو القيم السياسية

ثالثاً: الدراسات الاجنبية

(the impact of globalization on education) [57]

A case study of Uganda

By: Jane C.Millar Wood

أهداف الدراسة:

1- تبحث دراسة الحالة هذه في زمن العولمة فيما يتعلق بسياسات التعليم وهيكلة وممارسته في اوغندا خلال فترة 20 عام من 1987 – 2007 .

[57] جان ميلر وود: تأثير العولمة على التعليم، أطروحة غير منشورة، جامعة مريلاند، كلية بارك، 2008

2- التركيز بعد المرحلة الابتدائية هو المحور الرئيسي لهذا البحث فمن الأهمية بمكان أعداد الشباب للمشاركة في عملية التنمية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في اوغندا.

3- تحديد موقع محاولة الاستجابة لفرص وتحديات العولمة.

منهجية الدراسة : اتبع الباحث منهج دراسة الحالة حيث تتضمن دراسة الحالة هذه صياغة سؤال البحث ووصفاً شاملاً للسياق وتحديد القضايا المتعلقة بالعولمة والتعليم وتحليل المعلومات والبيانات التي تم جمعها أثناء العمل الميداني.

عينة الدراسة : تم جمع البيانات من مصادر مختلفة ، من المقابلات التي تم أجراؤها مع حاملي أدوات التعليم على المستوى الوطني و المسؤولين الحكوميين والأكاديميين ورجال الأعمال والمعلمين وممثلي الوكالات المانحة الخارجية والمنظمات غير الحكومية.

نتائج الدراسة :

1- أهمية التعليم في تعزيز القيم الديمقراطية وأنظمة الحكم والممارسات التي من شأنها أن تعزز مكانة اوغندا الريادية.

2- ضرورة معالجة العولمة فرصها وتحدياتها من خلال التعليم تقع على هامش مناقشات سياسات التعليم.

3- أن العولمة لها تأثير إيجابي على إصلاح التعليم من حيث التعلم من البلدان الأخرى.

المبحث الثالث

العولمة والانتماء واثر العولمة على الانتماء

العولمة (Globalization)

أضحى مفهوم العولمة موضة رائجة في العلوم الاجتماعية، وقولاً مأثوراً جوهرياً في وصفات خبراء الإدارة، وشعاراً يتداولة الصحفيون والسياسيون من كل شاكلة. فهناك توكيد واسع الانتشار يفيد أننا نعيش في حقبة يتحدد فيها الشطر الأعظم من الحياة الاجتماعية بفعل صيرورات كونية global تذوب فيها الثقافات القومية، والاقتصاديات القومية والحدود القومية. أن هذا الاقتصاد الكوني يجعل من الاقتصادات القومية، أموراً نافلة على نحو مطرد.(58)

لقد قللت العولمة الشعور بالعزلة في معظم دول العالم النامي وأعطت العديد من الأشخاص في البلدان النامية سبيلاً إلى المعرفة تعدى حدود إمكانية حتى الأغنياء في أي بلد قبل قرن ، فالانفتاح على التجارة الدولية ساعد العديد من البلدان على النمو بصورة أسرع مما لو كان العكس. إن الاحتجاجات المعادية للعولمة بحد ذاتها هي نتيجة هذا الارتباط فالصلات بين الناشطين في أجزاء مختلفة من العالم لاسيما تلك الصلات التي صيغت من خلال اتصالات الإنترنت أحدثت ضغطاً تمخض عنه إبرام معاهدة الألغام الدولية على الرغم من معارضة العديد من الحكومات القوية.(59)

كما أن البعض يسميها (عولمة) والبعض الآخر يسميها (كوكبة) أو يسميها (النظام الكوني). بيد أن الجميع لا يختلف على أن ما يحدث منذ نهاية القرن هو سيطرة عنيفة تأخذ شكل (حكومة عالمية)، وتتسم باسم العولمة، لقد تجلى في القرن العشرين السعي إلى (أمركة العالم) حسب تعبير الرئيس الأمريكي تيودور روزفلت ومن بعده جورج بوش أثناء أزمة الخليج، ثم بيل كلينتون في خطاب ترشيحه للرئاسة الأمريكية.(60)

- أهداف العولمة:-

58. بول هيرست- جراهام طومبسون- ما العولمة- دراسات عراقية- بغداد- 2009- ص15.
59. جوزيف ستكلتز- العولمة ومساؤها- بيت الحكمة – بغداد – 2003 – ص20.
60. هاني لبيب – المواطنة والعولمة – دار الشروق – القاهرة – 2004 – ص54.

تهدف العولمة إلى عدة أهداف: [61]

- تهدف العولمة بشكل غير مباشر بأن يتخلى الفرد عن هويته الذاتية، ويعتنق أفكار ومبادئ لا تنسجم مع قيمه الأصلية.
- ترمي العولمة إلى طمس جميع ثقافات وسياسيات وعادات وتقاليد الدول وإحلال مكانها قيم ومبادئ غريبة.
- السعي من أجل تطوير وسائل الاتصال الدولي؛ وذلك من أجل تسهيل انتقال كل ما يُراد نقله.

- تأثير العولمة :-

تتضمن العولمة آثاراً جيدة و أخرى سيئة، وكذلك أثاراً مدمرة، وذلك على المدى القصير والبعيد:[62]

1- هناك اتفاق عام في هذه المجموعة أن العولمة عملت على زيادة الفقر والحاجة، والتهكم بأن علاج هذه الآثار السلبية هو المزيد من العولمة.

2- لم تؤثر العولمة فقط في الجوانب المادية على معيشة البشر، ولكن أثرت أيضاً في اتجاهاتهم وقيمهم.

3- هناك انقسامات في الرأي حول ما أذا كانت العولمة تؤثر في سلطة الدولة أو لا فقد صمم الماركسيون أن للعولمة تأثيراً، فالعولمة عملت على إضعاف تأثير الدولة.

توجد آثار سلبية وإيجابية للعولمة في تنمية الرعاية الإنسانية، ولقد أدت إلى تفاقم بعض المشكلات الاجتماعية (تعاطي المخدرات، عدم المساواة والمشكلات البيئية، البطالة) وأدت إلى زيادة الموارد القومية والعالمية، وتسهيل تنمية شبكات السياسة العالمية، وزيادة تبادل السياسات وتطوير قانون دولي وهيئات دولية وحركات اجتماعية انتقالية، وتزيد العولمة

[61] كتاب سطور (2020)- ما هي أهداف العولمة- مسترجع من موقع شبكة الإنترنت https://sotor.com
[62] فيك جورج- العولمة والرعاية الإنسانية- المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة - 2005- ص27

في الضغوط لخفض الضرائب والمصروفات العامة، وكشفت العولمة عن حدود الدولة القومية على أنها حلاً للمشكلات الاجتماعية، في حين إن العولمة تبذل جهودا من أجل تحقيق التماسك فإن العولمة لا تنصرف باعتبارها قوة موحدة على الرغم من وجود قيود على الحكومات فإنها لا تزال لديها فراغ يسمح لها بالمناورة فما تفعله العولمة هو إيجاد ضغوط من أجل التوحد داخل التنوع. [63]

- سلبيات العولمة:-[64]

1- تؤدي العولمة إلى سحق الهوية الشخصية والوطنية وتسعى الى تشكيل شخصية ذات صبغه عالمية.

2- تساهم العولمة في تحويل الهوية الوطنية إلى كيان ضعيف وهش، وخاصة في حال عدم التأقلم مع تيار العولمة.

3- تسحق العولمة المنافع الوطنية وخاصة عند تعارض هذه المصالح والمنافع مع مصالحها.

- إيجابيات العولمة:-[65]

1-تسهيل تبادل المعلومات بين دول العالم المختلفة.

2- ظهور الكثير من التقنيات التي بدورها أسهمت في تسهيل حياة الإنسان اليومية.

3- تفعيل التجارة الدولية الذي مكن العالم من تبادل السلع والبضائع بطريقة سهلة.

الانتماء Affiliation

63 المصدر نفسة – ص 99-100

64 مجد خضر-(2018)- إيجابيات وسلبيات العولمة- موضوع- مسترجع من موقع شبكة الإنترنت- https://mawdoo3.com/-إيجابيات-وسلبيات-العولمة

65 عرين أحمرو (2020)- آثار العولمة الإيجابية والسلبية- حياتك- مسترجع من موقع شبكة الإنترنت- https://hyatok.com/ آثار- العولمة- الإيجابية- والسلبية

يتعلق الانتماء دائماً بما هو محل للانتماء (المنتمي إليه)، وإذا كنا نعني بالمنتمي (فاعل الانتماء) الإنسان بعامة، فإن دوائر انتمائه تتعدد وتتعقد، ولقد كانت الفرضية الأساس التي تنطلق منها رؤيتنا من منظور حضاري، أن هذه الخصائص الجامعة القويمة قابلة للتنوع والتعدد، ومن ناحية أخرى فإن الانتماءات لا تتكافأ من حيث الاختيار والاضطرار. فبعض الانتماءات تولد مع الإنسان ولا خيار له في استمرارها، كالانتماء العائلي والوطني واللغوي والعرقي والإقليمي، وبعضها يكون للمرء خيار في استمراره أو عدمه كالدين أو المذهب، وبعضها يتخيره الإنسان بعد تمييزه واكتمال وعيه كالتوجه السياسي والأيديولوجي وما إليه.[66]

فالانتماء (المواطنة) قديمة قدم المدينة الإغريقية وتوحي ضمنياً بعضوية في مجتمع محدد بغاية أساسية وتفترض بوجود مزايا وحقوق وواجبات للأفراد المنتمين لبلد أو لجماعة، والمزايا تكون ممنوحة بالتساوي مع قليل من الاستثناءات للمواطنين والمهاجرين.[67]

وتعد الهوية والانتماء الأساس لتحقق بين الناس ألفة جامعة تنعطف القلوب عليها ويندفع المكروه بها.[68]

من جانب آخر فأن الانتماء (المواطنة) من وجهة نظر الاتجاه الليبرالي هو احد المفاهيم الرئيسية منذ تبلوره في القرن السابع عشر كنسق للأفكار والقيم تم تطبيقه في الواقع الغربي في المجالين الاقتصادي والسياسي حيث يمثل الرابطة السياسية بين الفرد والدولة ويعكس تصور المنظومة الليبرالية للجماعة السياسية والعقد الاجتماعي والعملية التمثيلية السياسية والحقوق والمكتسبات الفردية، ولم يكن هذا المفهوم جامداً في الفكر الليبرالي بل شهد هذا المفهوم تغيرات

[66] ناديه مصطفى،اسامة مجاهد،ماجد ابراهيم – دوائر الانتماء وتأصيل الهوية- دار البشير للثقافة والعلوم – القاهرة- 2013 –ص11.
[67] ادوارد سي . بانفيلد - السلوك الحضاري والمواطنة- دار النسر- الأردن- 1995- ص 101-186.
[68] فتحي حسن ملكاوي- فقه الانتماء إلى المجتمع والامة- المعهد العالمي للفكر الإسلامي- 1981- ص112

عديدة في مضمونه واستخدامه في الأدبيات الليبرالية بمدارسه المختلفة واتسع نطاقه من الدلالة السياسية القانونية إلى الدلالة المدنية الحقوقية ثم إلى مساحات الحقوق الاجتماعية والاقتصادية.[69]

- محفزات اجتماعية للانتماء والولاء:-

1-إحياء مؤسسات الوحدة الحضارية والفكرية والاقتصادية، والتمكين الفعلي لها، وفق ما عرفت الحضارة الإسلامية، حيث كان للطرق الصوفية والمؤسسات التعليمية كالأزهر والزيتونة وغيرها إضافة الى نقابات أصحاب الحرف، دور بارز في الإبقاء على الوحدة الحضارية للأمة.

2- ترسيخ دعائم المجتمع القوي الذي يستطيع تحقيق التوازن بين السلطة والشعب، ويعبر هذا المفهوم بالمجتمع المدني أو (مؤسسة الأمة)، بحيث يستطيع هذا المجتمع القوي المؤمن بالوحدة الحضارية أن يوجه الكيانات السياسية نحو التقدم للوحدة السياسية، وصولاً إلى الأمة الواحدة والدولة الواحدة.[70]

اثر العولمة على الانتماء

العولمة في مضمونها ورؤيتها الفكرية هي تعبير عقلي عن مرحلة الحداثة و ما بعد الحداثة وقد مثلت بهذا مرحلة متقدمة في العقلانية والتطور الاقتصادي والتكنولوجي والعلمي كما تميزت بالعلمانية أي فصل الدين عن الحياة العامة ، إن العولمة ليست استهدافاً ومخططاً أو مؤامرة مقصودة بوعي للقضاء على الهوية أو الدين أو العقيدة ولكن عمليات وآليات العولمة قد تسبب قدراً من العلمنة أو قد تؤدي إلى الانشغال عن الهوية و الدين بمسائل أخرى جديدة فهي

[69] قايد دياب- المواطنة والعولمة تساؤل الزمن الصعب- مركز القاهرة لدراسات حقوق الانسان- القاهرة- 2007- ص32.
[70] فتحي حسن ملكاوي- فقه الانتماء الى المجتمع والإمه- مصدر سابق - ص 124

آثار جانبية لم تتدخل في ظهورها العولمة بصورة مباشرة أو باعتبارها هدفاً مخططاً له،وتؤكد الأحزاب والجماعات الإسلامية بأن الغرب يحارب الثقافة والهوية العربية الإسلامية من خلال نشره قيمه الغربية التي لا مكان لها في القرآن والشريعة الإسلامية وفي عادات وتقاليد وتراث المسلمين ومنها وبوجه خاص فرض عملية التنوير والعلمانية على المجتمعات الإسلامية بما فيها الدعوة إلى فصل الدين عن الدول، وفرض الديمقراطية على المجتمع، الترويج للائحة حقوق الإنسان غربية المصدر والتحلل من كل التزام أخلاقي وعائلي.[71]

فتأثير العولمة على الانتماء قضيه نسبيه فالإنسان تحكمه روابطه الاجتماعية والوطنية بمجتمعه ولا يمكن لأي شيء أن يؤثر عليه إذ ما كانت هذه الروابط قوية ومتأصلة داخل الإنسان ، على عكس ما إذ كانت هذه الروابط ضعيفة فيكون الإنسان عرضه لأي تغير يحدث في المجتمع وأسرع في الاستجابة لهذه التغيرات.

أضافه إلى أن العولمة تحمل مخاطر هيمنة أقوى نفوذاً وأثراً من الاستعمار التقليدي ، لأنها لا تستخدم الطرق العنيفة التي يستخدمها الاستعمار ، ولكنها تعتمد على قبول الناس وسعيهم إليها وإلى الاندماج فيها ، كما تخاطب عقولهم و مخيلاتهم ، قبل أن تتعامل مع مواردهم الطبيعية وأسواقهم، فوسائل الإعلام العالمية أكثر فتكاً اليوم بالشعوب النامية. (72)

المبحث الرابع

الإجراءات المنهجية للبحث

أولاً: منهج البحث

[71] محمود عرابي- تأثير العولمة على ثقافة الشباب- الدار الثقافية للنشر- 2006- ص62.
[72] برهان غليون- سمير أمين- ثقافة العَولمة وعَولمة الثقافة- دار الفكر- سوريا- 2002- ص134.

لا يمكن للباحث ان يقوم بأية دراسة علمية من دون ان يتبع له منهجاً معيناً لأجرائها فتحديد المنهج، جزء مهم في الدراسات الاجتماعية وخطوة من خطوات الدراسة العلمية والمنهج ترجمة لكلمة (Megtool) التي ترجع في الأصل الى الكلمة اليونانية (Veqaas) التي استعملها اليوناني افلاطون بمعنى ابحث العرفة وبنفس المعنى استعمل ارسطو هذه الكلمة.[73]ويضم المنهج عدداً من القواعد والمعايير المنطقية العامة التي توضع لأجل الوصول الى الحقيقة، ولذلك فهو يمثل جوهر العالم ومن دونه يستحيل الوصول الى المعرفة الصادقة والموضوعية.[74] فالمنهج: هو الطريقة التي يتبعها الباحث لدراسة المشكلة موضوع الدراسة.[75]

ويشير مفهوم المنهج إلى الكيفية او الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسة المشكلة موضوع البحث، وهو يجيب على الكلمة الاستفهامية: كيف؟ فأذا تساءلنا كيف يدرس الباحث الموضوع الذي حدده؟ فان الاجابة على ذلك تستلزم تحديد نوع المنهج، ومن المناهج التي تستخدم في البحوث الاجتماعية: المسح الاجتماعي، والمنهج التاريخي، ومنهج دراسة الحالة، والمنهج التجريبي.[76]

وسوف نعتمد في هذا البحث على المنهج الوصفي ومنهج المسح الاجتماعي.

المنهج الوصفي

البحث الوصفي من البحوث الشائعة الاستخدام بين الباحثين وهو يهدف الى تحديد الوضع الحالي لظاهرة معينة، ومن ثم يعمل على وصفها، فهو يعتمد على دراسة الظاهرة كما موجودة في الواقع ويهتم بوصفها بدقة، وتأتي أهمية المنهج الوصفي بوصفة ركن اساسي في البحث العلمي، وفي نظر الكثيرين من الباحثين، فإنه المنهج الأكثر ملائمة

[73] ناهده عبد الكريم حافظ: مقدمة في تصميم البحوث الاجتماعية، مطبعة المعارف، بغداد، 1981، ص5
[74] المصدر نفسه، ص67
[75] عبد الباسط محمد حسن: أصول البحث الاجتماعي، مكتبة هبة، القاهرة، 1982، ص300
[76] المصدر نفسه، ص134

لدراسة أغلب المجالات الإنسانية نتيجة صعوبة استخدام المناهج الأخرى وبالأخص المنهج التجريبي وغيره، ويعرف المنهج الوصفي بأنه أحد أشكال التحليل والتفسير العلمي المنظم لوصف ظاهرة أو مشكلة محددة وتصويرها كمياً عن طريق جمع البيانات ومعلومات معينة عن ظاهرة أو مشكلة وتصنيفها وتحليلها وإخضاعها للدراسة الدقيقة.[77]

- خطوات المنهج الوصفي:[78]

1- الشعور بمشكلة البحث وجمع المعلومات والبيانات التي تساعد على تحديدها.

2- تحديد مشكلة البحث المراد دراستها وصياغتها على شكل سؤال محدد أو أكثر.

3- اختيار العينة الممثلة لمجتمع البحث التي ستجري عليها الدراسة وتوضيح حجم العينة.

4- تحديد ادوات البحث المناسبة في الحصول على البيانات والمعلومات.

5- تطبيق الادوات بإجراءات دقيقة منظمة وواضحة لجمع البيانات والمعلومات.

6- تحليل البيانات التي تم جمعها وتنظيمها وتبويبها وتكميمها واستخدام الوسائل الاحصائية للوصول الى النتائج.

7- تحليل النتائج وجدولتها وتنظيمها وتصنيفها وعرضها وتفسيرها.

8- استخلاص الاستنتاجات لغرض تعميمها.

9- وضع صياغة التوصيات والمقترحات.

[77] علي معمر عبد المؤمن: البحث في العلوم الاجتماعية، دار الكتب الوطنية، ليبيا،2008، ص287
[78] المصدر نفسة، ص290

منهج المسح الاجتماعي:

يعتبر المسح الاجتماعي أحد أكثر الأساليب نجاحاً في دراسة الظواهر و الإحداث الاجتماعية التي يمكن جمع معلومات وبيانات كمية عنها، كما يعتبر هذا النوع وسيلة ناجحة لقياس الواقع الاجتماعي ومكوناته البشرية من أجل وضع خطط التطوير و التحديث بالرغم من انتقاد البعض لمثل هذه الدراسات من كونها تهتم بالشمولية أكثر من اهتمامها بالعمق، وبذلك يمكن تعريف المسح الاجتماعي بأنه المنهج الذي يعني بدراسة الوقائع والإحداث الاجتماعية التي يمكن جمع بيانات كمية عنها وتتسع لتشمل مختلف القضايا الأسرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية وفئات المجتمع وطبقاته والفروق بين فئاته. [79]

ثانياً: عينة ومجتمع البحث

عينة البحث:

تشمل عينة البحث على فئات مختلفة (نساء ورجال) حيث تم كانت عينه البحث عشوائية والبالغ عددها (25).

مجتمع البحث: لقد اختيرت مدينة القاسم (ع) لتكون مجتمع البحث (عينة البحث) الأساسية لدراستنا الحالية .

[79] محمد عبد السلام: مناهج البحث في العلوم الاجتماعية والانسانية، مكتبة نور، كتاب منشور، 2020، ص169-170

تقع مدينة القاسم (ع) جنوب محافظة بابل وهي قضاء من أقضية المحافظة وتبعد عن مركز المحافظة (37) كم على الطريق الرابط بين محافظة بابل ومحافظة القادسية وتبعد عن محافظة القادسية (45) كم وسميت بهذا الاسم لوجود ضريح الأمام القاسم بن الأمام موسى الكاظم عليهما السلام فيها , ويقصدها الزائرين من كل أرجاء العالم , ويبلغ عدد نفوسها (180) ألف نسمه ويعمل سكانها بمختلف المهن منها الزراعية والتجارية وغيرها, وكما اشتهرت بنشاطاتها الاجتماعية والأدبية وفيها الكثير من الفنانين والأدباء والشعراء والكتاب وفيها أكثر من (500) أكاديمي من حملة الشهادات العليا, وكذلك فيها جامعة القاسم الخضراء التي تضم (8) كليات .[80]

ثالثاً: أدوات جمع البيانات

1- الاستبيان

المقصود بالاستبيان : الاستبيان ترجمة للكلمة الانجليزية Questionnaire وللكلمة في اللغة العربية ترجمات متعددة. تترجم أحيانا باسم الاستفتاء وتترجم أحيانا أخرى باسم الاستقصاء وتترجم أحيانا ثالثة باسم الاستبيان . وهذه الكلمات جميعها تشير إلى وسيلة واحدة لجميع لجمع البيانات قوامها الاعتماد على مجموعة من الأسئلة ترسل أما بطريق البريد لمجموعة من الأفراد أو تنشر على صفحات الجرائد والمجلات أو على شاشة التلفزيون أو عن طريق الإذاعة ليجيب عليها الأفراد ويقيموا بإرسالها إلى الهيئة المشرفة على البحث أو تسلم باليد للمبحوثين ليقوموا بملئها ثم يتولى الباحث أو أحد مندوبيه جمعها منهم بعد أن يدونوا إجاباتهم عليها،

[80]. - عطوان شاكر عبد , الرياضة في مدية القاسم بين الحاضر والماضي, دار الفرات للثقافة والاعلام , بابل , 2020, ص13 .

ويطلق على الاستبيان الذي يرسله الباحث بالبريد أو ينشره في الصحف و المجلات أسم الاستبيان البريدي Mailed Questionnaire تمييزا له الاستبيان غير البريدي الذي يتولى الباحث أو احد مندوبية توزيعه وجمعه من المبحوثين.

ويتفق الاستبيان البريدي وغير البريدي في أن المبحوث هو الذي يتولى بنفسه الإجابة على أسئلة الاستمارة وملئها بنفسه دون مساعدة من جانب الباحث.

ويستخدم الاستبيان غير البريدي في الحالات التي يمكن فيها جمع المبحوثين في مكان واحد وتوزيع الاستمارات عليهم كما هو الحال بالنسبة للطلبة في المدارس والعمال في المصانع والموظفين في المكاتب .

ومن مزايا الاستبيان غير البريدي أنه قليل التكاليف ويضمن للباحث أن المجيب على أسئلة الاستبيان هو المطلوب وليس أي شخص أخر كما أن نسبة الردود تزداد زيادة كبيرة هذا بالإضافة إلى أن البيانات التي يدلى بها المبحوثون تكون أكثر صدقا ودقة لوجود الباحث بنفسه وتأكيده لأفراد البحث سرية البيانات و أزالته للمخاوف والشكوك من نفوسهم. [81]

مزايا الاستبيان:[82]

1- يستفاد بالاستبيان أذا كان أفراد البحث منتشرين في أماكن متفرقة ويصعب الاتصال بهم شخصيا.

2-يتميز الاستبيان بقلة التكاليف والجهد وخاصة إذا نشر على صفحات الجرائد أو وزع على الأفراد.

[81] عبد الباسط محمد محسن: اصول البحث الاجتماعي، مصدر سابق، ص325-326
[82] المصدر نفسة، ص 327

3-يعطي الاستبيان البريدي لأفراد البحث فرصة كافية للإجابة على الأسئلة بدقة خاصة أذا كان نوع البيانات المطلوبة متعلقا بجميع أفراد الأسرة آذ يمكنهم التشاور معا في البيانات التي تتطلب إجابة جماعية.

4- يسمح الاستبيان البريدي للأفراد بكتابة البيانات في الأوقات التي يرونها مناسبة لهم دون أن يتقيدوا بوقت معين يصل فيه الباحث لجمع البيانات.

5-تتوفر للاستبيان ظروف التقنين أكثر مما تتوفر لوسيلة أخرى من وسائل جمع البيانات.

6-يساعد الاستبيان في الحصول على بيانات حساسة أو محرجة.

رابعاً: مجالات البحث والوسائل الإحصائية

مجالات البحث:

المجال المكاني: يقصد به البيئة أو المكان المحدد التي سيجري فيها البحث وتم اختيار مدينة القاسم كمجال مكاني.

المجال البشري: هو تحديد مجتمع البحث وحددنا في هذا المجال كدراسة استطلاعية على الأفراد في مدينة القاسم.

المجال الزماني: هو تحديد الفترة الزمنية التي استغرقها الباحث في توزيع وجمع البيانات من الفئة المبحوثة. والفترة المستغرقة في هذا البحث، (2026/6/10) إلى (2026/6/17).

الوسائل الإحصائية:

هناك أهمية للإحصاء في البحوث الاجتماعية ومساهمته الفاعلة في الحصول على النتائج الدقيقة ودوره في الربط بين المتغيرات الأساسية في البحث، إضافة لقدرة لغة الإحصاء على وصف البيانات التي جمعها عن مشكلة البحث وتحليلها. [83]

وفي بحثي هذا استخدمت الوسائل الإحصائية الآتية:-

1- النسبة المئوية = $\frac{\text{الجزء}}{\text{الكل}} \times 100$

2- التوزيع التكراري $= \frac{\text{الحدالاعلى} - \text{الحدالادنى}}{2}$

المبحث الخامس

تحليل وعرض البيانات الأولية والأساسية

الجداول

جدول (1) يوضح جنس المبحوثين حيث بلغت نسبة الذكور (48%) وبلغت نسبة الإناث (52%):

الجنس	التكرار	النسبة
ذكور	12	%48
إناث	13	%52
المجموع	25	%100

[83] زيدان عبد الباني: قواعد البحث الاجتماعي، مطبعة سعاد، القاهرة، 1980، ص121

جدول (2) يوضح الفئات العمرية بلغت نسبة اعمار المبحوثين من (20-25) (69%) ونسبة اعمارهم من (26-30) (36%):

الفئة العمرية	التكرار	النسبة
25-20	16	%69
30-26	9	%36
المجموع	25	%100

جدول (3) يوضح المستوى التعليمي حيث بلغت نسبة المبحوثين في المرحلة الأبتدائية (8%) وفي المرحلة المتوسطة (12%) وفي المرحلة الأعدادية (20%) ونسبة البكالوريوس (60%):

المستوى التعليمي	التكرار	النسبة
ابتدائي	2	%8
متوسط	3	%12
أعدادي	5	%20
بكالوريوس	15	%60
المجموع	25	%100

جدول (4) يوضح الحالة الاجتماعية بلغت نسبة المتزوجين (24%) ونسبة غير المتزوجين (60%) ونسبة الأرامل (16%) وكانت نسبة المطلقين (0%) لعدم وجود مطلقين في العينة المأخوذة :

الحالة الاجتماعية	التكرار	النسبة
غير متزوج	6	%24
متزوج	15	%60
أرمل	4	%16
مطلق	0	%0
المجموع	25	%100

جدول (5) يوضح عائديه السكن فكانت نسبة (92%) من المبحوثين يسكنون في الملك و نسبة (8%) يسكنون في الإيجار:

عائديه السكن	التكرار	النسبة
ملك	23	%92
إيجار	2	%8
المجموع	25	%100

جدول (6) يوضح الدخل الاقتصادي فكانت نسبة (20%) من المبحوثين دخلهم يقل عن الحاجة و نسبة (80%) من المبحوثين كان دخلهم يسد الحاجة :

الدخل الاقتصادي	التكرار	النسبة
يقل عن الحاجة	5	%20
يسد الحاجة	20	%80
المجموع	25	%100

جدول (7) يوضح دور وسائل التواصل العالمية وتأثيرها على طريقة التفكير مقارننة بالمحلية فكانت نسبة (68%) يؤيدون دور وسائل التواصل العالمية في التأثير على طريقة التفكير ونسبة (32%) لا يؤيدون ذلك:

هل تؤثر وسائل التواصل العالمية في طريقة تفكيرك أكثر من المحلية	التكرار	النسبة
نعم	17	%68
لا	8	%32
المجموع	25	%100

جدول (8) يوضح دور العولمة في تغيير القيم الاجتماعية التي نؤمن بها، فكانت نسبة (52%) يؤيدون تغيرها لبعض المعنقدات والقيم ونسبة (48%) لا يؤيدون تغيرها للقيم الاجتماعية

هل تعتقد ان العولمة غيرت بعض القيم الاجتماعية التي تؤمن بها	التكرار	النسبة
نعم	13	%52
لا	12	%48
المجموع	25	%100

جدول (9) يوضح تأثير العولمة في الشعور بالانتماء للمجتمع، فكانت نسبة المؤيدين بأن العولمة أثرت على مشاعر الانتماء لمجتمعهم (72%) والغير مؤيدين (28%):

هل أثرت العولمة في شعورك بالأنتماء لمجتمعك	التكرار	النسبة
نعم	18	%72
لا	7	%28
المجموع	25	%100

جدول (10) يوضح دور العولمة في التخلي عن بعض العادات و التقاليد المجتمعية، فكانت نسبة (60%) مؤيدين لدور العولمة في التخلي عن بعض التقاليد و العادات المجتمعية، و بنسبة (40%) غير مؤيدين لهذا الدور:

هل تعتقد أن العولمة أدت إلى التخلي عن بعض العادات والتقاليد المجتمعية	التكرار	النسبة
نعم	15	%60
لا	10	%40
المجموع	25	%100

جدول (11) يوضح تأثير الانفتاح على الثقافة العالمية بأرتباط الشباب بمجتمعهم، فبلغت نسبة الغير مؤيدين (72%) ونسبة المؤيدين (28%) :

هل تشعر بأن الأنفتاح على الثقافة العالمية يقلل من ارتباط الشباب بمجتمعهم	التكرار	النسبة
نعم	11	%44

لا	14	%56
المجموع	25	%100

جدول (12) يوضح دور انتشار الثقافة العالمية في ضعف الهوية الوطنية لدى الشباب، فبلغت نسبة (40%) مؤيدين لهذا الدور ونسبة (60%) يرفضون هذا التأثير:

هل يؤدي انتشار الثقافة العالمية إلى ضعف الهوية الوطنية لدى الشباب	التكرار	النسبة
نعم	10	%40
لا	15	%60
المجموع	25	%100

جدول (13) يوضح تأثير تكرار استخدام اللغة الأجنبية على الانتماء الوطني، فبلغت نسبة المؤيدين (32%) ونسبة (68%) لا يؤيدون هذا الافتراض:

هل يؤثر استخدام اللغة الأجنبية بشكل متكرر على الانتماء الوطني	التكرار	النسبة
نعم	8	%32

لا	17	%68
المجموع	25	%100

جدول (14) يوضح دور العولمة بأهمال الشباب فبلغت نسبة المؤيدين (20%) ونسبة الرافضين لهذا الاعتقاد (80%):

هل تؤيد بأن العولمة تجعل الشباب أقل اهتماماً بالقضايا المحلية	التكرار	النسبة
نعم	5	%20
لا	20	%80
المجموع	25	%100

جدول (15) يوضح دور التقليد لأنماط الحياة العالمية بضعف الانتماء للمجتمع المحلي، فكانت نسبة المؤيدين (68%) والرافضين لهذا الاعتقاد بنسبة (32%):

هل تؤيد أن تقليد انماط الحياة العالمية يضعف الانتماء للمجتمع المحلي	التكرار	النسبة

نعم	17	%68
لا	8	%32
المجموع	25	%100

جدول (16) يوضح مساهمة العولمة في زيادة الوعي تجاه القضايا المجتمعية، فالمؤيدين كانت نسبتهم (72%) والرافضين بنسبة (28%):

هل ساهمت العولمة في زيادة وعيك تجاه القضايا المجتمعية	التكرار	النسبة
نعم	18	%72
لا	7	%28
المجموع	25	%100

جدول (17) يوضح تأثير التعرض للثقافات الأخرى بتعزيز الانتماء الوطني، فكانت نسبة المؤيدين (36%) ونسبة الغير مؤيدين (64%):

هل التعرض للثقافات الأخرى يمكن أن يعزز الانتماء الوطني	التكرار	النسبة

نعم	9	%36
لا	16	%64
المجموع	25	%100

جدول (18) يوضح دور العولمة في توفير فرصاً للشباب لخدمة مجتمعهم بشكل أفضل، فنسبة المؤيدين كانت (68%) أما الغير مؤيدين كانت نسبتهم(32%) فباعتقادي أن المبحوثين هم من يحددون ما يتعرضون له من مؤثرات من خلال برامج التواصل الاجتماعي:

هل توفر العولمة فرصاً للشباب لخدمة مجتمعهم بشكل أفضل	التكرار	النسبة
نعم	17	%68
لا	8	%32
المجموع	25	%100

جدول (19) يوضح دور الأسرة هل هي أكثر تأثيراً من العولمة في شعور الأفراد بالانتماء لمجتمعهم، فكانت نسبة المؤيدين (72%) والغير مؤيدين بنسبة (28%):

هل ترى أن الأسرة أكثر تأثيراً من العولمة في الانتماء للمجتمع	التكرار	النسبة
نعم	18	%72
لا	7	%28
المجموع	25	%100

جدول (20) يوضح دور العوامل الشخصية على الشعور بالانتماء، فكانت نسبة الموافقين (80%) ونسبة (20%) لايؤيدون دور العوامل الشخصية في زيادة الشعور:

هل تؤيد أن الانتماء ادى الشباب يعتمد على عوامل شخصية أكثر من تأثير العولمة	التكرار	النسبة
نعم	20	%80
لا	5	%20
المجموع	25	%100

المبحث السادس

مناقشة الفرضيات و النتائج و التوصيات

مناقشة الفرضيات:

1- الفرضية الإساسية: توجد علاقة بين العولمة و الانتماء لدى اسباب

أن نتائج الاستبيان تدعم هذه الفرضية، حيث أظهرت الجداول بأن (72%) من المبحوثين يرون أن العولمة أثرت على شعورهم بالانتماء، كما أكد (68%) من المبحوثين أن تقليد انماط الحياة العالمية يضعف الانتماء للمجتمع، وهذا يؤكد على وجود علاقة بين العولمة و الانتماء بصورة واضحة.

الفرضيات الفرعية:

1- يوجد تأثير للعولمة الإعلامية على الانتماء

لقد دعمت النتائج هذه القرضية من خلال أجابات المبحوثين، أذ أوضح (68%) منهم أن وسائل التواصل العالمية تؤثر في طريقة التفكير أكثر من المحلية، و أشار (72%) منهم إلى أن العولمة أثرت في شعورهم بالانتماء.

2- يوجد تأثير للعولمة الاقتصادية في الانتماء

أشارت النتائج إلى وجود تأثير للعولمة الاقتصادية من خلال آراء المبحوثين، حيث أشار (68%) منهم إلى ان العولمة توفر فرص للشباب لخدمة مجتمعهم بشكل أفضل، ألا أن نسبة (80%) منهم يرون أن الانتماء يعتمد بدرجة أكبر على العوامل الشخصية، وهذا يدل على تأثير العامل الاقتصادي موجود ولكن لا يعتبر العامل الأكثر تأثيراً.

3- تختلف درجة الانتماء بأختلاف مستوى التعرض للعولمة

أن نتائج الدراسةتدعم هذه الفرضية، فقد ارتبط ارتفاع التعرض لوسائل التواصل العالمية كذلك الأثر بالثقافات العالمية المنتشرة، بوجود تغير في الشعور بالقيم الاجتماعية و الانتماء لدى النسبة الاكبر من المبحوثين.

النتائج

أن النتائج التي توصلت أليها دراستنا ذات إبعاد تطبيقيه بالغة الأهمية فيما يتعلق بتوضيح وبيان درجة تأثير العولمة على الانتماء لدى الشباب ويمكن أبراز النتائج بما يأتي:

1- أظهرت نتائج الدراسة بأن هناك تأثير واضح للعولمة على الانتماء لدى الشباب

2- هناك تأثير واضح و ملحوظ لتأثير العولمة في القيم وو العادات الاجتماعية

3- هناك دور كبيراً و رئيسياً لوسائل التواصل العالمية في تشكيل أفكار الشباب

4- تمثل الأسرة و العوامل الشخصية المتعلقة بالأفراد الركيزة الأساسية في تعزيز الانتماء أو انعدامة

5- لم تقتصر آثار العولمة على الجانب السلبي فقط، بل هناك نسبة من المبحوثين أكدو على أن العولمة عززت لديهم الوعي بالقضايا المجتمعية.

التوصيات:

من خلال النتائج التي توصلت إليها الباحثة هناك عدة توصيات يجب أدراجها والعمل بها لكي نقلل حتى وان كان ذلك بنسبة قليلة من تأثير العولمة على الانتماء لدى الشباب، والتوصيات هي :

1- يجب على المؤسسات ان تقوم بعمل برامج توعوية من خلالها تنمي الانتماء الاجتماعي و الوطني لدى الشباب، فضلاً عن التركيز على كيفية التعامل الواعي مع تأثيرات العولمة

2- دعم دور المؤسسات التعليمية و الأسرة في ترسيخ الهوية الوطنية و القيم الاجتماعية، لما لها من دور كبير في بناء و تعزيز الانتماء لدى الشباب

3- العمل على توظيف وسائل التواصل الاجتماعي بصورة ايجابية، و ذلك من خلال التركيز على انتاج محتوى إعلامي يعزز من الهوية الوطنية، و يعمل على تشجيع الشباب للمشاركة المجتمعية و المحافظة على القيم الثقافية

4- تنظيم ورش عمل و برامج للشباب هدفها تنمية التفكير النقدي، بما يساعد على الاستفادة من إيجابيات العولمة و السيطرة و الحد من اثارها السلبية على الانتماء

5- إجراء دراسات من قبل الباحثيين على عينات أكبر و في محافظات مختلفة إلى جانب استخدام اختبارات احصائية للوصول إلى نتائج أكثر دقة توضح العلاقة بين العولمة و درجة تأثيرها على الانتماء لدى الشباب

المصادر والمراجع

1- فيك جورج بول وبلدينج: العولمة والرعاية الإنسانية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الإميريه، القاهرة، 2005،ص34

2- فليح حسن خلف: العولمة الاقتصادية، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2010، ص8

3- كلاوس موللر: العولمة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2010، ص13

4- ابراهيم ناصر: المواطنة، مكتبة الرائد العلمية، عمان، 2002، ص230

5- مؤتمر واجب الجماعات السعودية وأثرها في حماية الشباب من الجماعات و الأحزاب و الأنحراف، السعودية، 2018

6- سناء محمد سليمان – سيكولوجية الحب والأنتماء – عالم الكتب – 2013

7- عزت حجازي: الشباب العربي و مشكلاته، عالم المعرفة، الكويت، 1985

8- دلال ملحس استيته: عمر موسى سرحان: المشكلات الاجتماعية، دار وائل للنشر، 2012،

9- نبيل عمران موسى الخالدي – هجرة الشباب العراقي الى البلدان الغربية – نيبور للطباعة والنشر

10- جوزيف ستكلتز- العولمة ومساؤها- بيت الحكمة – بغداد – 2003

11- هاني لبيب – المواطنة والعولمة – دار الشروق – القاهرة – 2004

12- فيك جورج- العولمة والرعاية الإنسانية- المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة – 2005

13- ناديه مصطفى،اسامة مجاهد،ماجد ابراهيم – دوائر الانتماء وتأصيل الهوية- دار البشير للثقافة والعلوم – القاهرة- 2013

14- ادوارد سي . بانفيلد - السلوك الحضاري والمواطنة- دار النسر- الأردن- 1995

15- فتحي حسن ملكاوي- فقه الانتماء إلى المجتمع والامة- المعهد العالمي للفكر الإسلامي- 1981

16- قايد دياب- المواطنة والعولمة تساؤل الزمن الصعب- مركز القاهرة لدراسات حقوق الانسان- القاهرة- 2007

17- محمود عرابي- تأثير العولمة على ثقافة الشباب- الدار الثقافية للنشر- 2006

18- برهان غليون- سمير أمين- ثقافة العَولمة وعَولمة الثقافة- دار الفكر- سوريا- 2002

19- ناهده عبد الكريم حافظ: مقدمة في تصميم البحوث الاجتماعية، مطبعة المعارف، بغداد، 1981

20- عبد الباسط محمد حسن: أصول البحث الاجتماعي، مكتبة هبة، القاهرة، 1982

21- علي معمر عبد المؤمن: البحث في العلوم الاجتماعية، دار الكتب الوطنية، ليبيا،2008

22- محمد عبد السلام: مناهج البحث في العلوم الاجتماعية والانسانية، مكتبة نور، كتاب منشور، 2020

23- عطوان شاكر عبد , الرياضة في مدية القاسم بين الحاضر والماضي, دار الفرات للثقافة والاعلام , بابل , 2020

24- عبد الغني عماد: البحث الاجتماعي، مكتبة نرجس، لبنان، 2002

25- علي معمر عبد المؤمن: البحث في العلوم الاجتماعية،دار الكتب الوطنية، ليبيا، 2008

الرسائل و الاطاريح

1- منى عبد الستار محمد حسن: البعد الاجتماعي للعولمة وتأثيراتها على الأسرة العراقية، رسالة ماجستير غير منشورة، مجلة جامعة بابل، 2012-2013

2- ابتهال كاظم جبار: العولمة و أثرها في التثقيف الديني للشباب، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القادسية، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، 2017

3- أحمد علي كنعان: الشباب الجامعي والهوية الثقافية في ظل العولمة الجديدة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة دمشق، كلية التربية، 2008

4- عبيد سعود عبيد المطيري: العولمة وأثرها على الثقافة السياسية لدى طلبة جامعة الكويت، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط، كلية الآداب، قسم العلوم السياسية، 2013

5- جان ميلر وود: تأثير العولمة على التعليم، أطروحة غير منشورة، جامعة مريلاند، كلية بارك، 2008

6- بول هيرست- جراهام طومبسون- ما العولمة- دراسات عراقية- بغداد- 2009- ص15

المواقع

1- وليد مساعدة/علي جبران/الاء الزعبي/سميح الكراسنة – الانتماء والولاء الوطني في الكتاب والسنه النبوية – 2008 – مسترجع من موقع شبكة الانترنت. Repository.aabu.edu.jo- jspui- bitstream- 123456789-235-1-623.pdf

2- مجد خضر-(2018)- إيجابيات وسلبيات العولمة- موضوع- مسترجع من موقع شبكة الإنترنت- https://mawdoo3.com/إيجابيات-وسلبيات-العولمة/

3- عرين أحمرو (2020)- آثار العولمة الإيجابية والسلبية- حياتك- مسترجع من موقع شبكة الإنترنت- https://hyatok.com/آثار- العولمة- الإيجابية- والسلبية/

4- كتاب سطور (2020)- ما هي أهداف العولمة- مسترجع من موقع شبكة الإنترنتhttps://sotor.com

الملاحق

استمارة الاستبيان

جامعة بابل

كلية الآداب – قسم الاجتماع

عزيزي المبحوث.....

عزيزتي المبحوثة.....

أضع بين يديك استمارة استبيان أعدت لإكمال متطلبات بحثي الموسوم عن (العولمة و اثارها على الانتماء لدى الشباب) دراسة ميدانية في مدينة القاسم، لذا أرجو الإجابة على التساؤلات التي تضمنتها الاستبانة بدقة لأجل الوصول إلى نتائج أكثر علمية.

مع فائق الشكر والامتنان

الباحثة

م.م. فرح هادي عبس

البيانات الأولية

1- الجنس: ذكر ☐ أنثى ☐

2- العمر: ☐

3- المستوى التعليمي: ابت متوس أعدادي بكالوريوس

4- الحالة الاجتماعية: غير متزوج متزوج ارمل مطلق

5- عائديه السكن: ملك أيجار

6-الدخل الاقتصادي: يقل عن الحاجة يسد الحاجة

البيانات الخاصة بالظاهرة المدروسة

7- هل تؤثر وسائل التواصل العالمية في طريقة تفكيرك أكثر من المحلية؟ نعم لا

8- هل تعتقد ان العولمة غيرت بعض القيم الاجتماعية التي تؤمن بها؟ نعم لا

9- هل أثرت العولمة في شعورك بالأنتماء لمجتمعك؟ نعم لا

نعم

10- هل تعتقد أن العولمة أدت إلى التخلي عن بعض العادات والتقاليد المجتمعية؟

نعم لا

11- هل تشعر بأن الأنفتاح على الثقافة العالمية يقلل من ارتباط الشباب بمجتمعهم ؟

نعم

12- هل يؤدي انتشار الثقافة العالمية إلى ضعف الهوية الوطنية لدى الشباب؟ نعم لا

13- هل يؤثر استخدام اللغة الأجنبية بشكل متكرر على الانتماء الوطني؟

نعم لا

14- هل تؤيد بأن العولمة تجعل الشباب أقل اهتماماً بالقضايا المحلية؟ نعم لا

15- هل تؤيد أن تقليد انماط الحياة العالمية يضعف الانتماء للمجتمع المحلي؟ نعم لا

16- هل ساهمت العولمة في زيادة وعيك تجاه القضايا المجتمعية؟ نعم لا

17- هل التعرض للثقافات الأخرى يمكن أن يعزز الانتماء الوطني؟ نعم لا

18- هل توفر العولمة فرصاً للشباب لخدمة مجتمعهم بشكل أفضل؟ نعم لا

19- هل ترى أن الأسرة أكثر تأثيراً من العولمة في الانتماء للمجتمع؟ نعم لا

20- هل تؤيد أن الانتماء ادى الشباب يعتمد على عوامل شخصية أكثر من تأثير العولمة؟ نعم لا

أساليب المأمون في تعامله مع خصومه والعوامل المؤثرة فيها

م.م . وليد نعمة حسين خلف محبوبه

وزارة التربية– مديرية تربية القادسية

mwlydnm123@gmail.com

المستخلص

تناول هذا البحث الموسوم بـ(أساليب المأمون في تعامله مع خصومه والعوامل المؤثرة فيها) جانب مهم وخفي من شخصية الخليفة العباسي عبد الله المأمون , ألا وهو أساليبه التي اتبعها مع خصومه المعارضين لسياسته في داخل الدولة وخارجها والعوامل التي دفعته لتنويع هذه الأساليب , باعتبار أن الدراسات التي تناولت المأمون لم تتطرق لهذا الجانب من شخصيته , والذي يكشف ما تمتعت به هذه الشخصية من مرونة واقعية وحنكة سياسية , وجاء اختيار الموضوع انطلاقاً من الرغبة في فهم شخصية المأمون السياسية والكشف عن طبيعة تعامله مع خصومه , وتفسير تنوع الأساليب التي اتبعها معهم, وتنبع أهمية هذا الموضوع من كونه يُقدم فهماً لطبيعة التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت الدولة العباسية في عهد المأمون وكيفية السيطرة عليها من خلال تصنيفه لخصومه وفق اتجاهاتهم المتباينة واستخدام الأساليب المناسبة , كما ويسهم في تقديم رؤية تاريخية تُفيد المهتمين بالعلوم السياسية والإدارة والقيادة , من خلال إبراز كيفية اختيار الأسلوب المناسب في التعامل مع الخصوم بما يُحقق المصلحة العامة ويحافظ على استقرار

الدولة , وقد افضت الدراسة إلى أن المأمون لم يعتمد أسلوباً واحداً في تعامله مع خصومه , بل انتهج أساليب متنوعة جمعت بين الوسائل السلمية و الردعية والعسكرية , كما وأن تنوع هذه الأساليب أسهم في تقليص عدد منافسيه على السلطة , وعزز من تثبيت حكمه واستمراره قرابة العشرين عاماً . وجاءت هيكلية البحث مقسمة إلى مقدمة ذكرنا فيها ماهية الموضوع والمشكلة التي يُعالجها وأسباب اختياره وأهميته , ثم مبحث أول تناول حياة المأمون ومشاركته بالعمل السياسي , ومبحث ثاني عرض أساليب المأمون السلمية , ومبحث ثالث بيّن أساليبه الردعية, ومبحث رابع وضح أساليبه العسكرية , ثم جاءت الخاتمة , ذكرنا فيها نتائج البحث , ثم هوامشه والمصادر والمراجع المعتمدة فيه 0

الكلمات المفتاحية: (المأمون , الخصوم , الروم , أساليب المأمون السلمية , أساليب المأمون العسكرية)

Al-Ma'mun's Methods in Dealing with His Opponents and the Factors Influencing Them

mwlydnm123@gmail.com

Ministry of Education – Al-Qadisiyah Education Directorate

Waleed Neama Hussein Khalaf Mahbouba

Abstract

This research, titled "Al-Ma'mun's Methods in Dealing with His Opponents and the Factors Influencing Them," examines a significant yet often overlooked aspect of the Abbasid Caliph Abdullah al-Ma'mun's character: the strategies he employed against opponents of his policies both within and outside the stateand the factors that drove him to diversify these approaches. Existing studies on al-Ma'mun have largely neglected this facet of his personality, which reveals a character defined by pragmatic flexibility and political acumen; he demonstrated this by selecting methods tailored to the specific nature of the adversary and the prevailing circumstances, all while prioritizing the state's interests and stability above other considerations The choice of this topic stems from a desire to understand Al-Ma'mun's political persona, examine the nature of his dealings with both internal and external adversaries, and interpret the diverse strategies he employed in handling them. The significance of this subject lies in the insight it offers into the internal and external

challenges facing the Abbasid State during Al-Ma'mun's reign and the methods used to manage them—specifically, by categorizing opponents according to their differing orientations and applying appropriate tactics. Furthermore, it provides a historical perspective of value to those interested in political science, administration, and leadership By highlighting how the appropriate approach was selected to deal with adversaries thereby serving the public interest and maintaining state stability the study reveals that Al-Ma'mun did not rely on a single method in his dealings with opponents. Instead, he adopted a diverse range of strategies, combining peaceful, deterrent, and military measures tailored to the nature of each adversary and the prevailing circumstances. This diversity of approaches helped reduce the number of his rivals for power and strengthened his rule, enabling it to endure for nearly twenty years The research structure was divided into an introduction in which we mentioned the nature of the topic, the problem it addresses, the reasons for its selection, and its importance; then the first section dealt with Al-Ma'mun's life and his participation in political work; the second section presented Al-Ma'mun's peaceful methods; the third section explained his

deterrent methods; the fourth section clarified his military methods; then came the conclusion, in which we mentioned the research results, followed by its footnotes and the sources and references used in it

Keywords: (Al-Ma'mun, adversaries, the Byzantines, Al-Ma'mun's peaceful methods, Al-Ma'mun's military methods)

المقدمة

يُعد الخليفة العباسي عبد الله المأمون (198-218هـ/ 813-833م) من أبرز خلفاء الدولة العباسية, إذ تولى الخلافة في مرحلة اتسمت بكثرة الصراعات السياسية و الثورات الداخلية و التحديات الخارجية, وقد واجه خلالها خصوماً متنوعين , منهم من نازعه على السلطة ومنهم من قاد الثورات والحركات المعارضة , ومنهم من شكل خطراً خارجياً هدد حدود دولته , وقد اعتمد المأمون في تعامله مع هؤلاء الخصوم أساليب متنوعة بحسب طبيعة كل خصم والظروف المحيطة به , ولذا تناولنا بالبحث دراسة تلك الأساليب والعوامل المؤثرة فيها 0

و على الرغم من وجود العديد من الدراسات التي تناولت الخليفة المأمون وسياسته العامة , إلا أنها ركزت على الجوانب السياسية و الثقافية من شخصيته , في حين لم تحظ أساليبه في التعامل مع خصومه بدراسة مستقلة وشاملة تُحلل هذه الأساليب وتُصنفها ثم تكشف عن العوامل المرتبطة والمؤثرة فيها, فلذلك جاء هذا البحث لتناول هذا الجانب في شخصية المأمون وتقديم قراءة تحليلة تربط بين الأسلوب والدافع أوالظرف التاريخي الذي أُنتج فيه , وكان من أسباب اختيار هذا الموضوع ,هو إبراز جانب مهم من سياسة الخليفة المأمون في إدارة الصراع مع خصومه ,

والتعرف على هؤلاء الخصوم وتصنيفهم وفق طبيعة معارضتهم و اتجاهاتهم السياسية والعسكرية والفكرية , وتفسير التباين في مواقف المأمون معهم0

وتكمن أهمية الموضوع في تسليطه الضوء على هذه السياسة وبيان تنوع الوسائل المنتهجة فيها, وفهم طبيعة التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت الدولة العباسية في عهد المأمون و أثرها في رسم سياسته , كما يُساهم في أثراء الدراسات التاريخية المتعلقة بالعصر العباسي بهكذا نوع من الدراسات التحليلية التي تجمع بين اتباع الأسلوب والعوامل المؤثرة فيه , كما ويقدم البحث رؤية تاريخية تُساعد الباحثين والعاملين في المجال السياسي والإداري في كيفية إدارة الخلافات باستخدام الوسائل و الأساليب المناسبة التي تُراعي اختلاف الأزمنة والظروف المحيطة بالحادثة مع عدم إسقاط التجربة التاريخية على الواقع بصورة مباشرة . وقد قُسم البحث بلحاظ أنواع الأساليب المتبعة من المأمون إلى أربعة مباحث, صُدر بمقدمة عرفنا فيها موضوع البحث والفجوة العلمية التي يُعالجها ومسوغات اختياره واهميته , وقدمنا في المبحث الأول لمحة عامة عن حياة المأمون ومشاركته بالعمل السياسي , وتناولنا في المبحث الثاني الأساليب السلمية التي اتبعها المأمون , وبينا في المبحث الثالث أساليب المأمون في الردع والتصفية الجسدية , وشخصنا في المبحث الرابع أساليب المأمون العسكرية , ثم أتبعناه بخاتمة بينها فيها بإيجاز أهم الاستنتاجات التي توصلت إليها الدراسة , ثم جاءت هوامش البحث وقائمة بالمصادر والمراجع التي اعتُمدت فيه 0

المبحث الأول: حياة المأمون و مشاركته بالعمل السياسي

1- اسمه والقابه وكناه

هو عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب[1] , ولَقَبُهُ المأمون سماه به أبوه في ليلة ولادته لأنها الليلة التي صار فيها هارون خليفة[2] , كما لُقب بنجيب بني العباس وبالمحدود لأن الرشيد حده في شيء[3] 0

و أما كُناه , فكُني بأبي العباس في عهد أبيه , وعندما تولى الخلافه تكنى بأبي جعفر تفاؤلاً بجده أبي جعفر المنصور و أبيه الرشيد في طول أعمارهم[4] 0

2- ولادته و أسرته

ولد المأمون في الياسرية[5] وهي قرية كبيرة على ضفة نهر عيسى تبعد عن بغداد قرابة الميلين[6]

في ليلة الجمعة في النصف من شهر ربيع الأول سنة 170هـ/ 787م وهي الليلة التي مات فيها الخليفة موسى الهادي[7] 0

اما أسرته التي نشأ فيها , فهو ينتمي إلى الأسرة العباسية المؤسسة للدولة العباسية والتي تنتسب إلى العباس بن عبد المطلب عم النبي ص صاحب السقاية في الجاهلية[8] , فأبوه هارون الرشيد خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق وأشهرهم[9] , وأُمَّهُ أم ولد اسمها مراجل الباذغيسية[10] نسبةً إلى ناحية باذغيس من أعمال هراة[11] , وقد ماتت بعد أيام قليلة من ولادتها المأمون[12] , أما إخوته فكان له العديد من الإخوة و الأخوات كلهم من أبيه ومنهم محمد الأمين و صالح و المعتصم وحمدونة وغيرهم[13] , بينما تكونت الأسرة التي أنشأها من زوجاته كأم عيسى بنت موسى الهادي[14] وبوران بنت الحسن بن سهل التي أقام لها عرس لم يُرى مثيله من حيث حجم الإنفاق و مظاهر

البذخ[15] , وله من الأولاد ستة عشر ذكراً منهم عيسى و محمد وإسماعيل وهارون و العباس وغيرهم[16] وعدد من الإناث منهن عائشة و أسماء ونامية وأم الفضل التي تزوجها محمد بن علي الرضا ع[17] 0

3- صفاته و تعليمه

وصف المأمون جسدياً بأنه أبيض ربعة* حسن الوجه تعلوه صفرة وخَطَهُ الشيب أعين طويل اللحية ضيق الجبين على خده خال وكان ساقاه دون جسده صفراوين كأنهما طُليتها بزعفران , أما خُلُقياً فكان أكثر بني العباس حزماً وعزماً وعلماً وحلماً وله رأي و دهاء وشجاعة و سؤدد[18] , عظيم العفو, كريم المقدرة , ميمون النقيبة , جليل الصنائع , لا تخدعه الأماني و لا تجوز عليه الخدائع[19] 0

وحظي المأمون بتعليم متميز جمع بين مختلف العلوم اللغوية والدينية و العقلية , وكان لأبيه الرشيد الدور الكبير في رعايته وتثقيفه وإحاطته بكبار العلماء و المؤدبين , فتلقى دروس الأدب على يد أبي محمد اليزيدي[20] أحد علماء العربية والأدب[21] , و تلقى النحو و القراءات علي يد علي بن حمزة الكسائي شيخ القراء وإمام النحاة[22] , وسمع الحديث من هيثم بن بشر وعباد بن العوام وغيرهم[23], كما عنى بالفلسفة وعلوم الأوائل وبرع فيها وجمع حوله عدد من علمائها مما أنعكس ذلك على آرائه وتوجهاته الفكرية[24] 0

4- ولاية العهد وخلافِهِ مع الأمين

سار هارون الرشيد على نهج أسلافه العباسيين في ولاية العهد , فمن حيث المبدأ عين ولاةً لعهده قبل وفاته لضمان انتقال السلطة بصورة منظمة تؤدي إلى استقرار الدولة وتمنع حدوث صراعات داخل البيت العباسي , إلا أنه تميز عنهم بتوسيع نظام ولاية العهد , إذ جعلها متعاقبة بين ثلاثة من أبنائه متناسياً بأن تعدد مراكز النفوذ قد يؤدي

إلى ظهور التنافس بينهم , ففي سنة 175هـ/ 792م نصب الرشيد ابنه محمد ولياً لعهده وعمره خمس سنوات[25] بتأثير زوجته زبيدة ومن معها من الهاشميين والفضل بن يحيى الذين كانوا يفضلونه على أخيه المأمون[26] , وولاه العراق و الشام[27] 0

وكان الرشيد قلقاً بشأن توليته الأمين دون المأمون حتى عزم على تصحيح ما فعل , إذ لم يكن يرى فيه ما يؤهله للخلافة , كميله للأهواء ومشاركته للنساء والإماء في رأيه وتبذيره ما في يده , بخلاف المأمون المرضي السيرة والحسن التدبير و السياسة , ولذا استعان ببعض خاصته وتشاور معهم في الأمر, فكان الرأي أن أعلن بيعته لابنه عبد الله بعد محمد[28] في سنة 183هـ/ 800م و ولاه من همدان إلى آخر المشرق , ثم تلاها مبايعته لابنه القاسم وسماه المؤتمن وجعله على الجزيرة والثغور و اختلف الناس في فعل الرشيد فمنهم من رأى أنه أحكم الأمر بينهم ومنهم من رأى أنه ألقى بأسهم بينهم[29] , ولأجل تبديد هذه المخاوف ولحرصه على ضمان التزام أبنائه بترتيب انتقال الخلافة طلب من أهل العلم والفقهاء والقضاة أن يكتبوا كتابين أحدهما للأمين و الآخر للمأمون ضمنهما شروط ومواثيق دينية و أخلاقية وأشهد عليهما أهل بيته و وزراءه وقادة جيشه وعلقهما في الكعبة[30] , ويبدوا إن الرشيد قد شعر بقدر من الاطمئنان بعد توثيق تلك العهود , إذ كان يأمل إن هذه التدابير تكفل انتقالاً سلساً للخلافة و تحول دون وقوع النزاع بينهما , غير أن الأحداث التي تبعت وفاته أثبتت قصور تلك النظرة وضعف الضمانات عن منع الخلاف بين أبنائه 0

وبعد موت الرشيد سنة 193هـ/ 809م بُويع في بغداد للأمين بالخلافة , والذي بدأ عهده كعادة أباءه بمحاولات لعزل أخويه عن ولاية العهد وتنصيب ابنه موسى خلفاً له , فبعد استشارته للمقربين له أشاروا عليه بتقريبهم منه حتى يسهل عزلهم[31] , وبدأ بأخيه القاسم فعزله عن جميع ما كان أباه قد ولاه عليه[32] ثم كتب إلى المأمون في

خراسان بالقدوم عليه حتى يُعينه في أمور الخلافة لكن وزيره الفضل بن سهل أشار عليه برفض طلبه والبقاء في مكانه[33] مدركاً بأن الأمين يُدبر لخلعه , فلذلك عمد المأمون إلى قطع البريد عنه وأسقط اسمه من الطراز , فأرسل الأمين يطلب منه تقديم ابنه عليه وسماه الناطق بالحق فأبى المأمون وأطلق على نفسه لقب الإمام تمهيداً لإعلان خلافته , فرد الأمين بإسقاط اسمه من دعاء المنابر وأعلن المبايعة لأبنه و ولاه العراق كما أرسل إلى مكه ليأخذ المواثيق التي وضعها أبوهم في الكعبة ومزقها[34] , وعلى ذلك بدأ الأمين باعداد جيش لقتال أخيه فسير إليه علي بن موسى بن ماهان في ستين ألفاً , وأرسل المأمون جيشه بقيادة طاهر بن الحسين ومعه عشرة آلاف وتمكن طاهر من هزيمة علي , فلما بلغ الأمين الخبر عقد إلى عبدالرحمن الأنباري في ثلاثين الفاً فهزمهم طاهر عند همدان ثم سير الأمين عبد الله الحرشي ويحيى بن علي في عشرة آلاف حتى وافيا قرميسين وسار اليهم طاهر فعادا إلى بغداد دون قتال فتبعهم طاهر والتحق به هرثمة فاحاطا ببغداد حتى تمكنا من الأمين , وكان قتله سنة 198هـ/ 814م وله ثمان وعشرون سنة وبُويع للمأمون بالخلافة في العام نفسه[35] 0

5- وفاة المأمون

توفى المأمون في أحدى صوافية إلى أرض الروم سنة 218هـ/ 834م عند عين ماء تسمى البذندون على طريق طرسوس , كان قد نزلها بعد عودته من الغزو منتظراً بعض قادته , فوقع نظره على العين فأعجبه منبع الماء وصفاءه وبرده وكثر الخضرة من حولها , فجلس عندها ونضح عليه ماؤها البارد بسبب سمكة اصطادوها له فأصاب ثوبه ونحره وترقوته , فأخذته الرعدة من ساعته ثم غُطي باللحف وهو يرتعد ويصيح البرد .. البرد واضطرب نبضه وخرج عن

الاعتدال فمات[36] , وقيل إن سبب موته أنه شرب من ماء البذندون البارد وأكل معه الرطب فأصابته الحمى ولم يزل مريضاً حتى مات في علته[37] , وحُمل إلى طرسوس فدفن في دار خاقان خادم الرشيد[38] 0

المبحث الثاني- أساليب المأمون السلمية

ويراد بها الأساليب التي انتهجها المأمون بهدف احتواء الخصوم وكسبهم وإنهاء حالة الصراع معهم دون اللجوء إلى العنف و القوة , والمتمثلة بالأتي:

1- إعطاء الأمان

كثير ما نجد المأمون يمنح خصومه المتمردين عليه ضماناً بالأمان وعدم التعرض لهم أو معاقبتهم إذا استجابوا لشروطه قبل الصدام معهم , بهدف تشجيعهم على الإستسلام و العودة إلى الطاعة وحقن دماء الطرفين , فقد أعطى المأمون أمانه لزيد بن موسى بن جعفر ع المعروف بـ (زيد النار) والذي خرج بالعراق مع أبي السرايا وسيطر على البصرة وأخذ بحرق بيوت العباسيين وأتباعهم فضيق عليه المأمون فيها و أمانه على نفسه فاستسلم[39] , ثم حُمل إلى المأمون فبعث به إلى أخيه علي الرضا ع فأطلقه وعاش زيد إلى آخر أيام المتوكل ومات في سامراء[40] , كما وعرض الأمان على نصر بن شبث الذي ثار في كيسوم شمال حلب وتغلب على ما جاورها وأجتمع عليه خلق كثير من الأعراب , وأمتنع عن مبايعة المأمون حتى سنة 206هـ/ 822م فأرسل إليه عبد الله بن طاهر فشدد عليه وأطال حصاره[41] , وكتب له كتاباً يستأمنه فيه ويضمن له الصفح عما ارتكبه من جرائر ويُمنيه بالعز والرفعة إن ترك تمرده ودخل في الطاعة , فاستجاب نصر لدعوة المأمون و استسلم لأبن طاهر الذي دخل كيسوم وخربها[42] , ويبدوا إن

من الأسباب التي جعلت المأمون يُعطي أمانه لهم هو تركيزه على تثبيت حكمه بعد صراعه المرير مع أخيه الأمين الذي استمر قرابة ثلاث سنوات[43] , فكان بحاجة إلى تهدئة داخلية يستوعب فيها العلويين لاسيما بعد تنصيب علي الرضا أخو زيد ولياً لعهده وما أظهره من التقرب لهم بطرح السواد ولبس الخضرة[44], ويستميل ايضاً القبائل العربية التي ساندت نصر بعد ادعائه أن محاربته للمأمون كانت محاماةً للعرب بعد ما قدم عليهم العجم[45] ,فضلاً عما كان يتمتع به زيد ونصر من ثقل سياسي ومجتمعي يمكن الإستفادة منه في مشروع الدولة 0

2- الاحتواء

اتبع المأمون هذا الأسلوب في معالجة بعض الفتن التي حصلت في مصر , إذ لم يعتمد على القوة العسكرية وحدها بل سعى إلى احتواء أسباب الاضرابات و وضع المعالجات الفعلية لها , فقد استوعب مشكلة الأندلسيين من أهل الربض الذين نزلوا الإسكندرية في عهده ودخلوا في اقتتال مع أهلها وفرضوا سيطرتهم التامة على المدينة , فدخل المأمون في تفاوض معهم وابتاع المدينة منهم على أن يخرجوا منها ويذهبوا إلى جزيرة إقريطش ففعلوا ذلك[46] , ويبدو أن المأمون حاول إبعاد المدينة عن الخراب فيما لو استخدم القوة العسكرية وهي أحدى أهم مدن الدولة , وعدم اعتبار الأندلسين أصحاب مشروع دائم فيها كونهم جماعة مهاجرة دفعهم الاضطهاد للنزول فيها 0

كما شهدت مصر خلال الحقبة الأخيرة من عهد المأمون العديد من الثورات فقد ثار أهل الوجه البحري ومعهم الأقباط على عيسى بن منصور عامل المأمون لسوء سيرته فيهم وضعف سياسته وتدبيره وقد حاول عيسى إخماد الفتنة بكل ما لديه من وسائل لكنه ضعف عن لقائهم وانهزم منهم فاخرجوه وخلعوا الطاعة , ثم استعان ببعض القادة وأعاد الكرة عليهم واستمرت الحروب بين الطرفين لمدة سنة حتى قدم المأمون سنة 217هـ/ 833م لما رأى

عجز واليَهُ عن احتواء الفتنة وإعادة الاستقرار ومكث في مصر تسعة وأربعين يوماً انتهج خلالها مسارين متوازيين أولهما تمثل بإرسال السرايا لملاحقة الثوار والقضاء عليهم , وثانيهما تمثل بالاستماع لأهل مصر والنظر في شكواهم والعمل على انصافهم , فأقدم على عزل الوالي عيسى بن منصور وحل لواءه ونسب له ولعماله كل ما وقع[47] , مما اسهم في تهدئة الأوضاع وإعادة الثقة بسلطة الخلافة , واستخدام المأمون لهذا النهج جاء نتيجة وقوفه على مجريات الأمور وإدراكه إن الفتنة لم تكن عسكرية فحسب بل نتيجة سوء الإدارة وفشل الوالي في معالجة الأوضاع, وتميزه بين من يُريد الفتنة ومن يريد الإصلاح , فضلاً عما لمصر من أهمية اقتصادية وعسكرية كبيرة في تلك الفترة التي كانت فيه الدولة منشغلة بمحاربة الدولة البيزنطية 0

3- التغاضي والعتاب

انتهج المأمون في بعض مواقفه أسلوب التغاضي عن الأخطاء و التجاوزات بحقه مع توجيه اللوم أو العتاب بالقول أو الفعل , ويبدو أنه كان يرى أن المصلحة تقتضي احتواء الخصم بدلاً من معاقبته أو لأن ما صدر منه لا يرتقي إلى مستوى يستوجب العقاب , ويمكن تقسيم هذا الأسلوب حسب طبيعة تعامل المأمون مع خصومه إلى ثلاث صور: فالصورة الأولى , تمثلت بالتغاضي المجرد , وذلك بتجاهل بعض الأفعال أو الأقوال وعدم ترتيب أي أجراء عليها كما في موقفه من أصحاب الرقاع , فقد رفع إليه صاحب خبره بأنهم أصابوا رقاع فيها كلام السفهاء والسفلة من تهديد و وعيد للمأمون والدولة , فلما وصلت له, كتب لهم بأن هذا أمر إن اكبروه كثر غمنا فيه واتسع خرقه , وطلب من صاحب الأخبار أن يُعلم أصحابه متى وجدوا من هذه الرقاع رقعة فعليهم أن يمزقوها قبل أن ينظروا فيها فإنهم إذا فعلوا ذلك لم يرَ لها أثر و لا عين ففعلوا ذلك , فكان كما قال[48] , أما الصورة الثانية فكانت في

التغاضي المقترن بالعتاب القولي حيث كان يتجاوز عن المخالفة مع توجيه اللوم والعتاب , كما في تعامله مع بشر المريسي الذي كان يشتم المأمون ويعرض به , فلما بلغه ذلك أرسل إليه رجلاً حضر مجلسه وسمع ما قاله وكان يصف المأمون بصاحب البرذون الأشهب , فدعاه المأمون وقال: يا أبا عبد الرحمن متى عهدك بلعن صاحب البرذون الأشهب ؟ فطاطأ بشر رأسه , ثم لم يعد لمثل ذلك[49] , في حين تجسدت الصورة الثالثة في التغاضي المقترن بالعتاب الفعلي من خلال إظهار عدم الرضا , حيث يقضي حاجة الشخص ويرد حقه مع الإمتناع عن مخاطبته أو مجالسته كما ظهر في تعامله مع إسماعيل بن جعفر , فقد كان المأمون أشد الناس بغضاً له , فدخل عليه يوماً في دار لعلي بن صالح فلما دنا إسماعيل سلم على المأمون فرد عليه , ثم دنا منه وقبّل يده , فقال: هات حوائجك . فطلب إسماعيل منه ضيعة كانت قد غُصبت منه , فأمر بردها عليه , ثم طلب أن يأذن له في الحج , فأذِنَ دون معاتبة[50] , ويبدو أن الدوافع من وراء هذا الأسلوب لم يكن نابعاً من التساهل الفطري للمأمون , بل كان خياراً سياسياً و ادارياً , فهو لم يشأ تضخيم الأحداث وإثارة الضجيج حولها كما فعل مع أصحاب الرقاع , ورغبته في إظهار هيبة الدولة الحازمة والمتسامحة في الوقت نفسه 0

4- العفو و الصفح

حرص المأمون على إظهار نفسه بوصفه خليفة يتصف بالعفو و الصفح من خلال اسقاط العقوبة المترتبة على خصومه لاسيما بعد زوال خطرهم , وقد روج لهذا الأسلوب واعتبره خلق شخصي خاص به فكان يقول: حُبَب إليَ العفو حتى خفت ألا أُجر عليه ولو علم الناس ما لنا في العفو من اللذة لتقربوا الينا بالجنايات[51] , إلا إن ظاهر واقعه يقول أنه سياسة مقصودة لإدارة الصراع , حيث اتضح بصورة جلية بعد انتهاء صراعه مع أخيه ودخوله بغداد

سنة 204هـ/ 819م[52] , فقد عفا عن العديد من خصومه كالفضل بن الربيع وزير الأمين أحد كبار المحرضين عليه[53] , و عيسى بن محمد بن أبي خالد أحد كبار قادة إبراهيم بن المهدي الذي أوقع الهزائم بجيوش المأمون[54] و ولاه أذربيجان و أرمينية[55] , كما عفا عن عمه إبراهيم بعد أن ظفر به سنة 208هـ/ 823م و وهب له جريرته في تقلده الخلافة في بغداد[56] , ولم يقتصر عفوه عمن حاربه و انتزع منه شرعية الخلافة في بغداد , بل شمل من كان يُعرض به ويهجوه من الشعراء مثل دعبل الخزاعي الذي قال فيه:

إني من القوم الذين سيوفهم * قتلت أخاك وشرفتك بمقعد

شادوا بذكرك بعد طول خموله * واستنقذوك من الحضيض الأوهد

فلما وصلت الأبيات للمأمون ضحك وقال: أما يستحي دعبل من الكذب متى كنت خاملاً 000 وعفا عنه وأمر بعدم التعرض له[57] , وعفا عن الحسين بن الضحاك المعروف بالخليع نديم الأمين , والذي هجا المأمون بقوله:

عيناي جودا وابكيا لي محمدا * ولا تذخرا دمعا عليه وأسعدا

فلا تمت الأشياء بعد محمد * ولا زال شمل الملك فيه مبددا

ولا فرح المأمون بالملك بعده * ولا زال في الدنيا طريدا مشردا

ورد عليه رزقه و امتنع من استخدامه[58] , ويبدو إن نهج العفو هذا كان وسيلة المأمون لإغلاق صفحة الصراع مع شخصيات اجتماعية وسياسية مؤثرة في بغداد مع امكانية الاستفادة من نفوذها وخبرتها وتأثيرها 0

5- المهادنة وتجنب الصدام

كانت المهادنة أحدى الأساليب التي استخدمها المأمون في إدارة صرعاته الخارجية , حيث لجأ إلى إيقاف المواجهة العسكرية مع خصومه , مما خفف حدة الصراع مؤقتاً , وظهر هذا الأسلوب في تعامله مع الدول الإسلامية التي كانت موجودة أبان فترة حكمه , كالأمويين في الأندلس و الإدارسة في المغرب الذين رفضوا الخضوع للسلطة العباسية , ورغم اعتبار المأمون لهم بأنهم بغاة ويجب أن يُذعنوا له , لكنه عجز عن اخضاعهم لسلطانه فعلاً أو اسماً , ولذلك تجنب التصادم معهم وعمل على وضع حاجز بينه وبينهم , فقد شجع دولة الأغالبة في افريقيا واعطاهم شيء من الاستقلال , لانها كانت بمثابة الحرس الأمامي الذي يرد عن الخلافة غاراتهم ويحول بين توسعهم على ساحل البحر الأبيض المتوسط[59] 0

أما مع الدولة البيزنطية , فاستمرت المهادنة معها لمدة ستة عشر سنة رغم علم المأمون بعلاقتهم مع بابك الخرمي و امدادهم له بالمعونة , لأن بطريك انطاكية في سوريا كان قد أمله بتتويج توماس إمبراطورا[60] والذي دخل في صراع طويل مع ميخائيل , فكان المأمون ينتظر نتيجة هذا الصراع لأنه يرى حصول توماس على السلطة سيكفي العرب مؤونة القتال ويجعل منه تابعاً للخلافة في بغداد[61] , ويبدو أن الظروف التي كانت قد أحاطت بالمأمون هي من جعلته يتبع هذا الأسلوب , فضلاً عن إن هذه الدول لم تكن تُشكل تهديد مباشراً على أراضي دولته بسبب بعدها الجغرافي عن مركز الخلافة , وانشغالها بإزماتها الداخلية , ورغم ما يوفره هذا من فرصة تسهيل الإنقضاض عليها , لكنه من جهة أخرى قد يؤدي مهاجمتها إلى توحيد أطراف الصراع ضد العدو الخارجي 0

المبحث الثالث: اساليب المأمون في الردع و التصفية الجسدية

المراد بها الأساليب التي اعتمدها المأمون للحد من معارضة خصومه أو القضاء عليهم , إما عن طريق ردعهم وإجبارهم على الإمتثال لسلطته مع الإبقاء على حياتهم او إنهاء وجودهم الفعلي ومنها:

1- التهديد و الوعيد

يقوم هذا الأسلوب على توجيه المأمون إنذارات صريحة إلى خصومه , تتضمن تحذيرات من إنزال العقوبة أو اتخاذ إجراءات حازمة بحقهم , إذا استمروا على سياستهم المخالفة لإرادته , وقد اتبع هذا الأسلوب في مواجهة ظاهرة قُطاع الطرق في الشام , إذ بعث إلى عامله على الرقة عنبسة بن إسحاق الذي طلب منه النجدة للتخلص من إرهاب بعض الجماعات من الأعراب الذين يقطعون الطرق على المارة في سنجار , بيتين من الشعر موقعات بختمه:

أسمعت غير كهام السمع والبصر* لا يقطع السيف إلا في يد الحذر

سيصبح القوم من سيفي وضاربه * مثل الهشيم ذرته الريح بالمطر

فوجّه عنبسة بالبيتين إلى الأعراب ، فما بقي منهم اثنان[62] , وتكشف هذه الأبيات الحث على الشدة والوعيد بالعقاب , وضرورة التعامل بحزم وعدم التهاون في استئصال خطرهم 0

كما استعمل هذا الأسلوب في بداية حربه مع نصر بن شبث , حيث كتب له مهدداً: 000وعالم السر والجهر لئن لم تكن للطاعة مراجعا وبها خانعا لتستوبلن وخم العاقبة ثم لأبدأن بك قبل كل عمل فإن قرون الشيطان إذا لم تقطع كانت في الأرض فتنة وفسادا كبيرا ولأطأن بمن معي من أنصار الدولة كواهل رعاع أصحابك ومن تأشب إليك من أداني البلدان وأقاصيها وطغامها وأوباشها ومن انضوى إلى حوزتك

من خراب الناس ومن لفظه بلده ونفته عشيرته لسوء موضعه فيهم وقد أعذر من أنذر والسلام[63]

0

ولم تقتصر تهديدات المأمون على خصومه داخل دولته , بل امتدت لتشمل من كان خارج حدودها, ففي رسالته الجوابية إلى توفيل ملك الروم الذي أرسل إليه يسأله الصلح , كتب له مهدداً بإرسال الخيل والرجال من أهل البأس والشدة فيقول:((000فلولا ما رجعت إليه من أعمال التؤدة والأخذ بالحظ في تقليب الفكرة وألا أعتقد الرأي في مستقبله إلا في استصلاح ما أوثره في معتقبه لجعلت جواب كتابك لخيلا تحمل رجالا من أهل البأس والنجدة والبصيرة ينازعونكم عن ثكلكم ويتقربون إلى الله بدمائكم ويستقلون في ذات الله ما نالهم من ألم شوكتكم ثم أوصل إليهم من الإمداد وأبلغ لهم كافيا من العدة والعتاد هم أظمأ إلى موارد المنايا منكم000))[64] , ويبدو أن المأمون كان يرغب في تجنب المواجهة العسكرية , فالتهديد وسيلة لمنح الخصوم فرصة للتراجع قبل اللجوء إلى القتال مما يقلل الخسائر البشرية والمادية , ويحافظ على هيبة الخلافة , فالمأمون حريص على إظهار قوة الخلافة , فرسائله شديدة اللهجة تؤكد قدرته على العقاب إذا لم يستجب الخصم , كما إن التهديد يعتبر وسيلة ضغط نفسي على الخصم , لأنه وسيله لاضعاف المعنويات قبل المواجهة فيما لو حصلت 0

2- الضرب و الحبس

يمكن عد الضرب والحبس من أساليب الردع العنيفة التي استخدمها المأمون مع خصومه , فقد لجأ إلى إيقاع العقوبة البدنية على بعض الأفراد و الجماعات مستخدماً السياط في ضربهم دون أن يصل الأمر إلى القتل, فقد أمر المأمون بضرب جماعة بينهم إبراهيم بن محمد المعروف بابن عائشة وهو من كبار العباسيين وأحد المحرضين على خلع

المأمون من الخلافة والساعين في مبايعة إبراهيم بن المهدي , والذي شارك في محاولة قطع الجسر على الجند عندما خرجوا لإستقبال نصر بن شبث , فلما ظفر به المأمون سنة 210هـ/ 826م أمر به فضُرب بالسياط وأقاموه ثلاثة أيام بالشمس ثم حبس[65] , كما أمر المأمون بضرب عبد الله بن مالك الخزاعي على استه كما يُضرب الصبيان , بتحريض من آل سهل لأنه مثل الحزب العربي داخل بطانة المأمون[66] 0

وقد مارس بعض قادة المأمون هذا الأسلوب مع بعض الجماعات , مظهرين تأثُراً واضحاً بالنهج الذي اتبعه خليفتهم , فقد أسر الجلودي* جماعة من الطالبين تعرضوا لقافلة من الحجاج والتجار واستلبوا أموالهم , وأرسلهم إلى أبي إسحاق بن الرشيد في مكة , فضرب كل رجل منهم عشرة سياط ونكل بهم وأسمعهم قبيح الكلام[67] , ويبدو إن اتباع هذا الأسلوب نابع من رؤية المأمون لطبيعة التهم الموجهة إلى هؤلاء بأنها لم تكن ترقى إلى مستوى توجب عقوبة أكثر من الضرب , فضلاً عما كان لهم من مكانة اجتماعية بين الناس 0

3- القتل والاغتيال

لجأ المأمون إلى إنهاء حياة بعض خصومه ممن رأى فيهم خطراً على سلطانه , سواء بطريقة القتل المعلن أو عن طريق القتل الخفي(الاغتيال) , ومن مصاديق القتل المعلن , قتل المأمون ليحيى بن عامر بن إسماعيل الذي كان يصفه بأمير الكافرين حيث قُتل صبراً بين يديه[68] , كما قتل بعض كبار الشخصيات النافذة في دولته لاعتبارهم خصوماً يهددون سلطانه , كهرثمة بين أعين الذي ذهب ضحية التحريض من جهة , والرغبة في التخلص من أي شخصية قوية داخل الدولة لا تلتزم بأوامر الخلافة من جهة أخرى , فقد أوغر الفضل بن سهل صدر المأمون على هرثمة , وصوره في صورة المارق الذي يُعادي دولة المأمون وأفهم الخليفة إن ثورة أبي السرايا في الكوفة كانت من تدبير هرثمة

نفسه وأثبت بالدليل عدائه بعدم استجابته لأمر الخليفة بالذهاب إلى الشام أو الحجاز , وإن سبب قدومه عليه رغبته في الخلاف والتهديد بالثورة[69], وقتل أيضاً علي بن هشام عامله على كور الجبال وأخاه حسيناَ شر قتلة , بعدما اتهمه المأمون بقتل الرجال و محاوله خلع طاعته واللحاق ببابك الخرمي , حيث طيف برأسه في البلدان حتى وصل مصر فأُلقي في البحر[70] 0

كما نسبت بعض المصادر التاريخية , لجوء المأمون إلى الإغتيال كوسيلة للتخلص من بعض الشخصيات المؤثرة في دولته والتي كان يخشى من تنامي نفوذها عليه , كالفضل بن سهل وزيره وعلي بن موسى الرضا ع وليّ عهده وطاهر بن الحسين قائده , فالفضل بن سهل , قُتل في سرخس سنة 202هـ/ 818م على يد جماعة من الرجال دخلوا عليه الحمام بأمر من المأمون[71] , وكانوا من حشمه وهم أربعة , غالب المسعودي وقسطنطين الرومي وفرج الديلمي وموفق الصقلبي , فلما ظفر بهم المأمون , قالوا: أنت أمرتنا بقتله! فلم يلتفت لهم , وأمر بهم فضربت أعناقهم[72] , وأما علي الرضا ع فقد ذكرت طائفة من المصادر الشيعية أن المأمون دس إليه السم بالعنب والرمان , وعدت وفاته اغتيالاً سياسياً حصل بتدبير منه[73] , بينما لا تُثبت مصادر أخرى نسبة الاغتيال إلى المأمون , فبعضها نسبه إلى غيره, كاليعقوبي الذي يذهب إلى إن هشام بن علي هو من أطعم علي بن موسى رمانا فيه سم , فمات بسببه[74], وبعضها جعل وفاته فجأة لإكثارة أكل العنب , وقد تأثر عليه المأمون ودفنه عند قبر أبيه الرشيد في طوس[75] , ولذاك تبقى نسبة اغتياله إلى المأمون موضع خلاف بين المؤرخين , كما أشارت بعض الروايات إلى تورط المأمون بدس السم لطاهر بن الحسين , فبعد أن تولى أمر خراسان وتمكن منها خلع طاعة المأمون وأسقط اسمه من الخطبة , وكان المأمون قد أهداه خادماً رباه وأمره إن رأى من طاهر ما يُريبه أن يدس له السم , فلما صنع طاهر ذلك , فعل به الخادم ما أُمر , فمات في اليوم الذي تلى قطع الخطبه من سنة 207هـ/ 823م ودفن في مرو[76] , وكان

في نفس المأمون منه شيء منذُ قتله أخاه , لأن طاهراً لما ظفر بالأمين لم يبعث به للمأمون حتى يرى رأيه فيه[77] , ولذلك اجتمع على طاهر الموجبان الخلع والثأر فوجب التخلص منه0

ويبدو إن اتباع المأمون لهذا النهج كان لأسباب تتعلق , بإظهار هيبة الدولة , فتنفيذ القتل بصورة علنية يبعث برسائل واضحة بأن الدولة قادرة على معاقبة الخارجين عليها , والتخلص من الشخصيات ذات النفوذ التي يصعب التخلص منها علنا بسبب مكانتها الاجتماعية والسياسية , فضلاً عن تجنب ردود الافعال الشعبية العنيفة , وإخفاء مسؤولية السلطة 0

المبحث الرابع: أساليب المأمون العسكرية

نقصد بها الأساليب التي تعتمد على استخدام القوة العسكرية المسلحة في مواجهة الخصوم , والتي تهدف إلى تحقيق غايات سياسية و أمنية , وهي:

1- القمع

اتخذ المأمون إجراءات صارمة لمعاقبة وردع المتمردين على السلطة والذين باتوا يهددون نظام الدولة بأفعالهم , فقد استخدم القمع مع الزط* الساكنين في البطائح بين واسط والبصرة والذين بلغت أعدادهم أكثر من سبعة وعشرين الفاً[78] , فقد استغل هؤلاء الفتنة التي قامت بينه وبين أخيه الأمين , وما أنتجته من ضعف في سلطات الدولة واضطراب حالة الأمن في أطرافها , للقيام بأعمال السلب والنهب والعبث في الأرض , فتجمعوا في مناطق البصرة واستولوا على طريقها[79] , ومنعوا الناس من الاجتياز, فاستغاثوا بالمأمون فندب إليهم عيسى بن يزيد الجلودي الذي تتبعهم وجرت بينه وبينهم عدة وقائع لكنه لم يتمكن منهم[80] , وفي سنة 206هـ/ 822م ولى المأمون داود بن

ماسجور البصرة وما يليها من اليمامة والبحرين وكلفه بمحاربتهم[81] , واستمر قادة المأمون بمحاولات تتبعهم والقضاء عليهم , حتى صاروا يتفرقون عنهم في الفيافي[82] , كما استعان بهذا الأسلوب لإخماد فتنه أهل الوجه البحري في مصر الذين خرجوا على عامله عيسى بن منصور لسوء سيرته فيهم , حيث أرسل قائده التركي الأفشين الذي تمكن من قمع الفتنة واخماد الثورة بعد أن قتل من الأهالي مقتلة عظيمة[83] , والذي يظهر لنا من أسباب قمع الزط كان بالدرجة الأساس تأمين طرق المواصلات والتجارة في مناطق جنوب العراق وفرض السيطرة على منطقة البطائع التي باتت تُهدد الأمن الداخلي للدولة , أما بالنسبة لفتنة أهل مصر فقد كانت الغاية إعادة بسط سلطة الدولة المركزية على مصر بعد اتساع رقعة الاضطرابات ومنع انتقال الفتنة إلى الأقاليم الأخرى , والحاجة إلى إيجاد الاستقرار السريع فيها خلال تلك الفترة التي كانت الجهود تتجه لمحاربة الروم 0

2- القتال

استخدم المأمون أسلوب القتال المباشر في مواجهة بعض خصومه , إذ أرسل قادته و ولاته في حملات عسكرية منظمة , مستفيداً من كفاءاتهم العسكرية و خبراتهم الميدانية مع احتفاظه بالإشراف العام على سير تلك العمليات وتوجيهها بما يحقق اهداف الدولة , ففي حربه مع أخيه الأمين اعتمد على قائده طاهر بن الحسين الذي خاض ثلاثة مواجهات متتالية مع قوات الأمين , فقد أرسله المأمون ومعه عشرة آلاف مقاتل لمواجهة علي بن موسى بن ماهان الذي كان في ستين ألفاً وتمكن من هزيته , كما هزم كل من عبدالرحمن الأنباري في ثلاثين الفاً و عبد الله الحرشي ويحيى بن علي في عشرة آلاف وسار بجيشه حتى دخل بغداد سنة 198هـ/ 814م[84] 0

وبعثه أيضاً لمحاربة حمزة بن أترك الذي كان قد خرج في خراسان[85] خلال فترة ولاية علي بن عيسى بن ماهان وسيطر على بعض المناطق وهزم العديد من جيوش الخلافة[86] , ثم اختفى ذكره حتى ظهر في أيام المأمون واستولى على عدد من البلدان ودخل في صراع مع بقية فرق الخوارج من البيهسية و الخازمية وقتل منهم أعداداً كبيرة , فكاتبه المأمون واستدعاه إلى طاعته فرفض , فأوكل أمره إلى طاهر بن الحسين الذي خاض معه العديد من المعارك قُتل فيها قرابة ثلاثين الفا[87] , ثم أرسل إليه المأمون عبد الرحمن النيسابوري بعد أن خرج في نيسابور فسار إليه النيسابوري في عشرين الفاً فهزمه ومات حمزة في هزيمته تلك[88] , كما كلف المأمون هرثمة بن أعين للقضاء على ثورة أبي السرايا السري بن منصور الشيباني الذي خرج سنة 199هـ/ 814م بالكوفة[89] والذي أستمر بمحاربته ومن معه حتى ضعفوا وهربوا من الكوفة , فظفر بهم الحسن بن سهل فقتل أبا السرايا[90] سنة 200هـ/ 815م[91] 0

وعندما خرج عليه بلال الضبابي الشاري سنة 214هـ[92] بأرض الجزيرة بنواحي سنجار والتأم إليه الناس وصار في جمع كثيف ، جعل المأمون يوجه إليه العساكر عسكرا بعد آخر ، فكان كلما أتاه عسكر واقعه وتمكن من هزمه ، فلما رأى المأمون ذلك خرج إليه بنفسه حتى نزل بقرية العلث تبعد عن بغداد بضع عشر فرسخا ، وأخذ بتوجه القواد في طلب بلال والذي ما أن علم بذاك حتى تنحى واختفى في بعض البراري ، وطلبه المأمون فلم يجده , ودخل شهر رمضان فرجع المأمون إلى بغداد في جميع عسكره, فعلم بلال برجوع المأمون , فخرج و بدأ يجمع الجموع حتى صار في جميع عظيم وبلغ ذلك المأمون، فدعا بابنه العباس وابنه هارون وضم إليهما جيشا عظيما وأمرهما بالمسير إليه ، فأقبل العباس وهارون حتى صارا إلى الموصل ، ثم رحلا من مدينة الموصل إلى مدينة بلد ، فنزلاها وأعطيا الناس الأرزاق . ثم رحلا من بلد إلى أن دخلا برية سنجار ، والتقى القوم للقتال بقرية يقال لها تل أعفر ، فاقتتلوا قتالا شديدا، فوقعت الهزيمة على أصحاب المأمون فانهزموا إلى أن صاروا إلى مدينة بلد , وبلغ ذلك المأمون فدعا بعجيف بن عنبسة وعلي بن هاشم ، فضم إليهما عشرة آلاف رجل ، و وجه بهما مؤنة لابنيه المنهزمين , فاجتمعت العساكر

ببلد ، ثم ساروا نحو بلال والتقوا معه في برية سنجار فاقتتلوا قتالا شديدا ، ووقعت الهزيمة على الشاري , وقتل من عسكره نيف عن ثلاثة آلاف فارس ، وانهزم الباقون مشردين في البلاد ، واحتوى أصحاب المأمون على دوابهم وأسلحتهم , ثم حُمل رأس بلال الشاري و رؤوس أصحابه إلى المأمون[93] 0

أما حربه مع بابك الخرمي* الذي خرج سنة 201هـ/ 817م مع أصحابه الجويدانية أتباع جاويدان بن سهل صاحب البذ* وادعى إن روح جاويدان حلت فيه , وأخذوا في العبث و الفساد , وسموا بالخرمية لإباحتهم نكاح المحارم , وكانوا يعتقدون بتناسخ الأرواح وانتقالها من حيوان إلى آخر[94] , فقد أظهر فيها المأمون إصراراً واضحاً لإنهاء حركته , إدراكاً منه لخطورتها على الدين و الدولة , فقد كان يعلم جيداً الصلة بين الحركة البابكية وبين أعدائه من الروم , فأرسل العديد من الجيوش لمحاربته[95] , ففي سنة 204هـ/ 820م أرسل المأمون يحيى بن معاذ على رأس جيش لمحاربة بابك وحدثت بينهما وقعة فشل فيها يحيى بالظفر به[96], وفي سنة 210هـ/ 826م ولى المأمون صدقة بن علي المعروف بزريق أعمال أذربيجان و أرمينية وكلفه محاربة بابك , فانتدب للقيام بأمره أحمد بن الجنيد الإسكافي فأسره بابك[97] , ثم ولى المأمون محمد بن حميد الطوسي تلك البلاد , فعمل على تنقيتها من المخالفين , وعبأ جيشه لمحاربة بابك وزحف عليه وحاربه محاربة شديدة حتى هُزم عسكره وقُتل في كمين نصبه أصحاب بابك سنة 214هـ/ 830م [98] , وعظم ذلك على المأمون فولى على خراسان عبدالله بن طاهر و كلفه بمحاربة بابك إلا إن ما جرى من أحداث أخر حسم المواجهة مع بابك[99] , إلى إيام المعتصم , وقد كان من أسباب فشل قواد المأمون في أنزال الهزيمة الحاسمة ببابك , وعورة المنطقة الجبلية التي كان يتحصن بها, والمساعدات القيمة التي كان الروم يمنحونها له نكاية بالدولة الإسلامية[100] , ويبدو إن الذي دفع المأمون لاستخدام هذا الأسلوب هو الدفاع عن حقه في الخلافة بعدما رفض أخيه الالتزام بوصية أبيهم , و وجود القادة العسكريين الأكفاء الذين كان يثق بقدرتهم على تحقيق

الإنتصارات , و الحفاظ على وحدة الدولة واستقرارها لاسيما مع ظهور التمردات والثورات في العراق و أرمينية والخشية من اتساع نفوذها 0

2- الغزو و التوسع

اعتمد المأمون هذا الأسلوب مع خصومه الخارجيين , فقد أرسل وقاده العديد من الحملات العسكرية التي تهدف إلى تأمين حدود الدولة و تعزيز سيطرتها ومد نفوذها إلى تلك الجهات , ففي الشرق اعتمد المأمون على واليّه عبد الله بن خرداذبة في طبرستان بالتوسع على ما يُجاوره , والذي تمكن سنة 201هـ/ 817م من فتح مناطق اللرز والشيزر من بلاد الديلم وضمها إلى بلاد الإسلام , ثم توجه إلى جبال طبرستان وتمكن من فتحها وإنزال شهريار بن شروين عنها , وأشخص مازيار بن قارن* إلى المأمون وأسر أبا ليلى ملك الديلم[101] , و زداد طموح المسلمين في تلك الجهات وأخذت أنظارهم تصبوا إلى ما هو أبعد وصار شاعرهم يقول:

إنا لنأمل فتح الروم والصين * بمن أذل لنا من ملك شروين

فاشدد يديك لعبد الله إن له * مع الأمانة رأى غير موهون[102]

أما في الجبهة الغربية , فلما رأى المأمون صراع الأباطرة في القسطنطينية انتهى لصالح ميخائيل المناويء له[103] , ثم موته سنة 209هـ/ 825م وتمليك الروم عليهم ابنه توفيل[104] , وما ثبت له من مساعدة الروم لبابك الخرمي[105] , قرر التوجه لغزو بلادهم فخرج إليهم من بغداد في المحرم من سنة 215هـ/ 831م سالكاً طريق تكريت و الموصل ثم دابق و انطاكيا و المصيصة حتى صار إلى طرسوس ومنها دخل إلى بلاد الروم وفيها فتح عدة حصون مثل حصن ماجدة و حصن قرة الذي أمر بهدمه , ثم سير قادته إلى بعض الحصون فتمكنوا من فتحها[106] , كما

بعث جيشاً بقيادة عجيف بن عنبسة و جعفر بن دينار إلى عزالينوس صاحب حصن سنان حتى نزلا عليه فلما نظر عزالينوس إلى الخيل قد أحدقت بالحصن خرج إلى عجيف بالأمان وأعلمه بأنه سامع مطيع , فبعث عجيف إلى المأمون بذلك ، فبعث المأمون يأمر عجيفا بالانصراف عنهم ، فانصرف عجيف من حصن سنان ثم جاء الشتاء فرحل المأمون عن بلاد الروم إلى دمشق[107] , ثم أعاد الكرة عليهم سنة 216هـ/ 832م وقد أُختُلفَ في سببها فقيل , إن ملك الروم هجم على مدينة طرسوس والمصيصة وقتل من أهلها ألف وستمائة فلما بلغه ذلك شخص إليه حتى دخل أرض الروم , وقيل أن توفيل كتب إليه كتاباً فبدأ بنفسه فلما ورد الكتاب على المأمون غضب لذلك وخرج إليه[108] , فلما دخل أرض الروم سار إلى هرقلة* فطلب أهلها الصلح فأجابهم , ووجه أخاه أبا إسحاق المعتصم نائب الشام فافتتح بلداناً كثيرة وثلاثين حصناً, وبعث بيحيى بن أكثم في سرية إلى طوانة فأغار وقتل وأصاب سبياً كثيراً وعاد إلى المعسكر ثم سار المأمون إلى كيسوم* فأقام بها يومين ثم ارتحل إلى دمشق , وقيل إن مدة إقامته في أرض الروم امتدت من نصف شهر جمادى الآخرة إلى نصف شعبان[109] , وكان سبب عودته , ما ورد عليه في كتاب الأفشين عامله ببرقة يخبره أنه قد خرج بمصر رجل اسمه عبدوس الفهري وقد اجتمع إليه خلق كثير[110]

وفي سنة 217هـ / 833م وعندما كان المأمون في مصر قرر إعادة غزو الروم فخرج منها وتوجه إلى الشأم ثم غزا الروم وحاصر مدينة لؤلؤة مائة يوم ، ثم ارتحل عنها واستخلف على حصارها عجيفا فخدعته الروم فأسروه فأقام في أيديهم عدة أيام ، ثم انفلت منهم[111] فرجع لها المأمون وفرض عليها حصاراً شديداً إلى أن خرجوا إليه أهلها بالأمان وسلموه المدينة ، فأخذ من الأموال والدواب والرقيق ما أراد , ثم رحل في عساكره إلى أن صار إلى الرقة ، فخرج توفيل في ثمانين ألفا وأخذ يغير على أطراف دولة المسلمين ، وقتل خلقاً كثيراً من الرجال و الأطفال . فأُنشد في ذلك :

أبلغ لديك سفيه الروم توفيلا * قولا سيلقى له إن عاش تنكيلا

أهلكت نسوان أهل العز قاطبة * والنسل أهلكت تحريفا وتفصيلا

وبلغ المأمون ما قد فعل توفيل بالمسلمين ، فاشتد غضبه وجمع عساكره وسار إلى أن نزل في موضع يقال له البذوندون فمرض هناك ومات[112] , ولعل من الأسباب التي دفعت المأمون لاستخدام هذا الأسلوب, هي رغبته في توسيع النفوذ العباسي في المناطق المجاورة واخضاع الجهات التي لم تكن تخضع لسيطرة الدولة , مما يساهم في تأمين حدودها السياسية لاسيما في الثغور الشمالية و الشرقية , فضلاً عن رغبته في تعزيز هيبة الدولة , إذ كانت الأنتصارات العسكرية وسيلة لإظهار قوة الخلافة بعد سنوات من الصراعات الداخلية , و الأقتداء بالتقليد العباسي , إذ كان الخلفاء العباسيون ينظرون إلى الجهاد ضد الروم وحماية الثغور بوصفه من واجبات الخليفة 0

الخاتمة

1- إن نشأة المأمون في البيئة العباسية الحاكمة وما تلقاه من تعليم متميز على أيدي كبار علماء عصره أسهم بشكل واضح في تكوين شخصيته السياسية والفكرية , وانعكس ذلك على تنوع أساليبه في التعامل مع خصومه 0

2- أثرت تجربة ولاية العهد بشكل كبير على اندماج المأمون بوقت مبكر في العمل السياسي , ونمّت من قدرته على إدارة الأزمات والصراعات وجعلته أكثر واقعية ومرونة في التعامل مع الخصوم , فكان يوازن بين الشدة واللين 0

3- أثبت البحث أن المأمون لم يعتمد أسلوباً واحداً في تعامله مع خصومه بل انتهج أساليب متنوعة جمعت بين الوسائل السلمية و الردعية والعسكرية وفقاً لطبيعة كل خصم , وما تقتضيه الظروف المحيطة به0

4- تكشف كثرة الثورات والخصوم في عهد المأمون عن تعدد مراكز المعارضة واختلاف دوافعها السياسية والشخصية والإقليمية , كما يدلل على أن شرعية حكمه لم تحظّ بقبول كامل لدى جميع القوى السياسية في الدولة العباسية 0

5- أظهر البحث أن المأمون قد أخفق في تبديد الشبهات التي أحاطت به في بعض حوادث الاغتيال , مما أسهم في استمرار اتهامه بالوقوف وراءها , ويشير إلى أن اجراءات إخفاء ملابسات تلك الحوادث لم تكن كافية لإقناع معاصريه أو بعض المؤرخين ببراءته 0

6- لم يقتصر عمل المأمون على إصدار الأوامر , أو تكليف قيادة المعارك إلى قادته الأكفاء , بل شارك بنفسه في إدارة بعض الحملات العسكرية ميدانياً داخلياً وخارجياً , مما يعكس مرونة في إدارة الصراع وحرصه على اختيار الوسيلة الأنسب وفقاً لمتطلبات الموقف 0

7- كشفت الدراسة أن المأمون كان يميل إلى الحلول السلمية , مثل الأمان والاحتواء والمهادنة , طالما كان ذلك يحقق استقرار الدولة بأقل الخسائر , وإن انتقاله إلى الشدة واستخدام القوة عندما يرى أن خصومه باتوا يشكلون خطراً مباشراً على وحدة الدولة أو شرعية الخلافة 0

8- أثبت البحث أن التهديد والوعيد كانا وسيلة للضغط النفسي على الخصوم , اتبعهما المأمون قبل استخدام القوة العسكرية في محاولة لإضعاف الطرف الآخر وتجنب القتال 0

9- وخلص البحث إلى أن تنوع أساليب المأمون في تعامله مع خصومه , أسهم في تقليص عدد منافسيه على السلطة , و عزز من تثبيت حكمه واستمراره قرابة العشرين عاماً 0

هوامش البحث

(1) الخطيب البغدادي , تاريخ بغداد , ج10 , ص181 0

(2) اليعقوبي , تاريخ اليعقوبي , ج2 , ص407 0

(3) ينظر: الجبوري , الخليفة المأمون اديباً , ص70 0

(4) ابن الجوزي , المنتظم , ج10 , ص49 0

(5) ابن عساكر , تاريخ دمشق , ج33 , ص281 0

(6) الحموي , معجم البلدان , ج5 , ص425 0

(7) ابن عساكر , تاريخ دمشق , ج33 , ص282 0

(8) ينظر: ابن شبة , تاريخ المدينة , ج1 , ص218 0

(9) الزركلي , الأعلام , ج8 , ص62 0

(10) اليعقوبي , تاريخ اليعقوبي , ج2 , ص444 0

(11) الحموي , معجم البلدان , ج1 , ص318 0

(12) ابن الجوزي , المنتظم , ج10 , ص49 0

(13) ينظر: ابن قتيبة , المعارف , ص383 0

(14) اليعقوبي , تاريخ اليعقوبي , ج2 , ص470 0

(15) ابن خلكان , وفيات الأعيان , ج1 , ص287-288 0

(16) اليعقوبي , تاريخ اليعقوبي , ج2 , ص470 0

(17) ابن حبيب البغدادي , المحبر , ص61-62 0

* ربعة : بين الطويل والقصير . ينظر: الخطيب البغدادي , تاريخ بغداد , ج1 , ص356 0

(18) الصفدي , الوافي بالوفيات , ج17 , ص350 0

(19) المسعودي , التنبيه و الإشراف , ص304 0

(20) الخطيب البغدادي , تاريخ بغداد , ج10 , ص182 0

(21) الزركلي , الأعلام , ج8 , ص163 0

(22) الصفدي , الوافي بالوفيات , ج21 , ص48 0

(23) هداره , المأمون الخليفة العالم , ص28 0

(24) السبكي , طبقات الشافعية الكبرى , ج2 , ص56 0

(25) اليعقوبي , تاريخ , ج2 , ص408 0

(26)هداره , المأمون الخليفة العالم , ص33 0

(27) مسكويه , تجارب الأمم , ج3 , ص527 0

(28) المسعودي , مروج الذهب , ج3 , ص352-353 0

(29) مسكويه , تجارب الأمم , ج3 , ص527-528 0

(30) ابن الجوزي , المنتظم , ج9 , ص112 0

(31) الدينوري , الاخبار الطوال , ص394 0

(32) الزركلي , الاعلام , ج5 , ص186 0

(33) الدينوري , الاخبار الطوال , ص395 0

(34) هداره , المأمون الخليفة العالم , ص51-52 0

(35) الدينوري , الاخبار الطوال , ص396-400 0

(36) الحميري , الروض المعطار , ص85-86 0

(37) ابن الأثير , الكامل , ج6 , ص428 0

(38) مسكويه , تجارب الأمم , ج4 , ص174 0

(39) الطبري , تاريخ , ج7 , ص123 0

(40) الأمين , أعيان الشيعة , ج7 , ص129 0

(41) الزركلي , الأعلام , ج8 , ص23 0

(42) ينظر: الطبري , تاريخ , ج7 , ص174 0

(43) ينظر: المسعودي , التنبيه و الإشراف , ص300-301 0

(44) ابن عساكر , تاريخ دمشق , ج33 , ص282 0

(45) ابن الأثير , الكامل , ج6 , ص308 0

(46) الذهبي , سير أعلام النبلاء , ج8 , ص258 0

(47) ابن تغري بردي , النجوم الزاهرة , ج2 , ص215-216 0

(48) رفاعي , عصر المأمون , ص365 0

(49) هداره , المأمون الخليفة العالم , ص160 0

(50) رفاعي , عصر المأمون , ص352 0

(51) القيرواني , زهرة الآداب , ج2 , ص606 0

(52) ابن الجوزي , المنتظم , ج10 , ص127 0

(53) الزركلي , الأعلام , ج5 , ص148 0

(54) الطبري , تاريخ , ج7 , ص145 0

(55) الذهبي , تاريخ الإسلام , ج14 , ص19 0

(56) اليعقوبي , تاريخ , ج2 , ص458 0

(57) الزمخشري , ربيع الأبرار , ج2 , ص107-108 0

(58) السيوطي , تاريخ الخلفاء , ص350 ؛ الصفدي , الوافي بالوفيات ,ج12 , ص236-237 0

(59) رفاعي , عصر المأمون , ص289 0

(60) رفاعي , عصر المأمون , ص290 0

(61) ينظر: هداره , المأمون الخليفة العالم , ص90 0

(62) القيرواني , زهرة الآداب و ثمرة الألباب , ج4 , ص1147-1148 0

(63) الطبري , تاريخ , ج7 , ص173 0

(64) الطبري , تاريخ , ج7 , ص194 ؛ فرج , المأمون أديباً , ص26 0

(65) ابن الأثير , الكامل , ج6 , ص391 0

(66) هدارة , المأمون الخليفة العالم , ص70 0

* وهو محمد بن عيسى الجلودي من ولاة الدولة العباسية ولاه المأمون مصر فترة ثم عزله0 الزركلي , الأعلام , ج5 , ص111 0

(67) الطبري , تاريخ , ج7 , ص129 0

(68) ابن كثير , البداية والنهاية , ج10 , ص268 0

(69) هدارة , المأمون الخليفة العالم , ص68-69 0

(70) ابن الجوزي , المنتظم , ج11 , ص3 0

(71) الصفدي , الوافي بالوفيات , ج24 , ص33 ؛ ابن خلكان , وفيات الأعيان , ج4 , ص44 0

(72) الذهبي , تاريخ الإسلام , ج14 , ص11 0

(73) الصدوق , عيون أخبار الرضا ع , ج2 , ص275 ؛ ابن شهر آشوب , مناقب آل أبي طالب , ج3 , ص480 0

(74) تاريخ اليعقوبي , ج2 ,ص453 0

(75) ابو الفدا , المختصر , ج2 , ص23 ؛ الذهبي , تاريخ الإسلام , ج13 , ص14 0

(76) بن خلكان , وفيات الأعيان , ج2 , ص521-522 0

(77) الذهبي , تاريخ الإسلام , ج14 , ص 123 0

*الزط : قوم من الهند وقيل من السند , نزحوا من بلادهم بسبب ما أصابها من غلاء , وتنفلوا بين بلاد فارس والاهواز حتى نزلوا البطائح , وقيل إن الذي حملهم اليها محمد بن القاسم 0 البلاذري , فتوح البلدان , ج1 , ص192 ؛ المسعودي , التنبيه و الإشراف , ص307 0

(78) ابن الجوزي , المنتظم , ج10 , ص266 0

(79) رفاعي , عصر المأمون , ص277 0

(80) ابن الجوزي , المنتظم , ج10 , ص266 0

(81) ابن كثير , البداية و النهاية , ج10 , ص282 0

(82) رفاعي , عصر المأمون , ص277 0

* ألأفشين: واسمه خيذر بن كاوس من قواد المأمون والمعتصم وجهه لحرب بابك الخرمي فقبض عليه وحمله إلى المعتصم فقتله وصلبه ثم علم المعتصم زندقة الأفشين فقتله وصلبه على خشبة بابك 0 الأمين , أعيان الشيعة , ج4 , ص400 ؛ الزركلي , الأعلام , ج5 , ص109 0

(83) رفاعي , عصر المأمون , ص280 0

(84) الدينوري , الاخبار الطوال , ص396-400 0

(85) الطبري , تاريخ الطبري , ج6 , ص465 0

(86) ابن خلدون , تاريخ ابن خلدون , ج6 , ص221 0

(87) البغدادي , الملل و النحل , ص7 0

(88) البغدادي , الملل و النحل , ص71 0

(89) الاصفهاني , مقاتل الطالبيين , ص348-352 0

(90) النعماني , شرح الاخبار , ج3 , 335 0

(91) الذهبي , سير أعلام النبلاء , ج10 , ص283 0

(92) الطبري , تاريخ الطبري , ج7 , ص189 0

(93) الكوفي , الفتوح , ج8 , ص428-429 0

* بابك الخرمي: قيل يرجع نسبه إلى مطهر بن فاطمة بنت أبي مسلم الخراساني0 الدينوري , الأخبار الطوال , ص402 0

* البذ : أحدى مدن أذربيجان 0 الحموي , معجم البلدان , ج1 , ص152 0

(94) ابن الأثير , الكامل , ج6 , ص328 0

(95) هداره , المأمون الخليفة العالم , ص84 0

(96) ابن كثير , البداية و النهاية , ج10 , ص274 0

(97) الطبري , تاريخ الطبري , ج7 , ص174 0

(98) اليعقوبي , تاريخ اليعقوبي , ج2 , ص463 0

(99) ينظر: ابن خلدون , تاريخ ابن خلدون , ج3 , ص254-255 0

(100) هداره , المأمون الخليفة العالم , ص84 0

* مازيار بن قارن:متمرد في طبرستان ,تم قتله في زمن المعتصم. ينظر: ابن خلدون ,تاريخ ابن خلدون ,ج3 , ص265 0

(101) الطبري , تاريخ الطبري , ج7 , ص140-141 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج22 , ص203 0

(102) الطبري , تاريخ الطبري , ج7 , ص141 0

(103) هداره , المأمون الخليفة العالم , ص90 0

(104) ابن كثير , البداية و النهاية , ج10 , ص287 0

(105) هداره , المأمون الخليفة العالم , ص84 0

(106) الطبري , تاريخ الطبري , ج7 , ص190 0

(107) الكوفي , الفتوح , ج8 , ص431 0

(108) الطبري , تاريخ الطبري , ج7 , ص191 0

* هرقلة: بكسر الهاء وفتح الراء المهملة وسكون القاف وفتح اللام ثم هاء في الآخر , وموقعها في الإقليم السابع من الأقاليم السبعة , وهي في شرقيّ نهر ينزل من جبل العلايا إلى نحو سنوب وهرقلة عليه في قرب البحر وهي التي هدمها الرشيد . القلقشندي , صبح الأعشى , ج5 , ص333 0

* كيسوم: مدينة كبيرة وقديمة شمال حلب على طريق الروم , وهي التي تحصن بها نصر بن شبث أيام خلافه مع المأمون . ينظر: ابن العديم , بغية الطلب , ج1 , ص265 ؛ النويري , نهاية الأرب , ج22 , ص190 0

(109) ابن الأثير , الكامل , ج6 , ص419 ؛ ابن كثير , البداية و النهاية , ج10 , ص295-296 0

(110) الكوفي , الفتوح , ج8 , ص432 0

(111) ابن كثير , البداية و النهاية , ج10 , ص297 0

(112) الكوفي , الفتوح , ج8 , ص433 0

قائمة المصادر والمراجع

أولاً- المصادر الأولية

* ابن الأثير: ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الواحد (ت 630هـ/ 1232م)

1- الكامل في التاريخ , تحقيق عمر عبد السلام تدمري , دار الكتاب العربي , (بيروت- 1997م) 0

* الأصفهاني : أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت 356هـ/ 966م)

2- مقاتل الطالبيين , تقديم كاظم المظفر , دار الكتاب , (قم- 1965م) 0

* البغدادي: أبي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت 429هـ/ 1038م)

3- الملل و النحل , تحقيق البير نصري نادر , دار المشرق , (بيروت – 1970م) 0

* البلاذري: أحمد بن يحي بن جابر(ت 279هـ/ 893م)0

4- فتوح البلدان , تحقيق صلاح الدين المنجد , مكتبة النهضة المصرية (القاهرة-1956م)

* ابن تغري بردي: جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت- 874هـ/ 1470م)

5- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة , المؤسسة المصرية العامة , (القاهرة – د ت)

* ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت 597هـ/ 1200م)

6- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبدالقادرعطا,دار الكتب العلمية,(بيروت- 1992م)

* ابن حبيب البغدادي محمد بن حبيب (ت 245هـ/ 861م)

7- المحبر , مطبعة الدائرة , (د م- 1361هـ)

* الحموي: شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت 626هـ/ 1229م)

8- معجم البلدان, ط2 , دار صادر , (بيروت- 1995م) 0

* الحميري: محمد بن عبد المنعم (ت 900هـ/ 1494م)

9- الروض المعطار في خبر الأقطار , تحقيق إحسان عباس , ط2 , مكتبة لبنان , (بيروت-1984م) 0

* ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ/ 1405م)

10- تاريخ ابن حلدون (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر) , ط2 , تحقيق خليل شحادة , دار الفكر , (بيروت- 1988م) 0

* الخطيب البغدادي: أبي بكر أحمد بن علي (ت 463هـ/ 1070م)

11- تاريخ بغداد , تحقيق , مصطفى عبد القادر عطا , دار الكتب العلمية , (بيروت – 1997م)

* ابن خلكان: شمس الدين احمد بن محمد بن أبي بكر (ت 681هـ/ 1283م)

12- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان , تحقيق احسان عباس , دار الثقافة , (بيروت – د ت) 0

* الدينوري : أبو حنيفة أحمد بن داود (ت 282هـ/ 900م)

13- الأخبار الطوال , تحقيق , عبد المنعم عامر , دار إحياء الكتب العربي , (القاهرة- 1960م) 0

* الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد (ت 748هـ/ 1348م)

14- تاريخ الأسلام ووفيات المشاهير والأعلام, تحقيق عمر عبد السلام التدمري, ط3, دار الكتاب العربي , (بيروت-1993م)

15- سير أعلام النبلاء , تحقيق علي ابو زيد , ط9 , مؤسسة الرسالة , (بيروت – 1993م)

* الزمخشري: ابي القاسم محمود بن عمر (ت 538هـ/ 1144م)

16- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار , تحقيق عبد الأمير مهنا , مؤسسة الأعلمي للمطبوعات , (بيروت-1922م) 0

* السبكي: تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت 771هـ/ 1370م)

17- طبقات الشافعية الكبرى ,تحقيق محمود الطناحي ,عبد الفتاح محمد الحلو, دار إحياء الكتب العربية ,(القاهرة- د ت)0

* السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ/ 1506م)

18- تاريخ الخلفاء , تحقيق لجنة من الأدباء , مطابع معتوق اخوان ,(بيروت- د ت) 0

* الصفدي: صلاح الدين بن ايبك (ت764هـ/ 1363م)

19- الوافي بالوفيات , تحقيق احمد الارناؤوط , تركي مصطفى , دار احياء التراث , (بيروت – 2000م) 0

* ابن شبه: أبو زيد عمر بن شبه النميري (ت 262هـ/ 867م)

20- تاريخ المدينة المنورة , دار الفكر , (قم 1410هـ)

* ابن شهر اشوب: محمد بن علي المازندراني (ت 588هـ/ 1193م)

21- مناقب ال أبي طالب , تصحيح لجنة من الاساتذة , المكتبة الحيدرية ,(النجف – 1956م) 0

* الطبري: محمد بن جرير (ت 310هـ/ 922م)

22- تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك) , ط2 , دار التراث , (بيروت- 1387هـ) 0

* ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن (ت 571هـ/ 1176م)

23- تاريخ دمشق , تحقيق عمرو بن غرامة , دار الفكر , (د م – 1995م) 0

* ابن العديم: الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت 660هـ)

24- بغية الطلب في تاريخ حلب , تحقيق سهيل زكار , مؤسسة البلاغ ,(بيروت- 1988م)

* ابو الفدا: الملك عماد الدين اسماعيل (ت 732هـ/ 1332م)

25- المختصر في أخبار البشر , دار المعرفة , (بيروت- د ت) 0

* أبن قتيبة الدينوري: أبي محمد عبد الله بن مسلم (ت 276هـ/ 889م)

26- المعارف , تحقيق ثروت عكاشة , ط2 , دار المعارف , (القاهرة- 1969م) 0

* القلقشندي: احمد بن علي (ت 821هـ/ 1419م)

27- صبح الأعشى في صناعة الإنشا , محمد حسين شمس الدين ,:دار الكتب العلمية , (بيروت – د ت) 0

* القيرواني: إبراهيم بن علي الحصري (ت 453هـ/ 1062م)

28- زهرة الأداب وثمرة الألباب , تحقيق زكي مبارك , ط4 , دار الجيل , (بيروت -1972م) 0

* أبن كثير: ابو الفداء اسماعيل بن عمر (ت 774هـ/ 1372م)

29- البداية والنهاية , تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي , دار هجر , (د م – 1997م) 0

* الكوفي: ابي محمد أحمد بن أعثم (ت 314 هـ / 926 م)

30- الفتوح , تحقيق علي شيري , دار الأضواء , (بيروت- 1991م) 0

* المسعودي: ابي الحسن علي بن الحسين بن علي (ت 346هـ/ 957م)

31- التنبيه و الإشراف , دار صعب ,(بيروت- د ت) 0

32- مروج الذهب ومعادن الجوهر , ضبط يوسف احمد داغر, ط2 , دار الهجرة , (قم-1984م) 0

* مسكويه: أبو علي أحمد بن محمد (ت 421هـ/ 1039م)

33- تجارب الأمم وتعاقب الهمم , تحقيق أبو القاسم امامي , ط2 , سروش , (طهران- 2000م) 0

* النعماني: القاضي أبي حنيفة النعمان بن احمد التميمي (ت 363هـ/ 974م)

34- شرح الاخبار في فضائل الأئمة الاطهار , تحقيق محمد الحسيني , ط2 , مؤسسة النشر الاسلامي , (قم -1414هـ) 0

* النويري: شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ/ 1333م)

35- نهاية الأرب في فنون الأدب , المؤسسة المصرية العامة , (القاهرة- د ت) 0

* اليعقوبي: احمد بن اسحاق (ت بعد 292هـ/ 905م)

36- تاريخ اليعقوبي , تحقيق خليل المنصور , دار الزهراء , (قم – 1429هـ) 0

ثانياً- المراجع

* الأمين: السيد محسن

37- أعيان الشيعة , تحقيق حسن الأمين , دار التعارف , (بيروت – د ت) 0

* الجبوري: ناظم فرج عباس أجدع

38- الخليفة المأمون أديباً , رسالة ماجستير , جامعة تكريت ,كلية التربية , 2005م 0

* رفاعي: احمد فريد , ط3 , دار الكتب المصرية , (القاهرة- 1928م) 0

39- عصر المأمون

* الزركلي: خير الدين بن محمود

39- الاعلام , ط15 , دار العلم للملايين , (بيروت- 2002م) 0

* هداره: محمد مصطفى

40- المأمون الخليفة العالم , الدار المصرية للتاليف و الترجمة , (الاسكندرية- 1966م) 0

اقتصاد التمور وعالمية البصرة (1869–1917): التحولات الزراعية بين التنظيمات العثمانية والنفوذ البريطاني

م.م اريج عبد الكريم محمد العامري

areej.a@uokerbala.edu.iq

جامعة كربلاء/ كلية العلوم السياحية

الملخص

يتناول هذا البحث بعنوان اقتصاد التمور وعالمية البصرة (1869 -1917) : التحولات الزراعية بين التنظيمات العثمانية والنفوذ البريطاني، اثر التنظيمات العثمانية على الإنتاج الزراعي في البصرة وخاصة انتاج التمور فضلا عن معرفة مظاهر التغلغل الاستعماري ودوافعه الذي شهده اقتصاد ولاية البصرة خلال مرحلة انتقالية حاسمة من تاريخ العراق الحديث (1869–1917م) إذ يسعى إلى كشف كيف تضافرت التنظيمات العثمانية ونفوذ البريطانية لتتحول البصرة من ولاية زراعية تعتمد على الإنتاج المعيشي وإدارة القبائل، إلى عقدة اقتصادية عالمية ومركز رئيسي لتصدير التمور للأسواق الدولية.

يقسم البحث الى مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة يدرس المبحث الأول: أثر التنظيمات العثمانية على الواقع الزراعي في البصرة، ويتناول المبحث الثاني: البصرة في قلب الصراع الاستعماري: التنافس على الطرق نقل وموانئ

التصدير، ويبين المبحث الثالث: البنية التحتية للري وأثرها في التوسع الزراعي والانتعاش التجاري واخير يوضح المبحث الرابع: ازدهار تجارة التمور في اوخر العهد العثماني.

Abstract

This research, entitled "The Date Economy and the Globalization of Basra (1869-1917): Agricultural Transformations Between Ottoman Reforms and British Influence," examines the impact of Ottoman reforms on agricultural production in Basra, particularly date production. It also explores the manifestations and motivations of colonial penetration that shaped the economy of Basra province during a crucial transitional period in modern Iraqi history (1869-1917). The research seeks to reveal how Ottoman reforms and British influence combined to transform Basra from an agricultural province reliant on subsistence farming and tribal administration into a global economic hub and a major center for exporting dates to international markets.

The research is divided into an introduction, four sections, and a conclusion. The first section examines the impact of Ottoman reforms on the agricultural landscape in Basra. The second section explores Basra at

the heart of the colonial struggle: competition over transport routes and export ports. The third section details the irrigation infrastructure and its impact on agricultural expansion and commercial growth. Finally, the fourth section highlights the flourishing of the date .trade in the late Ottoman period

الكلمات المفتاحية

التنظيمات العثمانية، مدحت باشا، قناة السويس، الري، كبس التمور

Keywords: Ottoman reforms, Midhat Pasha, Suez Canal, irrigation, date pressing

مقدمة البحث

شهدت ولاية البصرة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين تحولات هيكلية عميقة نقلتها من مجرد منطقة عشائرية كثيرة النزاعات مع السلطات الحاكمة تعتمد على الاكتفاء الذاتي إلى مركز تجاري وملاحي عالمي ترتبط بشرايين الاقتصاد التجارة الدولية. نتجت عن احداث سياسية واقتصادية عالمية شهدتها المنطقة واثرت على اقتصاد البصرة.

تتجلى أهمية الدراسة في تتبع احداث انطلاق عصر التنظيمات العثمانية وسعي الدولة المركزية لإعادة بناء سلطتها في الولايات النائية، شكّل صدور قانون الأراضي (1858م) وقانون الطابو (1859م)، ولا سيما خلال ولاية "مدحت باشا" (1869–1872م)، المحطة المفصلية الأولى. أتاح تثبيت الملكيات العقارية وتفويض الأراضي

الأميرية حافزاً قانونياً واستثمارياً غير مسبوق لشيوخ العشائر والأعيان لضخ رؤوس الأموال وتحويل الأراضي البور إلى بساتين نخيل كثيفة فضلا عن إصلاحات مدحت باشا في جانب النقل النهري واحياء مناطق النائية وجهوده في تحسين وسائل الري.

تقاطع هذا الازدهار الزراعي مع المصالح البريطانية والقوى الأجنبية؛ فمع افتتاح قناة السويس (1869م) ودخول الملاحة البخارية عبر الشركات العابرة للبحار (مثل شركة لنتش وشركة غراي ماكنزي)، تحولت البصرة إلى ساحة صراع واستثمار تجاري نُشِطت الوكالات التجارية، وتأسست الفروع المصرفية (كالبنك الشرقي والبنك الشاهي)، وأدخلت أدوات التعبئة الحديثة (المكابس) لتهيئة التمور للتصدير نحو أسواق لندن ونيويورك ومومباي.

تكمن مشكلة البحث في الإجابة عن السؤال المحوري: كيف أثرت التفاعلات المتبادلة بين التنظيمات العثمانية، والتوسع البريطاني في إعادة تشكيل البنية والاقتصادية للبصرة، وتحويل "التمر" من محصول زراعي محلي إلى سلعة استراتيجية عالمية بين عامي 1869 و1921م؟

تمهيد

تعد ولاية البصرة ذات موقع استراتيجي مميز، حيث انها تقع على شط العرب، المنفذ الوحيد للعراق، من خط ٤٥-٤٧ شرقا، ومن دائرة عرض ٢٥ الى دائرة عرض١٠ شمال خط الاستواء(١)، وتبعد البصرة عن بغداد باتجاه الجنوب الشرقي مسافة (282) ميلا والخليج العربي جنوبا، وصحراء بادية الشام غربا وبلاد فارس (ايران) من جهة الشرق، تقع مدينة البصرة ضمن تضاريس جغرافية كتلك التي يتكون منها العراق، اذ تتكون ارض من سهول رسوبية مستوية تخترقها وديان وانهار عريضة (مره، 1996، صفحة 31).

وصف الرحالة الأوربيين مدينة البصرة في القرن الثامن عشر كونها مدينة جميلة لاسيما مكان التقاء نهري دجلة والفرات والقرنة وشط العرب، و اغلبهم وصف جوها الحار والرطب، يكمن جمالها في بساتينها، انهارها، غابات النخيل، اسوارها، مصبها في الخليج العربي، وميناءها، ان موقع البصرة كان سبباً لتصبح ذات موقع تجاري مهم لوجود الميناء وتوافد الكثير من التجار لان التجار يستطيعون هنا شراء منتجات معظم أجزاء الهند وبلاد فارس وشبه الجزيرة العربية؛ اذ تقوم سفن تلك البلاد بنقل حمولاتها الثمينة من منشأها، او من مصانعها، الى هذا الميناء ونتيجة لهذه المزايا يتوافد الى هنا الكثير من التجار الأرمن واليهود، فضلاً عن الاتراك والمسيحيين، مواطنين وأجانب (التميمي، 2020، صفحة 152).

يُعدّ الموقع الجغرافي أحد أهم العوامل الذي أكسب مدينة البصرة أهمية عسكرية واقتصادية إن موقع البصرة على الخليج العربي وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من الممتلكات العثمانية جعلها تشرف على الخليج العربي، كما أن موقعها على الطرف الشمالي من الخليج العربي جعلها نقطة التقاء بين البحر والسهل الخصيب والصحراء إن موقع البصرة على الخليج العربي الذي يُعدّ المنفذ الوحيد للعراق (الدراجي، 2026، صفحة 624).

المبحث الأول: اثر التنظيمات العثمانية على الواقع الزراعي في البصرة

تراجعت القوة العثمانية في مطلع القرن التاسع عشر تحت أثر الأزمات الداخلية والتفوق الأوروبي، مما دفع السلاطين لإطلاق حركة إصلاحية شاملة عُرِفت بعصر التنظيمات، استهدفت التحديث الشامل وتطبيق الأنظمة الأوروبية عبر مرسومي "خط شريف كولخانه" (1839م) و"خط همايون" (1856م) للحفاظ على تماسك الدولة والحد من التدخلات الأجنبية، شكلت التنظيمات العثمانية وما تلاها من إصلاحات تحولاً هيكلياً ومحورياً في تاريخ البصرة

الاقتصادي حيث نقلت الإقليم من نمط الزراعة المعيشية واللامركزية العشائرية إلى مرحلة الإنتاج التجاري المرتبط بالأسواق العالمية.

أصدرت الدولة العثمانية نظام تأسيس مجلس التجارة والزراعة في كل ولاية سنة ١٨٧٥، حيث أختص بالزراعة هو تنشيط عملية الزراعة وإصلاح البذور وعلاج الأمراض النباتية وتكثير الأصناف الجيدة من المحاصيل وبيان الصادرات والواردات من المحاصيل الزراعية في الولاية، وتم تأسيس غرفة للزراعة في كل من مراكز الولاية والسناجق والأقضية سنة ١٨٧٩ للعمل على تطوير الزراعة،. مما يعكس الرؤية الحديثة للسلطان عبد الحميد الثاني في تطوير التجارة والزراعة. (العاني، 2021، صفحة 193)

تأسست اول غرفة تجارة للبصرة سنة ١٩٠٥م وكان مسؤولها محمود بن علي كاظم بك الدي جلب بذور القطن اول من زرعه الشيخ عبدالواحد باش اعيان في مزرعته بالصالحية كما جلب – محلجة – لحلج القطن وتنظيفه من الجذور كما زرع الخروع وجلب معصرة لاستخراج دهنه فضلا عن استحضار مكابس للتمور، انتشرت صناعة الحرير وباتت تحاك منها لملابس والافرشة لتصديرها الى الخارج (البازي، 1389 هـ، صفحة 37).

تأسيس البنك الزراعي العثماني عام١٨٨٨ لإقراض المزارعين وانشاء صندوق تسليف الفلاحين (صندوق الأمنية) في عام ١٨٦٨ يقضي بقبول الإيداعات المالية للأفراد مقابل منحهم فائدة سنوية مقدارها ٩٪، شمل التجار في هذا الصندوق ولكن اجري تعديل وأوجبت حصر تسليف الأموال من قبل صناديق الأمنية بالفلاحين والمزارعين، ان نمو الزراعة وفائض الإنتاج الزراعي أدى الى النمو التجاري خلال تلك الحقبة إلى تأسيس مصارف في العراق، أسهمت في زيادة التعامل النقدي (عبد الرزاق، 2018، صفحة 130)

كانت الزراعة ضمن إهتمام الحكومة العثمانية لأنها كانت المهنة الرئيسة للدولة. أجريت إصلاحات تهدف الى تنظيم الأراضي الزراعية وعائدتيها والتخلص من الفوضى التي كانت قائمة في مجال ملكية الأراضي الزراعية، وتشجيع الأهالي على الإستقرار في الأرض وتسجيلها بأسمائهم، وإيجاد أساس للإصلاح فضلاً عن تحقيق ايرادات مالية لخزينة الدولة العثمانية وتحقيق توسع في مساحة الأراضي الزراعية بعد استصلاح الأراضي المتروكة والموات على وفق شروط حددها قانون الأراضي، لأن الزراعة كانت تشكل عماد الإقتصاد العثماني، وأن الأرض هي الماكنة الرسمية التي لابد من أن تنتج (عبد علي، 2026، صفحة 384).

شهدت الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد المجيد الأول تحولات إصلاحية جوهرية استهدفت إعادة هيكلة البنية الاقتصاديّة والسياسيّة للبلاد. وقد تجلى هذا المسار الإصلاحي في إصدار "قانون الأراضي" عام 1858م، وبعد سنة صدر قانون أخرى ينظم ملكية الأراضي الزراعية سمي بـ "قانون الطابو" عام 1859م، الذي يتكون من ثلاث وثلاثين مادة وملحقين ينظمون آليات حصر الأراضي وتسجيلها ببدل إيجار تحت رقابة بيت المال (الشلق، 2002، ص 211).

طبق قانون الطابو وتأسست بموجب هذه القوانين، دائرة الدفتر الخاقاني في إسطنبول مهمة تسجيل العقارات والأراضي الزراعية واستخراج وثائق التملك الرسمية المعروفة بـ سندات الطابو للمتصرفين واستيفاء الرسوم المترتبة عليها (النجار، د.ت، ص 411). وكانت هذه التنظيمات بمثابة الضربة القاضية للأنظمة الإقطاعية التقليدية القديمة كالإقطاع العسكري والزعامات والتيمارات والخاصات ونظام الالتزام حيث حلت محلها سلطة إدارية مركزية عملت على إعادة تنظيم الولايات وفق نموذج محكم ومباشر (أنيس، د.ت، ص 219).

وكان السلطان عبدالحميد الثاني من أكبر ملاكي الطابو في العراق. وفي ولاية البصرة على طول شط العرب، وقدرت تلك الاراضي جميعها حوالي ثلث أراضي العراق الخصبة (١٧) وبذلك شغل السلطان عبدالحميد الثاني مكاناً خاصاً بين كبار الملاكين الذين وسعوا ممتلكاتهم من الأراضي في الولايات العربية في نهاية القرن التاسع عشر (عبد علي، 2026، صفحة 484).

اكتسب هذا التوجه المركزي والإصلاحي تفيذا حازما في العراق مع تولّي الوالي الإصلاحي مدحت باشا (1869–1872م) إدارة ولاية بغداد، وهو الذي مُنح الجمع بين السلطتين المدنية والعسكرية بموجب فرمان تعيينه (نوار، 1968، ص 118). استهدف مدحت باشا تحقيق غايتين رئيسيتين: زيادة الثروة الاقتصادية للولاية عبر النهوض بالزراعة والتجارة لتحسين معيشة السكان، واستتباب الأمن وتطبيق القوانين المنظمة للجش والتجارة الخارجية (نوار، 1968، ص 118). وفي سبيل تحقيق ذلك، شرع في تطبيق "قانون الولايات العثمانية لسنة 1864م"، ليعرف العراق لأول مرة في عصره الحديث تنظيماً هرمياً مرتبطاً بمركزية إدارية في بغداد تبدأ من النواحي فالأقضية والسناجق، مدمجاً ولاية البصرة مع ولاية بغداد (عبد الرزاق، 2018، ص 127).

تتمثل في الواقع القبلي في البصرة العقبة الكبرى أمام بسط السلطة المركزية فكان سكن جنوب العراق مقسماً بين قبائل مستقرة تمارس الزراعة تحت سلطة شيوخ إقطاعيين، وقبائل بدوية تعتاش على الغزو وسلب القوافل، مما زعزع استقرار المدن وأضعف سيطرة الدولة على مناطق حيوية كالبصرة (القيسي، 1961، ص 120). ومن هنا، أدرك مدحت باشا أن حسم مشكلة القبائل وإحلال الولاء للدولة بدلاً من الولاء القبلي لن يتأتى بالمواجهات العسكرية فحسب، بل يتطلب حلاً جذرياً لملكية الأراضي الزراعية التي كانت نسبة 80% منها أراضٍ حكومية (أميرية) (القيسي، 1961، ص 120).

ولتطبيق هذه الرؤية، أنشأ مدحت باشا دائرة الطابو في بغداد وشكّل لجنة لتسوية الأراضي ركزت أعمالها على منطقة الفرات الأوسط وولاية البصرة (النجار، د.ت، ص 411). وعمدت الحكومة إلى تفويض وإعادة بيع مساحات شاسعة من الأراضي الأميرية لشاغليها لقاء بدل مالي مقسط، أو طرحها في المزاد العلني (النجار، د.ت، ص 411)، إضافة إلى تفويض أراضي العشائر ببدل زهيد ومحتسب حسب الدونم (محمد، 2022، ص 135). ولتحفيز الإنتاج واستصلاح الأراضي، فُرِض رسم قدره 30 قرشاً سنوياً لكل دونم مغروس، بينما أُخِذ نظام "العُشر" من الأراضي غير المغروسة، وتُوجت هذه الإجراءات بإعفاء الأراضي المغروسة حديثاً من الرسوم لمدة ست سنوات كاملة لرفد مشاريع الري والزراعة (محمد، 2022، ص 135)، اما الإصلاحات في مجال الضرائب تم إلغاء أية ضريبة لم ينص عليها فى القانون، وخاصة تلك الضرائب التى كان يجمعها شيوخ العشائر القوية، وألغى الرسوم المفروضة على الخيول والأغنام، وقرر إلغاء فرض الضرائب على التمور وفق طريقة التخمين فى تقدير الضريبة وعالج المشكلة حسب ظروف وامكانية كل منطقة ففي البصرة فرض على كل دونم ١٥ قرشاً سنوياً مزروعة نخيل وأصبحت المساحة تؤجر كلها دفعة واحدة، ولذلك كان من مصلحة الزراع أن يغرسوا الأرض البور فضلا عن تقليل الضرائب على زراع بساتين النخيل لتشجيع لناس على غرسها (نوار، 1968، صفحة 378).

أحدث تطبيق نظام الطابو تحولات اجتماعية واقتصادية مزدوجة الأثر، فقد نجح النظام في إلغاء الملكية الجماعية القبليّة ونقل العشائر والبدو إلى تجمعات مستقرة خاضعة لسلطة الدولة، محوّلاً الفرد إلى مسؤول مباشر أمام الحكومة دون وساطة شيخ القبيلة (كاظم، 2020، ص 411)، وفي المحصلة النهائية، حققت السلطة العثمانية أهدافها البعيدة المدى المتمثلة في سهولة فرض الضرائب وتطبيق التجنيد الإجباري على الساكنين المستقرين (كاظم، 2020، ص 413).

وبذلك، لم تكن التنظيمات العثمانية مجرد مجالس وإصلاحات إدارية، بل كانت المحرك الأساسي الذي جمّد النمط العشائري القديم وحوّل بساتين البصرة وشط العرب إلى رئة اقتصادية عالمية.

المبحث الثاني /البصرة في قلب الصراع الاستعماري: التنافس على الطرق نقل وموانئ التصدير

شَهدت منطقة الخليج العربي وتحديدا مدينة البصرة صراعا استعماريا، دامية بين الدول المتنافسة، فكان الصراع البرتغالي، ثمَّ الصِدام البريطاني الهولندي، وانتهت الأمور أخيرًا لصالح السيادة البريطانية في الخليج، ففي أواخر القرن الثامن عشر أصبحت لبريطانيا العظمى السيادة تجاريًا وسياسيًا (الفتلاوي، 2024).

يعد موقع البصرة الإستراتيجي بين الشرق والغرب، كان عاملا جوهريًا وأساسيًا في توجيه انتباه الدول الاستعمارية وتحديد مسارات تغلغلهم ونفوذهم فيه، اذ يعدون موقع العراق قلب الشرق الأوسط، وخطورة موقعه هذا تُفُسِّر جوانب من صراعهِ الطويل مع قوىً أجنبيةٍ عديدة (الفتلاوي، 2024، صفحة 250)، ازدادت أهمية البصرة التجارية وأصبح الأجانب يسكنوها ليعملوا فيها كما ان اهالي البصرة في اواخر العهد العثماني ازدهرت الاعمال الزراعية والتجارية بفضل الإصلاحات العثمانية، فجدوا أهالي البصرة في العمل فكانت معامل الثلج والطحن والهبش والحلج والحياكة والمبردات (البازي، 1389 هـ، صفحة 36).

إن موقع البصرة على الخليج العربي الذي يُعدّ المنفذ الوحيد للعراق والذي حصلت منه بلاد وادي الرافدين على ما تحتاجه من مواد أولية أدى إلى تنافس الدول الأوربية للسيطرة على تجارة البصرة، خاصة البرتغاليين الذين اتخذوا من جزيرة هرمز الواقعة عند مدخل الخليج العربي، والتي سيطروا عليها عام 1515 مركزاً لنشاطهم التجاري عام 1534 تمكن السلطان العثماني سليمان القانوني (1520–1566) من السيطرة على بغداد، غير أن النفوذ العثماني لم يمتد إلى البصرة بالرغم من دعم أمرائها العرب للعثمانيين، وفي عام 1546 فُرض النفوذ العثماني على

البصرة والذي جاء تماشياً مع استراتيجية عثمانية استهدفت تقويض الوجود البرتغالي في الخليج العربي (الدراجي، 2026، صفحة 624)

بدأت تجارة البصرة بالانتظام حتى دخلت هولندا المجال التجاري في خليج البصرة وارسلت قائد بحريتها ١٧٠٥ م الى أمير البصرة مغامس بن مانع ليوقع معاهدة تجارية وان يؤسس فرع للشركة الهولندية بالبصرة وهكذا صارت السفن والتجارة الهولندية تصل الى أرض البصرة بعد موافقة مغامس بن مانع فكانت الحاصلات البصرية تنقل الى انحاء العالم بواسطة الشركة الهولندية التي اخذت تشتري المحصولات العراقية (البازي، 1389 هـ، صفحة 33).

كان الأسطول الإسباني البرتغالي حتَّى القرن السادس عشر هو المتحكم في البحار والمُحيطات، لكن البحرية البريطانية استطاعت أن تكسر قوة ذلك الأسطول في عام ١٥٨٨م، عندما انتصرت في معركة على الأرمادا الإسبانية، وبذلك أصبحت الطُّرق البحرية إلى المُحيط الهندي مفتوحةً أمام السفن البريطانية، إذ أسَّست شركة الهند الشرقية البريطانية في عام ١٦٠٠م، وبعد أنْ تمَّ طرد البرتغاليين من هرمز في العام ١٦٢٢م، (الفتلاوي، 2024)

تركزت المصالح البريطانية الاقتصادية في البصرة على كثرة الخيرات التي يتمتع بها العراق متمثلة بوجود نهري دجلة والفرات فضلاً عن المساحات الزراعية الشاسعة ذات الإنتاج الزراعي العالي، والموقع الاستراتيجي الذي يحتله العراق كونه يمثل حلقة الوصل لطرق المواصلات بالنسبة لبريطانيا ومستعمراتها في الهند (السويدي، 2016، صفحة 195).

كانت اول محاولة للتجارة البريطانية مع ميناء البصرة فكانت في عام١٦٣٩ حينما حصلت شركة نقل البضائع البريطانية على اذن بانزال تجارتها في ميناء البصرة، وفي عام ١٦٤٤ اصبحت مدينة البصرة احد المراكز التجارية البريطانية في الخليج العربي وفي عام ١٧٦٤ حصلت بريطانيا على امتياز جديد بموافقة الباب العالي على

تأسيس مركز دبلوماسي – تجاري لها في البصرة باسم وكيل مما عزز نفوذ الشركة الاقتصادي والتجاري ، كما مهد السبيل لنفوذ بريطانيا السياسي في المنطقة (قزانجي، 1989، صفحة 43)، انفتح الخليج العربي أمام السفن الإنكليزية الذاهبة إلى البصرة، وبذلك أصبحت البصرة واحدةً من أهمّ مراكز التبادل التجاري مع شركة الهند الشرقية ونظرًا لاتساع نطاق العلاقات السياسية والاقتصادية بين بريطانيا والدولة العثمانية، فقد دارت مفاوضاتٌ بين الدولتين، انتهت بعقد معاهدة ١٦٧٥م التي وضعت أُسس امتيازات المصالح البريطانية في العراق وتوطيدها بصفة عامة وفي نهري دجلة والفرات بصفة خاصة، فقد تضمَّنت معاهدة عام ١٦٧٥ م امتيازاتٍ عدَّة فيما يخص المِلاحة النهرية (الفتلاوي، 2024)

ظهرت مصالح بريطانيا الاقتصادية في منطقة الخليج العربي مع تأسيس شركة الهند الشرقية في بداية القرن السابع عشر الميلادي، الأمر الذي جعلها تبني العلاقات المتينة مع القوى المتنفذة في منطقة الخليج لتامين سلامة الطرق التجارية هناك أولا، وبناء مراكز تجارية لها ثانيا، وحاولت الشركة المتاجرة مع مدينة البصرة لتجنب المنافسة التجارية الهولندية، حيث توصلت بريطانيا إلى عقد معاهدة مع السلطان العثماني (أحمد الثالث ١٧٠٣-١٧٣٠م) ، سمح بموجبها بممارسة التجارة البريطانية المارة عبر البصرة والإرجاء الواقعة تحت السيطرة العثمانية كافة، وحددت نسبة الرسوم الكمر كية بـ ٣% على الواردات البريطانية، وكان لهذه الشركة مقر دائم في البصرة منذ عام ١٧٢٣م، يشرف عليها مقيم تابع لوكيل الشركة في بندر عباس، واستطاعت حكومة بريطانيا في بومبي أن تتشئ لها قنصلية في البصرة عام ١٧٦٤م، وتلقى (البياتي، 2012، صفحة 418)

وفي عام ١٨٦٠ تأسست شركة ستيفن لنج واخوانه وقامت بتسيير باخرتين بمساعي من المنقّب البريطاني لسر هنري لايارد للوصول عبر نهر دجلة حتى مدينة الموصل وذلك في عام١٨٦٢ وقد اعترض والي بغداد نامق باشا،

بعد ذلك بسنتين، على تحركات السفينتين، وكانت اول سفينتين استخدمتهما شركة لنج هما (لندن)و (دجلة) الا ان الباخرة دجلة غرقت بعد عاصفة شديدة سنة ١٨٧٦ واستعيض عنها بعد مرور سنتين بالباخرة المسماة (بلوس لنج) وهي سفينة قوية وكبيرة ذات مدخنتين. ثم اضيفت اليهما باخرة ثالثة وهى المسماة (خليفة). (قزانجي، 1989، صفحة 44)

اقتراح نامق باشا بعد موافقة الباب العالي على بتأسيس ادارة نقل ملاحية تابعة للدولة العثمانية. لذلك فقد اشترت الدولة العثمانية لغرض تكوين إدارة ملاحية لها باسم (الحميدية) ثلاث بواخر من بلجيكا في عام ١٨٦٨، ونقلت بمساعدة البحرية العثمانية الى شط العرب، وفي عام ١٨٦٩ اتنظمت مسيرة البواخر العثمانية واقترح الوالي مدحت باشا ايجاد تعاون لتنظيم الخطوط الملاحية في نهري دجلة والفرات بين الخط الحميدي وخط شركة لنج وذلك لتأمين المواصلات المستمرة بين جنوب العراق، وقد سيطرت بريطانيا تجاريا على ميناء البصرة وشط العرب فقد بلغ مجموع البضائع الواردة الى البصرة خلال عام ١٨٩٥ خمسة وثلاثين نوعا من البضائع تتضمن الاقمشة واكياس الجوت والنيلة وقضبان الحديد والتوابل والشاي والسكر والخشب والقرطاسية والغزول. اما اهم البضائع المصدرة من البصرة فكانت التمور والصوف والقمح والعفص والسمسم وجلود المواشي والخيل (قزانجي، 1989، صفحة 45).

وتشير المصادر التاريخية إلى أن بداية التغلغل الاقتصادي البريطاني في العراق كانت منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر وبالتحديد في بداية عام ١٧٦٣ عندما نقلت وكالتهم التجارية من بندر عباس في بلاد فارس إلى البصرة، كما ضَمَتْ الوكالة (المقيمة البريطانية)التي كانت تتبع الوكالة في بندر عباس وفي عام ١٧٦٤ اعترف الباب العالي بها وعدها قنصلية مشمولة بنظام الامتيازات. واعتبرت مدينة البصرة منذ ذلك الحين مركزاً لتوزيع شركة الهند الشرقية البريطانية للبضائع والسلع البريطانية في كل من العراق وبلاد فارس وكانت الشركة الأولى التي تتولى تعين

القناصل البريطانيين في المدن العثمانية حتى أوائل القرن التاسع عشر، فضلاً عن مصالح أخرى ارتبطت بأهمية موقع الدولة العثمانية بوصفه طريقاً برياً بين بريطانيا وأوربا من جهة والهند من جهة أخرى، خاصة مع استحواذ شركة الهند الشرقية البريطانية على العديد من المقاطعات الهندية وتحولهما من شركة تجارية إلى مؤسسة سياسية وعسكرية تضاهي في قوتها أعظم الإمبراطوريات وأوسعها في التاريخ (السويدي، 2016، صفحة 291).

وفي اواخر كانون الاول سنة ١٨٣٤ م طلبت الحكومة البريطانية من الدولة العثمانية اجازة بتسيير باخرتين للنقل في نهر الفرات وبتوسط علي رضا باشا والي البصرة صدر الفرمان بالموافقة حالا ثم حصلت الاجازة لتسبير باخرتين في نهر دجلة وعلى هذا الاساس تأسست ولأول مرة – شركة المراكب البخارية في نهري الفرات ودجلة – وصار مقرها البصرة واتخذت لها محلا على ضفاف شط العرب وزادت حركة التجارة بزيادة حركة النقل (البازي، 1389 هـ، صفحة 29).

واهتم مدحت باشا بالمواصلات البرية والنهرية، حيث وأنشأ معملا لإصلاح السفن في البصرة وطهّر نهري دجلة والفرات وكانت هذه البواخر في عهده تصل إلى موانىء الخليج العربي والبحر الأحمر وأوروبا. (عبد الرزاق، 2018، صفحة 129) اهتم بطريق بغداد – البصرة النهري عبر دجلة بأهمية خاصة في مجال النقل التجاري لسببين رئيسيين هما انعدام الأمان في الطرق البرية المضمونة بين بغداد والبصرة من جهة وبسبب كون هذا الطريق حلقة وصل بين ميناء البصرة، الذي يعتبر المنفذ الرئيسي للتجارة الخارجية، وبين المناطق الداخلية من العراق التي تعتمد على البصرة أيضاً في تزويدها ببعض السلع والحاجات الواردة إليها من أقطار الخليج العربي والجزيرة العربية أو الهند وغيرها من المناطق المجاورة (مراد، 2018، صفحة 267).

عقدت بين الدولة العثمانية وبريطانيا اتفاقية (بلطة ليمان) فقد مثلت هذه الاتفاقية استمراراً لقوة النفوذ البريطاني في الدولة العثمانية عام ١٨٣٨ إذ نصت على إلغاء كل أنواع القيود التي كانت تعرقل عمل التجار البريطانيين من إقامة علاقات مباشرة مع التجار المحليين في الدولة العثمانية وفرضت الاتفاقية رسوماً كمركية ثابتة ومخفضة على الواردات والصادرات(٥% على الواردات و١٢%على الصادرات و٣% على تجارة الترانزيت) فقبل سنة ١٨٣٨ كانت الدولة تفرض رسوماً كمركية عالية كان الهدف منها إعاقة التجارة الخارجية. (السويدي، 2016، صفحة 289) وفي ١٨٤٢ ظهر تعاون عثماني- بريطاني في مجال النقل النهري في دجلة وحققت النجاح بإدارة شركة بيت لينج اذ سعت الى توسيع أعمالها باشراك رؤوس أموال جديدة لجني المزيد من الأرباح وتحويل بيتها التجاري الى شركة تجارية دولية وكان نجاحها قد اكسبها ثقة أصحاب رؤوس الأموال بدعم من الحكومة البريطانية وتدخلاتها. ومما تجدر الإشارة اليه أن اول الخدمات التي أسست للنقل بواسطة السفن التجارية في العراق كان عام١٨٥٩ من قبل شركة(عمان) التي كانت مملوكة للدولة العثمانية، لكن سفن هذه الشركة كانت سيئة التجهيز وبلا ادارة فاعلة (السويدي، 2016، صفحة 197).

كانت بريطانيا تنشد منذ أوائل القرن التاسع عشر طريقًا سهلاً قصيرا إلى جوهرة إمبراطوريتها يومذاك (الهند)، وفي سنة ١٨٣٧م، أنفقت مالاً كثيرًا على مسح وادي الفرات لهذهِ الغاية، وحصلت ١٨٥١م، إلاَّ أنَّ بريطانيا نبذت مشروع الملاحة فى الفرات سنة ١٨٧٦م، عندما استطاعت شراء ما قيمته (٤) أربعة ملايين باون ن أسهم قناة السويس ورأت أنَّ الإفادة من القناة أفضل من الاستفادة من مشروع مِلاحة وسكَّة حديد عبر الفرات ووادیه، (الفتلاوي، 2024، صفحة 257)

فتح قناة السويس في مصر في خريف ١٨٦٩ فقدكان لفتح هذه القناة دور كبير في تنشيط حركة التجارة بين الشرق والغرب لعموم مناطق الشرق ومنها العراق، إذ قللت الكثير من النفقات المالية والمدة اللازمة للاستيراد والتصدير ساهمت الثورة الصناعية التي شهدتها أوربا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر في زيادة الطلب على المواد الأولية التي تستوردها أوربا من البلدان الشرقية (السويدي، 2016)، تطور النقل النهري والبحري خاصة فتح قناة السويس في ١٨٦٩، برزت ظاهرة جديده في التطور الاقتصادي في العراق الحديث، وهي نشوء واتساع تجارة التصدير العراقية الى اوروبا الصناعية ، لقد جعل توسيع الطلب الاوربي على المواد الغذائية والمواد الأولية العراقيتين، الى تشغيل الايدي العاملة العاطلة وتوسيع الأراضي المزروعة وتربية المواشي . وقد اصبح اشباع الطلب الاوروبي ميسورا (حسن، 1965، صفحة 260).

مهدت سياسة التنظيمات العثمانية في المجال الزراعيي الى تحويل إنتاج الأرض الزراعية من الإقتصاد المغلق القائم على سياسة الإكتفاء الذاتي، الى إقتصاد قائم على الإنتاج لغرض التصدير، وكان افتتاح قناة السويس للملاحة البحرية عام ١٨٦٩ بمثابة قوة دفع مهمة أسهمت في إنضمام العراق الى أسواق الرأسمالية العالمية. وسهّل تصدير المحاصيل الزراعية العراقية الى العالم الرأسمالي إذ قصرت المسافة بين العراق والعالم، وارتفع الطلب على الإنتاج العراقي. مما دفع ملاكي الاراضي والفلاحين الى التوسع في مساحة الأراضي الزراعية (عبد علي، 2026، صفحة 484).

زادت صادرات التمور بعد فتح قناة السويس عام ١٨٦٩، وزاد ارتفاع مستمر في انتاجها أن صادرات التمور ازدادت بمعدل أعلى بكثير من انتاجها ، ونسبة صادرات التمور الى انتاجها هذه استمرت على رقمها العالي البالغ٧٠٪ حتى السنوات القليلة السابقة للحرب العالمية الأولى فخلال ١٩٠٩ -١٩١٣، ارتفع انتاج التمور الى

٩١,٥٠٠ طن سنوياً، ومن هذه الكمية كان يصدر ما معدله ٦٥,٦٥٥ طن سنوياً. (حسن، 1965، صفحة 169)

سعى البريطانيون في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في توسيع النفوذها التجاري والاقتصادي فأسست بموافقة الباب العالي دوائر بريد بريطانيّة هنديّة في بغداد والبصرة، وكذلك كانت طريقًا لأسلاك البرق التي تصل الهند بإنكلترا، التي تربط الأسلاك البرية للخطّ العثماني بأسلاك بحرية تتصل عبرَ مدينة الفاو، كما وضعوا الخطط اللازمة لإنشاء خط سكَّة حديدية يمتد من بغداد إلى البصرة؛ لاستخدامها في المواصلات العسكرية والاقتصادية التي تخدم مصالح بريطانيا الحيوية داخل العراق وخارجهِ من خلال ربطهِ بالخليج العربي وبذلك أصبحت المصالح الاقتصادية كما هي الحال عَبرَ التاريخ، تجلب معها النفوذ السياسي والتدخّل الأجنبي، فقد تحول خليج البصرة إلى بحيرة بريطانيةٍ هنديةٍ، (الفتلاوي، 2024، صفحة 253)

نُقلت التمور لأول مرة إلى لندن عام 1870 بكميات تقدر بحوالي (300) طن والتي بدورها يتم شحنها إلى أمريكا وأستمر البريطانيين في السيطرة على صادرات التمور من البصرة ، كانت تُصدّرها شركات بريطانية وهندية، مثل شركة غراي ماكنزي البريطانية التي تأسست في البصرة عام 1840 والتي كانت وكيلة لشركة الهند الشرقية الانكليزية في البصرة فضلاً عن شركة أصفر التي تأسست في البصرة عام 1794 من قبل احد الأشخاص الفرنسيين الكونت البير أصفر والتي عملت إضافة إلى تصدير التمور على استيراد البضائع من الهند إلى البصرة وكانت التمور تخزن بكميات كبيرة في أكواخ من الحصير قبل أن يتم شحنها بواسطة السفن (الدراجي، 2026، صفحة 35).

كان للشركات الأجنبية ومنها كري مكنزي واندرو وير العاملة في العراق دور مباشر في تطوير تجارة التمور اذ أخذت تلك الشركات على عاتقها تصدير اغلب التمور العراقية الى الخارج وأسهمت في تعزيز وجود التمور العراقية في

أنحاء العالم ووصوله الى أماكن بعيدة وإيجاد أسواق دائمة له، على الرغم من انه مدة الاحتكار لشركة اندرو وير لتجارة التمور دامت زهاء أربعة عشر عام يمكن عدها تجربة أصبحت محتكرة لتصدير التمور في العراق جعلها تجني الإرباح الناجمة عن تضخم الطلب على التمور بينما حجبت فائدة ذلك عن المنتجين (الدليمي، 2022، صفحة 15).

وفتحت عدد من البنوك التجارية لتمويل التجارة، منها البنك الشاهي الامبراطوري الايراني عام ١٨٩٠ والبنك السلطاني العثماني سنة ١٨٩٣، فضلاً عن البنك الشرقي برأسمال بريطاني ،ظهرت التحولات البارزة في الاقتصاد العراقي وارتباطاته الخارجية، التي افضت إلى حدوث تغيرات في الطبيعة العقلية لبعض رجالات العراق المتمثلة في تفكيك الزعامات العشائرية والاعتماد على الملكية الفردية، وتوسع التجارة الخارجية، الامر الذي انعكس على ارتفاع عدد السفن الواصلة إلى العراق عن طريق البصرة وتضاعفت الصادرات العراقية فضلاً عن زيادة معدلات النمو التجاري والارتباط بالسوق العالمية (عبد الرزاق، 2018، صفحة 130).

أقدمت الإدارة السنية على توسيع نشاطها الإقتصادي فقامت في عام ١٩٠٤ بابتياع إدارة العمان –العثماني ، وهي إدارة البواخر النهرية الحكومية التي تعمل في مجال النقل النهري بين بغداد والبصرة ، وذلك مقابل مبلغ زهيد مقداره (٩,٥٠٠) ليرة وكانت هذه المؤسسة تضم عند شرائها من قبل السنية أربع بواخر تدعى الفرات، وبغداد، والرصافة، والموصل، إضافة إلى عدد آخر من السفن الصغيرة والمعدات الأخرى . وقد أضافت الإدارة الجديدة ، التي دعيت بـ(إدارة البواخر الحميدية)، باخرتين جديدتين فخمتين إلى أسطول البواخر النهرية، هما : الباخرة (برهانية)، والباخرة (حميدية). واضطلعت هذه الإدارة بأداء مهامها بكفاءة عالية، وبشكل جيد جعل بواخرها تنافس بواخر شركة (لنج) الإنجليزية العاملة بين بغداد والبصرة (النجار، 1991، صفحة 402؛ العاني، 2021)

بدأت المانيا تتجه نحو توسيع نفوذها الاقتصادي والسياسي في الشرق وصولا الى الخليج العربي اكتسبت مصالح المانيا في ولايات بغداد والبصرة والموصل استقرارا بعد تأسيس اول قنصلية لها عام ١٩٠٨وقد نافست البواخر الالمانية التي بدأت تزداد عددا في الخليج العربي كلما ازداد نفوذ المانيا الاقتصادي والعسكري في الباب العالي ، وانسحب هذا النفوذ الى العراق وخصوصا بعد حصول الالمان على امتياز مد سكة حديد برلين – بغداد وعزز ذلك صداقة الاتحاديين لالماني بعد انقلاب ١٩٠٨ الذي ادى الى ان تقف الدولة العثمانية الى جنب المانيا في الحرب العظمى (قزانجي، 1989، صفحة 51) .

دخلت المصالح الاستراتيجية البريطانية في العراق مرحلةً جديدة شَهِدت أوجهًا أخرى من التغلغل البريطاني، من خلال العديد من المنافذ والوسائل ومنها: خطوط السكَّك الحديد، والمواصلات التلغرافية، ومشاريع التنقيب الآثاري، ومؤسَّسات التبشير، والجاليات البريطانية، وتعدّد القنصليات، فضلاً عن زيادة عدد الشركات التجارية والملاحية البريطانية، اذ أصبحت البصرة منطقة نفوذٍ بريطانيّة فعلاً، فقد كان العراق مصدرًا مهمًّا للموارد الاقتصادية والمواد الأولية التي تغذي الصناعة البريطانية، كما يُعدّ سوقًا مهمًّا لصناعتها وبضاعتها التي تحتاج إلى أسواق لتصريفها (الفتلاوي، 2024، صفحة 252)

المبحث الثالث/ البنية التحتية للري وأثرها في التوسع الزراعي والانتعاش التجاري

كانت المناطق الزراعية في العراق، ولا زالت تقع ضمن نطاقين. النطاق الأول هو الذي تعتمد فيه الزراعة على مياه الأمطار بالدرجة الأولى، أما النطاق الثاني فهو الذي تعتمد فيه الزراعة على الرّي تماماً بسبب عدم كفاية مياه الأمطار فيه للزراعة ويشمل هذا النطاق منطقة السهل الجنوبي والمنطقة الوسطى من العراق، ولذلك تركزت الزراعة في

هذا النطاق على طول مجاري الأنهار حيث الماء والتربة الرسوبية الخصبة، كان تركز الزراعة على طول ضفتي دجلة والفرات إضافة إلى بعض الجداول والقنوات (مراد، 2018، صفحة 228).

يقسم الوضع الزراعي في ولايات العراق الى منطقتين زراعيتين هما المنطقة المطرية ومنطقة الري ومحصولين شتوي وصيفي، وصفها القنصل نيكسون في عام ١٨٧٤ يقول: وفي تلك المسافة الطويلة (من البصرة إلى بغداد) لا يرى المشاهد حتى عشرين قرية، ولو أن شواطئ النهر تحوي مضارب خيام العرب) دليل على كثرت السكان في المناطق وفيرة المياه لامتهان الزراع والعيش الكريم (العاني، 2021، صفحة 193).

كانت اساليب الري تختلف باختلاف المناطق الزراعية اما الاراضي الواقعة على ضفاف الانهر الرئيسة تسقى بالمضخات والالات الرافعة فانها لم تخسر شيئا من قابليتها الإنباتي وكان تصريفها جيدا وملوحتها قليلة الا ان تلك الاراضي كانت محدودة جدا بسبب حداثة استخدام الآلات الرافعة في الري ، اما الاراضي المطرية فانها كانت تحتاج الى خدمة متواصلة في الحرث والزرع والحصاد وغالبية هذه الاراضي كانت تنحصر في المناطق الجبلية وكان الوصول اليها صعبا نظرا لرداءة طرق المواصلات (نورس، 1985، صفحة 93) .

بداية القرن التاسع عشر كانت الزراعة النظامية قاصرة على المنطقة حول البصرة حيث تولى نظام بديع للري يعتمد على المد في ري بساتين النخيل والحقول الأخرى. أما بقية أنحاء البلاد فكانت تخضع للزراعة الانتقالية التي يمارسها البدو الذين اتبعوا شكلا بسيطاً من أشكال الري بسد مجرى النهر بحصير من حزم البوص المدعّمة بالأغصان والطين. ومعظم الأراضي تزرع محاصيل شتوية وغالباً تنفرد بزراعة القمح والشعير. والقسم الجنوبي من البلاد لا يكفي حاجته من القمح والشعير، ولكنه ينتج فائضاً من الأرزّ والتمور (عيساوي، 1990، صفحة 421).

أوقف السلطان عبد الحميد الثاني ، وهو مالك الاراضي السنية في العراق ، اوقافا خيرية في البصرة وعلى الرغم من أن واردات السنية كانت تذهب إلى نظارة الخزينة الخاصة في إستانبول فإن ولاية بغداد قد انتفعت من قيام هذه الإدارة بإنشاء بعض المشاريع الخيرية العامة فيها ،الجسور والقناطر وشق الترع والقنوات الإروائية، فاستفاد منها الفلاحين لرفع الإنتاج الزراعي (النجار، 1991، صفحة 403).

اخذ مالكين الأراضي الزراعية يقلدون الاساليب الحديثة المتبعة في الإدارة والإنتاج للأراضي السنية في العراق، والتي كانت تحقق إنتاجاً جيداً، فضلاً عن تمتع العاملين فيها من موظفين ومزارعين بامتيازات كثيرة لقد إنعكس نشاط إدارة الاراضي السنية بشكل إيجابي في ولايات العراق فقد أصبح الملاكون المحليون وكذلك الزراع العاديون يقلدون طرق الإستثمار النموذجية المستخدمة في الضياع السلطانية، فتوسعت مساحة الاراضي المزروعة، وزاد الإنتاج مما أدى الى القضاء على المجاعات المتكررة التي كانت تحدث بسبب المضاربة بالاسعار، فتوفرت الحبوب الغذائية مع أسعار أقل، فضلًا عن تأثير الدائرة السنية في التطور الاقتصادي في العراق (عبد علي، 2026، صفحة 485).

ولم تشهد بغداد أي تطور في القطاع الزراعي عدا بعض الاهتمامات والإصلاحات التي عمل داؤود باشا الى ادخال بعض الاصلاحات في مجال الزراعة لتذليل العقبات امام الانتاج الزراعي، فقام بعملية تطهير الترع وقنوات المياه، من اجل ايصال المياه الى اماكن كثيرة واحياء الاراضي الزراعية لتسهيل عمليات الزراعة وتسهيل مهمة الفلاحين، ومن اجل ذلك قام داؤود باشا في الاستعانة بخبرات بعض المزارعين للاستفادة منهم، صنع اداة لنقل المياه (الساقية)، الذي كان عبارة عن الة يقوم بدفع المياه من النهر الى الاراضي الزراعية، وقام داؤود باش بتخصيص عدد من الحدادين والعمال من اجل مساعدة عبد المطلب في صناعة الالة، وسميت هذه الالة فيما بعد في العراق باسم الناعور (محمد، 2022، صفحة 130)

قام مدحت باشا بعدد من الاصلاحات اذ يعود اليه الفضل في كري وتطهير نهر الفرات

بعد وقوع حادثة غرق مراكب في نهر الفرات، وكانت مياهه صالحة لسير السفن، وأكبر عقبة تراكم الترسبات من الأبنية القديمة في النهر وبقايا انقاضها وانهدامها. فبحث مدحت باشا بنفسه إمكانية تطهير نهر الفرات، وعلم أنه قابلة للاصلاح والتعمير، وذهب ومعه مركبان خصصا له وما يكفي من مهندسين اجرى التحقيقات، وحصل على معلومات كافية، وبيّن أن الفرات قابل لأن يُعمر، ويُعدّ للانتفاع، فقام بازالة الموانع وتطهيره (عيساوي، 1990، صفحة 195).

بادر مدحت باشا لتحديث الزراعة وتوسيع الاراضي المزروعة عن طريق اعفاء الالات الزراعية الحديثة من الرسوم الكمركية وتوزيع البذور المحسنة على الفلاحين، أدى الى زيادة في انتاج غلة معينة على حساب نقص في غلة اخرى وذلك استجابة للسوق الخارجية (نورس، 1985، صفحة 91) ، اتبع مدحت باشا على سياسة تقليل نسبة الضرائب لغرض زيادة الأراضي المزروعة، فقد ترك البساتين لزراعها دون أن يحصل منها سوى على عشر المحصول سنويا، وإذا كانت البساتين حديثة الغرس أعفاها من الضريبة لمدة ست سنوات تشجيعا للنشر البساتين. ولتوسيع رقعة الأرض المزروعة ولمنح فرص أوسع لعشائر لتستقر في الأراضي الزراعية عنى مدحت باشا بالقنوات والترع والسدود كل العناية فشق قناة تربط بين بغداد والفلوجة وبذلك ضمن ري هذه المنطقة، وربط بغداد بنهر الفرات لتكون على صلة مستمرة بخطوط البواخر وشق قناة العثمانية بالعراق وظهرت عدة قنوات صغيرة (بعيو، 2009، صفحة 235)

أما وسائل الإنتاج المستخدمة من قبل الفلاحين في عمليات الزراعة والري فقد كانت بسيطة أيضاً فالمحراث الخشبي الذي يسحبه الحيوان كان وسيلة الحراثة الوحيدة المتوفرة آنذاك لوسائل الري في المناطق الجنوبية فقد كان ري المزارع يتم عن طريق حفر القنوات من النهر مباشرة إلى داخل المزارع الواقعة على كلتا ضفتيه ويبدو أنّ هذه القنوات كانت

تحفر بشكل جماعي عندما تقوم الجماعة أو العشيرة باستغلال الأرض وزراعتها كما أشار تافرنيه أثناءرحلته من بغداد إلى البصرة إلى أنّ الأراضي الممتدة بين بغداد والبصرة تتشابك فيها القنوات وتقسمها على نحو ما يرى في الأراضي المنخفضة وكانت بعض هذه القنوات والترع مملوكة من قبل الدولة يرد في سجلات الأراضي عن أخذ الدولة ضريبة على سقي المزارع في بعض المناطق تعرف بـ حق الماء أو رسم حق السيح أحياناً أخرى (مراد، 2018، صفحة 231).

المبحث الرابع: ازدهار تجارة التمور في اوخر العهد العثماني

عاشت البصرة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر فترة من الازدهار الاقتصادي، كان نشاطها التجاري بريا وبحريا وتحديداً التجارة البحرية اذ كانت تصل ميناء البصرة لاسيما في الموسم سفن لا حصر لها سواء أوروبية او فارسية او عربية، ان البصرة بقيت المرفأ التجاري ولم تقتصر شهرتها على السلع التجارية بل كانت مكان تجمع وانطلاقة الحجيج الى مكة المكرمة من ايران والهند. فضلا عن شهرتها بالنخيل والتمور والتي كانت الأولى في زراعة بساتين النخيل والمصدر الأول عالمياً للتمر. اذ قصدها التجار من مختلف الدول لاسيما الانجليز والهولنديين والبرتغاليين والأجانب الذين مارسوا الاعمال التجارية في المدينة، وتحسن وضع البصرة خلال القرنين استراتيجياً، اذ ان ثروتها فاقت المدن اذ كانت مركزاً تجارياً دولياً لبيع وشراء ونقل السلع التجارية المختلفة (التميمي، 2020، صفحة 161).

وصفت الرحلة (مدام ديو لافوا) التي زارت البصرة في ٣ أيلول سنة ١٨٨١م بكونها بدقية الشرق ذات البيوت المختفية تحت ظلال غابات النخيل واشجار الليمون والموز ثم ترجع الى تجارة المدينة فتقول بانها شاهدت اكداس الحبوب وخاصة الحنطة وهي تملأ الساحات كما شاهدت التمر الذي سمته بالثمرة اللذيذة السكرية ذات الشهرة العالمية والتي لها اسواق رائجة في العالم حيث تصدر من البصرة في سلال وأقفاص تصنع من الجريد وسعف النخيل اللين وتحمله

السفن الشراعية العديدة وكان كلام (مدام ديو لافوا) يؤيد ما قاله الرحالة (انجهولت) الذي زار البصرة في تشرين الثاني من سنة ١٨٦٦ م فقال: ان تمور البصرة الكثيرة ترسل الى اوربا بالسفن الشراعية التي تقف في شط العرب (البازي، 1389 هـ، صفحة 14).

كانت البصرة الأولى في زراعة بساتين النخيل والمصدر الأول عالمياً للتمر، ترجع أهمية نخيل التمر الى قيمة غذائية واقتصادية عالية إذ تعد مصدراً مهماً للطاقة الحرارية لجسم الإنسان كما أنها تحتوي على ما يقارب 80% من السكريات وعلى كمية كبيرة من الأملاح المعدنية والعناصر النادرة ذات الأهمية الكبيرة لجسم الإنسان كالبوتاسيوم والمغنيسيوم والحديد ، كما تحتوي التمور على مجموعة A,B,B2,D من الفيتامينات مثل وهذه العناصر لها أهمية لجسم الإنسان (هيام، 2019، صفحة 48).

تعد البصرة أغنى بقاع العالم بالنخيل فهي تضم ١٠٨ أميال وبعرض ميل واحد وتحتوي على ١٣٨ الف فدان يكون العدد التقريبي لنخيل البصرة١٧ مليون تدخل تحت حوالي ٣٥٠ نوع تختلف من حيث الذائقة والحجم وكمية السكر ازدادت تجارة التمور خاصة بعد أن عرف بأن التمر لا يحمل المكروبات وحتى مكروب الكوليرا فانه موت بعد ٤٨ ساعة من وجوده في التمر ويتخلل أراضي البصرة وبساتينها ٦٣٥ نهراً بين كبير وصغير كلها تتفرع من شط العرب ويكون ٤٧٠ منها على جانبي شط العرب الغربى ابتداء من القرنة حتى الفاو وكما يكون منها ١٦٥ نهراً على الجانب الشرقي من الشط ابتداء من القرنة الى اخر الحدود العراقية الايرانية (البازي، 1389 هـ، صفحة 35)

نالت مدينة البصرة أهمية اقتصادية على مر العصور، فقد استفاد الولاة والامراء سواء العرب او الترك او المماليك من توليهم البصرة من خلال حصولهم على نسبة من الضرائب التي تؤخذ على البضائع الزراعية فيها، وكان في البصرة دائرة للجمارك لاستيفاء الضرائب على السلع التجارية الواردة للمدينة والخارجة منها، وللمكانة مدينة البصرة

الاقتصادية تنوع سكان فلم يكن أهالي المدينة من العرب المسلمين فقط بل كان فيها الأرمن واليهود والمسيحيين والصابئة فضلاً عن الترك، وشجع ولاتها الأقليات غير المسلمة على القيام بأعمالهم التجارية واعطائهم الحرية في ممارسة معتقداتهم الدينية (التميمي، 2020، صفحة 154).

يكثر النخيل في منطقة شرق البصرة عبارة عن غابة كاملة من النخيل وتنتشر فيها المطاحن لطحن نوى التمر ويصنع منها الزيت، ويطعمون الأغنام والماشية بالعجينة المتبقية منها. كما أشار بارسونز الى طرق حفظ التمور في البصرة قبل اكلها وبيعها، وهي طريقتان، والاكثر استخداماً كانت: تترك معلقة على النخلة حتى تنضج تماماً ثم تكبس في زنابيل حتى تندمج مع بعضها لتصبح مثل العجينة او قطعة الحلوى. حينذاك تقدر بسعر اعلى، وتصبح حلويات غالية الثمن (التميمي، 2020، صفحة 155).

تعد التمور ألمع الحاصلات الزراعية في البصرة، وكانت تُصدّر إلى أسواق دولية واسعة (بريطانيا، أمريكا، الهند، موانئ الخليج العربي، البحر المتوسط، وأستراليا).أهم الأنواع التمر وحركتها التجاريّة: الحلاوي والخضراوي: يُصدّران بشكل رئيسي إلى أمريكا فرنسا، وبريطانيا. وتمر الزهدي: يُصدّر إلى الهند.اما نوع القنطار: يُصدّر إلى موانئ الخليج. وأخيرا تمر الديري والسائر: يُصدّران إلى عمان، اليمن، وأجزاء أخرى من شبه الجزيرة العربية (القهواتي، 1980، صفحة 355).

يبدأ الموسم عادةً من أواخر شهر آب (أغسطس) وينتهي في تشرين الثاني (نوفمبر). كانت تجارة التمور حتى ستينيات القرن التاسع عشر، بيد التجار البصريين والملاحة الشراعية المحلية المتجهة إلى الخليج وهند وإفريقيا (مسقط، زنجبار) تدريجيا تحولت التجارة إلى يد كبار المصدرين البريطانيين ووكلاء الشركات التجارية عبر البواخر المحيطية الضخمة (المتجهة لأوروبا، أمريكا، وأستراليا).

تتم طريقة بيع التمور بتجمع المنتجون والمصدرون في بساتين النخيل بـ (أبي الخصيب) لقطع أسعار الموسم تتم عمليات الإعداد والتعبئة والنقل للتمور بتشكل أطقم العمل من مواطنين يفدون مع عوائلهم ودوابهم ودواجنهم من أطراف البصرة لبساتين النخيل لأكثر من شهرين، مهامهم: جني التمر ووضعها في أكياس او الصناديق ، تُنقل الصناديق التمر عبر الأبلام في تفرعات الجدول إلى ضفاف شط العرب تُقام مخازن لتجميع التمور للشركات المصدِرة، يتسلم وكيل المنتج وصلاً من وكيل المصدر لكل مجموعة صناديق لتصفية الحساب آخر الموسم بناءً عليها (القهواتي، 1980، الصفحات 355-360).

كانت ظاهرة عمل النساء والأطفال منتشرة في لواء البصرة خاصة في موسم التمور، إذ كان يأتي كثير من سكان البادية بعائلاتهم للعمل، ويقيمون في أكواخ من القصب وكانت ساعات العمل تصل الى (12) ساعة في اليوم وبشكل عام عاش هؤلاء العمال في ظروف سيئة وصعبة للغاية وغير صحية، وضاعف من هذه الحالة شيوع العمل بالسخرة وتراوح الاجر اليومي للعامل بشكل عام في عموم العراق بين قرشين وخمسة قروش وهي أجور ضئيلة بالكاد تسد حاجات الفرد المعيشية. واما اجور النساء والأطفال فكانوا يتقاضون أجورا تقل عن النصف أو الثلث للرجال، فضلا عن الفلاحون فقد عاشوا في ظروف أشبه بتلك التي عاشها العمال وجد ما عرف بنظام المغارسة وأتاح هذا النظام المجال للفلاح للعمل بزراعة أرض الملاكين الكبار وتعميرها وغرسها، مقابل حق معين، يكون اما من الأرض والمغروسات أو من المغروسات فقط (مره، 1996، صفحة 95)

ازدهرت زراعة النخيل بظهور الصناعات مرتبطة بإنتاج التمور اذ أن زراعة النخيل في ولاية البصرة العثمانية قد ازداد باطراد منذ بدأت تعبئة التمور فى صناديق للتصدير إلى المملكة المتحدة وأمريكا، وتطورت صناعة تجهيز وعمل صناديق التمور، إضافةً إلى المكابس اليدوية العديدة وكان الخشب الذي تصنع منه صناديق التعبئة يستورد في حزم من

النمسا – المجر، والترويج، وروسيا (عيساوي، 1990، صفحة 554) تطورت في نفس الوقت عدة صناعات لإعداد الصادرات ، وبصورة رئيسية ان صناعة تعليب التمور قامت على نمو تجارة التصدير العراقية في هذه السلع تعتمد بصورة رئيسية على مستورداتها من المعدات الانتاجية من الخارج. لذلك، فان تطورها كان يمثل التأثير المتبادل لنمو الصادرات العراقية من جانب الطلب، ونمو المستوردات من جانب العرض فى فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى وتعليبها ، اوجدت صناعة تعليب التمور مجالا لتوفير فرص عمل لعمال كبس التمور ولعل الجانب الآخر لصناعة تعليب التمور، كان أكثر أهمية من زاوية صناعة تعليب التمور، وان طبيعة العمل هو على الاغلب موسمي، يستغرق من شهرين الى اربعة اشهر في السنة، الا ان كبس التمور وتعليبها، كان يعتبر مجالا استخداما مهمّا وذا شأن متزايد، في البصرة بالدرجة الاولى، وفي الفرات الاوسط بالدرجة الثانية (حسن، 1965، صفحة 286).

ازدهرت زراعة النخيل وتصدير التمور العراقية نحو الأسواق الخارجية والأوروبية بفضل تضافر عوامل خارجية وداخلية متكاملة منها العوامل الخارجية: تمثلت في تطور وسائل النقل والملاحة وانخفاض تكاليف الشحن، إلى جانب التسهيلات العثمانية بتخفيض الرسوم الجمركية على الصادرات، العوامل الداخلية: تمثلت في فرض السلطة الحكومية على شيوخ العشائر وتحفيز العشائر على الاستقرار والعمل بالزراعة، مما أدى لزيادة الإنتاج وتصدير الفائض، فضلاً عن الإصلاحات الإدارية ک تطبيق نظام الولايات (1870م) وتوحيد الإدارة حول بغداد، مما وفر بيئة مشجعة للنشاط التجاري (اسراء، 2018، صفحة 272).

اثرت العوامل إيجابيا على تحول القطاع الزراعي إلى المحرك الأساسي للصادرات العراقية (خلال الفترة 1864–1913م)، ويظهر ذلك في قفزة صادرات الشعير: ارتفعت بشكل هائل بمقدار 250 ضعفاً لتصل إلى 77,200 طن عام 1913م، مع تحسن أسعاره، فضلا عن نمو صادرات التمور فقد تضاعفت تضاعفت 7 أضعاف (ارتفعت

من 10,000 طن إلى 66,300 طن) وكذلك ارتفاع الواردات انعكس هذا الانتعاش على القوة الشرائية، فارتفعت قيمة الواردات أكثر من 12 ضعفاً (بمعدل نمو سنوي بين 5–7%) (السويدي، 2016، صفحة 30).

ازدياد سكان الريف خلال المدة ١٨٦٧–١٩٠٥ من مليون نسمة إلى ما يقارب المليون والثلث نسمة، بمعدل نمو سنوي يبلغ ٣,٤%، مما يمكن اعتباره كمؤشر عام لنمو الإنتاج الزراعي . ومع أن المعلومات المتوفرة تشير إلى محدودية لأراضي الزراعية إلا في المدن الكبيرة وما حولها مثل بغداد والبصرة والموصل وبعقوبة، إلا أن المساحة المزروعة قد ازدادت في منطقتي الري والمطر إلى ما يعادل ١٦١٣٠٠٠ دونما قبل الحرب العالمية الأولى (عيساوي، 1990، صفحة 556).

ازدهرت تجارة التمور في النصف الاول من القرن التاسع عشر اذ كانت تحمل نحو (١٥٠) سفينة شراعية متوسط حمولتها (60) طنا، لنقل التمور الى موانئ الخليج العربي والهند، ارتفع إنتاج التمور في عام ١٨٨٧، إلى ما يقارب ال ٦٠ ألف طن وخلال ستينيات القرن التاسع عشر كانت التمور هي سلعة التصدير الرئيسة اذ بلغت قيمتها من نصف الى ثلاثة أرباع قيمة الصادرات، وقد اثرت التطورات الاقتصادية التي شهدتها العراق في عصر التنظيمات العثمانية ازدهار حركة التبادل التجاري بين أوربا من جهة وبين مناطق متعددة من العالم. (كاظم، شباط 2020، صفحة 410)

شهدت صادرات تمور البصرة بين عامي 1879 و1883م قفزة نوعية؛ إذ تضاعف حجم التصدير الكلي (من 6,718 طناً إلى 11,306 أطنان)، مع تحوّل جذري في اتجاه التجارة لصالح الأسواق الغربية، فبعد أن كانت الموانئ الإقليمية (كالبحر الأحمر وشرق المتوسط) تستوعب نحو ثلث الصادرات في عام 1879م، تراجعت حصتها إلى أقل

من 10% فقط في عام 1883م، لتذهب أغلبية التمور المطلقة (أكثر من 90%) إلى أسواق المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية (حسن، 1965، صفحة 130).

أدى نمو حركة التصدير العراقية في العقود السابقة للحرب العالمية الأولى إلى تحول هيكلي في الاقتصاد والمجتمع، اذ انقلبت خريطة التجارة الخارجية للعراق رأساً على عقب فبعد أن كان ثلثا الصادرات يُنسقان نحو الشرق الأوسط في ستينيات القرن التاسع عشر، أصبحت ثلاثة أرباع الصادرات تذهب إلى الدول الرأسمالية الغربية (وتستوعب الإمبراطورية البريطانية وحدها 48% منها)، بينما تراجعت حصة الأسواق المجاورة إلى الربع فقط، فضلا عن الأثر الاجتماعي في أسهام هذا التوسع في نمو طبقة البرجوازية التجارية (الأجنبية والمحلية) وزيادة أرباحها ومؤسساتها، إلى جانب تطوير القطاع الزراعي وتعميق الفوارق الطبقية بين الملاك والإقطاعيين من جهة والفلاحين من جهة أخرى. (حسن، 1965، صفحة 207).

وكانت التمور من أهم المحاصيل التي دخلت مجال التصدير. فقد ارتفعت صادرات التمور الى 60000طن عام ١٩٠٦ بعد أن كانت تتراوح بين مابين 40 او 50 ألف طن عام ١٨٦٧ وقد شجع ذلك أصحاب البساتين الى التوسع في زراعة فسائل النخيل، وازداد عدد العاملين بالأجر اليومي في البساتين، وزادت أرباح الشيوخ والملاكين، كما إزدادت زراعة فسائل النخيل لمواجهة متطلبات السوق الخارجية من التمور مستقبلاً، وبسبب ذلك ارتفع سعر أرض بساتين النخيل الى 150 ليرة في العام ١٨٩٠ بعد أن كان سعره 50 قرشاً في العام ١٨٤٠، وبذلك احتلت زراعة النخيل وانتاج التمور الجانب الأهم فى التجارة والزراعة، حيث عدت أهم فروع الزراعة العراقية، وتحتل البصرة المرتبة الأولى في إنتاج التمور التي فيها أكثر من 120نوعاً من التمور (عبد علي، 2026، صفحة 484).

زادت عروض التمور العراقية للتصدير بعد الحرب العالمية الاولى، فقد اغرت الأرباح العالية الفلاحين والتجار فكثرت زراع التمور وازدهرت فضلا عن الغاء الرسوم الكمركية العالية على التجارة بين البلدان العربية المختلفة، والتي كانت سائدة في العهد العثماني الأخير، وتحسين المواصلات ورخصها، على نمو تجارة تمور العراق مع بلدان الشرق الاوسط خلال مدة ما بين الحربين (١٩١٩ - ١٩٣٩م) (اسراء، 2018، صفحة 273).

الخاتمة

1-شكلت التنظيمات العثمانية ولاسيما تطبيق قانون الطابو (1859م) وإصلاحات مدحت باشا (1869–1872ملركيزة الأساسية لازدهار الإنتاج الزراعي في البصرة. فقد أدى تثبيت الملكية العقارية وتفويض الأراضي الأميرية ببدل زهيد إلى توفير الأمان القانوني والحافز الاقتصادي لشيوخ العشائر والأعيان لضخ رؤوس الأموال وتحويل الأراضي البور إلى بساتين نخيل دائمة، مما ساهم في استقرار العشائر وتغير بنيتها الاجتماعية.

2- يعد موقع البصرة الاستراتيجي وكما وصفه الساسة البريطانيين قلب الشرق الأوسط ذات أهمية سياسية واقتصادية للقوى الاستعمارية مثل البرتغاليين والهولنديين البريطانيين فضلا عن محاولات السلاطين العثمانيين فرض سلطتهم المركزية على مدينة البصرة بعد صراعات طويل مع العشائر العربية.

3- اخذ تغلغل القوى الاستعمارية اشكال مختلفة مثل انشاء قنصليات اجنبية ومشاركة المشاريع العثمانية برؤوس أموال اجنبية مثل شركات النقل النهرية وانشاء البنوك فضلا عن الامتيازات التي منحها السلاطين للدول الاوربية بحجة ادخال التحديث على أجهزة الدولة العثمانية حتى أصبحت تلك الامتيازات البوابة للدخول الى اركان الدولة العثمانية.

4 – كانت البنية الزراعية في البصرة مهيئة لزراعة النخيل وتحمل ظروفها الجوية، وان وسائل تحديث الري كانت محاولات بسيطة لانعاش الإنتاج الزراعي، فضلا عن أساليب الري البدائية والكوارث الطبيعية كالفيضانات، الا ان ادخال صناعات حديثة مثل معامل كبس التمر قد أدت الى ازدهار تجارة التمور وتشغيل ايادي عاملة من أهالي البصرة بالإضافة الى مواسم جنى التمر الذي يسحب اعداد كبيرة من العمال.

5–أثبتت الدراسة أن ولاية البصرة لم تكن مجرد إقليم زراعي هامشي، بل شهدت خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر تحولاً هيكلياً من اقتصاد ذاتي القائم على الاستهلاك المحلي والعشائري، إلى اقتصاد السوق الرأسمالي القائم على التصدير الكثيف لسلعة استراتيجية واحدة وهي التمر.

6–ازدهرت تجارة التمور لخاصية ثمرة وما تتمتع فية من أهمية صحية وعلاجية فضلا عن مذاقة الحلو اذ شبة بالحلويات، اذ رغب ف شرائها سكان العالم من أمريكا وبريطانيا وغيرها من الدول.

2. الدور الحاسم للتنظيمات العثمانية ونظام الطابو:

المراجع

1. احمد زكريا الشلق. (2002). *العرب والدولة العثمانية من الخضوع الى المواجهة 1516–1916*. القاهرة: مصر العربية للنشر.

2. اسامة عبد المجيد العاني. (يونيو, 2021). الاوضاع الاقتصادية في بغداد ابان العهد الاخير من الخلافة العثمانية 1873–1917. *حورية كان التاريخية*.

3. الغالي غربي. (2011). *دراسات في حول تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي 1288-1916* (المجلد الثانية). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

4. بونية. (1950). *الدولة والنظم الاقتصادية في الشرق الاوسط*. (راشد البراوي، المترجمون) القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

5. جاسم محمد عبد علي. (اذار, 2026). الاصلاحات العثمانية في العراق 1839-1908. *الذكوات البيض*.

6. جميل موسى النجار. (1991). *الادارة العثمانية في ولاية بغداد*. القاهره: مدبولي.

7. حامد البازي. (1389 هـ). *البصرة في الفترة المظلمة*. بغداد: دار منشورات البصري.

8. حسين محمد القهواتي. (1980). *دور البصرة التجاري في الخليج العربي (1869-1914)*. بغداد: الرشاد.

9. خزعل ظاهر اسراء. (كانون الاول, 2018). تجارة التمور العراقية 1945-1958 دراسة تاريخية. *الاستاذ*(العدد 227).

10. خزعل ناشور هيام. (2019). واقع زراعة اشجار النخيل في محافظة البصرة 1950-2016. *الاقتصاد والبيئة*.

11. خليل علي مراد. (2018). *العراق في العهد العثماني الثاني 1638- 1750*. لبنان.

12. شارل عيساوي. (1990). *التاريخ الاقتصادي لهلال الخصيب 1800- 1914*. (رؤوف عباس حامد، المترجمون) بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

13. شاهين سهام عبد الرزاق. (2018). الاصلاح والتحديث في عهد العثماني الاخير. *الاستاذ*.

14. صباح كريم رياح الفتلاوي. (خريف, 2024). اهمية العراق الاستراتيجية للسياسة البريطانية. *الاستعمار*.

15. طارق نافع حميد الحمداني. (1984). *العلاقات بين افراسياب والدولة العثمانية ابان حكم افراسياب باشا وعلي باشا 1596 -1650* (الإصدار مجلد 16 العدد 1). البصرة: مركز دراسات البصرة والخليج العربي.

16. طالب جاسم الغريب. (2009). الوعي السياسي للاسر البصرية في العهد العثماني (دراسة تاريخية). *اداب البصرة*.

17. عبد العزيز سلمان نوار. (1968). *تاريخ العراق الحديث من حكم داوود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا*. القاهرة: دار الكاتب العربي.

18. عبد الوهاب عباس القيسي. (1961). حركة الاصلاح في الدولة العثمانية وتاثيرها في العراق 1839-1877. *كلية الاداب*.

19. علاء موسى نورس. (1985). *حضارة العراق/ الحياة الاقتصادية ،ج10*. بغداد.

20. علي عبد الرحيم الدليمي. (ايلول, 2022). الشركات الاجنبية العاملة في العراق كري – مكنزي واندرو وير أنموذجاً. *مجلة كلية التربية الاساسية للعلوم الاجتماعية والانسانية*.

21. علي نعيم خلف. (2020). اوضاع الدولة العثمانية الاقتصادية وانعكاساتها على السياستين الداخلية والخارجية 1839-1909. *اطروحة ماجستير غير منشورة*. كلية التربية قسم التاريخ.

22. غانية بعيو. (2009). التنظيمات العثمانية واثرها على الولايات العربية الشام والعراق انموذجا 1839 1876. *رسالة ماجستير غير منشورة* . الجزائر: جامعة الجزائر.

23. فلاح محمود البياتي. (اذار, 2012). سياسة الاحتلال البريطاني في منطقة الفرات الاوسط 1917-1920. *كلية التربية الاساسية*.

24. فؤاد قزانجي. (1989). *العراق في الوثائق البريطانية 1905 1930*. (عبد الرزاق الحسني، المحرر) بغداد: مامون.

25. محمد انيس. (بلا تاريخ). *الدولة العثمانية والشرق العربي 1514-1914*. القاهرة: مكتبة الانكلو-المصرية .

26. محمد سلمان حسن. (1965). *التطور الاقتصادي في العراق ،ج1*. بيروت: المطبعة العصرية.

27. منيب يوسف جمعة مره. (1996). *تاريخ الحياة الاجتماعية في لواء البصرة 1831-1914*. مكتبة يوسف الالكترونية.

28. ميثم عبد الخضر السويدي. (2016 اذار, 2016). النشاط المصرفي في العراق خلال الحكم العثماني المتاخر والاحتلال البريطاني 1869- 1917. *مجلة العلوم الانسانية*.

29. نجاة خير الله كاظم. (شباط 2020). التطور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي في العراق خلال الحكم العثملني 1869-1914. *المؤتمر العلمي الدولي الثاني نقابة الاكاديميين*. اربيل.

30. هشام صابر محمد. (حزيران, 2022). الاصلاحات العثمانية واثرها على ولاية العراق في عهد الولاة داوود ومدحت باشا. *اداب الفراهيدي*(المجلد 14 العدد 50)، الصفحات 126-141.

31. وجدان كارون التميمي. (كانون اول, 2020). البصرة في كتب الرحالة الاوربيين في القرنيين السابع عشر والثامن عشر الملاديين (نماذج مختاره). *وميض الفكر*(العدد 8).

32. يعرب عبد الرزاق الدراجي. (2026). دور البصرة التجاري 1831-1869. *Wasit Journal for Human Sciences*.

دور الارشاد الزراعي في معالجة مشكلة التصحر بقضاء كوثى

سها محرف محمد [1] , قيصر احمد عبدالله [1] , سرى مكي شعلان[1] , احمد مشتاق [2]

(1) مديرية تربية بابل , وزارة التربية, بغداد , العراق .

(2) ديوان محافظة بابل , مديرية الشباب ورياضة بابل , وزارة الشباب والرياضة ,بغداد , العراق .

, qa.1983a2@gmail.com, amafaq764@gmail.com

Surajohr09@gmail.com, ahmadmushtak1988@gmail.com

الملخص:

هدفت الدراسة الى معرفة ظاهرة التصحر، وما اسبابها وتأثيرها على البيئية، وايجاد الحلول المناسبة لحد من هذه الظاهرة وامكان تطبيقها في قضاء كوثى، وقد توصلت الدراسة الى إن من اسباب التصحر في القضاء هو بسبب انخفاض منسوب المياه إذ يؤدي ذلك الى قلة الاراضي المزروعة وكذلك قلة الوعي البيئي لدى المجتمع من حيث اهمية الغطاء النباتي والمحافظة على الاشجار والغابات، وكذلك ضعف التنسيق بين الدوائر المعنية في الحفاظ على المناطق الخضراء، قد توصلت الدراسة الى مجموعة من الاستنتاجات التي تحد من الظاهرة التصحر في القضاء اذا ما تم الأخذ بها ومنها العمل على تبطين مشروع المسيب الكبير والانهار الرئيسية والفرعية لتقليل نسبة المياه المفقودة، وحث المجتمع على الحفاظ على الحدائق العامة والغابات وزراعة الاشجار والنباتات وبيان مدى تأثيرها على المناخ والحفاظ على البيئة، وكذلك قيام المزرعة الارشادية

بالتنسيق مع الغابات في اعادة انشاء الغابات بالنباتات التي لها القدرة على تحمل الاجواء المناخية في المنطقة وتكون ذات جدوى اقتصادية.

الكلمات المفتاحية: التصحر، انواع التربة، المزرعة الارشادية

:Summary

This study aimed to understand the phenomenon of desertification, its causes and environmental impact, and to find suitable solutions to mitigate this phenomenon and their applicability in the Kutha district. The study concluded that one of the causes of desertification in the district is the decline in water levels, which leads to a decrease in cultivated land. Another contributing factor is the lack of environmental awareness within the community regarding the importance of vegetation cover and the preservation of trees and forests. Furthermore, weak coordination among relevant departments in maintaining green spaces also plays a role. The study reached a number of conclusions that could potentially reduce desertification in the district if implemented, including the following Work is underway to line the Greater Musayyib Project and the main and

branch rivers to reduce the percentage of lost water, and to urge the community to preserve public gardens and forests, plant trees and plants, and explain their impact on the climate and environmental preservation. Also, the demonstration farm will coordinate with the forests to re-establish forests with plants that can withstand the climatic conditions in the region and are economically viable

المقدمة:

التصحر ليس بالظاهرة الحديثة لكن خطورة هذه الظاهرة تفاقمت وتعاظمت في الآونة الاخيرة واصبحت مشكلة التصحر مشكلة عالمية، وهي في الأساس ظاهرة من صنع الانسان تتفاقم بسبب التغيرات المناخية فتطرف الظواهر المناخية ينتج عنه العديد من الاثار السلبية بما في ذلك الاثار التي تتسبب بها الأنشطة البشرية، كتدهور التربة وانجرافها وتعريتها وانتشار الكثبان الرملية وتدهور الأراضي وانخفاض إنتاجية المحاصيل وضعف قدرة النظم الزراعية والرعوية ومشكلات اجتماعية عديدة، لذا يعد من صميم التحديات والتهديدات الخطيرة التي تواجه التنمية المستدامة مع اثار سلبية بعيدة المدى على الموارد الطبيعية والبيئة والنشاط الاقتصادي والزراعي والبنية التحتية المادية والامن الغذائي. تهدف الدراسة الى معرفة أسباب تفاقم ظاهرة التصحر وانعكاساتها على القطاع الزراعي في قضاء كوثى والنتائج المترتبة عليها والامكانات المتاحة لمعالجتها.

1- مشكلة الدراسة:

تتمحور مشكلة الدراسة في عرض التساؤل الاتي:

هل للإرشاد الزراعي دور في معالجة مشكلة التصحر بقضاء كوثى؟

2- فروض الدراسة:

تتمثل فرضية الدراسة حول دور الارشاد الزراعي في الحد من ظاهرة التصحر وامكان ايجاد الحلول وتطبيقها في قضاء كوثى.

3- اهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى:

1- التعرف على ظاهرة التصحر.

2- معرفة اسباب ظاهرة التصحر وتأثيرها على البيئة والمجتمع.

3- ايجاد الحلول المناسبة لحد من ظاهرة التصحر.

4- امكان تطبيق الحلول في قضاء كوثى.

4- اهمية الدراسة:

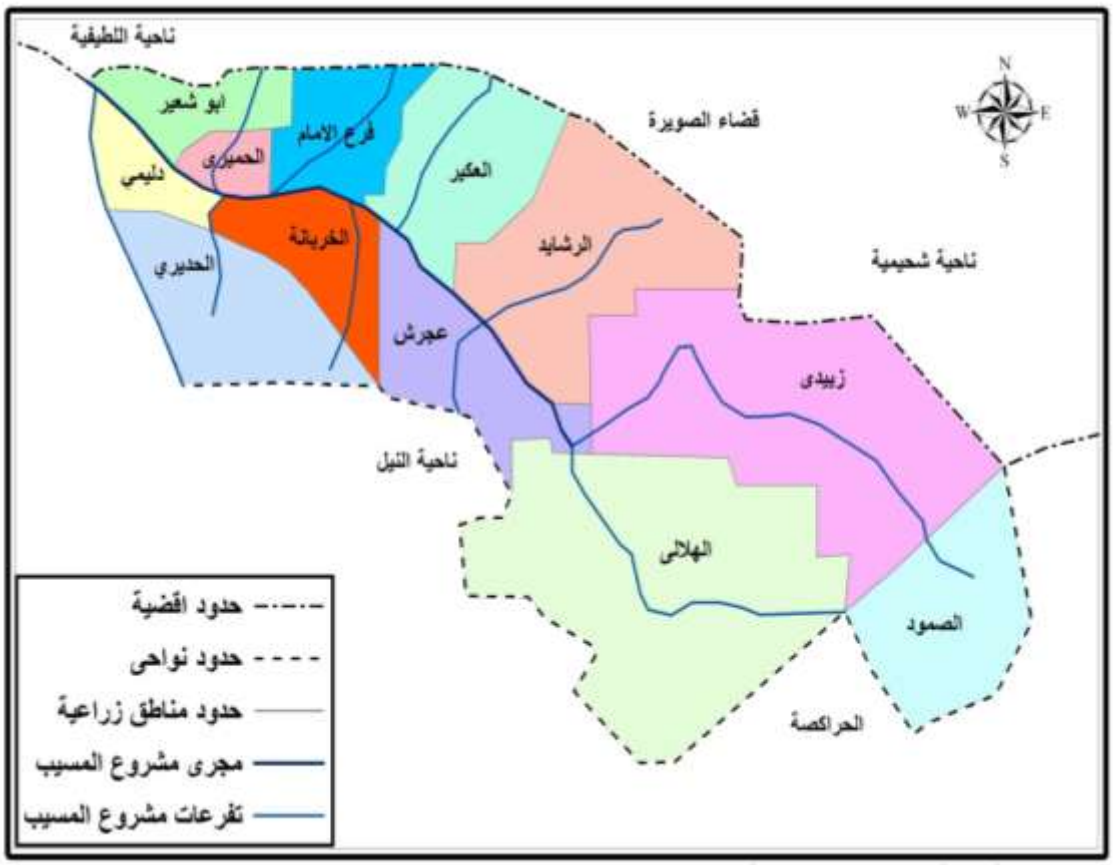
تكمن اهمية الدراسة في ان ظاهرة التصحر اخذت تزداد في المدة الاخيرة في منطقة الدراسة وتشكل تهديداً كبير على مساحات واسعة من الاراضي الزراعية الناتج من الاستغلال غير الامثل، وتعرض مساحات واسعة في القضاء الى ظاهرة التصحر وفقدان كمية كبيرة من الطبقة السطحية بسبب التعرية وفقدان الغطاء النباتي.

5- حدود منطقة الدراسة:

يقع قضا كوثى في شمال شرق محافظة بابل، إذ يبعد عن مركز محافظة بابل مدينة الحلة بنحو 50 كليو متراً ، وتمتد المنطقة فلكياً بين دائرتي عرض 32 47ْ – 33 55ْ شمالاً ، وبين خطي طول من30 44ْ – 55 44ْ شرقاً ، وجغرافياً يجاور المشروع من الشمال منطقة اللطيفية بمحافظة بغداد، ومن الشمال الشرقي قضاء الصويرة، ومن الشرق ناحية المدحتية في قضاء الهاشمية، ومن الجنوب كل من ناحيتي سدة الهندية، والإسكندرية بقضاء المسيب. وتبلغ المساحة قضاء كوثى 334780دونم، أنظير خريطة (1) يوضح موقع منطقة الدراسة

6- منهجية الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي الذي يهدف الى تجميع المعلومات والبيانات التي تخص موضوع الدراسة من خلال وصف الحالة وأهميتها فضلاً عن استعمال المراجع والكتب والمجلات التي تخص موضوع الدراسة، والدراسة الميدانية لغرض معرفة مدى تأثير ظاهرة التصحر وامكان ايجاد الحلول.



المصدر: شعبة زراعة المشروع ، سجلات الشعبة ، عام 2025م.

خريطة (1) التقسيم الإداري لمنطقة الدراسة.

المحور االاول: الاطار المفاهيمي لمشكلة التصحر:

اولاً: مفهوم التصحر

يطلق مصطلح التصحر على تدهور الأراضي وفقدان الخواص الانتاجية لها ويأتي من اسباب عديدة منها الانشطة البشرية، وتغيرات المناخ، والجفاف مما يؤدي الى التصحر وارض قاحلة غير منتجة، وانخفاض قيمة الارض من التنوع البيولوجي (Nwokocha, 2015,p9).

وكما عرف التصحر على أنه" هو تدهور الاراضي الجافة مما يؤدي الى فقدان قدرتها الانتاجية البيولوجية ذلك بسبب العمليات الطبيعية والانشطة البشرية والتي تحول الاراضي الخصبة الى قاحلة بشكل متزايد" اي انها تحول الاراضي الخصبة الى قاحلة نتيجة مجموعة من العوامل ومنها تغير المناخ ولاسيما الاحترار العالمي الحالي، و الاستغلال غير الامثل للتربة نتيجة النشاط البشري وكذلك الادارة غير المستدامة للاراضي(patel,2021,p45) .

وعرف ايضا على انه" تدهور الاراضي المزروعة في المناطق الجافة وشبة الجافة وذلك بسبب التغيرات المناخية والانشطة البشرية مما يؤدي الى انخفاض القدرة الطبيعية البيولوجية للأرض ونفاذ الموارد المائية ومن ثم تدهور الاحوال الاقتصادية للأفراد والمجتمعات التي تعتمد الزراعة في المناطق التي تصاب بالتصحر(حسن،2007، 14)

ومن خلال ذلك يمكن تعريف التصحر على انه انخفاض الانتاج للأراضي الزراعية نتيجة تعرضها الى التصحر بسبب الجفاف والتغيرات المناخية والانشطة البشرية غير المدروسة مما يؤدي تغير الخواص البيولوجية الطبيعة لتربة.

ثانياً- اسباب التصحر

تكمن اسباب التصحر في التغيرات لاستعمال الأراضي التي تنتج من التفاعلات والضغوطات منها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعوامل البيو فيزيائية ومن الممكن ان يكون لهذه التفاعلات تأثيرات مهمة في استعمالات الأراضي في اطار نموذج تغير الحالة وتغير استعمالات الارض المقترح.

لا يمكن ان تعميم الاسباب والنتائج ظاهرة التصحر على مستوى العالمي أو الاقليمي او المحلي بسبب خصوصية المنطقة، ويلاحظ ان المخاوف من التصحر لم ينال الاهتمام المطلوب من قبل المجتمع، ومن خلال هذا ان تأثير اي نوع من أنواع التصحر يعد زعزعة في النظام البيئي، فحجم وتأثير التصحر يختلف من منطقة الى اخرى ويتغير بمرور الوقت، وان هذا التأثير والتباين يتغير بدرجة الجفاف والضغط الذي يمارسه الانسان(حمد، واخرون، 2023، 178).

يمكن تحديد ابرز اسباب التصحر في النقاط الاتية:

1- التغيرات المناخية: تعد التغيرات المناخية من العوامل التي تؤدي الى ظاهرة التصحر، إذ هناك ارتباط وثيق بين التغيرات المناخية والتصحر، وذلك كون التغيرات المناخية تحدث التصحر والتصحر يؤدي الى التغيرات المناخية، كما ان اتجاه نوعية الاراض الى التدهور تزيد مساحة الاراضي المالحة مما يؤدي قلة انتاجية الارض من الزراعة(فرح ومحمد، 2017، 56).

2- الانشطة الضارة التي يقوم بها الانسان: هناك بعض الانشطة الضارة التي يقوم بها الانسان ممن ليس لديهم معرفة عن الاثار المؤذية لنشاطاتهم في البيئة الطبيعية، هذا وتعد الانشطة البشرية من العوامل الأساسية لظاهرة التصحر وهذه الانشطة كثيرة وتختلف من دولة الى اخرة وبحسب استراتيجيات استعمال الاراضي والتكنلوجيا المستعملة وكذلك كثافة الاستخدام، وايضا من خلال زراعة التربة الهشة والتي تتعرض الى التأكل بسبب الرياح والمياه،

وانخفاض مدة الراحلة للتربة، والرعي الجائر والاستغلال المفرط للشجار في الفحم، واستعمال الآلات الزراعية غير المناسبة التي تؤدي الى تدمير التربة(حمد، واخرون،2023، 178).

3- تلوث التربة: يعد تلوث التربة من اسباب ظاهرة التصحر، ويأتي تلوث التربة من الانشطة البشرية والاستعمال غير الامثل مما يؤثر على نباتات هذه المناطق وظروف الملائمة لها.

4- الممارسات الزراعية الخاطئة: وتتمثل في استعمال كميات مفرطة من الاسمدة ومبيدات الآفات الزراعية لغرض زيادة كمية الانتاج مما يؤثر على النظام البيئي ويسبب اضرار للتربة ويجعلها غير صالحة لزراعة بمرور الوقت وغير مناسبة للأغراض الزراعة ونتيجة لذلك تبدء ظاهرة التصحر فيها.

5- الافراط في استخراج المياه الجوفية: يعد الافراط في استخراج المياه الجوفية مما يؤدي الى نضوب كمياتها وحدوث ظاهرة التصحر(عليوي،479).

6- الرعي الجائر: يعد الرعي الجائر احد اسباب الرئيسية في تدهور الغطاء النباتي الطبيعي واستنزافه، وتزداد هذه الظاهرة مع زيادة ونمو السكان اذ يتطلب هذا النمو الى زيادة في الانتاج الغذاء فتتم زيادة الاراضي المزروعة على حساب مساحة الاراضي المخصصة للمراعي وترافق ذلك زيادة عدد الحيوانات مما يؤدي الى زيادة الضغط على النباتات الطبيعية ومن ثم استنزافها والقضاء عليها ويسهل تعرض التربة للرياح.

وكذلك الرعي المبكر إن يتم استغلال المراعي قبل بلوغ النباتات مرحلة النضج وهذه ممارسة ضارة تؤدي الى عدم الإفادة من النباتات واختفاء النباتات الحولية وعدم اعطائها الفرصة لتكوين البذور.

وايضا حركة الحيوانات ذات الحوافر مثل الاغنام والماعز وتعد من العوامل الضارة والتي تؤدي دورا كبيرا في تحطيم مجاميع التربة للطبقة السطحية ومن ثم تفككها وتعرضها للتعرية الرياحية(الهيتي،2008، 32).

7- نظام التبوير: يعد استعمال نظام تبوير الاراضي الزراعية بمعنى ترك الاراضي بورا ولاسيما في فصل الصيف الحار والتي تسهم في زيادة ملوحة التربة السطحية بسبب حركة المياه الجوفية المالحة بفعل الخاصية الشعرية وتبخره تاركا الاملاح على سطح التربة(طالب،33،2013).

ثالثاً: ظواهر التصحر

تتفاوت مظاهر التصحر ودرجات تأثيره من منطقة الى اخرى بحسب العوامل التي تؤثر على التصحر والتي تؤدي الى تدهور النظام البيئي وقلة انتاجية الاراضي الزراعية ونوعية النبات الطبيعي وتعرية التربة وقد صنف مؤتمر التصحر للأمم المتحدة المنعقد في كينيا عام 1977 الى اربعة درجات لحالات التصحر وهي كما يأتي:(الراوي، والعاني،2023)

1- تصحر طفيف: يحدث هذا النوع من التصحر اذا تعرضت كل من التربة والنباتات الطبيعية الى تلف بسيط لا يؤثر على الطاقة البيولوجية والطبيعية للبيئة.

2- تصحر معتدل: تشمل الاراضي التي تتعرض الى تلف متوسط في النبات الطبيعي والتعرية المائية والريحية، وتكوين كثبان رملية صغيرة، او تعرض التربة للتملح بسبب استعمال وسائل الري التقليدية مما يؤدي الى انخفاض انتاجها بنسبة 25%.

3- تصحر شديد: ويحدث عندما تتعرض النباتات الطبيعية الى تدهور شديد نتيجة الحيوانات وتبقى النباتات غير المرغوبة، وكذلك زيادة نشاط التعرية مما يؤدي الى تجريد الاراضي من الغطاء النباتي وتكوين الاخاديد الكبيرة.

4- تصحر شديد جداً: ويحدث عند تكوين الكثبان الرملية وظهور الكثير من الاخاديد الكبيرة وكذلك وجود درجة عالية من الملوحة التي تفقد التربة قدرتها الانتاجية وتعد هذه الحالة من اخطر حالات التصحر كون عملية استصلاح الاراضي واعادت قدرتها الانتاجية والحيوية تحتاج الى جهد وتكاليف مادية عالية وقت طويل.

رابعاً: النتائج المترتبة من ظاهرة التصحر:

تؤدي ظاهرة التصحر الى تدهور النظام البيئي بشكل كبير ويؤثر هذا سلبًا على النظم البيئية والتنوع البيولوجي وهناك مجموعة من التأثيرات يمكن ذكرها في النقاط الاتية: (حمد، واخرون،2023، 181-182)

1- فقدان التنوع البيولوجي: يعد التصحر من اسباب انخفاض التنوع البيئي وفقدان مساحات واسعة من النباتات البرية والحيوانات والكائنات الحية التي تعتمد على هذه المناطق للبقاء مما يؤثر على استدامة النظم البيئية ويؤثر على التوازن البيئي.

2- تدهور التربة: يؤدي التصحر إلى تدهور جودة التربة وانخفاض مستوى الخصوبة وذلك بسبب تعرية طبقة الأرض العليا المغذية والتي تحتوي على العناصر الغذائية الضرورية في الانتاج الزراعي إذ يصعب على النبات النمو والافادة من الموارد الموجودة وهذا يؤدي الى قلة الانتاج الزراعي.

3- تأثيرها على المياه الجوفية: يؤدي التصحر الى انخفاض مستوى المياه الجوفية وذلك عندما تفقد التربة الرطوبة والغطاء النباتي بحيث يصعب امتصاص الرطوبة والاحتفاظ بها مما يؤدي الى انخفاض المياه الجوفية وجفاف الابار والينابيع وهذا يؤثر الانتاج الزراعي والحفاظ على الغطاء النباتي في المناطق التي تعتمد المياه الجوفية.

4- الكثبان الرملية والتعرية والانجراف بواسطة الرياح: تعد ظاهرة حركة الكثبان الرملية والعواصف الترابية من مظاهر التصحر الشائعة في العراق بسبب المناخ الجاف وشبه الجاف التي تتسم بها مساحات واسعة حيث تتسبب في انتقال الطبقة السطحية للتربة من مكان الى اخر بفعل الرياح مما يؤثر على المشاريع التنموية كالطرق وشبكات الري والبزل والاراضي الزراعية والمدن إذ تقلل من كفاءة تشكيلها وكذلك تزيد من كلف الادامة والصيانة ومن اسبابها ضعف ادارة الاراضي وقلة الغطاء النباتي والجفاف وتفكك التربة والرياح الشديدة والجافة وعدم اتخاذ الاجراءات المناسبة لحد من هذه الظاهرة.(ناصر،،2011، ص53)

5- تدهور الاراضي الزراعية وانخفاض الغلة الانتاجية: لقد اصبحت ظاهرة التصحر من اهم المعوقات امام تحسين الانتاج الزراعي حيث تتدهور الاراضي الزراعية وكذلك المراعي والغابات مما يؤدي الى انخفاض مستويات الانتاج وانخفاض الاكتفاء الذاتي من الانتاج الزراعي وزيادة الاعتماد على المنتوج المستورد، وكما يحدث التدهور بسبب سوء استخدام انظمة الري واعتماد الري التقليدي حيث يسبب تملح وتعفن الاراضي مما يؤدي الى تدهور الاراضي وانخفاض الانتاج وبعد ذلك تصحرها.(الهيبي،2008، ص33)

المحور الثاني: التصحر في قضاء كوثى

اولاً- طبيعة التربة

وتمتاز تربة القضاء بأنها تربة حديثة التكوين تعود إلى ما يقرب من 8000 سنة ق.م(الموسوي،2000، ص81). حيث تتسم في معظمها بأنها تربات صفراء أي خليط من الطين والرمال، لذا فهي ملائمة لزراعة المحاصيل الحقلية والدرنيات والمتعمقة الجذور، كما ان الاراضي في القضاء هي جزء من السهل الرسوبي الذى كونته ترسبات

نهري دجلة والفرات ومستوية السطح بوجه عام، باستثناء بعض التلال القديمة المرتفعة لمنسوب مابين 7 . 8م فوق السهل الحالي وبعض الكثبان الرملية.

وتمثل التربة الرواسب السطحية التي لها سُمك وعمق يتراوح ما بين 1-3 متراً؛ مما يسمح بنمو النبات الطبيعي أو المزروع(Willson, S. ,2001, p35). وتمثل البيئة الحيوية لنمو الكائنات الأرضية، وتحلل المواد العضوية التي تسمى "الدوبال"؛ مما يسمح بتوفر الأملاح والمعادن المذابة في الماء واللازمة لنمو النبات، وتُعد التربة في القضاء من الترب الرسوبية النهرية Alluvial Soils بجانب تربات تمثل خليط من الرمال والأملاح الناتجة من تفاعل الرواسب الفيضية مع التكوينات الرملية عند هوامش المشروع ، وفيما يلى دراسة للتربة وأنواعها وخصائصها كما يلى:

1- أنماط التربات حسب نوع الرواسب:

أ- ترب جسور الأنهار والمجاري المائية:

تمثل الترب التي نتجت من الترسبات الطبيعية لفيضانات نهري دجلة والفرات، وهي منتشرة على جانبي النهرين والجداول المتفرعة من نهر الفرات، ومنها الجداول التي تخترق منطقة المشروع، ومستوى الماء الأرضي فيها بعيد عن السطح، والتربة منخفضة الملوحة، وجيدة التصريف بسبب اتساع مساحتها، وترتفع فيها نسبة المواد العضوية بسبب نمو الحشائش على الضفاف والجسور، وتظهر أيضاً هذه التربة في قيعان أحواض الأنهار المطمورة بالغرين في الجانب الشرقي والشمالي الشرقي والشرقي لمشروع المسيب، ونتيجة لاستثمارها في الزراعة الإروائية لمدة أقصر يغطى سطحها رواسب مياه الري الحديثة, وتربتها ذات نسيج غريني وطيني.

ب- ترب الأحواض الزراعية:

تتوزع هذه الأحواض في الجهات الوسطى والجنوبية والجنوبية الشرقية بالمنطقة بمساحات واسعة وهى ترب ذات نسيج ناعم بسبب كبر قطر ذراتها، وهى تربات خصبة، جيدة التصريف المائي قليلة الملوحة وذات عمق كبير،

ونتيجة لذلك تحتاج إلى حرث جيد وتقليبها بإحكام حتى تنمو المحاصيل الحقلية بها وتجود فيها زراعة القمح والشعير والذرة، بجانب الخضروات والفاكهة بالقرب من المناطق العمرانية بالمشروع أو تنقل إلى أسواق المدن الكبيرة بالمحافظة ومحافظات العراق الجنوبية والوسطى، ومستوى الماء الأرضي يقع على عمق يزيد على 4م.

جـ- الترب الرملية والصفراء:

وتتوزع هذه التربات في الأحواض الشمالية والجنوبية الغربية من منطقة المشروع ، حيث يوجد بعض التلال من الكثبان الرملية الصغيرة والقديمة المختلطة مع التربات الطينية، ليعطي ترب صفراء خفيفة القوام قليلة الخصوبة، ومرتفعة نسبياً في الملوحة، ويتطلب زراعتها غرق عميق، وهي صالحة لنمو محاصيل الدرينات كالبطاطس والبطاطا والبنجر ، وتستطيع هذه التربة أن تحتفظ بمياه الري اللازمة للنبات، ومع انحدارها نحو الشرق والجنوب الشرقي توجد المبازل " شبكة الصرف" التي تصرف المياه الزائدة عن حاجة المحاصيل.(جدوع، وكاظم،2020، 1471).

2 – أنواع التربة حسب درجة الملوحة:

تتباين درجات الملوحة ونسبتها في تربة مشروع المسيب حسب أنواع الترسيبات وعوامل هذا الارساب المائي أو الهوائي بالمنطقة ، وتنقسم التربة إلى مايلى:

- تربة ترتفع فيها نسبة الملوحة عن 20٪: وتتوزع في المناطق الجنوبية من المشروع في الزبيدي والحيدري حيث ان هذه المناطق تتسم بكثرة المبازل بها مما يؤدى إلى تسرب المياه إلى اعماق تصل إلى 2م.

- تربة تتراوح بها نسبة الملوحة ما بين 10 لأقل من 20٪: وتتوزع في المناطق الوسطى من المشروع وأحواضها نظراً لتفرع أعداد كبيرة من الجداول المائية التي تروى الأحواض والمبازل وما يحدث لها من انسداد من الرواسب لذا تحتاج إلى التطهير المستمر.

- تربة تقل فيها نسبة الملوحة عن 10٪: حيث تتوزع في أراضي غرب المشروع وشمالها حيث زيادة عمق التربة من الطمى والغرين.(دخيل،31،2025)

ثانياً: اسباب التصحر في القضاء

هناك مجموعة من الاسباب التي تساعد على التصحر في منطقة الدراسة ومنها مايلي: (زيد،2022)

1- انخفاض منسوب المياه: قد ادى انخفاض منسوب المياه في مشروع المسيب الكبير الى عدم القدرة على زراعة الاراضي الزراعية وانخفاض نسبة الاراضي المزروعة ما يؤدي الى الجفاف وجرف التربة وكذلك استخدام مياه الابار والمبازل والتي تكون ذات نسبة ملوحة عالية في الري وسقي المزروعات مما يؤدي الى ظهور الملوحة على سطح التربة وهذا يؤدى الى ضعف خواص التربة وتصبح غير صالحة للزراعة بشكل تدريجي.

2- استخدام نظام الري التقليدي: ان استخدام نظام الري التقليدي يؤدي الى ارتفاع نسبة الملوحة على سطح التربة بسبب خاصية التبخر بسبب ارتفاع درجات الحرارة.

3- الممارسات الخاطئة من قبل المزارعين: ضعف الوعي لدى بعض المزارعين في الزراعة واستخدام الاسمدة والمبيدات الزراعية، والكميات المستخدمة وطرق الري والدورة الزراعية مما يؤدي الى الاضرار بخصائص التربة.

4- الهجرة من الريف الى المدينة: قد ادى انخفاض منسوب المياه الى هجرة السكان من الريف الى المدينة وترك الاراضي الزراعية مما ادى الى ضعف الاراضي وجرفها وظهور علامات التصحر عليها.

5- الرعي الجائر: قد ادى شحة المياه في القضاء الى ترك الاراضي للرعي فقط وخاصة في فصل الصيف حيث بعد الحصاد محصول القمح وترك الارض لغرض رعي الحيوانات مما يؤدي الى جرف التربة وفقدان بعض من خواصها.

6- قلة الغطاء النباتي: قد ادى التوسع والزحف العمراني على الاراضي الصالحة للزراعة الى جرف المزروعات والاشجار والغابات وكذلك قطع الاشجار واستعمالها في صناعة الفحم الى قلة الغطاء النباتي مما يؤدي الى جرف التربة ظهور مظاهر التصحر بشكل تدريجي.

ثالثاً- دور المزرعة الارشادية في الحد من ظاهرة التصحر:

يمكن توضيح دور المزرعة الارشادية في الحد من ظاهرة التصحر في مجموعة من النقاط وهي كما يأتي: (مقابلة مع السيد مدير المزرعة الارشادية: م. حسين)

1- اعداد ندوات تدريبية لتوعية المزارعين عن كيفية حماية الاراضي الزراعية من ظاهرة التصحر من خلال الاستعمال الامثل لمياه الري واوقات الري الصحيحة ونواع المحاصيل الزراعية التي تحافظ على التربة وتزيد نسبة الخصوبة للتربة.

2- تشجيع المزارعين على استعمال وسائل الري الحديثة كونها تقلل من نسبة التبخر وظهور الاملاح على سطح التربة.

3- توعية المزارعين عن طرق والكميات المستعملة من المواد الكيميائية والمبيدات الزراعية ومواعيد استعمالها.

4- التنسيق مع الدوائر الاخرى ذات العلاقة بالتشجير وزراعة الاشجار والنباتات التي تحافظ على البيئة والتربة من الانجراف.

5- تقديم الدراسات والمقترحات الى الدوائر المعنية عن اهمية الزراعة والحفاظ على الاشجار والغابات ودورها في تلطيف الجو وتقليل من الاحتباس الحراري.

6- نشر الوعي البيئي بين المواطنين وخاصة المزارعين واصحاب المواشي والرعاة.

7- تجديد خصوبة التربة من خلال اتباع اسلوب الدورة الزراعية واستعمال الأسمدة العضوية ومكافحة الآفات الزراعية وتباع طريقة المكافحة الحيوية أو المتكاملة.

8- الاهتمام بعمليات تثبيت الكثبان الرملية من خلال زراعة الاسيجة ومصدات الرياح.

الاستنتاجات والتوصيات:

اولاً- الاستنتاجات:

1- يعد انخفاض منسوب المياه من اهم اسباب التصحر في منطقة الدراسة بحيث ادى شحة المياه في مشروع المسيب الكبير الى انخفاض نسبة الاراضي المزروعة مما يؤدي الى زيادة نسبة التصحر.

2- استعمال وسائل الري تقليدي في منطقة الدراسة مما يؤدى الى زيادة نسبة الملوحة في التربة بسبب كميات مياه زائدة عند الري.

3- قلة الوعي لدى بعض المزارعين عن كيفية استعمال المواد الكيميائية والمبيدات الزراعية وكيفية القضاء على الآفات الزراعية مما يؤدي الى انخفاض نسبة الاراضي المزروعة.

4- يؤثر المناخ الحار الجاف على التربة في منطقة الدراسة مما يزيد من نسبة الملوحة وتغير في خواص التربة وهذا يؤدي الى انخفاض انتاجها.

5- انخفاض مستوى الوعي البيئي لدى بعض افراد المجتمع وهذا يؤدى الى انخفاض مستوى الحفاظ على المزروعات والغابات والاماكن العامة.

6- الزحف العمراني على الاراضي الزراعية بسبب زيادة عدد السكان مما يؤدي الى انخفاض الاراضي المزروعة.

7- الهجرة من الريف الى المدينة بسبب انخفاض منسوب المياه مما ادى الى زيادة نسبة الاراضي الغير مزروعة وهذا يؤدي الى انجرف التربة وزيادة نسبة التصحر.

8- ضعف التنسيق بين الدوائر المعنية في الحفاظ على الغابات والاشجار واعادة تشجير الغابات وعمل المصدات للرياح في القضاء.

ثانياً- التوصيات:

توصلت الدراسة الى مجموعة من التوصيات التي من المكن ان تحد من ظاهرة التصحر في منطقة الدراسة اذ ما تم الاخذ بها:

1- العمل على تبطين مشروع المسيب الكبير والانهار الرئيسية والفرعية لتقليل نسبة المياه المفقودة.

2- التنسيق من قبل المزرعة الارشادية مع الدوائر المعنية وذات العلاقة في توفير الدعم المادي والقروض الى المزارعين من اجل استعمال الوسائل الحديثة للري.

3- القيام بدورات تدريبية الى المزارعين عن كيفية استعمال المبيدات والمواد الكيمياوية واوقاتها وذلك للحفاظ على خواص التربة.

4- حث المجتمع على الحفاظ على الحدائق العامة والغابات وزراعة الاشجار والنباتات وبيان مدى تأثيرها على المناخ والحفاظ على البيئة.

5- العمل على انشاء مصدات الرياح والغطاء النباتي للحفاظ على التربة من الانجراف.

6- قيام المزرعة الارشادية بالتنسيق مع الغابات في اعادة انشاء الغابات بالنباتات التي لها القدرة على تحمل الاجواء المناخية في المنطقة وتكون ذات جدوى اقتصادية.

المصادر والمراجع

اولاً- المصادر العربية

1- إبراهيم جعفر وزملاؤه، خارطة التربة لمحافظتي بغداد وبابل، وزارة الري، مركز بحوث الموارد المائية والتربة، قسم تحريات التربة، المجلد 20.

2- امير هادي جدوع، وضحى جواد كاظم، 2020، التحليل المكاني لتربة محافظة بابل باستعمال نظم معلومات الجغرافية (G.I.S) ، مجلة كلية التربية الاساسية للعلوم التربوية والانسانية، العدد 47.

3- حسن، احمد فرغلي، 2007، البيئة والتنمية المستدامة الاطار المعرفي والتقييم المحاسبي، مشروع الطرق المؤدية الى التعليم العالي.

4- حمد، رقية خلف، ندى سهيل سطام، حلا زيدان ذنون، 2023، مشكلة التصحر وانعكاساتها على القطاع الزراعي في العراق الابعاد وامكانيات المعالجة، مجلة الريادة للمال والأعمال، المجلد الرابع- العدد(1).

5- الراوي، عبد الناصر صبري شاهر، والعاني، كمال محمد جاسم، 2023، الافاق المستقبلية للحد من مشكلة التصحر في العراق، مركز الأمة للدراسات والتطوير، ابحاث اقتصادية.

6- صالح مهدي دخيل،2015، مشروع المسيب الكبير شرقي نهر الفرات" دراسة في جغرافية التنمية الزراعية، رسالة ماجستير(غير منشورة)، كلية الآداب، قسم الجغرافية، جامعة المنصورة، جمهورية مصر العربية.

7- طالب، علي صاحب، 2013، العلاقة المكانية بين الخصائص المناخية والبشرية ومظاهر التصحر وتأثيراتها في العراق، بحث منشور، جامعة الكوفة، كلية التربية للبنات، قسم الجغرافية.

8- على صاحب الموسوي، 2000، الخصائص الجغرافية في محافظات العراق الأوسط وعلاقتها المكانية في التخصص الزراعي، مجلة الجمعية الجغرافية، العدد 44.

9- عليوي، عبد العظيم حمدان، الحماية الجنائية للأراضي الزراعية من التصحر، مجلة الجامعة العراقية، العدد(59) مجلد(2).

10- مالك رحيم عبد زيد، 2022، مشكلة التصحر اسبابها وسبل مكافحتها، مركز كربلاء للدراسات والبحوث، الامانة العامة العتبة الحسينية المقدسة.

11- مديرية الزراعة في بابل، شعبة الزراعة في مشروع المسيب (بيانات غير منشورة)، 2024م.

12- مقابلة مع السيد المهندس الزراعي: حسين مطلب جاسم، مير المزرعة الارشادية في قضاء كوثى _ بابل، 2025/12/15.

13- ناصر، صبري، ظاهرة التصحر ، الطبعة الاولى، دار البارودي، الاردن، 2011.

14- الهيتي، عتاب يوسف،2008، مشكلة التصحر في الفرات الاوسط واثارها البيئية، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، كلية التربية للبنات، قسم الجغرافية.

ثانياً- المصادر الاجنبية

1- Nwokocha, Chibueze,2015, Effect of Desertification on Environmental Management In Northern Nigeria Arabian Journal of Business and Management Review (Nigerian Chapter) Vol. 3No.6.

2- Patel, Rohit, 2021, Desertification Description, Causes and Impacts, Journal of Research in Humanities and Social Science, Volume9,.Issue7.

3- Willson, S., (2001): The Sorts of soils In the world, 3rd Edition, .Longman, London

التكنولوجيا المساعدة وتحليلها التصميمي للمنتج الصناعي من الفكرة إلى الاستخدام

د. سمية عبد الوهاب محمد

الجامعة التقنية الوسطى/ كلية البوليتكنك للفنون التطبيقية – بغداد

mimi_alt@mtu.edu.iq.com

mimi.abd2007@gmail.com

07906401234

الملخص

هدف هذا البحث إلى دراسة التكنولوجيا المساعدة بوصفها العامل الاساس في تصميم المنتجات الصناعية، وتحليل دورها من مرحلة الفكرة الأولى وحتى الاستخدام النهائي للمنتج.

ركز البحث على كيفية دمج التكنولوجيا المساعدة في العملية التصميمية بما يضمن تحسين الوظائف، وتعزيز تجربة المستخدم، وتحقيق معايير الأمان والجودة.

كان اعتماد المنهج التحليلي الوصفي في منهجية البحث ، وتضمن البحث مشكلة البحث عن طريق التساؤل هو كيفية تحليل وتوظيف التكنولوجيا المساعدة في العملية التصميمية للمنتج الصناعي من مرحلة الفكرة حتى الانتاج النهائي بما يضمن فعالية المنتج وتجربة المستخدم؟

تضمن البحث أيضاً الفصل الأول: منهجية البحث وكانت أهمية البحث كانت تسليط الضوء على دور التكنولوجيا المساعدة في تحسين جودة المنتجات الصناعية وتجربة المستخدم، وتعزيز الابتكار في التصميم الصناعي،

وهدف البحث فاعلية مفهوم التكنولوجيا المساعدة ودورها في تصميم المنتج الصناعي بتقديم توصيات تصميمية تساعد المصمم الصناعي في دمج التكنولوجيا المساعدة بشكل فاعل ومستدام.

بينما كان الفصل الثاني الإطار النظري والذي ضم ثلاث مباحث، كان الأول مفاهيميا وبعنوان مقدمة في التكنولوجيا المساعدة في تصميم المنتج الصناعي، أما المبحث الثاني التكنولوجيا المعاصرة وتحليلها التصميمي في حين المبحث الثالث كان بعنوان جمالية التكنولوجيا المساعدة في تصميم المنتج الصناعي المعاصر، وقد تحدد البحث بالحدود المكانية ضمن الاسوق المحلية لمدينة بغداد جانب الكرخ للعام 2023.

وتوصل البحث إلى نتائج واستنتاجات كان أهمها

أظهرت توظيفات التكنولوجيا المساعدة من خلال الوظائف التقنية بصورة واضحة ومتكاملة.

إن توظيف التكنولوجيا المساعدة بما تحمله من خصائص المرونة وقابلية التشكيل في تصميم المنتج الصناعي ينسجم مع سمات الفكر التصميمي المعاصر، ويعكس توجهات العصرنة في تطوير المنتجات الصناعية

التركيز على التطوير التقني المستمر، بما في ذلك دمج الذكاء الاصطناعي والتقنيات الذكية، لتعزيز الكفاءة الوظيفية ، وختم البحث بتوصيات والمقترحات .

الكلمات المفتاحية: التكنولوجيا المساعدة – تحليل التصميم – تجربة المستخدم

مشكلة البحث : تواجه المنتجات الصناعية المعاصرة تحدياً كبيراً في تلبية احتياجات المستخدمين بشكل شامل وفاعل، في دمج التكنولوجيا المساعدة ضمن تصميم المنتج الصناعي ،إذ يتضح القصور في كثير من المنتجات الصناعية في عدم استغلال الإمكانيات التقنية لتسهيل الاستخدام وتحسين الأداء ، مما يؤدي إلى فجوة بين الفكرة التصميمية والوظيفة الفعلية للمنتج وبهذا نبعت مشكلة البحث وفق التساؤل التالي : كيفية تحليل وتوظيف

التكنولوجيا المساعدة في العملية التصميمية للمنتج الصناعي من مرحلة الفكرة حتى الاستخدام النهائي بما يضمن فعالية المنتج وتجربة المستخدم ؟ .

اهمية البحث : تبرز أهمية البحث في تسليط الضوء على دور التكنولوجيا المساعدة في تحسين جودة المنتجات الصناعية وتجربة المُستخدم المُعاق، وتعزيز الابتكار في التصميم الصناعي، كما يساهم البحث في توفير إطار تصميم تحليل عملي للمصمم لاستغلال الإمكانيات التقنية في ابتكار منتجات صناعية تلبي الاحتياجات الواقعية للمستخدم المعاق، مما يدعم تطوير تصميم أكثر كفاءة واستدامة من اجل الوصول إلى الدمج المجتمعي للفرد المعاق وتحويله إلى عنصر فاعل ومستقل في المجتمع

هدف البحث : تحديد دور التكنولوجيا المساعدة في تصميم المنتجات الخاصة بذوي الاعاقة من خلال تطوير وابتكار الحلول التقنية المرنة والآمنة على المستخدم وتكون ذا تكلفة مادية منخفضة ، تُعوض القصور الوظيفي لدى الأفراد وتلبي احتياجاتهم الخاصة، بما يعزز استقلاليتهم وقدرتهم على الوصول إلى المعلومات والخدمات بكفاءة عالية وبأقل جهد ممكن.

حدود البحث : الحدود المكانية :- منتجات شركة (الرافدين) المتوافرة في الاسواق العراقية لمدينة بغداد – جانب الكرخ

الحدود الزمانية :- منتجات شركة (الرافدين) للعامين 2022-2023 م.

الحدود الموضوعية :- التكنولوجيا المساعدة وتحليلها التصميمي للمنتج الصناعي من الفكرة إلى الاستخدام

تحديد المصطلحات :

التكنولوجيا المساعدة: هي تلك الأدوات والوسائل التي يتم اللجوء إليها في سبيل تحقيق الاستقلالية في أي جانب من جوانب الحياة اليومية، وتتراوح مثل هذه الأساليب ما بين الأساليب رخيصة التكاليف التي يقل التعقيد التكنولوجي

فيها إلى تلك الأساليب التي تتسم بتعقيدها التكنولوجي والتي تتطلب المزيد من التدريب حتى يمكن استخدامها بالشكل المطلوب ، كما عرف قاموس مدى للمصطلحات (٢٠٢٤) على انها أي جهاز أو برنامج أو قطعة من المعدات أو منتج ، وتصنف وسائل التكنولوجيا المساعدة على خط متصل يبدأ من الوسائل التكنولوجيا البسيطة ويمتد إلى الوسائل التكنولوجيا فائقة التقنية وتشير الوسائل التكنولوجيا البسيطة إلى تلك الوسائل منخفضة التكليف وسهلة الاستخدام والمتاحة [84].

تحليل التصميم : هو عملية صنع القرار من قبل المصمم الصناعي الذي يتم عن طريقه استخدام الأدوات التحليلية المستمدة من العلوم الأساسية والرياضيات والإحصاء والأساسيات التصميمية لتطوير تصميم المنتج الصناعي يمكن تحويله إلى منتج صناعي فعلي .

تجربة المستخدم التعريف الاجرائي (User experience) يُطلق عليها UX هي كل ما يرتبط بسلوك وموقف وإحساس المستخدم حيال استخدامه منتجاً أو نظاماً أو خدمةً معيّنة ، تُبْرِز تجربة المستخدم الجوانب القيمة والعاطفية والتجريبية وذات المعنى في التفاعل بين الإنسان والحاسب وملكية المنتج ، ولكن تتضمن أيضاً تصورات أي شخص حول الجوانب العملية مثل الفائدة وسهولة الاستخدام وكفاءة النظام ، تعتبر تجربة المستخدم شخصيةً في الطبيعة، لأنها تكون عن مشاعر الشخص وأفكاره عن النظام ، تعد تجربة المستخدم ديناميكية، لأنها تتغير مع الوقت عندما تتغير الظروف .

مقدمة في التكنولوجيا المساعدة في تصميم المنتج الصناعي

ماهية التكنولوجيا المساعدة

84 Brian W. Wojcik & Karen H. Douglas (2012). Illinois Assistive Technology Guidance Manual. Illinois State Board of Education..

تشير عبارة التكنو لوجيا المساعدة " أي جهاز أو أي جزء من جهاز إلى مدى واسع من التكنولوجيا إذ تشمل الأجهزة التكنولوجيا الأكثر تعقيداً مثل التكنولوجيا القائمة على الكمبيوتر والبرمجيات المعتمدة عليه، إلى الأجهزة الحياتية العادية مثل كرات التنس والتي يمكن استخدامها لتحسين القدرة على القبض على الأشياء مثل القلم الرصاص، أما عبارة " نظام منتج" فتشير إلى أنه في كثير من الأحيان تتطلب وسائل التكنولوجيا المساعدة أن تعمل معاً من أجل تحقيق الفائدة القصوى لذوي الاحتياجات الخاصة ، فمفهوم " نظام منتج" يشبه الكمبيوتر وبرامج التشغيل فلا فائدة لأحدهما دون الآخر، وبشكل عملي يتضح هذا المفهوم في حالة الطالب الذي يحتاج إلى تركيب وسائل التواصل المعززة أو وسائل التواصل البديلة (AAC) على الكرسي المتحرك، مما يشير إلى ضرورة أن تعمل وسائل التكنولوجيا المساعدة في تناغم لتحقيق الاستفادة القصوى منها ، هي مصطلح يشمل كل التكنولوجيا المستخدمة من قبل الأشخاص ذوي الإعاقة بشكل عام لأداء أنشطة الحياة اليومية، والتي من دونها يكون من الصعب أداء تلك الأنشطة أو لا يمكن الوصول إليها أو يعد الأمر مستحيل[85] .

أهمية التكنولوجيا المساعدة

مما لاشك فيه مساعدة التكنولوجيا المساعدة الكثير من المعاقين على تخفيف أو إزالة الحواجز التي تُعيقهم في ممارسة الحياة العادية وكافة الأنشطة؛ فهي تساعد في تحسين الحالة البدنية والأداء العقلي والتخفيف من الاضطراب أو الضعف ، ومنع تفاقم الحالة وتحسين قدرة المُستخدم المُعاق على التعلم ، كما أنها تساعد المستخدمين من ذوي الإعاقة على زيادة استقلاليتهم وبناء الثقة بالنفس واحترام الذات، وكذلك كسر الحواجز في الاستخدام والتحدي

[85] .فاطمة الزهراء محمد عبدة ، الإعاقة البصرية والتكنولوجيا المساعدة في المكتبات ومراكز المعلومات، الناشر : مؤسسة المنهل للنشر والتوزيع، 2018، ص21،

الحقيقي هو الحصول على الوسيلة المنا سبة من هذه الأنواع التكنولوجية التي يحتاجها المستخدم المعاق وفقًا لنوع الإعاقة ودرجتها[86].

تساهم هذه الدراسة في تقديم إطار فكري عن العلاقة بين التكنولوجيا المساعدة وتحليلها التصميمي للمنتج الصناعي من الفكرة إلى الاستخدام فاعليتها في دمج ذوي الإعاقة في المجتمع .

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن مفهوم التكنولوجيا المساعدة (Assistive (Technology الذي عرفته مؤسسة (IDEA) (١٩٩٧) في أنه: أية مادة، أو نظام منتج، أو شيء معدل أو مصنوع وفقًا للطلب يهدف لزيادة الكفاءة العلمية والوظيفية لذوي الاحتياجات الخاصة وعندما نتحدث عن أجهزة التكنولوجيا المساعدة فإننا نقصد الوحدة نفسها، والتي يمكن لها أن تكون عنصرًا مثل عصاة هوفر المساعدة الأشخاص المكفوفين على التنقل، أو يقصد بها معدات معينة مثل الكراسي المتحركة لمساعدة ذوي الإعاقة الحركية، أو نظام منتج مثل الحاسوب ذي المخرجات الكلامية والحاسوب الناطق، والغاية من هذه الأجهزة هي تعزيز القدرة على الوصول والاستقلالية للأفراد من ذوي الإعاقة؛ فمثلا يساعد اللوح التخاطب المستخدم على التواصل بمنحه فرصة للكلام، في حين يساعد مكبر الشاشة المستخدم المعاق ذي الرؤية الضعيفة من مشاهدة الكلمات بسبب عرض أفضل لها على الشاشة المكبرة وتجعل برمجيات (JAWS) للقراءة الناطقة للشاشة من القراءة الإلكترونية أمرا ممكنا، فمعظم أجهزة الحاسوب تأتي بسماعات لتضخيم الصوت ، ويساعد ذلك في قراءة الشاشة للمكفوفين، وفاقدي السمع البسيط ، أو من لديهم صعوبة في اللغة المكتوبة، ويمكن أيضا الاستماع بهدف التعلم بالأشرطة المسجلة، واستخدام المعينات السمعية، إضافة إلى أجهزة التكنولوجيا المساعدة مثل ألواح التواصل الإلكترونية وغير الإلكترونية)، والطابعة، ومكبر للصوت، وأجهزة الطباعة والتواصل باستخدام عروض مكبرة على الفيديو والتلفاز، ومخرج الصوت الحاسوبي، وكذلك استخدام أنظمة

[86] . خضير مخيمر اوب زيد محمد وأخرون ، استخدام التكنولوجيا المساندة في لتقيل تأثير بعض التغيرات المرتبطة باضطرابات الكلام، المجلد الثامن ، العدد ،الأول ، 2025، مجلة دراسات في الارشاد النفس والتربوي – كلية التربية – جامعة أسيوط ، ص92.

الإشارة كإشارة رنة التليفون، وإشارة طرق الباب، ومنبه الدخان المضيء، وبرنامج براين الناطق) [87] ،

تساعد التكنولوجيا المساعدة على تحسين أداء الأفراد؛ كما تساعد هذه التكنولوجيا الطالب من ذوي الاحتياجات الخاصة على فعل الأشياء التي لا يستطيع فعلها بدون الجهاز، وبالتالي فإن التكنولوجيا المساعدة هي أي شيء تم اقتناؤه أو صنعه ليساعد الفرد من ذوي الإعاقات على تحقيق المهام ، والتي سيكون أداؤها صعبا أو مستحيلا من دون استخدام هذه الأجهزة[88].

أنواع التكنولوجيا المساعدة

تتميز التكنولوجيا المساعدة بأنها تأتي في أشكال عدة ومختلفة الأحجام والحزم ولها عدة مستويات فمنها التكنولوجيا المنخفضة مثل " العدسات المكبرة والتكنولوجيا الفائقة مثل أجهزة الحاسبات والبرمجيات الموجهة للمعاقين[89]، كما أن هناك تقسيما آخر من أجهزة وأدوات التكنولوجيا المساعدة لعشر فئات، مصنفة حسب الهدف الرئيسي منها وهي:

-

1. العناصر المستخدمة في المنتج الصناعي لتسهيل الحركة وتيسيرها.
2. العناصر الحسية مثل أدوات وأجهزة تقوية السمع، والحاسبات ومكوناتها من أجهزة وبرمجيات مثل البرمجيات الخاصة بقراءة الشاشة الخاصة بالمعاقين بصريا.
3. الضوابط، مثل: الضوابط البيئية ومساعدات العيش بشكل مستقل، مثل أدوات العناية الشخصية
4. أجهزة التنقل بما في ذلك الكراسي المتحركة والتعديلات التي تجرى في الأثاث والمفروشات.

[87]. العاني ، وجيهة ثابت ، **استخدام التكنولوجيا المساعدة في تعلم الطلبة ذوي الإعاقة بجامعة السلطان قابوس من وجهة نظرهم** ، العدد الثامن والثلاثون يوليو ٢٠٢١م مجلة جامعة المدينة العالمية (مجمع).

[88] .فليب ماهر حبيب سليمان وآخرون ، برنامج تدريبي باستخدام التكنولوجيا لتنمية المسارات الحياتية لدى الأشخاص ذوي الإعاقة البصرية ، مجلة العلوم البيئية معهد الدراسات والبحوث البيئية - جامعة عين شمس ، المجلد الثامن والاربعون ، الجزء الثالث ، 2019، ص200-201.

[89] . Robitaille, Suzanne. 2010. The illustrated Guide to Assistive Technology and Devices: Tools and Gadgets for living independently. - New York: Demos Medical Publishing. p. 3, 7.

5. أجهزة وأدوات الخدمات العامة والتدريب، أجهزة الترويح والرياضة والأطراف الاصطناعية وتقويم العظام [90].

الأنشطة الحياتية التي تحتاج للتكنولوجيا المساعدة الخاصة بالإعاقة البصرية

تعتمد التكنولوجيا المساعدة على فهم طبيعة الإدراك البشري المعتمد على الحواس المتعددة فضلاً عن حاسة الإبصار، وفهم قدرات العين البشرية في الرؤية والتركيز وتتبع الحركة كما تمت دراسات عديدة على حاسة اللمس للاستعاضة بها عن حاسة الإبصار وكيفية تعزيزها عن طريق التدريبات ومن أهم الطرق المستخدمة لحاسة اللمس هي طريقة برايل* للحصول على المعلومات وتبعا لنموذج التكنولوجيا المساعدة الشامل الخاص بالمساعدات التقنية للأشخاص ذوي الإعاقات وبتطبيقه على التكنولوجيا المساعدة الخاصة بالإعاقات البصرية يلاحظ أن الأنشطة الحياتية التي قد تحتاج إلى دعم من التكنولوجيا المساعدة للشخص المعاق بصرياً ليتمكن من تخطي حواجز الوصول للأداء الطبيعي وايضا تلبية الاحتياج هي التنقل جميع يفضل الأشخاص ذوو الإعاقة البصرية التنقل والسفر بشكل مستقل، والتنقل يتضمن الأنشطة الخاصة بالحركة والسفر والتجوال الأمن سواء المسافات طويلة أو قصيرة، وتجنب العليات والحركة على السلالم والمنحدرات وتصميم ادوات يمكن الوصول اليها وبدأت أدوات المساعدة الأولية التنقل لذوي الإعاقات البصرية داخل المجتمع باستخدام عصا طويلة للكشف عن عليات الطريق وذلك في عام 1940م ، وفي الآونة الأخيرة تطورت التكنولوجيا المساعدة على التنقل لتستخدم تكنولوجيا الليزر وأجهزة الموجات فوق الصوتية وأجهزة الاستشعار عن بعد، وأجهزة "GPS" Global Positioning Satellite، وتكنولوجيا الأشعة تحت الحمراء غير المرئية والتي تعتمد علم الطول الموجي الكهرومغناطيسي، ومن أشهر هذه التكنولوجيا استخداماً بين المعاقين بصرياً تكنولوجيا GPS بسبب تنصيبها بأجهزة الهواتف المحمولة، وهي عبارة عن تحديد المسار بواسطة الأقمار الصناعية، وتتألف

[90] .فاطمة الزهراء محمد عبدة ، الإعاقة البصرية والتكنولوجيا المساعدة في المكتبات ومراكز المعلومات ، الناشر : دار المنهل للنشر والطباعة ، 2018، ص22.

أنظمة GPS من أربعة وعشرين قمراً صناعيا تدور حول الأرض، وهذه الأجهزة يمكن أن تساعد المستخدم المعاق بصرياً في التنقل لإيجاد المواقع التي يحتاج للوصول إليها مثل البنوك والمطاعم، كما يمكن تسجيل أسماء الاماكن بالجهاز[91].

الاتصالات والمعلومات: – ان الاتصال هو عملية تتضمن المشاركة حول شيء أو فكرة أو إحساس أو اتجاه أو سلوك أو فعل ما ، فعند الاتصال مع الاخرين تعد عملية تبادل للأفكار والمعلومات، وقد استخدم مصطلح "الفجوة الرقمية" لوصف الفجوة بين أولئك الذين يستخدمون الوسائل الرقمية وبين من ليس لديهم إمكانية التعامل مع تكنولوجيا الحاسب الآلي والإنترنت على وجه الخصوص، والوصول إلى تكنولوجيا الحاسب الآلي بشكل عام من خلال واجهات المستخدم الرسومية بعد مستحيلاً بالنسبة لذوي الإعاقات البصرية إلا من خلال تكنولوجيا قراءة الشاشة والتي لا يمكن أن تستخدم بشكل فعال إلا إذا صممت الوثائق الإلكترونية بشكل مناسب وتلك قضايا معقدة وخاصة في سياق شبكة الإنترنت والتعامل مع الوسائط المتعددة الخاصة بعرض المعلومات باستخدام النص والصوت والرسوم المتحركة والصور والفيديو وتأثيرات الألوان وقد قام اتحاد شبكة الويب العالمية (W3C) بوضع مبادئ توجيهية تحدد البدائل اللازمة لوصول ذوي الإعاقات البصرية إلى المعلومات من خلال الإنترنت على حد سواء مع المستخدم العادي [92].

أما في مجال الاتصالات السلكية واللاسلكية فهناك بعض التجهيزات التي تجري على الهواتف المحمولة والتي تمكن غير المبصرين من استخدامها من خلال الاتصال الصوتي والتعرف على هوية المتصل من خلال الصوت، وقراءة الشاشة في حالة الرسائل النصية أو الولوج داخل شبكة الإنترنت على الرغم من التركيز المتزايد على تقنيات المعلومات والاتصالات، ما تزال وسائل الإعلام المطبوعة وسيلة هامة وكثيرا ما تستخدم لنقل المعلومات بالإضافة إلى النص

[91] .سهير محمود امينه عبدالله وآخرون ، استراتيجيات التدخل المبكر لذوي الاحتياجات الخاصة ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية ،2024، ص93.
[92] .اسماعيل محمد معوض ، الإعلام وذوي الاحتياجات الخاصة ، الناشر : دار المنهل للنشر والتوزيع ، 2020، ص287.

تعتمد الوسائل المطبوعة أيضًا على الجداول والرسوم البيانية والصور والخرائط والنوتة الموسيقية ، فضلاً عن العديد من الأنواع الأخرى من الرسوم البيانية التمثيلية ، والحصول على أنواع مختلفة من وسائل الإعلام المطبوعة للمكفوفين وضعاف البصر يثير العديد من القضايا، وسوف تناقش هذه القضايا والتكنولوجيا المرتبطة بها بتوسع أكبر في الفصول المقبلة في هذه الدراسة خاصة المرتبطة بأساليب وأدوات وكيفية الحصول على المعلومات .

التصميم المسخر للقيم:- تطلق القيمة على كل ما هو جدير باهتمام المصمم لاعتبارات مادية ، أو معنوية ، أو اجتماعية ،أو أخلاقية ،أو دينية ، أو جمالية ، يرى "حامد زهران*" أن القيمة هي عبارة عن تنظيمات لأحكام عقلية انفعالية وهي مفهوم ضمني غالبا يعبر عن الفضل أو الامتياز أو درجة الفضل الذي يرتبط بالأشخاص أو الأشياء أو المعاني أو أوجه النشاط ، فضلا عن ذلك هي مجموعة من الديناميات التي توجه المصمم في ،إذ يستخدمها في إصداره القرار التصميمي عبر الأحداث و الأشياء، المادية كانت أو المعنوية في مواقف التفضيل و الاختيار بكونها المعتقدات و التفضيلات والمفاهيم المجردة التي يحملها المصمم للأشياء و المعاني في تنفيذه الفكرة التصميمية والتي تعمل على توجيه اتجاهاته نحوها، فهي تساعده في تحديد ما هو مقبول و ما هو مرفوض، وما هو صائب و ما هو خاطئ ، وتتصف بالثبات النسبي ، وأن القيم تتصف بالخصائص التالية هي كما يلي:

1. القيم الإنسانية: اهتمام بالمصمم بالمشاعر واللذة والألم والأفكار جميعها تكون مرتبط بالمستخدم كإنسان.
2. القيم الذاتية: إحساس المصمم بالقيم على نحو خاص بطبيعة المستخدم.
3. القيم النسبية: تختلف القيم عند المصمم عند تصميميه المنتج الصناعي حسب طبيعة المستخدم لآخر ومن زمن لآخر، ومن مكان إلى مكان ومن ثقافة إلى ثقافة أخرى.
4. القيم المرتبة فيما بينها ترتيبا هرمياً، أي هناك قيما لها الأولوية في حياة المصمم تكون مختلفة عن باقي القيم الأخرى ، فضلا عن ذلك تتضمن القيم نوعا من الرأي أو الحكم على مستخدم أو شيء أو معنى معين

تتضمن القيم الوعي بمظاهره الإدراكية والوجدانية و النزعوية، القيم المثالية لأنها ليست شيئا بأي حال وإن كانت الأشياء هي التي تحمله[93]، وينبغي أيضاً أن يكون المصمم قادراً على تفسير وتبرير ما صممه وهذا ما يمكن أن يسمى المُثل الأعلى للتصميم أو التصميم المسخر للقيم وبالوسع، بل يتعين عليه أن يصمم لتحقيق الإنصاف والعدالة والخصوصية والكرامة إن كان يهتم بهذه القيم، وقد قال صامويل شيفر* في كتابه "المساواة والتقاليد" إن قيمنا "تداولية[94]، وهذا يعني أن المصمم لا بُدّ ان يتخذ له القيم التي سيتوقع أنه سيشهد بها أيضاً عندما تكون وجيهة في المداولات حول ما ينبغي عليه أن يصمم ويستطيع على نحو مماثل إن القيم الاخلاقية تشكل أيضاً " نتاج التصميم، فيسعى إلى تنفيذها في العالم المادي والتكنولوجي، فهو يعد دليلا على أن التزامه بالقيم بشكل اكثر جدية، فضلا عن ذلك هناك عالم من الأخلاقيات والقيم والمبادئ والمعايير والواجبات والالتزامات والفضائل والحقوق والمعايير والمثل العليا والقوانين، وهناك عالم من والتكنولوجيا والابتكار يتشكل بصورة مستمرة فإذا كان المصمم لا يستوعب الافكار العنصرية أن تتسرب إلى ما يصممه ويصنعه فعليه أن يولي عناية كبيرة لتصميم القيم الأخلاقية ، ولا بُدّ من التعبير عن القيم المشتركة وتجسيدها على النحو اللائق فيما يصممه ويصنعه.

شكل (1) يوضح فيه ساعة ذكية تعمل وف طريقة بريل المصدر https://www.alamal.com.kw/?p=880589

نماذج من منتجات لذوي الإعاقة ذات تقنيات متنوعة :-



1. ساعة ذكية تعمل وفق طريقة «بريل» التقليدية ، مع واجهة تمتلك عدداً من النقاط البارزة لتوصيل الرسائل والإرشادات لمرتديها وهذا ما يلاحظ بالشكل(1) .

[93] . صادق عز الدين ، مقاربة نظرية لمفهوم القيم الشخصية وتفسيرها حسب مختلف العلوم ، مجلة دراسات في علوم الانسان والمجتمع، تصدر عن جامعة محمد الصديق بن يحي –جيجل ، المجلد 03، العدد 01، 2020، ص64.

[94] . World Intellectual Property Organization ، الأخلاقيات والابتكار، الناشر : World Intellectual Property Organization،2021،ص120.

2. نظارات مبتكرة للمكفوفين باستخدام الذكاء الاصطناعي: هي نظارة "راي بان" (Ray Ban) هذه النظارة مزودة بكاميرا وميكروفونات ومساعد ذكاء اصطناعي قادر على تحديد الأشياء والإجابة عن الأسئلة، وتجمع بين تقنيات الواقع المعزز والذكاء الاصطناعي من أجل السماح للمستخدم بالتفاعل مع العالم من حولهم ، وتوفر نظارة "راي بان" حلولًا متطورة تساعد المستخدم في التنقل، والتعرف على الأشياء، وقراءة النصوص، وحتى التفاعل مع الأفراد والمجتمع بسهولة أكبر، وتعتمد "راي بان" الذكية على مزيج من تقنيات الذكاء الاصطناعي والواقع المعزز، مما يمنحها القدرة على التعرف على البيئة المحيطة، وتحليل المعلومات البصرية، وتحويلها إلى بيانات صوتية مفيدة للأفراد ذوي الاحتياجات الخاصة ، وتشمل هذه التقنيات التعرف على الأشياء والأشخاص ، والمساعد الصوتي المدعوم بالذكاء الاصطناعي، والتحكم بالأوامر الصوتية، والتعرف على النصوص وتحويلها إلى صوت، والخرائط والتوجيه الصوتي الذكي، وتستخدم "راي بان" كاميرا مع تقنيات الرؤية الحاسوبية لتحديد الأشياء والأشخاص المحيطين بالمستخدم وتمييزهم وهذا ما يلاحظ في الشكل (2).



، (2) يوضح في نظارات مبتكرة للمكفوفين من راي بان المصدر
https://www.aljazeera.net/tech/2025/5/15/%D8%B4
%A7%D9%87%D8%AF-

3. كرسي نموذج ذكي للتكنولوجيا المساعدة في التصميم الصناعي ، يوفر تجربة جلوس ذكية للمستخدم، إذ يتميز الكرسي بوجود حساسات دقيقة تراقب وضعية الجسم وتُعدله تلقائيًا مساند الظهر والذراعين والمقعد للحفاظ على الراحة المثلى وتقليل الإجهاد العضلي، كما يضم نظام تحكم مناخي دقيق يقوم بتبريد أو تدفئة مناطق محددة من المقعد بحسب درجة حرارة الجسم ، إضافة إلى وظائف تدليك مدمجة لتحسين الدورة الدموية ويعزز نظام



شكل (3) يبين فيه كرسي ذكي للمعاقين المصدر
https://www.alarabiya.net/science/2017/04/05

الإضاءة الديناميكي والإعدادات التفاعلية تجربة المستخدم سواء في بيئات العمل أو اللعب او فترة الاكل ، مما جعله المثال المتكامل على توظيف التكنولوجيا المساعدة وهذا ما يلاحظ في الشكل (3).

التكنولوجيا المساعدة وتحليلها التصميمي في الفكرة

ان التكنولوجيا المساعدة تعني المنتجات الصناعية المساعدة وما يرتبط منها بالأنظمة والخدمات، وهي التي تمكن وتعزز مشاركة وإشراك المستخدم من ذوي الإعاقة وكبار السن، والمستخدمين الذين يعانون من اعتلالات صحية ، والمستخدمين الذين يعانون من التدهور أو فقدان القدرات الذاتية التي تعمل على تعزيز قدرت التواصل والإدراك والسمع والحركة والرعاية الذاتية ، أي أنها منتج صناعي مثل : الكراسي المتحركة ، أو سرير، أو الدراجات ، المشي، العصى، العكازات تكون وظيفتها زيادة أو صيانة أو تحسين القدرات الوظيفية للمستخدم من ذوي الإعاقة ، وذلك من خلال التقنيات التي تساعد المستخدم الذي

لديه إعاقة في أداء المهام بوساطة جهاز أو برنامج يساعده على أن تجاوز اعاقته ، هذا فضلا عن أدوات ذات التقنية المنخفضة Low Technology مثل: الأدوات الموزونة الثقيلة المستخدمة في أنشطة الحياة اليومية المختلفة كالأكل والكتابة المساعدة في استقرار حركات اليد والذراع وتقليل الرعاش وتقوية العضلات ، والأدوات ذات التقنية العالية مثل الكراسي المتحركة الكهربائية وأجهزة الاتصالات المعززة والبديلة[1].

إذ يمكن عدها أدوات مساعدة في التخطيط والتنظيم ومتابعة جدول الأعمال وقائمة المهام ومعلومات التواصل والملاحظات المتنوعة للأشخاص ذوي الإعاقة من الانخراط في العمل والتوظيف وتحسين إمكانية النفاذ والإنتاجية والاستقلالية من قيود وظيفية على التنقل أو النقل من مكان إلى آخر، فتتيح هذه الأدوات إمكانية إدارة هذه المعلومات وتخزينها واسترجاعها بمساعدة برامج خاصة وأجهزة محمولة وتوفر الترفيه لحلول يمكن الوصول إليها للمشاركة في الأنشطة الترفيهية والاستمتاع بها مثل الألعاب أو الاستماع إلى المحتوى الصوتي أو مشاهدة التلفزيون

.

التكنولوجيا المساعدة وتحليل الأفكار التصميمية في تصميم المنتج الصناعي المعاصر

تُعدّ عملية تحليل الفكرة التصميمية وآليات التعبير عن معناها من العمليات المعقدة التي تتم وفق نظرية الجشتالت ؛ مستوى الكل والجزء في تصميم المنتج الصناعي، ويعتمد المصمم في هذا التحليل في توظيف التكنولوجيا المساعدة ضمن الإطار الانتقائي الذي يهتم بالظرف التصميمي بدقة عالية أي بمعنى حالة المستخدم الصحية ، فأن هذه الانتقائية تميل نحو المباشرة والظاهرية ، مما يحدّ من إمكان توليد فكرة تصميمية جديدة قادرة على استيعاب أكثر من جانب من جوانب الظرف التصميمي للمنتج الصناعي فتركيز المصمم يبنى على الجزئيات مما يؤدي إلى إضعاف النظرة الشمولية للمنتج ، ويقلل من إمكانية اكتشاف القواسم المشتركة بين مكوناته واجزائه كما أن مفردات التصميم وإن تكررت في أكثر من سياق، فإن تراكمها وتفاعلها ضمن كل تصميم يمنح المنتج

1 . الباتع حسن ،تكنولوجيا تعليم ذوي الاحتياجات الخاصة والوسائل المساعدة، الناشر: دار الجامعة الجديدة ، مصر القاهرة ،2014، ص53.

خصوصيته وهويته المستقلة التي تميّزه عن غيره [1]، مثال على ذلك تحليل العصا الذكية للمكفوفين إذ ان الفكرة التصميمية تكون ضمن مستويين؛ فعلى مستوى الكل، يتناول التحليل تكامل الأجهزة التقنية مثل أجهزة الاستشعار والملاحة الصوتية مع الشكل الفيزيائي للعصا، إذ تُمكّن المستخدم من التنقل بأمان واستقلالية في مختلف البيئات، كما يأخذ التحليل بعين الاعتبار سهولة الاستخدام، والوزن المناسب ، والاستجابة الفورية للتغيرات في الطريق ، أما على مستوى الجزء، فيركّز المصمم على تفاصيل مثل مكان تثبيت أجهزة الاستشعار، نظام الاهتزاز للتنبيه، البطاريات، وزوايا الاستشعار المختلفة لضمان دقة التنقل ، إن اعتماد المصمم على التكنولوجيا المساعدة يعزز من الوظائف التقنية للعصا، لكنه قد يقوده — عند اتباع الانتقائية — إلى التركيز على الأداء دون الانتباه للتجربة الحسية والراحة النفسية للمستخدم ،أما التحليل الكلي فيُتيح الرؤية المتكاملة التي تجمع بين الأداء الوظيفي، والراحة، والقدرة على التفاعل مع البيئة ، مما ينتج تصميمًا مبتكرًا يعكس التكامل بين التقنية والحاجة الإنسانية في سياق الأجهزة المساعدة ، أي ان تحليل مجموعة من بيانات واقع الحالة التصميمية، توضح أن التداخلات الفكرية في أثناء العمل التصميمي، تحدث لتشكيل ما أطلق عليه اسم فعاليات التقييم التحليلي وفعاليات التقييم التركيبي بشكل مستمر، وبصورة يكون الفصل فيما بينها غير ممكن من الناحية العملية وإن السلوك التصميمي يتفاوت في مقدار ما يحويه من نسب لإنجاز هذه الفعاليات عبر الزمن المخصص لإتمام المهمة المناطة بالمصمم، بحيث أن انحدارها يبدو واضحا في الفرق الحاصل بين بداية الإنجاز ونهايته .

جمالية التكنولوجيا المساعدة في تصميم المنتج الصناعي المعاصر

تتميز جمالية التكنولوجيا المساعدة في تصميم المنتج الصناعي باعتبارها وسيلة من وسائل خدمة البحث العلمي ، ومحاولة المصمم تصميم منتج صناعي لذوي الإعاقة بغية تقرب المصمم لعالم الخير والجمال كونه قيمه ايجابيه نابعه من طبيعة الشيء وهو لذه تعتبر صفه في الشيء ذاته وقيمته ، أي انه ليس ادراكا لحقيقه واقعه أو لعلاقه وانما هو انفعال للطبيعة الارادية التذوقيه ، ان هذه القيمة الإيجابية ، أي أنها احساس بوجود شيء حسن أو بانعدام شيء

1. القيماقجي ناهض طه عبد الله البنية المنطقية لعملية التصميم المعماري ؛ أطروحة دكتوراه؛ قسم الهندسة المعمارية ، الجامعة التكنولوجية؛ بغداد .2008 م،ص54.

حسن (في حالة القبح) انعدام الخير الجمالي شر خلقي ، اما الشر الجمالي هو شر نسبي بحث و يعني مقدارا من الخير الجمالي أقل مما يتوقع في مكان و زمان معينين ، كونه خير مطلق أي انه يرضى وظيفةً طبيعية أو حاجه أو ملكة جوهريه في العقل ، فهو قيمه ايجابيه ذاتيه بمعنى ان قيمته في ذاته فهو لذه من اللذات ، الإيجابية



شكل (4) يبين فيه عصا ذكية للمعاقين المصدر

والذاتية : هما اللذان يفصلان مجال الجمال عن مجال الأخلاق[1] ، كما في معدات التوجيه للمكفوفين إذّ تحظى العصا الذكية المعروفة أيضاً باسم عصا المكفوفين الذكية أو العصا الذكية ، بتقدير كبير من قبل ضعاف البصر نظراً لبنيتها المستقرة وعمليتها العالية تتكون العصا الذكية من جسم العصا الرئيسي ونظام التوجيه المثبت عليها (بما في ذلك وحدة



الإدخال، ووحدة جمع البيانات البيئية ، ووحدة التحكم الرئيسية ، ووحدة التغذية الراجعة أو وحدة القيادة)، تتيح وحدة الإدخال لضعاف البصر إدخال المكان الذي يريد الوصول إليه أو تحديده في النظام في شكل تعليمات من خلال الميكروفون الصوتي، ولوحة المفاتيح، والأزرار، وتطبيق الهاتف المحمول، وبرنامج WeChat المصغر، وأجهزة الإدخال الأخرى، حتى تتمكن العصا الذكية من الحصول على تعليمات عملها، وتُعد وحدة جمع البيانات البيئية) الكاميرا، والرادار، والموجات فوق الصوتية، والأشعة تحت الحمراء، ورادار الموجات المليمترية ، وRFID، ونظام تحديد المواقع العالمي(GPS) ،لاحظ الشكل (4) .

ومن الوحدات الأساسية لمكونات للعصا الذكية، والتي تلعب الدور الأكثر أهمية في عمل العصا الذكية ، فهي تُستخدم هذه الوحدة لجمع البيانات البيئية حول ضعاف البصر وتُستخدم وحدة التحكم الرئيسية، ووحدات معالجة مركزية صغيرة أخرى لتحليل ومعالجة البيانات المحيطة المُجمّعة، وإرسال التعليمات إلى وحدة التغذية الراجعة أو وحدة القيادة، تُستخدم وحدة التغذية الراجعة (عجلة التوجيه، المحرك، الجرس، وحدة الصوت) لتزويد ضعاف البصر بمعلومات بيئية وتعليمات ملاحة من خلال الصوت، اللمس، الصوت، والاهتزاز، وغيرها، بعض

1 .اماني غازي جرار ،المواطنة العالمية ، الناشر: دار وائل للطباعة والنشر والتوزيع ، 2014، ص65.

العصي الذكية المزودة بخاصية الملاحة النشطة تُحرّك الجهاز المتحرك في الأسفل (عجلة متعددة الاتجاهات، سيارة روبوت) عبر وحدة القيادة، وتُرشد ضعاف البصر إلى وجهتهم لاحظ الشكل (5).

هذا فضلا عن تحدث افلاطون عن الجمال الحسّي والجمال الروحي (الفضيلة) والجمال الموجود في عالم المثل، أو بالأحرى فهو ليس سوى "السلم" الذي ينبغي على المصمم الارتقاء عليه للوصول إلى عالم المثل، وهو الذي يبدأ أولا من جميع الأشياء الجميلة الموجودة في عالم المنتجات الصناعية ، ثم يرتقي تدريجيا إلى أن يصل لأعلى حدود الجمال في تصميم المنتج الصناعي المعاصر، كما لو كان صعوداً على السلم خطوة بخطوة، وانتقال من شكل منتج صناعي جمالي واحد إلى منتجين جماليين، ومن منتجين جماليين إلى منتج جمالي متكامل ، ثم ينتقل من ذلك المنتج الجمالي إلى نظام تصميمي جمالي، ومن النظام التصميمي الجمالي إلى الدراسات والمعارف الجمالية ، وفي النهاية ينتقل مباشرة من مختلف أنواع المعرفة والدراسات الجمالية إلى تلك الدراسات التي تتخذ من الجمال نفسه مادة لها فحسب (تشانغ هوا ·;، 2025).

شكل (5) يبين فيه عصا ذكية للمعاقين المصدر
https://www.amazon.sa/%D8%AA%D9%84%D8%B3%D9%83%D9%88%D8%A8%D9%8A%D8%A9-%D9%84%D9%84%D9%85%D9%83%D9%81%D9%88%D9%81%D9%8A%D9%86%D8%8C

الفصل الثالث منهجية البحث وإجراءاته

منهجية البحث : أتبعت الباحثة المنهج الوصفي وذلك لوصف وتحليل التكنولوجيا المساعدة وتحليلها التصميمي للمنتج الصناعي من الفكرة إلى الاستخدام

مجتمع البحث : يتكون مجتمع البحث من المنتجات الصناعية لشركة (الرافدين) ، وتشمل جهاز عصا المكفوفين ، كرسي متحرك سرير لذوي الاحتياجات الخاصة .

عينة البحث : لأغراض تحقيق اهداف البحث الحالي تم اختيار عينة البحث من خلال الاعتماد على الاسلوب القصدي في اختيار عينة البحث, وذلك بحسب التكنولوجيا المساعدة وتحليلها التصميمي للمنتج الصناعي من الفكرة إلى الاستخدام

أدوات البحث : من أجل الوصول إلى أهداف البحث فأن الباحثين أتبعا الخطوات الآتية :

1. تصميم استمارة التحليل وكما موضحة في الملحق (1) .

2. تصميم استمارة مرتكزات التحليل التي مثلت نقاط التحليل الأساسية .

صدق الأداة: لغرض التأكد من ملاءمة اداة البحث وصحتها تم عرض استمارة تحديد محاور التحليل على عدد من الخبراء المحكمين المتخصصين في مجال التصميم الصناعي، وبعد ابداء آرائهم من حيث صلاحية محاور التحليل وتشخيص ما يحتاج منها الى تعديل ، تم اجماعهم على صدق الاداة وصلاحيتها للتطبيق.

الوسائل الإحصائية : تم استخدام الوسائل الاحصائية الاتية لغرض التحقق من نتائج البحث , وهي : معادلة كوبر : معامل الثبات = عدد مرات الثبات / عدد مرات الاتفاق + عدد مرات عدم الاتفاق×100

مجموع الاتفاق – فرصة الاتفاق معادلة سكوت / الثبات = ـ × 100% فرصة الاتفاق – أكبر إمكانية للاتفاق

ملحق (أ) نموذج استمارة التحليل

الأستاذ ..... المحترم

يضع الباحثة بين أيديكم استمارة التحليل الخاصة بالبحث الموسوم (التكنولوجيا المساعدة وتحليلها التصميمي للمنتج الصناعي من الفكرة إلى الاستخدام) هدف البحث تحديد اهم التوجهات في تصاميم المنتجات الصناعية المعاصرة وفقاً لإستراتيجية التكنلوجيا المساعدة ، ولما عهده الباحثة فيكم من معرفة علمية فإنها ترجو بيان رأيكم حول فقراتها عن طريق إضافة أو تعديل ما ترونه مناسبا بوضع علامة (/) تحت الفقرة التي تحقق أهداف البحث وعلامة (*) تحت الفقرة التي لا تنسجم مع أهدافه

ولكم فائق الامتنان

الباحثة

ت	المحاور	المحاور الفرعية	متحقق	متحقق	غير

	الاساسية				نسبيا	متحقق
1	التكنولوجيا المساعدة في تصميم المنتج الصناعي	أنواع التكنولوجيا المساعدة	العناصر المستخدمة لتسهيل الحركة وتيسيرها.			
			العناصر الحسية			
			الضوابط البيئية ومساعدات العيش بشكل مستقل، مثل أدوات العناية الشخصية			
			أجهزة التنقل			
			أجهزة وأدوات الخدمات العامة			
		الأنشطة الحياتية	القيم الإنسانية			
			القيم الذاتية			
			القيم النسبية			
			القيم المرتبة فيما بينها ترتيبا هرمياً			
	التكنولوجيا المساعدة وتحليلها التصميمي في الفكرة		التكنولوجيا المساعدة وتحليل الأفكار التصميمية في تصميم المنتج الصناعي المعاصر			
		مستويات الفكرة التصميمية	التحليل وفق مستوى الكل.			
			التحليل وفق مستوى الجزء			
			التكامل بين التقنية والحاجة			
	جمالية		قيمه ايجابيه نابعه من طبيعة الشيء			

	التكنولوجيا المساعدة في تصميم المنتج الصناعي المعاصر		الجمال الحسّي والجمال الروحي (الفضيلة)			
			النظام التصميمي الجمالي			

الملحق (1) استمارة محاور التحليل

تحليل العينات

الانموذج الأول مفكرة برايلBraille Sense 6 Mini



الأبعاد والأوزان العرض: 185 ملم، العمق: 103 ملم ، الارتفاع: 23 ملم ،الوزن: 430 جرام ، التّشغيل والأزرار ، لوحة مفاتيح بيركنز ذات 9 مفاتيح مع ctrl و alt و 4 مفاتيح وظيفيّة ، أزرار مخصصة للتحكم في مستوى الصوت والميديا، مفتاح الإقفال ومفتاح ميديا مود وزرّ الطاقة ، مفاتيح التمرير ومفاتيح المؤشر السريع، خصائص الصوت: مكبرات صوت أحادية ، ميكروفونات استريو MEMS متعددة الاتجاهات ، مقبس سماعة رأس أربعة أقطاب ومقبس ميكروفون ستيريو محرك رجراج وتنبيهات صوتية ، اتصال USB

- USB Type-C 3.1 Gen 1 x 1(وضع الجهاز) ؛ شحن USB-PD

شكل (6) يبين فيه الانموذج الأول / المصدر
https://ar.ceciaa.com/manufacturers.ht

- USB Type-C 3.1 Gen 1 x 1(مضيف)؛ منفذ عرض USB-C 1.2؛
- منفذ فيديو USB-C إلى HDMI.

مواصفات الانموذج لوحة مفاتيح برايل عليها العديد من الإضافات، اتصال فعّال لا ينقطع يوفر الدليل المرئي للمعلمين والتلاميذ يمكن للأهل والمدرسين والتلاميذ توصيل شاشة Braille Sense 6 Miniعبر USB-Cإلى HDMIأو شاشات USB-C المحمولة أو من خلال ربطه مع جهاز لوحي آخر يعمل بنظام Android.

، كاميرا متعددة الاستخدامات ، قاموس متكامل مدمج ، أزرار الصوت ، مفتاح وضعيّة ميديا ، بطارية قابلة للاستبدال ، لزيادة إنتاجية المهنيين طريقة برايل العاديّة البديهية ، إفتح وأقرأ مباشرة بطريقة البرايل الملفات النصية أو المنقوشة بطريقة البرايل وكذلك مستندات Microsoft Word و PDF و.EPUB قم بعرض PowerPointبصريًا، تزامناً مع برايل مباشرة من محرر النصوص.تصفح الجداول الحسابيّة المنقوشة بطريقة برايل بكفاءة في Excel الفعال وقدمها بصريًا إلى زملائك.اعمل وتعاون على مشاريع جماعيّة عبر Google Docs، مع إمكانية الوصول إلى جميع محتويات Google Drive مباشرةً من خلال التطبيقات الإنتاجية الداخلية تابع الاجتماعات عبر Zoomأو Google Meetأو Microsoft Teamsوشارك جدول بياناتك أو PowerPoint مباشرةً بطريقة البرايل.أنشر وتبادل المعلومات مع الأجهزة والمنصّات الأساسية عبر Google Driveأو Dropbox أو.OneDrive ، الترويج والتّشجيع على قراءة برايل من خلال تطبيقات تعليمية مختصّة بأسلوب برايل التّعليمي ، يوفر Braille Sense 6 Mini وصولاً مباشرًا إلى تطبيقات Googleالأصلية مثل Docs و Sheets و Slides و Classroom ، كما يوفر وصولاً أكثر سهولة إلى Google Drive من خلال File Manager و Text Editor و Notepadو Viewer Excel و .Media Player يتيح ذلك للطلاب المكفوفين استخدام واجهة

Braille Senseالأساسية للوصول إلى الفروض الدراسيّة وإكمال المهام ، ثم نشرها في.Classroom ، تضمن لوحة المفاتيح الصامتة والمريحة قدرًا أقل من الضجيج في الصّفّ وتشغيلًا مريحًا طوال اليوم.استرخي واستمتع اجلس واستمع إلى عرض Zoomوفي نفس الوقت تصفح بهدوء المعلومات المتعلّقة بالاجتماع بطريقة البرايل وقم بكتابة الأسئلة أو استمتع بالدردشة وتبادل الرسائل عبر وسائل التواصل الاجتماعي أو البريد الإلكتروني عندما تشعر بالملل.اسأل Amazon Alexaأو OK Googleعن أي شيء يتبادر إلى ذهنك ، أو اطلبه بصوتك من . Braille Sense 6 Mini تسوق عبر الإنترنت باستخدام Amazon أو عبر أي خدمة أخرى متوفّرة. أستمع إلى الموسيقى أو مقاطع الفيديو المفضلة لديك عبر YouTubeأو Media Playerأو راديو FM ، وأيضاً عبر Apple Musicو Spotifyو Netflixوما إلى ذلك.المعلومات الإضافية، نظام التشغيل أندرويد 10.

يمثّل Braille Sense 6 Mini نموذجًا متقدمًا للتكنولوجيا المساعدة في تصميم المنتج الصناعي الموجّه للمكفوفين وضعاف البصر.

إذ انه يجسّد توظيف مبادئ تصميم المنتج الصناعي المعاصر الشامل من خلال دمج الأنظمة الرقمية الحديثة مع واجهات حسّية لمسية وسمعية ، مما يحقق الاستقلالية الوظيفية والإدراكية للمستخدم.

فهو يعتمد المنتج على أسس الهندسة البشرية في خفة الوزن وسهولة الحمل ، ويستبدل الإدراك البصري بإدراك لمسي وسمعي عبر شاشة برايل والتنبيهات الصوتية.

كما يدعم أنشطة حياتية متكاملة تشمل التعلم، العمل، التنقل، والتواصل الاجتماعي، مما يعزّز القيم الإنسانية والذاتية للمستخدم ويقلّص الفجوة الرقمية بينه وبين المبصرين.

ومن منظور التكنولوجيا المساعدة في تصميم المنتج الصناعي المعاصر، يحقق المنتج أبعادًا وظيفية وتقنية وإدراكية وأخلاقية متوازنة، تجعل منه منصة تفاعل مجتمعي مستدامة، ونموذجًا تطبيقيًا واضحًا لنجاح التكنولوجيا المساعدة

في دعم الشمولية، والاستقلالية، والكفاءة الوظيفية ضمن تصميم المنتجات الصناعية الموجّهة لذوي الاحتياجات الخاصة.

النموذج الثاني عصا المساعدة الجديدةNo Jab

وصف الانموذج

تمتاز عصا المساعدة No Jab



شكل (7) يوضح فيه الانموذج الثاني المصدر https://ar.ceciaa.com/no-jab.html

بوجود نابض في القسم الأول من العصا يعمل على امتصاص أي صدمة أثناء حركة المستخدم الكفيف، تكون مجهزة بمقبض جلدي مريح وفتحات مثقوبة تسمح بمرور الهواء لتوفير راحة أفضل عند الإمساك بها، يتميز الانموذج عصا المساعدة هذه المصنوعة من ألياف الكربون الفائقة المقاومة، بجودة عالية، وبطرف أسطواني من البولي إيثيلين يسمح بحركة سلسة، كما يمكن استخدامها في أي طقس وأي درجة حرارة.

وتكون ب 11طولًا مختلفًا قابلة للطي إلى 3 أو 4 أو 5 أقسام (حسب الطول) ويمكن حملها بواسطة سوار المعصم ، كما تكون مصممة من مقبض من جلد الغنم الأصلي باللون الأحمر وغطاء نهاية مستدير من البولي إيثيلين الأبيض، الوزن حوالي 300 جرام (132 سم) ، الأطوال المتوفرة من 102 إلى 152 سم

تتميز عصا المساعدة No Jab نموذجًا فعّالًا للتكنولوجيا المساعدة الموجّهة للمكفوفين، إذ يعزّز تصميمها الأمان والراحة أثناء الحركة من خلال نابض مدمج يمتصّ الصدمات ويقلّل الإجهاد على يد المستخدم، بما ينسجم مع مبادئ الهندسة البشرية. ويسهم المقبض الجلدي المثقّب في تحسين الراحة الحسية ومنع الانزلاق، في حين توفّر ألياف الكربون خفة وزن ومتانة عالية تدعم الاستخدام اليومي في مختلف الظروف المناخية. كما يضمن الطرف الأسطواني المصنوع من البولي إيثيلين حركة سلسة على الأسطح المتنوعة، وتؤكد قابلية الطي وتعدّد الأطوال على مرونة المنتج وتكيّفه مع اختلاف احتياجات المستخدمين، مما يجعل العصا أداة مساعدة تحقق الاستقلالية الحركية والكفاءة الوظيفية للمستخدم الكفيف.

الأنموذج الثالث آلة كاتبة TATRAPOINT Standard

وصف الانموذج : الأبعاد: تقريباً 40 × 35 × 15 سم ،

الوزن: 7 كغ



تتميز TATRAPOINT STANDARD آلة كاتبة ميكانيكية يدوية متينة وموثوقة، صُممت لتوفير كتابة دقيقة ومريحة من خلال هيكل معدني قوي ومفاتيح ميكانيكية ذات استجابة ثابتة، مع حركة عربة سلسة وإمكانية ضبط الهوامش والمسافات بين الأسطر. تميزت بسهولة الاستخدام وعدم حاجتها إلى طاقة كهربائية، إضافة إلى توافقها مع أحجام الورق القياسية مثلA4 ، مما يجعلها مناسبة للاستخدام المكثف وطويل الأمد. ويعزّز تصميمها الكلاسيكي الأنيق من قيمتها الجمالية والوظيفية، لتكون خيارًا مثاليًا للمكاتب والمراسلات المهنية وورش الكتابة والمشاريع الأدبية، فضلًا عن كونها محبّبة لهواة أدوات الكتابة الأصيلة.

النتائج ومناقشتها :

1. أسهمت فاعلية التكنولوجيا المساعدة في توفير منتجات صناعية ذات كلف اقتصادية مناسبة وبنسبة تحقق بلغت 80.%

شكل (8) يمثل الانموذج الثالث المصدر
https://ar.ceciaa.com/tatrapoint-standard.html

2. أظهرت توظيفات التكنولوجيا المساعدة من خلال الوظائف التقنية بصورة واضحة ومتكاملة، وبنسبة تحقق 80.%

3. كان التركيز واضحًا على اعتماد توظيفات التكنولوجيا المساعدة عبر استخدام التقنيات الحديثة في جميع النماذج، فضلًا عن توظيف أنواع الذكاء الاصطناعي بحسب متطلبات عمل كل جهاز ووظيفته المساعدة.

4. تحققت التكنولوجيا المساعدة في التقنيات بدرجة عالية وبنسبة 80% في النموذجين (1–2)، إذ تحولت هيئات النموذجين إلى لوحين مسطحين بما يسهم في سهولة التشغيل وسرعته، في حين تحققت بدرجة جيدة وبنسبة 80% في النموذج (2)، ولم تتحقق بصورة ملحوظة في النموذج(1).
5. كان محور التكنولوجيا المساعدة في المنتج، وفقًا لتوظيف التقنيات الذكية وتأثيرها في هيئة المنتج، متحققًا بشكل جيد في النماذج الثلاثة وبنسبة 80%، إذ أظهرت تغيرًا في هيئاتها بما يتلاءم مع أنظمة الدعم الذكي المدمجة فيها.
6. حقق النموذج (3) درجة من الاستقلالية الوظيفية بلغت نحو (20%) مقارنة بالنماذج الأخرى، وذلك لأن طبيعة الوظائف المساعدة التي يقدمها تتطلب تحكمًا نوعيًا أكبر بالخيارات المتاحة من قبل المستخدم.

استنتاجات البحث

1. تُعدّ توظيفات التكنولوجيا المساعدة معيارًا أساسيًا في تحقيق التطور الحضاري المعاصر، لما تسهم به في تحسين جودة الحياة وتعزيز كفاءة التفاعل بين الإنسان والمنتج.
2. تتميّز أنواع التكنولوجيا المساعدة بخصائص وإمكانات وظيفية وتقنية يمكن توظيفها في التصميم الصناعي عمومًا، وفي تصميم الأجهزة المكفوفين على وجه الخصوص، بما يلبّي احتياجات المستخدمين المختلفة.
3. يؤثر إدخال التقنيات الذكية ضمن منظومة التكنولوجيا المساعدة في استراتيجية تصميم المنتج الصناعي تأثيرًا جوهريًا في أداء الأنظمة التشغيلية، بوصفه تحولًا أساسيًا في طريقة الاستخدام والتفاعل للمكفوفين.
4. تعتمد المنتجات الصناعية المعاصرة التي تُوظَّف فيها التكنولوجيا المساعدة على تجاوز اشتراطات التصميم التقليدية، من خلال الجمع بين البساطة في الشكل الخارجي والتعقيد الوظيفي في التكوين الداخلي وطرائق الاستخدام.

5. أسهم إدخال التكنولوجيا المساعدة التنظيمية والتقنية في نظم التصميم الصناعي في تقليل الكلف الإنتاجية وتحقيق الرفاهية، إذ يتجه المستخدم إلى اعتماد منتجات توفر مستويات أعلى من السهولة والكفاءة في الاستخدام اليومي، بما يواكب تسارع متطلبات العصر ويعزز القيمة التنافسية للمنتج مقارنة بالمنتجات المماثلة.

6. إن توظيف التكنولوجيا المساعدة بما تحمله من خصائص المرونة وقابلية التشكيل في تصميم المنتج الصناعي ينسجم مع سمات الفكر التصميمي المعاصر، ويعكس توجهات العصرنة في تطوير المنتجات الصناعية.

التوصيات

1. تعزيز دمج التكنولوجيا المساعدة في التصميم الصناعي لضمان منتجات أكثر شمولية واستقلالية للمستخدمين، لا سيّما ذوي الاحتياجات الخاصة.
2. التركيز على التطوير التقني المستمر، بما في ذلك دمج الذكاء الاصطناعي والتقنيات الذكية، لتعزيز الكفاءة الوظيفية وسهولة الاستخدام.

المقترحات

1. التعاون مع الجهات الاجتماعية والمؤسسات التعليمية لضمان أن المنتجات المساعدة تلبي متطلبات فئات المستخدمين المستهدفة بدقة.
2. توسيع نطاق استخدام التكنولوجيا المساعدة من المنتجات المنزلية إلى البيئات المهنية والتعليمية لتعزيز الاستقلالية والإنتاجية.

المصادر :

1. اسماعيل محمد معوض ، الإعلام وذوي الاحتياجات الخاصة ، الناشر : دار المنهل للنشر والتوزيع ، 2020.

2. اماني غازي جرار ،المواطنة العالمية ، الناشر: دار وائل للطباعة والنشر والتوزيع ، 2014.

3. الباتع حسن ،تكنولوجيا تعليم ذوي الاحتياجات الخاصة والوسائل المساعدة، الناشر: دار الجامعة الجديدة ، مصر القاهرة ،2014.

4. خضير مخيمر اوب زيد محمد وأخرون ، استخدام التكنولوجيا المساندة في لتقيل تأثير بعض التغيرات المرتبطة باضطرابات الكلام، المجلد الثامن ، العدد ،الأول ، 2025، مجلة دراسات في الارشاد النفس والتربوي – كلية التربية – جامعة أسيوط .

5. سهير محمود امينه عبدالله وآخرون ، استراتيجيات التدخل المبكر لذوي الاحتياجات الخاصة ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية ،2024.

6. صادق عز الدين ، مقاربة نظرية لمفهوم القيم الشخصية وتفسيرها حسب مختلف العلوم ، مجلة دراسات في علوم الانسان والمجتمع، تصدر عن جامعة محمد الصديق بن يحي –جيجل ، المجلد 03، العدد 01، 20

7. العاني ، وجيهة ثابت ، استخدام التكنولوجيا المساعدة في تعلم الطلبة ذوي الإعاقة بجامعة السلطان قابوس من وجهة نظرهم ، العدد الثامن والثلاثون يوليو ٢٠٢١م مجلة جامعة المدينة العالمية (مجمع).

8. فاطمة الزهراء محمد عبدة ، الإعاقة البصرية والتكنولوجيا المساعدة في المكتبات ومراكز المعلومات، الناشر : مؤسسة المنهل للنشر والتوزيع، 2018.

9. فيليب ماهر حبيب سليمان وآخرون ، برنامج تدريبي باستخدام التكنولوجيا لتنمية المسارات الحياتية لدى الأشخاص ذوي الإعاقة البصرية ، مجلة العلوم البيئية معهد الدراسات والبحوث البيئية – جامعة عين شمس ، المجلد الثامن والاربعون ، الجزء الثالث ، 2019.

10. القيماقجي ناهض طه عبد الله البنية المنطقية لعملية التصميم المعماري ؛ أطروحة دكتوراه؛ قسم الهندسة المعمارية ، الجامعة التكنولوجية؛ بغداد .2008 م.

11. Robitaille, Suzanne. 2010. The illustrated Guide to Assistive Technology and Devices: Tools and Gadgets for living independently. - New York: Demos Medical Publishing..

12. World Intellectual Property Organization ، الأخلاقيات والابتكار، الناشر : World Intellectual Property Organization.

13. Brian W. Wojcik & Karen H. Douglas (2012). Illinois Assistive Technology Guidance Manual. Illinois State Board of Education.

Abstract

This research aims to study assistive technology as a fundamental factor in industrial product design, analyzing its role from the initial concept stage to final product use.

The research focuses on how to integrate assistive technology into the design process to ensure improved functionality, enhanced user experience, and adherence to safety and quality standards.

The research methodology employs a descriptive analytical approach. The research problem is addressed by the question: How can assistive technology be analyzed and utilized in the industrial product design

process, from concept to final production, to ensure product effectiveness and user experience?

The first chapter of the research outlines the methodology. The significance of this research lies in highlighting the role of assistive technology in improving the quality of industrial products and user experience, and in fostering innovation in industrial design. The research aims to demonstrate the effectiveness of the assistive technology concept and its role in industrial product design by providing design recommendations that assist industrial designers in effectively and sustainably integrating assistive technology. The second chapter, the theoretical framework, comprised three sections. The first was conceptual, titled "Introduction to Assistive Technology in Industrial Product Design." The second section addressed contemporary technology and its design analysis, while the third section focused on the aesthetics of assistive technology in contemporary industrial product design. The research was geographically limited to the local markets of Baghdad's Karkh district in 2023.

The research yielded several key findings and conclusions, including:

The integration of assistive technology through technical functions was clearly and comprehensively demonstrated.

The application of assistive technology, with its inherent flexibility and adaptability, in industrial product design aligns with contemporary design principles and reflects modernization trends in industrial product development.

The focus is on continuous technological development, including the integration of artificial intelligence and smart technologies, to enhance functional efficiency. The research concluded with recommendations and suggestions.

Keywords: Assistive Technology – Design Analysis – User Experience

التطورات الداخلية في جيبوتي في عهد الرئيس اسماعيل عمر جليه ١٩٩٩-٢٠٢٣

Internal developments in Djibouti during the era of President Ismail Omar Guelleh 1999-2023

ام.د. احمد صالح حذيه المعموري

المديرية العامة لتربية في محافظة بابل

تاريخ حديث/ تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر

Dr. Ahmed Salih Hithye Al Ma'mouri

Directorate General of Education in Babylon Governorate

Modern History / Modern and Contemporary History of Africa

2026

الملخص

لعب إسماعيل عمر جيله دورًا محوريًا في تشكيل ملامح الدولة في جيبوتي منذ توليه الحكم عام 1999، حيث ركّز على ترسيخ الاستقرار السياسي وتعزيز سلطة الدولة من خلال تقوية الأجهزة الأمنية، وهو ما ساهم في الحد من الاضطرابات لكنه ترافق مع تضييق على المعارضة وتراجع في مستوى الحريات السياسية. وعلى الصعيد الاقتصادي، تبنّى سياسات قائمة على جذب الاستثمارات الأجنبية وتطوير البنية التحتية، خاصة في قطاع الموانئ والخدمات اللوجستية، مستفيدًا من الموقع الاستراتيجي للبلاد، مما جعل جيبوتي مركزًا إقليميًا مهمًا للتجارة الدولية. ومع ذلك، ظلّت المكاسب الاقتصادية غير متوازنة من حيث انعكاسها على التنمية الاجتماعية، حيث استمرت تحديات الفقر والبطالة، إلى جانب تنامي الاعتماد على الشراكات الخارجية، خصوصًا مع قوى دولية مثل الصين، ما أثار مخاوف بشأن السيادة الاقتصادية على المدى الطويل.

Abstract

Ismail Omar Guelleh has played a pivotal role in shaping the state of Djibouti since assuming power in 1999. He focused on consolidating political stability and strengthening state authority by bolstering security forces, which helped reduce unrest but was accompanied by restrictions on the opposition and a decline in political freedoms. Economically, he adopted policies aimed at attracting foreign investment and developing infrastructure, particularly in the ports and logistics sector, leveraging the country's strategic location to make Djibouti an important regional hub for international trade. However, the economic gains have not translated into social development. Poverty and unemployment persist, and the country's growing reliance on foreign partnerships, especially with global powers like China, has raised concerns about long-term economic sovereignty.

المقدمة

شهدت جيبوتي، الواقعة على الساحل الشرقي لأفريقيا، تطورات داخلية ملحوظة خلال فترة حكم الرئيس إسماعيل عمر جيله، الذي تولى منصب الرئاسة منذ عام 1999 وحتى عام 2023. خلال تلك الفترة،

ركزت السياسات الداخلية لجيبوتي على تحقيق الاستقرار السياسي، تعزيز الاقتصاد، وتطوير البنية التحتية، مما ساهم في تحسين الوضع الاقتصادي والاجتماعي للبلاد.

أحد أبرز ملامح التطورات الداخلية في عهد الرئيس إسماعيل عمر جيلة هو تحقيق استقرار سياسي نسبي. منذ استقلالها عن فرنسا عام 1977، عانت جيبوتي من بعض التوترات الداخلية، بما في ذلك صراعات بين مختلف المجموعات العرقية. ومع ذلك، استطاع جيله الحفاظ على استقرار سياسي ملحوظ طوال فترة حكمه، بفضل تبني سياسات التوازن بين المكونات الاجتماعية والعرقية في البلاد.

على الصعيد الاقتصادي، سعى الرئيس إسماعيل عمر جيله إلى تحويل جيبوتي إلى مركز لوجستي وتجاري إقليمي، نظرًا لموقعها الجغرافي الاستراتيجي على البحر الأحمر وبالقرب من مضيق باب المندب. استثمرت الحكومة بشكل كبير في تطوير الموانئ والبنية التحتية اللوجستية، بما في ذلك مشروع توسيع ميناء دوراليه وإنشاء مناطق حرة تجارية، مما جعل جيبوتي مركزًا حيويًا للتجارة الدولية، وخاصة مع الدول الأفريقية المجاورة, وشمل التطور الداخلي تحسين الخدمات العامة، اذ تم تعزيز قطاعي التعليم والصحة بشكل ملحوظ. بُذلت جهود كبيرة لتحسين النظام التعليمي وتوسيع فرص الوصول إلى التعليم الأساسي والعالي. فضلا عن ذلك، تم تعزيز نظام الرعاية الصحية عبر بناء المستشفيات والمراكز الصحية وتدريب الكوادر الطبية.

مع ذلك، لا تزال هناك تحديات كبيرة تواجه جيبوتي، مثل ارتفاع معدلات البطالة والفقر، فضلا عن ذلك الاعتماد الكبير على الدعم المالي الخارجي والمساعدات الدولية. وتعرضت الحكومة لانتقادات من قبل المعارضة بشأن قضايا تتعلق بحقوق الإنسان والديمقراطية، خاصة فيما يتعلق في الانتخابات والمشاركة السياسية.

انسجاما مع المنهج البحث العلمي، جاء بحثنا بمقدمة وتمهيد وخمس فقرات وخاتمة، تناول التمهيد نبذة تاريخية عن جيبوتي حتى عام 1999, اما الفقرة الأولى تشمل, خلفية عن إسماعيل عمر جيلة , من حيث نشأته وخلفيته التعليمية والسياسية, وتناولت الفقرة الثانية , سياسته الداخلية في جيبوتي, اما الفقرة الثالثة , تتطرق الى

دوره في التنمية الاقتصادية والاجتماعية , والفقرة الرابعة اختصت في سياسته الخارجية وعلاقاته مع دول الجوار, والفقرة الخامسة تناولت التحديات والانتقادات في عهد إسماعيل عمر جيلة وطول مدة حكمه لجيبوتي.

التمهيد

نبذة تاريخية عن جيبوتي حتى عام 1999

تعد جيبوتي، التي تقع على الساحل الشرقي لأفريقيا على مضيق باب المندب، من أكثر المناطق الاستراتيجية في القرن الأفريقي. وعلى الرغم من حجمها الصغير، فإن تاريخ جيبوتي يمتد لآلاف السنين وهو مرتبط بتأثيرات الحضارات المختلفة، التجارة البحرية، والصراعات الاستعمارية. تطورت جيبوتي من كونها ملتقىً لتجارة القوافل القديمة إلى دولة مستقلة في فترة ما بعد الاستعمار الفرنسي، مع العديد من التحديات السياسية والاجتماعية حتى عام 1999[1].

يرتبط الوجود الأوروبي في جيبوتي عندما بدأ الفرنسيون في البحث عن قاعدة بحرية على طول الطريق إلى الهند، خصوصًا مع تزايد التنافس الاستعماري بين القوى الأوروبية على الأراضي الأفريقية في القرن التاسع عشر، وفي العام 1862، وقعت فرنسا اتفاقية مع سلطان تاجورا، وهو أحد الزعماء المحليين في منطقة جيبوتي، لشراء قطعة من الأرض. تبع ذلك مزيد من الاستحواذ الاستعمارية الفرنسية، وتم إنشاء مستعمرة فرنسية أطلق عليها اسم الصومال الفرنسي في العام 1896. مع انتهاء بناء خط السكة الحديدية بين جيبوتي وأديس أبابا في بداية القرن العشرين، أصبحت جيبوتي ميناءً رئيسيًا لإثيوبيا، التي كانت دولة حبيسة، وشهدت المستعمرة الفرنسية تطورًا اقتصاديًا نتيجة لازدهار التجارة عبر ذلك الخط. رغم ذلك، كانت الأحوال المعيشية للسكان المحليين الفقراء متدهورة، اذ استأثرت النخبة الفرنسية بمعظم الثروات والسلطة السياسية، بينما عاش السكان الأصليون في ظل نظام تمييز اجتماعي واقتصادي واضح[2].

بحلول منتصف القرن العشرين، ومع تصاعد موجة التحرر من الاستعمار في أفريقيا، بدأت المطالب بالاستقلال تتزايد في جيبوتي. بدأت الحياة السياسية المحلية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية بموجب مرسوم رقم (9) في تشرين الاول 1945, الذي أنشأ المجلس التمثيلي للساحل الصومالي الفرنسي, تألف ذلك المجلس من هيئتين انتخابيتين منفصلتين: هيئة المواطنين الفرنسيين وهيئة السكان الأصليين. ولم يتم انتخاب أول أعضاء المجلس التمثيلي للساحل الصومالي الفرنسي إلا في العاشر من اذار 1946 وتعزز التطور السياسي للأقاليم الفرنسية ما وراء البحار عبر سنّ "القانون الإطاري" في الثالث والعشرين من حزيران 1956 بمبادرة من الوزيرين غاستون ديفير وهوفويت بوانيي. نصّ القانون الجديد على إنشاء هيئة واحدة، تُنتخب بالاقتراع العام، وإنشاء مجلس حكومي، ،وإنشاء جمعية إقليمية، يُنتخب مستشاروها الثلاثون لمدة خمس سنوات على أساس أغلبية بسيطة في انتخابات من جولتين[3] .

شهدت منطقة ساحل الصومال الفرنسي (جيبوتي لاحقًا) خلال الخمسينيات صراعًا سياسيًا بين زعماء قوميتي العيسى والعفر. فقد حاولت الإدارة الاستعمارية الفرنسية تقليص نفوذ العيسى عبر دعم العفر في الحكم المحلي. كان الإقليم يُدار من قبل رئيس إقليمي ومجلس حكومة تحت إشراف فرنسي، بينما كانت صلاحيات الجمعية الإقليمية محدودة, وفي انتخابات الثالث العشرون من حزيران 1957 فازت قائمة (الاتحاد الجمهوري) بقيادة محمود حربي على حزب حسن جوليد، وطالب السياسيون المحليون بمزيد من الحكم الذاتي. ومع تأسيس الجمهورية الفرنسية الخامسة عام 1958 بدأت فرنسا التوجه نحو إنهاء الاستعمار في أفريقيا، فأُجري استفتاء بالشأن الاستقلال, قاد محمود حربي حملة للاستقلال الفوري متأثرًا بتجربة أحمد سيكو توري في غينيا، لكن أنصار استمرار الوجود الفرنسي بقيادة حسن جوليد انتصروا. وفي الحادي عشر من كانون الأول 1958 صوّت المجلس الإقليمي على بقاء الإقليم تابعًا لفرنسا كإقليم ما وراء البحار [4].

لذلك انقسم سكان جيبوتي بين العفر المؤيدين لاستمرار الارتباط بفرنسا حفاظًا على نفوذهم التقليدي، والصوماليين الذين دعموا فكرة الانضمام إلى مشروع ‘‘الصومال الكبير’’ بعد استقلال الصومال. وفي استفتاء

عام 1958 صوّتت الأغلبية لصالح البقاء تحت الحكم الفرنسي، ما أثار غضب الحركة الوطنية التي رأت أن فرنسا تدخلت للحفاظ على سيطرتها على الإقليم. [5].

بعد استقلال الدول الأفريقية الناطقة بالفرنسية عام 1960 وقيام دولة الصومال الموحدة، اتجه القوميون الجيبوتيون بقيادة محمود حربي للمطالبة باستقلال جيبوتي، فأسس جبهة تحرير الساحل الصومالي الفرنسي من منفاه في الصومال قبل أن يتوفى في ظروف غامضة, وفي العام 1966، خلال زيارة شارل ديغول، اندلعت مظاهرات مؤيدة للاستقلال قُمعت بإطلاق النار من القوات الفرنسية[6], بعد استفتاء 1967 الذي كرّس استمرار الوجود الفرنسي، تم تغير اسم الإقليم إلى (إقليم عفار وعيسى الفرنسي)، ومنحت فرنسا صلاحيات واسعة للمفوض السامي الذي أصبح المسؤول الفعلي عن إدارة الدولة والخدمات العامة، بينما بقيت سلطات الجمعية الإقليمية ومجلس الحكم محدودة. وخلال المدة بين عامي (1960 -1976) برز علي عارف كأقوى شخصية سياسية في الإقليم ومتعاونًا مع الإدارة الفرنسية، لكن تصاعد القومية الأفريقية واستقلال الدول المجاورة زادا من ضغط الحركة الوطنية الجيبوتية للمطالبة بالاستقلال الكامل عن فرنسا[7].

بعد سنوات من المظاهرات والضغوط الشعبية المطالبة بإنهاء الاستعمار، أجرت فرنسا استفتاءً ثانيًا في عام 1977 صوّتت فيه أغلبية سكان جيبوتي لصالح الاستقلال. وفي السابع والعشرون من حزيران 1977 أُعلنت جمهورية جيبوتي دولة مستقلة رسميًا، لتكون آخر دولة أفريقية تنال استقلالها من الاستعمار الفرنسي[8].

بعد استقلال جيبوتي عام 1977 أصبح حسن جوليد أبتيدون أول رئيس للبلاد، وأقام نظام الحزب الواحد عبر حزب التجمع الشعبي للتقدم، مع الحفاظ على علاقات قوية مع فرنسا التي أبقت قواعد عسكرية دعمت استقرار النظام. ورغم الاستقرار النسبي، استمرت التوترات بين العفر والصوماليين العيسى، ما أدى في التسعينيات إلى إصلاحات سياسية محدودة واندلا ع تمرد قادته جبهة استعادة الوحدة والديمقراطية قبل أن ينتهي باتفاق سلام عام 1994، تاركًا آثارًا سياسية واجتماعية في البلاد[9], وبعد أكثر من عشرين عامًا في السلطة، أعلن الرئيس حسن جوليد أبتيدون عن نيته التنحي عن الحكم. في العام 1999، تم تنظيم انتخابات رئاسية، حيث تم ترشيح

إسماعيل عمر جيلة، صهر جوليد ومدير مكتبه السابق، ليكون مرشح الحزب الحاكم. فاز جيلة في الانتخابات ليصبح ثاني رئيس في تاريخ جيبوتي[10].

اولاً : خلفية عن الرئيس إسماعيل عمر جيلة:

نشأته وخلفيته التعليمية والسياسية:

إسماعيل عمر جيلة ولد في السابع والعشرون من تشرين الاول 1947 في جيبوتي، والتي كانت حينها تحت الاستعمار الفرنسي , ينتمي إلى قبيلة العفر، وهي من المجموعات العرقية الكبيرة في البلاد , وتلقى تعليمه الأساسي في جيبوتي قبل أن ينتقل إلى فرنسا لمواصلة دراسته في الإدارة العامة والتجارة[11].

بدأ إسماعيل عمر جيله نشاطه السياسي خلال فترة الاستعمار الفرنسي، وانضم إلى حزب التجمع الشعبي للتقدم بقيادة حسن جوليد أبتيدون الذي قاد البلاد بعد الاستقلال عام 1977. وخلال حكم جوليد شغل اسماعيل جيله مناصب عدة مهمة، أبرزها مستشار الرئيس ومدير مكتبه، ما جعله من الشخصيات المقربة من مركز صنع القرار في الدولة [12].

ففي العام 1999 أعلن حسن جوليد أبتيدون عدم ترشحه لولاية جديدة، فاختار الحزب الحاكم إسماعيل عمر جيله مرشحًا له في الانتخابات الرئاسية, وتمكن جيله من الفوز بنسبة كبيرة من الأصوات، ليصبح ثاني رئيس لجمهورية جيبوتي[13].

والجدير بالذكر, شكل فوز إسماعيل عمر جيله استمرار لهيمنة الحزب الحاكم على السلطة منذ الاستقلال، إذ عمل منذ وصوله إلى الرئاسة على ترسيخ نفوذه السياسي رغم اتهامات بوجود مخالفات انتخابية. وبفضل دعم قبيلته والحزب الحاكم واعتماده على تحالفات سياسية واستثمار التوازنات والتوترات العرقية، تمكن من تعزيز سيطرته على المشهد السياسي في جيبوتي[14], مع تبني نهج حكم مركزي ساعده على تثبيت الاستقرار السياسي, واعتمد على الأجهزة الأمنية في مراقبة الخصوم، وهي سياسة أثارت جدلًا واسعًا خلال مدة حكمه، وفي الوقت نفسه ركز على تطوير البنية التحتية والموانئ والنقل لاستثمار الموقع الاستراتيجي لجيبوتي في القرن الأفريقي [15].

وفي العام 2010 تم تعديل الدستور في جيبوتي لإلغاء الحد الأقصى لعدد الفترات الرئاسية، ما سمح له بالترشح لولاية ثالثة في انتخابات 2011. وقد فاز بسهولة نتيجة ضعف المعارضة وقلة مواردها، إلا أن ذلك التعديل أثار انتقادات داخلية وخارجية وتعد خطوة لتعزيز استمرار بقائه في السلطة لمدة غير محددة[16].

ثانياً: السياسات الداخلية لإسماعيل عمر جيلة:

أ. الإصلاحات السياسية: عند توليه الحكم عام 1999، واجه تحديات تتعلق بالاستقرار السياسي نتيجة التوترات العرقية والسياسية، فاعتمد إصلاحات تدريجية ركزت على دمج بعض الخصوم وتجنب الصدام المباشر معهم مع الحفاظ على سيطرة مركزية عبر الحزب الحاكم. كما شملت الإصلاحات تحديث الإدارة العامة، وتحسين الشفافية، ومكافحة الفساد، إلى جانب تعزيز مؤسسات الدولة لضمان استقرار النظام واستمراريته. [17], معتمدًا على جهاز أمن قوي ومؤسسات حكومية تدين بالولاء المباشر له وللحزب الحاكم. فتمتع الجيش وقوات الأمن بنفوذ متزايد في حكم البلاد، حيث كان لهما دور محوري في قمع المعارضة السياسية. هذه المؤسسات العسكرية والأمنية كانت أداة مهمة لجيلة في الحفاظ على السيطرة على البلاد، خاصة في ظل اضطرابات المنطقة المحيطة بجيبوتي. وكان الهيكل الحكومي في عهده يتمحور بالشان سلطة الرئيس، مع محدودية الصلاحيات للمؤسسات الأخرى مثل البرلمان، رغم وجود برلمان في البلاد، إلا أنه كان يُنظر إليه كأداة شكلية تديرها الحكومة لضمان السيطرة الكاملة على التشريعات والقرارات السياسية[18].

والجدير بالذكر, اتبع إسماعيل جيلة في إدارة الحكومة وعلاقاته مع الأحزاب السياسية, أسلوبًا يعتمد على هيمنة الحزب الحاكم، حزب التجمع الشعبي للتقدم(RPP) ، وهو الحزب الذي كان مهيمنًا على الساحة السياسية في جيبوتي منذ الاستقلال وكانت سياسته تتمحور بالشأن إبقاء المعارضة تحت السيطرة وضمان استقرار النظام السياسي، وكانت العلاقات مع الأحزاب المعارضة معقدة، رغم أنه سمح رسميًا بالتعددية الحزبية في العام 1992، إلا أن النظام لم يكن متسامحًا مع المعارضة الفعالة. تم قمع العديد من المظاهرات والاحتجاجات التي دعت إلى إصلاحات سياسية أكبر وإلى مزيد من الحريات خلال فترات مختلفة، وفي المقابل، لم يعتمد جيله على

الأمن فقط، بل لجأ أحيانًا إلى الحوار مع بعض قادة المعارضة، ومن أبرز ذلك المؤتمر الوطني عام 2002. ومع ذلك، ظل ذلك الحوار محدودًا ومقترنًا باحتواء المعارضة عبر أدوات الدولة والأجهزة الأمنية[19].

يتضح مما سبق, اتسم أسلوب إسماعيل عمر جيله بمزيج من هيمنة الحزب الحاكم والحوار المحدود والاحتواء الأمني للمعارضة، مما ساعده على الحفاظ على استقرار النظام واستمرار سيطرة حزب التجمع الشعبي للتقدم على الحياة السياسية في جيبوتي.

على الرغم من وعوده عند توليه الحكم بإصلاحات ديمقراطية أوسع، ظل التقدم بطيئًا، واستمر حزب التجمع الشعبي للتقدم في السيطرة على الحكم. كما تزايدت انتقادات منظمات حقوق الإنسان لقمع حرية التعبير والتجمع، واعتقال نشطاء سياسيين وتقييد الإعلام, وبسبب ضعف تنظيم المعارضة، استمر جيله في الحكم رغم المطالبات المحلية والدولية بإصلاحات سياسية جوهري[20].

وقد انعكس ذلك النهج كذلك في الانتخابات الرئاسية؛ وفي الثامن من نيسان 2005 فاز بولاية ثانية في انتخابات شبه خالية من المنافسة بعد مقاطعة المعارضة لها احتجاجًا على غياب الشفافية، وسط شكوك واسعة بالشأن نزاهة الاقتراع، إذ اتهمت المعارضة النظام باستغلال أدوات الدولة لضمان الفوز ما أثار انتقادات محلية ودولية بشأن ضعف المصداقية الديمقراطية, وشهدت تلك المرحلة تعديلًا دستوريا[21] عزز استمرار نفوذ السلطة القائمة, وفي العام 2010، أُلغي الحد الأقصى للفترات الرئاسية، ما أتاح لجيلة الترشح لولاية ثالثة في 2011، وأثار ذلك اعتراضات واسعة من المعارضة والمجتمع المدني. ورأت المعارضة أن التعديل يهدف إلى إطالة أمد حكمه، بينما بررت الحكومة الخطوة بأنها ضرورية لضمان الاستقرار السياسي والتنمية، في مؤشر على طبيعة النظام الرئاسي شبه المطلق في جيبوتي[22] استمر جيلة في الفوز بالانتخابات الرئاسية اللاحقة، مثل انتخابات 2016 و2021، وسط انتقادات لضعف التنافس الحقيقي، إذ لم تتمكن المعارضة من تنظيم نفسها بصورة فعالة لمواجهة الحزب الحاكم([23]). وقوبلت الاحتجاجات بالقمع، حيث استخدمت الحكومة الأمن والجيش لتفريق المتظاهرين، وفرضت قيودًا على التجمعات العامة، كما أُعلنت حالة الطوارئ في بعض الفترات، واعتُقل

عدد من قادة المعارضة، مع تشديد الرقابة على وسائل الإعلام والصحفيين. وأسهمت هذه الإجراءات في إضعاف المعارضة السياسية، مما عزز استقرار النظام، لكنه رسخ أيضًا طابعًا استبداديًا[24].

ويتضح مما سبق, غياب المنافسة الحقيقية في الانتخابات كانت دائمًا محكومة بتفوق الحزب الحاكم، حيث واجهت المعارضة صعوبات في تنظيم نفسها أو تقديم مرشحين أقوياء. قمع الإعلام والمظاهرات جعل من الصعب على المعارضة حشد الدعم الشعبي، مما أدى إلى غياب منافسة حقيقية، نتيجة لذلك، كانت الانتخابات عادة تُعتبر مجرد إجراء شكلي، اذ كان يُتوقع دائمًا فوز الحزب الحاكم. حتى في الانتخابات البرلمانية، كان التلاعب في النتائج وإضعاف المعارضة واضحين، ما قلل من فرص تحقيق انتخابات ديمقراطية نزيهة[25].

تجسد مما سبق, تطورت أجهزة الأمن والاستخبارات بشكل كبير، لتصبح أدوات أساسية في تعزيز قبضته على السلطة، اعتمد جيلة على الجهاز الوطني للأمن كوسيلة لمراقبة الأنشطة السياسية، خاصة المعارضة والنشطاء الحقوقيين، كان للأجهزة الأمنية تأثير عميق في قمع المعارضة. قامت تلك الأجهزة باعتقالات تعسفية، وتقييد حرية التعبير، وإغلاق وسائل الإعلام المستقلة. علاوة على ذلك، تم اتهام الحكومة بتعذيب السجناء السياسيين وممارسة التضييق الشديد على النشطاء، عززت تلك السياسة الأمنية شعورًا بالخوف بين المواطنين، مما دفع الكثير منهم إلى تجنب المشاركة السياسية أو التعبير عن آرائهم بحرية[26], وعلى سبيل الإشارة, الاحتجاجات الشعبية في العام 2015، خرجت مظاهرات في العاصمة جيبوتي احتجاجًا على الفساد والفقر وسوء توزيع الثروة، اذ طالب المتظاهرون بإصلاحات سياسية واقتصادية، تلك الاحتجاجات تم قمعها من قبل الحكومة باستخدام الأجهزة الأمنية، ما أدى إلى اعتقال العديد من المعارضين والنشطاء. الاحتجاجات كانت مؤشرًا على استياء شعبي من السياسات الاقتصادية التي تركزت على النخبة، في حين يعاني المواطنون العاديون من الفقر والبطالة, ونتيجة تضييق الحريات تواجه انتقادات شديدة من قبل منظمات حقوق الإنسان الدولية. التقييد على حرية التعبير، والتجمع، والإعلام كان سمة بارزة في الحكم. الصحفيون المستقلون والناشطون تعرضوا للمضايقات، والاعتقالات،

وحتى النفي، في كل مرة كانت المعارضة تحاول فيها تنظيم احتجاجات، كانت تواجه بالقوة المفرطة من قبل الأجهزة الأمنية. هيومن رايتس ووتش ومنظمة العفو الدولية رصدتا العديد من الانتهاكات لحقوق الإنسان خلال فترة حكم جيلة([27]).

ثالثاً : التنمية الاقتصادية والاجتماعية في عهد إسماعيل عمر جيلة

تُعد التنمية الاقتصادية من أهم القضايا التي تواجه الدول النامية، خاصة تلك التي تعاني من محدودية الموارد الطبيعية. وتُعتبر جيبوتي نموذجًا مميزًا لدولة سعت إلى تحقيق التنمية بالاعتماد على موقعها الجغرافي الاستراتيجي بدلًا من الموارد التقليدية. ومنذ تولي الرئيس إسماعيل عمر جيله الحكم سنة 1999، تبنت الدولة مجموعة من السياسات الاقتصادية التي هدفت إلى تعزيز النمو وجذب الاستثمارات([28]).

والجدير بالذكر تقع جيبوتي عند مدخل أفريقيا، وعلى مفترق طرق الشحن الأكثر ازدحامًا في العالم، مع إمكانية الوصول إلى البحر الأحمر والمحيط الهندي. ذلك الموقع الاستراتيجي، فضلا عن ذلك ميناء طبيعي عميق المياه، يجعل من جيبوتي مركزًا للتزود بالوقود ومركزًا للتجارة والشحن العابر. وتضطلع جيبوتي بدور إقليمي هام في استضافة اللاجئين الفارين من الأزمات السياسية والبيئية في الدول المجاورة. وتستضيف جيبوتي العديد من القواعد العسكرية الأجنبية([29]).

ويمثل ميناء دورواليه أحد أهم المشاريع الاقتصادية في عهد، يقع الميناء على الساحل الشرقي لجيبوتي ويُعتبر محطة رئيسية للتجارة البحرية في القرن الأفريقي. تم تطوير الميناء بالتعاون مع مستثمرين أجانب مثل شركة موانئ دبي العالمية، ثم لاحقًا تم تأميمه بعد نزاع قانوني. يعد ذلك الميناء من أكبر الموانئ في أفريقيا، وله دور رئيسي في تصدير واستيراد البضائع لدول مثل إثيوبيا، التي تعتمد على جيبوتي للوصول إلى الأسواق الدولية([30]).

تجسد مما سبق, تطورت أجهزة الأمن والاستخبارات بشكل كبير، لتصبح أدوات أساسية في تعزيز قبضته على السلطة، اعتمد جيلة على الجهاز الوطني للأمن كوسيلة لمراقبة الأنشطة السياسية، خاصة المعارضة والنشطاء الحقوقيين، كان للأجهزة الأمنية تأثير عميق في قمع المعارضة. قامت تلك الأجهزة باعتقالات تعسفية، وتقييد

حرية التعبير، وإغلاق وسائل الإعلام المستقلة. علاوة على ذلك، تم اتهام الحكومة بتعذيب السجناء السياسيين وممارسة التضييق الشديد على النشطاء، عززت تلك السياسة الأمنية شعورًا بالخوف بين المواطنين، مما دفع الكثير منهم إلى تجنب المشاركة السياسية أو التعبير عن آرائهم بحرية[31].

تبنى جيلة سياسة اقتصادية ركزت على جذب الاستثمارات الأجنبية وتعزيز البنية التحتية، ولا سيما في مجالي الموانئ والنقل البحري. ويُعد ميناء جيبوتي المحرك الأساسي للاقتصاد الوطني، مستفيدًا من الموقع الاستراتيجي للبلاد بين آسيا وأفريقيا. وخلال حكمه، عززت الحكومة اتفاقيات اقتصادية مع دول مثل الصين، التي استثمرت بشكل كبير في تطوير البنية التحتية، بما في ذلك ميناء دوراليه للحاويات الذي بدأ تشغيله في 2008، ومشاريع السكك الحديدية، ولا سيما اتفاقات تطوير خط السكك الحديدية مع الصين في 2011([32]). كما وقعت جيبوتي اتفاقيات لتأجير أراضٍ لقواعد عسكرية أجنبية، الأمر الذي وفر عائدات إضافية للبلاد؛ إذ توجد للولايات المتحدة قاعدة عسكرية في جيبوتي منذ 2002، وللفرنسيين وجود عسكري تاريخي مستمر منذ الاستقلال، بينما افتتحت الصين أول قاعدة عسكرية خارجية لها في جيبوتي في 2017. وقد أسهمت هذه الاستثمارات، الاقتصادية والعسكرية، في تعزيز مكانة جيبوتي الإقليمية والدولية خلال عهد جيلة([33]).

لذلك حققت جيبوتي تقدماً اقتصادياً ملحوظاً منذ عام 2000 بفضل التجارة والاستثمارات. فبعد حرب أهلية في التسعينيات، تم التوصل إلى اتفاق سلام في أوائل عام 2000 يتضمن ترتيباً لتقاسم السلطة، ولا يزال ذلك الاتفاق سارياً. وقد أتاح الاستقرار السياسي الداخلي لجيبوتي الاستفادة من موقعها الاستراتيجي لجذب المستثمرين وتعزيز النمو. وتشمل أهم الاستثمارات حتى الآن تطوير الموانئ وإنشاء خط سكة حديد كهربائي يربط البلاد بإثيوبيا، ثاني أكبر دولة في أفريقيا من حيث عدد السكان وأسرع اقتصاد نمواً، والتي تمثل وارداتها وصادراتها أكثر من 80% من أنشطة موانئ جيبوتي[34].

والتنمية الاجتماعية وتحسين البنية التحتية: استثمرت الحكومة في تحسين البنية التحتية العامة، خاصة في مجالات التعليم والصحة، لكن تلك الاستثمارات كانت في معظم الأحيان محدودة وغير كافية لتلبية احتياجات الشعب.

الكثير من المناطق الريفية لا تزال تعاني من ضعف الخدمات الأساسية، لذلك ركز جيلة في خطابه السياسي على أهمية الاستقرار السياسي والاقتصادي، مع تركيز خاص على تحسين أوضاع الفئات المهمشة. ومع ذلك، بقيت معدلات الفقر والبطالة مرتفعة، خاصة في المناطق الريفية[35].

منذ توليه رئاسة الجمهورية ركز إسماعيل عمر جيله على تنفيذ مجموعة من المشاريع الكبرى التي هدفت إلى تعزيز مكانة جيبوتي كمركز اقتصادي ولوجستي في القرن الإفريقي. ومن أبرز هذه الأعمال تطوير البنية التحتية للموانئ، ولا سيما توسيع ميناء دوراليه متعدد الأغراض الذي دخل الخدمة في 2008، ثم دعم إنشاء المنطقة الحرة الدولية في جيبوتي عام 2018. وأولى اهتمامًا بقطاع النقل عبر تحديث الطرق الرئيسية وتعزيز الربط الإقليمي، فضلا عن إطلاق خط السكك الحديدية جيبوتي–أديس أبابا في 2016. وفي المجال الاجتماعي، دعم توسيع المدارس وتحسين الخدمات الصحية وبرامج محو الأمية، مع التركيز على تقليص الفوارق بين العاصمة والمناطق الداخلية. كما أطلق رؤية جيبوتي في 2014 بهدف دفع التنمية الاقتصادية والاجتماعية، وعمل على جذب الاستثمارات الأجنبية وتعزيز الاستقرار السياسي والأمني، مستفيدًا من الموقع الاستراتيجي للبلاد على باب المندب[36], وعلى الرغم من التحسينات في نظام الرعاية الصحية، فإن النظام لا يزال يواجه تحديات كبيرة، بما في ذلك نقص في المستشفيات والأطباء، وخاصة في المناطق الريفية. هناك أيضًا اعتماد كبير على المساعدات الدولية لدعم القطاع الصحي[37] والجدير بالذكر واجهت جيبوتي التحديات الاجتماعية والاقتصادية منها :

أ. البطالة والفقر: على الرغم الجهود الحكومية لجذب الاستثمارات وتطوير البنية التحتية، لا تزال جيبوتي تعاني من مستويات عالية من الفقر والبطالة. الفوارق الاقتصادية بين الطبقات الاجتماعية اتسعت، حيث تستفيد النخبة الحاكمة والمتصلة بالنظام السياسي من الاستثمارات الأجنبية بينما يبقى الكثير من السكان في الفقر. كما أن البطالة، خاصة بين الشباب، لا تزال تشكل تحديًا كبيرًا. مع تزايد عدد السكان، تزداد الحاجة إلى فرص عمل جديدة، لكن الاقتصاد المعتمد على الموانئ والتجارة البحرية لا يوفر العدد الكافي من الوظائف[38].

ساهمت الاستثمارات الأخيرة في البنية التحتية للموانئ والنقل في تعزيز النمو الاقتصادي، وأدت إلى اقتصاد كثيف رأس المال وقائم على الخدمات، مع توجه تصديري1991- منخفض للغاية. ويُشكل قطاع الخدمات ما يقارب (80%) من الناتج المحلي الإجمالي. وقد ارتفع متوسط نمو الناتج المحلي الإجمالي للفرد من(4%) في العام 1999 وبلغ متوسط نمو الناتج المحلي الإجمالي(9.1%) في العام (1014-2015)ويُقدر بنحو (5,8%)في العام 2016, مع توقف مشاريع الاستثمار في العام 2017 تراجع الى(2,6%.) وقد مُوّلت مشاريع تطوير البنية التحتية، مما أدى إلى ارتفاع سريع في الدين العام الخارجي والمضمون حكوميًا. ونمت ديون الضمان الحكومي من (57.1%) من الناتج المحلي الإجمالي في العام 2017 , علاوة على ذلك، لم يكن النمو شاملًا. أظهرت نتائج المسح الوطني للأسر المعيشية الذي أُجري عام 2017 أن (20.8%) من السكان يعيشون في فقر مدقع. وباستخدام خط الفقر الدولي الذي حدده البنك الدولي والبالغ 1.90 دولار أمريكي، فإن معدل الفقر في جيبوتي، البالغ (22.5%) أسوأ من متوسط معدل الفقر في البلدان ذات الدخل المتوسط(16.4%) ووفقًا لمسح التوظيف ويتركز التوظيف الرسمي في القطاع العام، بينما يُعدّ – يبلغ معدل البطالة (39%) بينما لا تتجاوز نسبة العاملين من السكان في سن العمل 64معظم التوظيف في القطاع الخاص غير رسمي[39].

فضلا عن ذلك، وفي سعيها لتحقيق ذلك التحول، واجهت جيبوتي مجموعة من الظروف المواتية بفضل موقعها الاستراتيجي كنقطة وصل رئيسية بين أفريقيا وآسيا وأوروبا، مما عزز الروابط التجارية الإقليمية والعالمية. كما أن الاستثمارات الأخيرة في البنية التحتية، ولا سيما في العام 2014 وفي العام 2016 في الموانئ والسكك الحديدية، تمتلك القدرة على إحداث نقلة نوعية في اقتصادها وتمكينها من تحقيق هدفها التنموي طويل الأجل المتمثل في أن تصبح مركزًا إقليميًا متعدد الوسائط للتجارة والخدمات اللوجستية. وإلى جانب البنية التحتية، تتمتع جيبوتي بميزة نسبية إقليمية كونها موقعًا لإنزال كابلات الألياف الضوئية البحرية لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وهو ما يمكن أن يسهم بشكل كبير في زيادة إمكانية الوصول إلى النطاق العريض للهواتف المحمولة وتحفيز النمو عبر قطاعات التصنيع ومصايد الأسماك. وعلى الرغم من النجاحات الأمنية والجيوسياسية، واجهت

سياسة جيله تجاه التحديات الاقتصادية والاجتماعية، ومع الاستثمارات الكبيرة في البنية التحتية, فإن التنمية الاقتصادية لم تكن موزعة بالتساوي على فئات المجتمع كافة، إذ تزايدت الفوارق الاقتصادية بين الطبقات الاجتماعية، واستفادت النخبة السياسية والاقتصادية من مشاريع البنية التحتية والتجارة البحرية، بينما ظلت الفئات الفقيرة تعاني من ارتفاع معدلات البطالة ونقص الخدمات الأساسية[40].

ب. عدم المساواة وتهميش الفئات المهمشة: عدم المساواة الاجتماعية والاقتصادية يمثل تحديًا خطيرًا. الفئات الأكثر ضعفًا، مثل النساء والشباب وسكان المناطق الريفية، يعانون من تهميش اقتصادي واجتماعي، ويجدون صعوبة في الوصول إلى الفرص والخدمات الأساسية، كانت الجهود الحكومية لتخفيف الفقر محدودة وغالبًا ما تعتمد على المساعدات الخارجية، ولم تكن مشاريع التنمية كافية لاحتواء الأزمات الاجتماعية، وظلت الحكومة تواجه صعوبة في توزيع الثروات بطريقة متوازنة[41].

ونتيجةً لما سبق، يعتمد اقتصاد جيبوتي على التجارة مع إثيوبيا، التي تمثل أكثر من (80%) من أنشطة موانئ جيبوتي، وهي الأنشطة التي تُعد الركيزة الأساسية لنمو البلاد خلال عام 2023. ولذلك، فإن جيبوتي عرضة للصدمات الخارجية؛ فأي حدث اقتصادي سلبي أو إعادة توجيه استراتيجية لمسار التجارة الإثيوبي من شأنه أن يعرض قدرة جيبوتي على سداد ديونها للخطر. كما تُشكل الأحداث المناخية السلبية، نظرًا لتأثر البلاد الشديد بتغير المناخ، خطرًا آخر على النمو. ويتطلب التكيف مع تغير المناخ والتخفيف من آثاره إنفاقًا عامًا على التدخل الاستراتيجي، الأمر الذي قد يحد بدوره من الحيز المالي وقدرة الحكومة على سداد ديونها. وقد يؤدي عبء سداد الديون إلى تقليص الحيز المالي خلال السنوات العشر المقبلة والحد من الاستثمار الاجتماعي، لا سيما في تقديم الخدمات العامة لتنمية رأس المال البشري[42].

لذلك تُعدّ السياسة المالية أداةً مهمةً لضمان تحقيق توازنات داخلية وخارجية كافية لدعم النمو على المديين القصير والطويل. فعلى المدى القصير، تُسهم السياسة المالية في التخفيف من الآثار السلبية للصدمات الاقتصادية الكلية التي تُحدث فجوات كبيرة بين الطلب الكلي والناتج المحتمل، فضلاً عن الحدّ من البطالة الدورية والضغوط

التضخمية. أما على المدى الطويل، فتُساعد السياسة المالية في ضمان استدامة التوازنات المالية والديون، بحيث لا تُصبح المالية العامة نفسها مصدراً لعدم الاستقرار الاقتصادي الكلي وتُعرّض النمو للخطر. وينبغي أن تُمكّن السياسة المالية من تحقيق أهداف تخصيص الموارد عبر تمكين الحكومة من تحسين الأداء الاقتصادي عبر السياسات الضريبية والإنفاق من جهة ؛ وتعزيز الكفاءة التخصيصية والفنية والنمو طويل الأجل عبر معالجة أوجه القصور الضارة في السوق من جهة أخرى [43].

يبدو ان مما ذكر سابقا, تُكمّل أهداف الاقتصاد الكلي أهداف التنمية، مثل الحد من الفقر، والإدماج الاجتماعي، وتقليل عدم المساواة، والحماية الاجتماعية من الصدمات والهشاشة –وهي أهداف تنموية لا تستطيع نتائج السوق دائمًا تحقيقها بفعالية. ويتطلب تحقيق كل من استقرار الاقتصاد الكلي وتلك الأهداف التنموية دعمًا ماليًا[44].

لذلك بدأت الحكومة مؤخرًا سياسة ضبط أوضاع المالية العامة عبر خفض الإنفاق الرأسمالي، الأمر الذي يُحسّن، إلى جانب إنهاء مشاريع البنية التحتية، الميزان المالي. ومع ذلك، تحتاج جيبوتي إلى تطبيق نظام ضريبي فعّال لتعبئة الموارد المحلية، بما يتماشى مع التحول الأخير في سياسة الإنفاق ، تواجه تعبئة الإيرادات المالية تحدياتٍ تتمثل في محدودية قدرة إدارة الضرائب على الرقابة، ونظام الحوافز الضريبية الذي يميل إلى إعفاء الشركات الكبرى من الضرائب الرئيسية، ويُلقي عبئًا ضريبيًا كبيرًا على الشركات الصغيرة والمتوسطة. ونظرًا لتزايد التهرب الضريبي والاحتيال، اذ يسعى المزيد من دافعي الضرائب إلى التهرب من العبء الضريبي المرتفع أو الاستفادة من نظام الحوافز، فقد أدى ذلك إلى تضييق القاعدة الضريبية والإيرادات الضريبية. انخفضت الإيرادات الضريبية كنسبة مئوية من الناتج المحلي الإجمالي، أو في أحسن الأحوال، ظلت راكدة خلال العقد الماضي[45].

وقد تشهد مساهمات مصادر الإيرادات الأخرى في الناتج المحلي الإجمالي ركودًا في أحسن الأحوال على المدى المتوسط. فعلى سبيل المثال، تتلقى جيبوتي إيرادات إيجار كبيرة من استضافة قواعد عسكرية أجنبية. ومع ذلك، فعلى الرغم من زيادة إيرادات الإيجار في السنوات الأخيرة، فإنها لا تزال ثابتة بموجب الاتفاقيات الثنائية بالقيمة

الاسمية، ومن المتوقع أن تنخفض كنسبة مئوية من الناتج المحلي الإجمالي بمرور الوقت، ومن المتوقع أن تبقى الإيرادات الإضافية من المنح، لا سيما من دول الخليج، منخفضة نظراً لانخفاض أسعار النفط نسبياً في تلك الدول؛ وقد تتراجع المنح من المنظمات متعددة الأطراف مع ارتفاع دخل الفرد في جيبوتي. لذا، تحتاج جيبوتي إلى تسريع إصلاح النظام الضريبي لضمان تعبئة الموارد المحلية التي ستدعم خدمة الدين والاستثمارات لتحقيق الاستقرار الاقتصادي الكلي(46).

تتضح مما سبق، ان التحديات الاجتماعية والفوارق الاقتصادية, على الرغم من النمو الاقتصادي الملحوظ، فإن الفوارق الاقتصادية بين الطبقات في جيبوتي اتسعت بشكل كبير. الاستثمارات الأجنبية وتحسين البنية التحتية لم تؤثر بشكل كبير على تحسين مستويات معيشة جميع المواطنين، اذ تستفيد النخبة السياسية والاقتصادية بشكل أكبر من تلك التحسينات. البطالة والفقر لا تزال تشكل تحديًا كبيرًا، حيث يعاني العديد من المواطنين من نقص الفرص الاقتصادية والاعتماد على الاقتصاد غير الرسمي. في المناطق الريفية، لا تزال معدلات الفقر مرتفعة نسبيًا، ولم تصل تحسينات البنية التحتية إلى تلك المناطق بشكل كافٍ. كان عدم المساواة الاقتصادية والاجتماعية واضحًا بشكل خاص في المناطق الريفية، اذ تفتقر تلك المناطق إلى الخدمات الأساسية مثل المياه الصالحة للشرب، الكهرباء، والخدمات الصحية. ورغم تحسينات البنية التحتية في المدن الكبرى مثل العاصمة، إلا أن تأثير تلك المشاريع كان محدودًا في المناطق الأقل تطورًا.

رابعاً: العلاقات الإقليمية والدولية لجمهورية جيبوتي في عهد إسماعيل عمر جيلة

جيبوتي، نظرًا لموقعها الجغرافي الاستراتيجي في القرن الأفريقي، لعبت دورًا مهمًا في السياسة الإقليمية والدولية خلال فترة حكم إسماعيل عمر جيلة. ركز جيلة على الاستفادة من موقع بلاده لتعزيز العلاقات مع القوى الإقليمية والدولية، مما أدى إلى تعظيم دور جيبوتي كلاعب محوري في الأمن الدولي والتجارة العالمية، عبر تأثير سياسة إسماعيل عمر جيلة في البحر الأحمر تُعد إحدى السياسات المحورية في فترة حكمه، إذ استفاد بشكل كبير من الموقع الجغرافي الفريد لجيبوتي على البحر الأحمر، وتحديدًا قرب مضيق باب المندب، وهو أحد أهم الممرات

البحرية في العالم. ذلك الموقع الاستراتيجي وضع جيبوتي في مركز الاهتمام الدولي والإقليمي، اذ يمكنها لعب دور حيوي في التجارة العالمية، الشؤون الأمنية، وموازين القوى بين الدول الكبرى. سياسات جيلة في ذلك السياق لم تكن فقط انعكاسًا لرؤيته الوطنية، بل كانت أيضًا جزءًا من تحولات جيوبوليتيكية إقليمية ودولية جعلت من جيبوتي لاعبًا أساسيًا في منطقة البحر الأحمر والقرن الأفريقي[47].

والجدير بالذكر, قام جيلة بتطوير سياسة خارجية تعتمد على التوازن بين القوى العالمية. فتح المجال للصين والولايات المتحدة وفرنسا لإنشاء قواعد عسكرية واستثمارات اقتصادية، مما أعطاه قوة تفاوضية مع هذه القوى الكبرى، هذا التوازن ساعده في ضمان دعم اقتصادي قوي لجيبوتي من تلك الدول، بما في ذلك استثمارات صينية كبيرة في تطوير البنية التحتية، مما عزز من الاستقرار الاقتصادي والسياسي للبلاد[48].

لذلك أدرك جيلة منذ وقت مبكر أن البحر الأحمر هو شريان التجارة العالمية، إذ يمر عبره ما يقرب من 10% من التجارة البحرية الدولية. هذا الممر البحري الهام يُعطي جيبوتي ميزة استراتيجية فريدة، خصوصًا في ظل الأوضاع المتوترة في الدول المجاورة مثل اليمن والصومال. نتيجة لذلك، عمل جيلة على تحويل جيبوتي إلى مركز لوجستي عالمي عبر تطوير ميناء دورياليه، الذي يُعد أحد أهم موانئ المنطقة، ويخدم التجارة الإثيوبية بشكل أساسي، اذ تعتمد إثيوبيا الحبيسة بشكل كبير على ذلك الميناء للوصول إلى الأسواق الدولية[49].

وأن قرب جيبوتي من مضيق باب المندب[50]، الذي يُعد أحد أهم ممرات النفط في العالم، جعل من الموقع حاسمًا في السياسة الأمنية الدولية. وقد استغل جيلة ذلك الموقع لتعزيز العلاقات مع القوى الكبرى. فعبر السماح بإقامة قواعد عسكرية أجنبية على أراضي جيبوتي، تمكن جيلة من جذب انتباه الولايات المتحدة، فرنسا، والصين، وحتى اليابان، وكل تلك الدول ترى في جيبوتي قاعدة محورية لحماية مصالحها في البحر الأحمر وخليج عدن. القاعدة العسكرية الأمريكية في معسكر ليمونيه تُعد أكبر قاعدة أمريكية في أفريقيا، وتلعب دورًا محوريًا في عمليات مكافحة الإرهاب ومراقبة الأنشطة في المنطقة، بما في ذلك مراقبة الصراع اليمني والتوترات في الصومال[51]. دعم جيلة ذلك الوجود العسكري منذ عام 2002 مقابل الحصول على مساعدات اقتصادية

وأمنية كبيرة من واشنطن، ما عزز من استقرار نظامه السياسي ومن مكانة جيبوتي على الساحة الدولية [52],فضلا عن ذلك استفادت جيبوتي من تلك القواعد العسكرية، ولا سيما منذ مطلع الألفية الثالثة، لتعزيز نفوذها الدبلوماسي في المنطقة، وأصبحت مركزًا للتحالفات الأمنية الدولية. فقد أتاح ذلك لجيلة القدرة على الموازنة بين القوى الكبرى وضمان دعم متزايد للبنية التحتية والتنمية في بلاده، وكان استغلال إسماعيل عمر جيلة لذلك النفوذ جعله لاعبًا محوريًا في منطقة القرن الأفريقي، إذ مكنه من تقديم جيبوتي كدولة مستقرة وآمنة، ما جذب استثمارات خارجية ضخمة، خصوصًا في مجالات النقل واللوجستيات. والعلاقات القوية مع الصين تعد واحدة من أبرز جوانب سياسة جيلة في البحر الأحمر، ففي عام 2017، افتتحت الصين أول قاعدة عسكرية لها في الخارج في جيبوتي، بالقرب من ميناء دورالیه، تلك الخطوة جاءت في إطار تعزيز الشراكة الاقتصادية بين البلدين([53])، إذ مولت الصين العديد من مشاريع البنية التحتية في جيبوتي خلال السنوات التي سبقت ذلك وبعده. الصين رأت في جيبوتي بوابة استراتيجية لتعزيز نفوذها في القرن الأفريقي والسيطرة على ممرات التجارة البحرية المهمة، بما يتماشى مع مبادرة "الحزام والطريق" التي أطلقتها في عام 2013 لتعزيز الترابط الاقتصادي بين آسيا وأفريقيا. وبالنسبة لجيلة، فإن تلك الشراكة مع الصين مثلت فرصة لتطوير اقتصاد بلاده، بينما في الوقت نفسه خلق توازن في العلاقات بين القوى الكبرى. في مقابل الاستثمارات الكبيرة التي قامت بها الصين في جيبوتي، تعرضت البلاد لتحديات تتعلق بارتفاع مستويات الديون للصين، خاصة في السنوات الأخيرة. يثير ذلك الوضع قلقًا بين بعض الخبراء الاقتصاديين الذين يحذرون من احتمال أن تواجه جيبوتي ضغوطًا اقتصادية نتيجة الاعتماد المفرط على الديون الصينية، ما قد يؤدي إلى ديون سيادية تجعل جيبوتي عرضة للسيطرة الاقتصادية الصينية. وبالرغم من الفوائد الاقتصادية الواضحة، فإن التبعية الاقتصادية للصين قد تؤثر على استقلالية القرارات السياسية في جيبوتي. إن استثمارات الصين قد تأتي على حساب استقلال القرار الجيبوتي في السياسة الدولية، خصوصًا في حالات الأزمات أو التوترات بين الصين والدول الغربية[54].

السياسات البحرية لجيلة لم تقتصر على العلاقات الدولية فقط، بل امتدت إلى معالجة قضايا الأمن البحري، إذ لعبت جيبوتي دورًا مركزيًا في مكافحة القرصنة التي انتشرت في خليج عدن قبالة السواحل الصومالية، ولا سيما خلال السنوات الممتدة من 2005 إلى 2012 في عهد إسماعيل عمر جيلة. ففي العقد الأول من الألفية الثالثة، كانت القرصنة تمثل تهديدًا كبيرًا للتجارة العالمية، إذ تعرضت العديد من السفن التجارية للهجوم على يد قراصنة صوماليين. وفي ذلك السياق، تحولت جيبوتي إلى مركز رئيسي للجهود الدولية لمكافحة القرصنة، إذ استضافت قوات بحرية من مختلف الدول التي شاركت في التحالف الدولي لمكافحة القرصنة، خاصة بعد عام 2008. وقد ساعد وجود القواعد العسكرية الدولية في جيبوتي على تنسيق تلك الجهود، وجعل من البلاد نقطة انطلاق للعمليات البحرية ضد القراصنة خلال تلك السنوات([55]).

ومن جهة أخرى، استغل جيلة موقع بلاده على البحر الأحمر لتعزيز دور جيبوتي كوسيط إقليمي في النزاعات المحيطة بالمنطقة. العلاقات المتوترة بين اليمن ودول التحالف العربي كانت من بين القضايا التي حاول جيلة التأثير عليها، حيث سعى إلى جعل جيبوتي مركزًا محايدًا للتفاوض وحل النزاعات. وعلى الرغم أن تأثيره في تلك النزاعات كان محدودًا بسبب حجم بلاده مقارنة بالقوى الإقليمية الكبرى مثل السعودية والإمارات، إلا أن جيلة استفاد من تلك التوترات لتعزيز دور جيبوتي كمركز لوجستي مهم في عمليات التحالف، إذ استخدم ميناء جيبوتي وقواعده العسكرية لدعم العمليات العسكرية ضد الحوثيين في اليمن([56]).

الاقتصاد البحري كان أيضًا جزءًا أساسيًا من رؤية جيلة في البحر الأحمر، فقد سعى إلى جعل جيبوتي محورًا تجاريًا إقليميًا، عبر تطوير البنية التحتية البحرية والسكك الحديدية التي تربط جيبوتي بإثيوبيا. وكان الهدف من تلك المشاريع هو تحويل جيبوتي إلى مركز للتجارة البحرية في شرق أفريقيا، لتصبح نقطة انطلاق للبضائع القادمة من الصين والهند إلى الأسواق الأفريقية، خاصة إثيوبيا وجنوب السودان. تلك السياسات ساعدت في جذب الاستثمارات الأجنبية، وخاصة من الصين والإمارات، والتي ساهمت في تمويل مشاريع البنية التحتية البحرية([57]).

في النهاية المطاف, يمكن القول إن سياسة إسماعيل عمر جيلة في البحر الأحمر كانت قائمة على الاستفادة القصوى من الموقع الجغرافي الفريد لبلاده، مع توازن دقيق بين الحفاظ على الاستقرار الداخلي والانخراط في السياسة الإقليمية والدولية. عبر تطوير البنية التحتية البحرية، جذب الاستثمارات الأجنبية، وتعزيز العلاقات مع القوى الكبرى، نجح جيلة في وضع جيبوتي في قلب المشهد الجيوسياسي للبحر الأحمر، مع تحقيق استفادة اقتصادية وأمنية كبيرة. ورغم بعض الانتقادات المتعلقة بالاعتماد المفرط على الاستثمارات الأجنبية والوجود العسكري الأجنبي، إلا أن جيلة تمكن من تحويل بلاده إلى لاعب مهم في منطقة حيوية للغاية[58].

تُعتبر سياسة الرئيس إسماعيل عمر جيلة تجاه البحر الأحمر واحدة من أكثر استراتيجياته تعقيدًا وذات تأثير كبير على الساحة الإقليمية والدولية. جيبوتي، بموقعها الاستراتيجي عند مدخل البحر الأحمر وبالقرب من مضيق باب المندب، تمكنت من لعب دور محوري في التأثير على التجارة العالمية والعمليات العسكرية للقوى الكبرى. ولكن أعمق تأثيرات تلك السياسة تكمن في كيفية إدراك جيلة للفرص التي يقدمها ذلك الموقع الجغرافي الحساس، وكيفية توظيفه لعوامل الجغرافيا والجيوسياسة لتعزيز مكانة جيبوتي وتحقيق مكاسب اقتصادية وسياسية طويلة الأمد[59].

فضلا عن ذلك, نجح جيلة في بناء علاقات جيدة مع دول القرن الأفريقي، خاصة إثيوبيا التي تعتمد بشكل كبير على ميناء جيبوتي للوصول إلى البحر، وحافظ على علاقات متينة مع السعودية والإمارات اللتين تعتبران جيبوتي حليفًا استراتيجيًا في المنطقة، خاصة في ضوء الصراع تجاه الدول المجاورة، علاقتها بالقوى الكبرى، ودورها في المنطقة[60].

والجدير بالذكر, إثيوبيا من أهم الدول الشريكة لجيبوتي بسبب اعتمادها على ميناء جيبوتي كميناء بحري رئيسي للوصول إلى الأسواق العالمية. إثيوبيا دولة حبيسة، من ثم تعتمد بشكل كامل على جيبوتي للتجارة الدولية, ذلك الاعتماد جعل العلاقات بين البلدين قوية ومستقرة إلى حد كبير[61].

فضلا عن ذلك لعب إسماعيل عمر جيلة دورًا رئيسيًا في تطوير مشاريع البنية التحتية التي تعزز التكامل الاقتصادي بين جيبوتي وإثيوبيا، مثل تطوير شبكة السكك الحديدية بين البلدين, لذلك المشروع كان حيويًا لتعزيز التجارة وتقوية العلاقات الاقتصادية, فضلا عن ذلك, ان إثيوبيا: الشريك الاقتصادي والاستراتيجي الأول, لجيبوتي تمتلكان شراكة استراتيجية قوية ترتكز على التكامل الاقتصادي. إذ تعتمد إثيوبيا، وهي دولة غير ساحلية، بشكل كامل تقريبًا على ميناء جيبوتي في تصدير واستيراد البضائع. ما يقارب 95% من التجارة الإثيوبية تمر عبر جيبوتي، وهذا جعل العلاقات الاقتصادية بين البلدين وثيقة جدًا، خلال فترة حكم جيلة، تطورت البنية التحتية بشكل ملحوظ لتعزيز العلاقات الاقتصادية بين البلدين. من بين أهم المشاريع التي دعمت تلك العلاقة، كان مشروع سكة الحديد بين أديس أبابا وجيبوتي، الذي تموله الصين، والذي عزز الربط التجاري بين البلدين وساهم في تسهيل تدفق السلع والبضائع بين إثيوبيا والموانئ الجيبوتية، أضف إلى ذلك، التعاون الأمني الوثيق بين البلدين، خصوصًا في مواجهة التهديدات الإرهابية والتوترات العرقية في المنطقة. إثيوبيا، تحت حكم جيلة، كانت دائمًا شريكًا رئيسيًا في دعم استقرار جيبوتي، سواء اقتصاديًا أو أمنيًا[62], بما في ذلك مكافحة الإرهاب والقرصنة البحرية. كانت العلاقات بين البلدين متينة إلى درجة أن إثيوبيا كانت تعتبر جيبوتي شريكًا استراتيجيًا على المستوى الإقليمي[63] , نظرًا لقربها من مناطق التوتر في اليمن ومنطقة القرن الأفريقي، كانت جيبوتي جزءًا من الجهود الدولية لمكافحة والقرصنة في المنطقة, استضافت البلاد قوات بحرية دولية تعمل على تأمين الممرات البحرية الرئيسية من القرصنة التي كانت تهدد حركة التجارة العالمية، وشاركت جيبوتي في التحالفات الدولية والإقليمية لمكافحة الإرهاب، خصوصًا في مواجهة الجماعات المسلحة مثل حركة الشباب الصومالية, ذلك الدور عزز من مكانة جيبوتي كشريك أمني موثوق للقوى الغربية والإقليمية[64].

وكانت العلاقة بين جيبوتي وإريتريا متوترة في معظم فترة حكم إسماعيل عمر جيلة، اذ اندلعت النزاعات الحدودية بين البلدين على منطقة رأس دوميرة في العام 2008. أدى ذلك النزاع إلى مواجهات مسلحة، وتطلب تدخلاً من الأمم المتحدة والاتحاد الإفريقي لحل الخلاف، وساطة إقليمية ودولية, على الرغم من التوترات، عملت

جيبوتي على تهدئة العلاقات مع إريتريا بمرور الوقت عبر الوساطة الإقليمية والدولية, تعاون جيلة مع جهات دولية لضمان تسوية سلمية للنزاعات الحدودية، وشارك في محاولات تحسين العلاقات الثنائية، وإن كانت العلاقات بقيت متوترة بسبب تلك المطالب المشوبة بالتوتر منذ البداية. النزاع الحدودي حول منطقة رأس دوميرا في العام 2008 أدى إلى مواجهات عسكرية بين البلدين، ما تسبب في تصاعد التوترات السياسية بينهما، ورغم الجهود الدولية لحل النزاع، بما في ذلك تدخل الأمم المتحدة والاتحاد الإفريقي، لم يتم التوصل إلى اتفاق نهائي يرضي الطرفين بشكل كامل. حافظ جيلة على موقفه الصارم تجاه إريتريا، ولكن مع محاولات مستمرة لتحييد الصراع عبر الدبلوماسية، في سياق محاولات تحسين العلاقات بين البلدين، قامت قطر بدور الوساطة في فترات معينة، ونجحت في تحقيق بعض التهدئة، لكن لم يتم الوصول إلى حلول جذرية للنزاع الحدودي. ظلت النزاعات الحدودية مع إريتريا تحديًا دائمًا لحكم جيلة. على الرغم من الجهود الدولية، بما في ذلك الوساطات من الأمم المتحدة وقطر، لم يتم التوصل إلى حلول نهائية للنزاع الحدودي على منطقة رأس دوميرا، ذلك النزاع تسبب في توترات مستمرة بين البلدين، وأحيانًا تفاقمت إلى مواجهات عسكرية. ومع ذلك، تمكنت جيبوتي من الحفاظ على موقف دفاعي قوي بمساعدة شركائها الدوليين[65].

اما التعاون في استقرار الصومال كانت داعمة للجهود الإقليمية والدولية لإعادة بناء الدولة الصومالية بعد الحرب الأهلية. جيلة لعب دورًا نشطًا في المساهمة في استقرار الصومال عبر دعم بعثة الاتحاد الأفريقي في الصومال (أميصوم) التي كانت تهدف إلى تحقيق السلام ومكافحة حركة الشباب المسلحة([66]).

والجدير بالذكر أنه، بفضل دورها في جهود إعادة بناء الصومال، استطاعت جيبوتي أن تحظى بمكانة دبلوماسية مهمة على المستوى الإقليمي. وقد ساعد ذلك على تعزيز العلاقات الثنائية بين جيبوتي والصومال، خاصة مع توسع التعاون في مجال الأمن ومكافحة الإرهاب. وخلال فترة الحرب الأهلية في الصومال، التي اندلعت عام 1991، لعبت جيبوتي دورًا نشطًا في محاولات إعادة الاستقرار في ذلك البلد الجار. وتحت قيادة جيله، كانت جيبوتي من أوائل الدول التي أرسلت قوات ضمن بعثة الاتحاد الإفريقي في الصومال (أميصوم) عام 2011

لدعم الحكومة الصومالية في مواجهة حركة الشباب الإرهابية. وإلى جانب هذا الدعم العسكري، استضافت جيبوتي جولات عدة من المفاوضات بين الفصائل الصومالية المتناحرة، ولا سيما مؤتمر أرتا عام 2000، فأصبحت محورًا دبلوماسيًا مهمًا في محاولات استعادة الاستقرار في الصومال. وقد ساعدت تلك التحركات جيبوتي على تعزيز مكانتها كقوة استقرار في القرن الأفريقي، وكشريك دولي مهم في جهود مكافحة الإرهاب([67])، واستقلالية القرارات السياسية في جيبوتي. غير أن استثمارات الصين، التي توسعت بشكل ملحوظ خلال السنوات الأخيرة، قد تأتي على حساب استقلال القرار الجيبوتي في السياسة الدولية، خصوصًا في حالات الأزمات أو التوترات بين الصين والدول الغربية([68]).

خامساً: التحديات والانتقادات في عهد إسماعيل عمر جيلة وطول فترة الحكم

تحت قيادة الرئيس إسماعيل عمر جيلة، واجهت جيبوتي عدة تحديات داخلية، خاصة في مجال حقوق الإنسان والإصلاحات الديمقراطية. تولّى جيلة الرئاسة عام 1999، وظل في الحكم لفترات طويلة مع تعديلات دستورية مثيرة للجدل، مما أثار انتقادات واسعة من المعارضة المحلية والمجتمع الدولي([69]).

منذ وصوله إلى السلطة، اتبع جيلة سياسة صارمة تجاه المعارضة السياسية. فعلى الرغم من وجود أحزاب معارضة، لجأت الحكومة في كثير من الأحيان إلى قمع الأصوات المخالفة, وتعد بعض الشخصيات المعارضة أن النظام السياسي في جيبوتي يفتقر إلى الشفافية والحرية. وكانت الاعتقالات التعسفية أداة رئيسية لقمع المعارضين، اذ تم القبض على عدد من قادة المعارضة قبل الانتخابات وبعدها, كذلك، وردت تقارير عن سوء المعاملة والتعذيب في السجون، واستخدمت الحكومة الأجهزة الأمنية لتفريق المظاهرات بالقوة، ومنعت تنظيم أي تجمعات أو احتجاجات كبيرة، مما أثر في قدرة المعارضة على تنظيم نفسها والتعبير عن مطالبها([70]).

وعلى سبيل الاشارة, تم اعتقال زعيم المعارضة عبد الرحمن بوريه عام 2016، وهو أحد أبرز قادة المعارضة الجيبوتية، خلال فترة الانتخابات الرئاسية. وكان بوريه ينتقد حكومة جيلة علنًا ويتهمها بالتزوير والانتهاكات الديمقراطية. وقد جاء اعتقاله ضمن حملة أوسع ضد المعارضين السياسيين([71]).

1. القيود على حرية التعبير والإعلام كانت حرية التعبير محدودة للغاية في عهد جيلة، اذ فُرضت قيود على الإعلام المستقل. فقد أُغلقت أو قُيّدت العديد من وسائل الإعلام المستقلة والصحف المعارضة. وسيطرت الحكومة بشكل كامل على وسائل الإعلام الوطنية، مما صعّب نقل الآراء المخالفة وتعرض الصحفيون والنشطاء للاضطهاد بشكل منتظم، وواجهوا تهديدات واعتقالات عند نشرهم أخبارًا تتعارض مع سياسات الحكومة. وقد انتقدت منظمة "مراسلون بلا حدود" ومنظمات حقوق الإنسان الأخرى تلك السياسات بشدة، معتبرةً أنها تتناقض مع التزامات البلاد في مجال حقوق الإنسان[72], وعلى سبيل الإشارة , تم إغلاق صحيفة :"La Voix de Djibouti" في العام 2011، قامت الحكومة بإغلاق صحيفة"La Voix de Djibouti" ، التي كانت واحدة من المنابر الإعلامية القليلة التي تنتقد الحكومة. تلك الصحيفة كانت تابعة للمعارضة، وكان يُنظر إليها كصوت للمعارضة ضد النظام. إغلاق الصحيفة جاء في ظل محاولات الحكومة السيطرة الكاملة على وسائل الإعلام، وتجنب أي تغطية سلبية لحكم جيلة, فضلا عن ذلك تم اعتقال العديد من الصحفيين الذين حاولوا تغطية الاحتجاجات أو انتقاد سياسات الحكومة، من بينهم الصحفي حسن سعيد الذي تم احتجازه في العام 2013 بعد نشره تقارير بالشأن انتهاكات حقوق الإنسان. كان ذلك جزءًا من حملة مستمرة ضد حرية الصحافة[73].

2. حقوق العمال والمهاجرين: تعد جيبوتي مركزًا لآلاف المهاجرين من دول مثل اليمن وإثيوبيا وإريتريا، الذين يعبرون البلاد للوصول إلى دول الخليج أو أوروبا، تعرضت جيبوتي لانتقادات بسبب سوء معاملة المهاجرين في مخيمات اللاجئين والمراكز الحدودية، فضلا عن ذلك، كان هناك تقارير عن انتهاكات لحقوق العمال، خاصة في قطاع البناء والبنية التحتية, اذ يتم استغلال العمال المهاجرين في ظروف عمل غير إنسانية. رغم محاولات الحكومة لتنظيم ذلك القطاع، ظلت الأوضاع غير مرضية بالنسبة للعديد من المنظمات الحقوقية[74].

وعلى الرغم من الاستثمارات الأجنبية الكبيرة، إلا أن نسبة كبيرة من تلك الموارد كانت تذهب لصالح النخبة الحاكمة، بينما لم تصل فوائد التنمية إلى المواطنين العاديين بالشكل المطلوب. كان الفساد في إدارة المشاريع واضحًا في قطاعات عدة، بما في ذلك مشاريع البنية التحتية والاتصالات، عدم الشفافية في منح العقود والمناقصات، والاعتماد على العلاقات السياسية أكثر من الكفاءة الاقتصادية، أدى إلى هدر الموارد وتباطؤ التنمية في بعض القطاعات([75]). وعلى سبيل الإشارة ان ظروف العمل السيئة للعمال المهاجرين, في قطاع البنية التحتية، خاصة المشاريع التي تمولها الصين مثل ميناء دوراليه، كان العمال المهاجرون من إثيوبيا ودول أخرى يعملون في ظروف عمل قاسية للغاية. تقارير حقوق الإنسان أشارت إلى أن هؤلاء العمال يواجهون ساعات عمل طويلة دون ضمانات صحية كافية، وفي كثير من الأحيان يتم انتهاك حقوقهم الأساسية، فضلا عن ذلك معاملة المهاجرين في مخيمات اللجوء، الذين يعبرون جيبوتي في طريقهم إلى دول الخليج أو أوروبا تعرضوا لسوء المعاملة من قبل السلطات. منظمة العفو الدولية وثقت حالات احتجاز تعسفي وسوء معاملة للمهاجرين، بما في ذلك تقارير عن العنف وسوء الأوضاع في المخيمات التي يديرها الأمن الجيبوتي[(76)].

1. نزاهة الانتخابات الرئاسية: الانتخابات الرئاسية في عهد جيلة كانت محط انتقادات متكررة. في كل انتخابات، كان جيلة يفوز بنسبة عالية جدًا من الأصوات، بينما كانت المعارضة تتهم الحكومة بالتزوير والتلاعب بنتائج الانتخابات. في بعض الحالات، قاطعت المعارضة الانتخابات احتجاجًا على غياب الشفافية[(77)].

انتخابات 2005 و2011 و2016 كانت كلها موضوع شكوك بالشأن نزاهتها. مراقبون دوليون ومنظمات حقوق الإنسان شككوا في قدرة المواطنين على ممارسة حقوقهم الديمقراطية بحرية، اذ تم الإبلاغ عن ممارسات ترهيب للناخبين واستخدام وسائل الدولة لدعم الحزب الحاكم. مع استمراره في الحكم لفترات طويلة، تحول نظام جيلة تدريجيًا إلى نموذج شبه استبدادي، اذ يتركز الحكم في يد الرئيس، بينما يتم تحييد دور المؤسسات الديمقراطية الأخرى مثل البرلمان والقضاء، كانت الانتقادات الموجهة لجيلة تتعلق بتراجع الديمقراطية في البلاد، اذ أصبحت الانتخابات مجرد شكلية، بينما يسيطر النظام على كل وسائل القوة في البلاد. المعارضة، وإن كانت

موجودة، إلا أنها غير قادرة على التأثير في صنع القرار. وكانت تعديلات الدستور، والسيطرة على الأجهزة الأمنية، والقيود على الحريات المدنية، كلها عناصر تشير إلى تحرك البلاد نحو حكم استبدادي رغم الالتزامات الدولية بتحقيق إصلاحات ديمقراطية[78], تجلّى ذلك بوضوح عام 2018، حين أُثيرت قضية فساد تتعلق بإدارة ميناء دوراليه، الذي كانت تتولى تشغيله شركة DP World الإماراتية. وقد اتهمت الشركة الحكومة الجيبوتية بمصادرة الميناء بصورة غير قانونية عقب استحواذها عليه لصالح هيئة الموانئ الجيبوتية. وأثارت تلك القضية تساؤلات واسعة بالشان الفساد والمحسوبية في إدارة الموارد الاقتصادية للبلاد. فضلًا عن ذلك، شهدت السنوات الأخيرة اكتشاف كميات محدودة من النفط في جيبوتي، أعقبها تطوير بعض المشاريع النفطية. ومع ذلك، أشارت تقارير إلى وجود ممارسات فساد ومحسوبية في إدارة تلك الموارد، إذ استفادت النخبة السياسية المرتبطة بالحزب الحاكم من العقود والمشاريع النفطية[79].

3- السيطرة على الجيش والأجهزة الأمنية: عبر تعزيز نفوذ الجيش والأجهزة الأمنية، ضمن جيلة ولاء تلك الأجهزة لرئاسته. تم توظيف الجيش في العديد من المواقف لقمع أي احتجاجات أو تحركات سياسية معارضة، مما جعله أداة رئيسية في الحفاظ على النظام. وسمحت السيطرة القوية على الأجهزة الأمنية لجيلة بالبقاء في السلطة دون مواجهة تحديات سياسية كبيرة، لكن ذلك كان على حساب حقوق الإنسان والحرية السياسية[80].

على الرغم من الانتقادات، يبرر جيلة حكمه المستمر بالقول إنه يقدم الاستقرار السياسي في منطقة مضطربة مثل القرن الأفريقي. كانت جيبوتي، مقارنة بجيرانها مثل الصومال وإريتريا، أكثر استقرارًا، مع وجود استثمارات أجنبية وقاعدة اقتصادية قوية نسبيًا. ذلك الاستقرار النسبي ساعده على كسب بعض الدعم الداخلي والدولي، اذ كانت القوى الأجنبية تنظر إلى جيبوتي كجزء من الحلول الإقليمية، خصوصًا في مواجهة الإرهاب والقرصنة. ومع ذلك، كان الاستقرار يأتي على حساب الحريات الديمقراطية والتعددية السياسية[81].

وعلى سبيل الإشارة, كان قمع "الاتحاد من أجل الخلاص الوطني :(USN) "في العام 2013، تم تأسيس تحالف "الاتحاد لغرض الخلاص الوطني (USN) "كحركة معارضة شاملة تضم عدة أحزاب معارضة. الحركة

كانت تطالب بتعديلات دستورية وضمانات لإجراء انتخابات نزيهة. تم قمع أعضاء الحركة بشكل مكثف، بما في ذلك اعتقال قادتها ومضايقة نشطائها، مما أدى إلى إضعاف التحالف وعدم قدرته على تحدي النظام[82].

4- التحديات الاقتصادي الفساد والاعتماد على الديون ازداد اعتماد جيبوتي على الديون الخارجية، خاصة من الصين، لتمويل مشاريع البنية التحتية الكبيرة. على الرغم من أن تلك المشاريع أسهمت في تحسين القدرات اللوجستية للبلاد، إلا أن عبء الديون أصبح مصدر قلق متزايد، حيث تجاوزت نسبة الدين العام إلى الناتج المحلي الإجمالي (85%) بعض المحللين حذروا من أن جيبوتي قد تكون عرضة لفقدان السيطرة على بعض الأصول الاستراتيجية في حال عدم قدرتها على سداد ديونها، وهو ما يُعرف بـ"فخ الديون", ذلك الأمر قد يؤدي إلى ضغوط اقتصادية كبيرة في المستقبل، ما لم تتمكن البلاد من تحقيق نمو اقتصادي مستدام يقلل من الاعتماد على الديون، مع الاستثمارات الكبيرة التي قدمتها الصين، ازداد عبء الديون الخارجية على جيبوتي بشكل ملحوظ. بحلول العام 2020، كانت ديون جيبوتي للصين تشكل أكثرمن (70%) من إجمالي الدين الخارجي للبلاد. يُثير ذلك القلق بالشان إمكانية سداد الديون، وخصوصًا مع التقارير التي تشير إلى إمكانية استيلاء الصين على أصول استراتيجية في حال فشل السداد، مثل ميناء دوراليه أو مشاريع أخرى، وتجسد ذلك في تقرير العام 2018 أشار إلى احتمال استخدام ميناء جيبوتي كضمان للدين الصيني، وهو ما أدى إلى مخاوف من تحول جيبوتي إلى "دولة مدينة" للصين.

الخاتمة :

1- شهدت جيبوتي تاريخًا طويلًا من النفوذ الاستعماري الفرنسي منذ القرن التاسع عشر، حيث أصبحت مستعمرة باسم الصومال الفرنسي، ثم حصلت على استقلالها عام 1977 بعد تصاعد الحركات الوطنية، ليصبح حسن جوليد أبتيدون أول رئيس للبلاد.

2- بعد الاستقلال، حكم جوليد بنظام الحزب الواحد مع استمرار التوترات العرقية والصراعات الداخلية، إلى أن شهدت البلاد إصلاحات محدودة في التسعينيات، وانتهى حكمه عام 1999 بانتخاب إسماعيل عمر جيلة رئيسًا، إيذانًا بمرحلة سياسية جديدة.

3- تعزيز القبضة الأمنية وقمع المعارضة تطورت الأجهزة الأمنية والاستخبارات لتصبح أداة رئيسية في تثبيت السلطة، من خلال المراقبة والاعتقالات التعسفية وتقييد الحريات، مما خلق مناخًا من الخوف وضعف المشاركة السياسية.

4- سياسات اقتصادية قائمة على الاستثمار والبنية التحتية مع محدودية العوائد الاجتماعية: ركزت الحكومة على جذب الاستثمارات الأجنبية وتطوير الموانئ والبنية التحتية وتعزيز الشراكات الدولية، لكن انعكاس هذه السياسات على التنمية الاجتماعية ظل محدودًا.

5- استمرار التحديات الاجتماعية وحقوق الإنسان: رغم النمو الاقتصادي النسبي، بقيت مشكلات البطالة والفقر وعدم المساواة قائمة، إلى جانب تراجع الحريات السياسية وضعف المسار الديمقراطي وهيمنة الحزب الحاكم.

6- اختلال التنمية الاقتصادية وتزايد التفاوت الاجتماعي على الرغم الاستثمارات الكبيرة، لم تُوزَّع عوائد التنمية بشكل عادل، حيث استفادت النخبة بينما استمرت البطالة والفقر ونقص الخدمات لدى فئات واسعة.

7- تعقيدات السياسة الإقليمية والدولية سعت جيبوتي لتعزيز دورها الدبلوماسي واستغلال موقعها الاستراتيجي، لكنها واجهت تحديات مثل التوتر بين القوى الكبرى والنزاعات الحدودية مع إريتريا.

8- انتقادات حقوق الإنسان وضعف الديمقراطية اتسم عهد جيلة بقمع المعارضة، وتقييد الحريات الإعلامية والسياسية، وانتخابات مثيرة للجدل، مما حدّ من التطور الديمقراطي في البلاد.

دور الوعي البيئي لدى الاسرة العراقية في التخلص من النفايات الصلبة (مدينة الفلوجة – حي الشهداء)

The role of environmental awareness among lraqi families in solid waste disposal(Fallujah City – Alshuhada neighborhood.

م. م .عماد رشيد غافل سالم

Emad Rashid Ghafel

مديرية تربية بغداد \ الكرخ الاولى - Madr5181@gmail.com

المستخلص :

تعاني اغلب بلدان العالم الثالث من مشكلة ضعف الوعي البيئي في التعامل مع النفايات الصلبة واسلوب ادارتها والتخلص منها وامكانية الاستفادة منها من خلال اتباع طرق حديثة واساليب علمية متطورة , عد الباحث بحثا لاختيار منطقة الدراسة , والتي تناولت ضعف الوعي البيئي والتعامل غير السليم بيئيا في ادارة والتخلص من النفايات الصلبة , والتي تنتج عنها اثار بيئية وصحية واقتصادية فظلا عن اثارها في جمالية المدينة .

تناولت الدراسة مبحثين , المبحث الاول اختص بالاطار النضري للبحث , موضحا فيه تعريف النفايات الصلبة وانواعها وتصنيفها والعوامل المؤثرة في معدل تولد النفايات الصلبة .

اما المبحث الثاني فقد تضمن الجانب العلمي للبحث إذ تضمن البحث الدراسة الميدانية من خلال استمارة الاستبيان , واظهار النتائج بالنسب المئوية والتحليل الوصفي لتلك النتائج , كما توصل البحث الى جملة من الاستنتاجات والتوصيات ذات العلاقة بالبحث .

Abstract

M0st developing countries suffer from a lack of environmental awareness in dealing with solid waste . And the method of managing and disposing of it, and the possibility of benefiting from it through following modern methods and advanced scientific techniques . The researcher conducted a study to select the study area, which addressed the lack of environmentally unsound handjing of solid waste management and disposal. This results in environmental, health and economic impacts in addition to its effects on the city s aesthetics. The study covered two sections, The first section dealt with the theoretical framework of the research , explaining the deflnition of solid waste , its types classification, and the factors affecting the rate of waste generation. The second section covered the scientific aspect of the research , including the field study through a questionnaire, presenting the results as percentages, and a descriptive analysis of those results. The research also reached a number of conclusions and recommendations related to the research .

الكلمات المفتاحية : النفايات الصلبة , الانقاض , الطمر الصحي , إعادة التدوير

Keywords : Solid wastes, Rubble , sanitary land fill , recycling .

المقدمة :

تعتبر الدراسات البيئية من أهم الدراسات وأكثرها حول العالم , لما تتعرض له البيئة من أخطار وما كان له من انعكاسات على الحياه اليومية ,وقد دفعت تلك التغيرات البيئية العالم الى عقد العديد من المؤتمرات من أجل المحافظة على البيئة . وتعد مشكلة النفايات الصلبة والتخلص منها من اهم المشكلات التي تواجه المدن والمجتمعات الحضرية , ومنطقة الدراسة من تلك الاماكن التي تتأثر في هذه الظاهرة .

كما وتعد مشكلة النفايات الصلبة إحدى المشكلات البيئية الكبرى التي توليها الدول في الوقت الراهن اهتماما متزايد ليس فقط لأثارها الضارة على الصحة العامة والبيئة وتشويهها للوجه الحضاري بل كذلك لأثارها الاجتماعية والاقتصادية , لذلك تعاني أغلب بلدان العالم الثالث من هذه المشكلة , لذلك يظهر ضعف الوعي البيئي في التعامل الصحيح مع النفايات الصلبة واسلوب ادارتها وكيفية التخلص منها وامكانية الاستفادة منها ,أذ يطرح سكان المدن يومياً نفايات تتكون في ابسط صورتها من مخلفات الطعام ومواد بلاستيكية وكارتون والاثاث المنزلي , فضلا عن مخلفات الاستعمالات التجارية والصناعية ومؤسسات خدمية اخرى . نحن نستهلك الموارد الطبيعية في الكوكب منذ زمن بعيد ومن عادات السيئة في مجتمعنا عندما تنتهي من شيء نقوم برميه بعيدا , يجب علينا محاربة هذا السلوك وتغييره , نحن بحاجة الى اعادة التفكير والتفاعل مع مشاريع اعادة التدوير .

مشكلة البحث :

تتلخص مشكلة البحث بضعف الوعي البيئي لدى الاسرة العراقية في اسلوب التعامل مع النفايات الصلبة والتخلص منها بكونها أبرز اسباب التلوث البئي التي تتعرض له المدن .

هدف البحث :

معرفة مستوى الوعي البيئي لدى الاسرة العراقية في اسلوب التعامل مع النفايات الصلبة والاستفادة منها , وبيان واقع هذا الوعي لدى المجتمع المدروس .

فرضية البحث :

أن الوعي البيئي لدى الاسرة في ما يتعلق بالنفايات الصلبة في منطقة الدراسة متواضعاً .

منهجية البحث :

اعتمد البحث على اسلوب البحث الميداني من خلال استمارة الاستبيان واستعمال المنهج الاحصائي والوصفي في عملية معالجة البينات والمعلومات الخاصة بالدراسة .

حدود البحث :

تحديد الدراسة كالأتي :

أ – الحدود المكانية : تتمثل الحدود المكانية مركز مدينة الفلوجة (حي الشهداء)

ب – الحدود الزمانية : تتمثل الحدود الزمانية للدراسة من 1\ 11\ 2025 – 1\4\ 2026

هيكلية البحث :

يتكون البحث من مبحثين , تضمن المبحث الاول تعريف النفيات الصلبة وانواعها وتصنيفاتها . والاسباب التي تؤثر في حجم وادارة النفايات الصلبة في المدينة .

أما المبحث الثاني فهو الجانب العلمي للبحث إذ كان خطوات العمل في الدراسات الميدانية على اساس ما تقدم به البحث فقد تضمن البحث تصميم استمارة استبيان لاستحصال المعلومات التي استند اليها جوانب التحليل

الوصفي في هذه الدراسة , فضلاً عن معالجة النفايات الصلبة والحد من تلوثها البيئي في مدينة الفلوجة , إذ تم التوصل الى الاستنتاجات والتوصيات التي خرج بها البحث .

المبحث الأول

النفايات الصلبة مفهومها وانواعها

تعد النفايات الصلبة من المشكلات البيئية البارزة على مستوى العالم ومصدر من مصادر التلوث البيئي , حيث تساهم مساهمة ملموسة في تلويث عناصر البيئة من تربة وماء وهواء , وتمل على تشوية المنظر العام وذلك بسبب تزايدها بشكل عام وعدم اتباع الطرق المناسبة في عملية جمع ونقل وتخزين ومعالجة هذه النفايات [1] .

مفاهيم النفايات الصلبة :(solid wastes)

يوجد هناك عدة تعاريف للنفايات الصلبة منها [2] .

1 – تعريف منظمة الصحة العالمية :

عرفت منظمة الصحة العالمية (WHO) النفايات (WASTE) بأنها بعض الاشياء التي أصبح صاحبها لا يستفاد منها والتي لم تعد لها أهمية أو قيمه , ويعرفها القانون الانكليزي على أنها مواد ناتجة عن أي عملية اقتصاديا او استردادها او أعادة استعمالها في وقت ومكان ما [3] . كما يطلق على جميع ما يطرحه من يعيش

---

[1] - مثنى عبد الرزاق العمر , التلوث البيئي , عمان , ط1 , دار النشر , 2000 , ص30.

[2] - حسين على خان , تقويم وتطوير ادارة النفايات الصلبة البلدية في مدينة النجف , رسالة ماجستير , كلية الهندسة , جامعة بغداد ,2005, ص18 .

- [3]http:// www.holroyd. New.an.

على الارض اثناء مزاولة حياه الطبيعية وكل ما يتعلق بها من فعاليات على مدار الزمن المحدد . فهي بذلك تشكل عنصر من عناصر مواد الطبيعة الكثيرة التي يتألف منها كوكب الارض ولا يمكن التعامل معها إلا على هذا الاساس , لاسيما إذا اعدت عنصر من عناصر توازن هذا الكوكب [1] .

2 – التعريف البيئي :

من وجهة نطر بيئية تشكل النفايات خطراً ابتداء من الوقت الذي تحدث علاقة بينها وبين البيئة , هذه العلاقة يمكن ان تكون مباشرة او نتيجة للمعالجة .

3 – التعريف الاقتصادي :

من وجهة نظر اقتصادية تعتبر نفايات كل مادة او شيء قيمته الاقتصادية معدومة او سلبية بالنسبة لمالكة

ومن خلا ما سبق من تعريفات يمكن القول أن كل التعريفات تلتقي في معنى واحد وهو أن النفايات الصلبة مواد ليس لها قيمة على جميع المستويات الاقتصادية و الاجتماعية . وكما تعرف النفايات الصلبة (wastes Solid) بأنها تعبير يستخدم عالمياً في الوقت الحاضر الإشارة الى المخلفات غير السائلة التي تنتج عن مختلف أنواع النشاط المنزلي والتجاري والزراعي والحرفي والتعديني والصناعي , كما إن صفة غير سائل أمر نسبي لان (الوحل sludge)الناتجة من بعض المخلفات تدخل ضمن النفايات الصلبة .

انواع النفايات الصلبة :

تشمل النفايات الصلبة مجموعة عديدة من النفايات تختلف كما ونوعا من بلد لأخر بل من مدينة إلى اخرى داخل البلد الواحد وذلك حسب الكثافة السكانية والحالة الاقتصادية والمستوى الاجتماعي والثقافي للمجتمع .

[1] - الشيخ عباس فتحي فاضل عبد الامير , التقنيات المستخدمة في ادارة النفايات الصلبة واثرها في التخطيط البيئي لمدينة بغداد , المعهد العالي للتخطيط الحضري والاقليمي , رسالة ماجستير , 2006 , ص2.

كما تختلف باختلاف فصول السنة والموقع الجغرافي والتخطيط العمراني للمدينة . يمكن تقسيم النفايات الصلبة تبعا لدرجة الخطورة , نفايات صلبة خطرة ونفايات صلبة غير خطرة .

1 – النفايات الصلبة الخطرة :

وهي نفايات الانشطة والعمليات المختلفة أو رمادها المتحفظة بخواص المادة الخطرة التي ليس لها استخدامات اصلية او بديلة , وتعتبر خطر على صحة الانسان ومقومات البيئة لما تحتويه من مواد قابلة للانفجار أو الاشتعال أو تكون سامة , وتتعدد مصادر هذه النفايات منها المصادر الصناعية والزراعية والمستشفيات , كما يحتوي الصرف الصحي أو الصناعي على مكونات تكتسب نفس الخطورة [1] .

2 – النفايات الصلبة غير الخطرة :

وهي النفايات الصلبة التي لا تحتوي على مواد أو مكونات لها صفات المواد الخطرة كما تتباين في خصائصها الكيميائية والفيزيائية وتشتمل على مواد عضوية وغير عضوية .

مصادر النفايات الصلبة : (sources of solid wastes)

تتولد النفايات الصلبة حيثما وجد نشاط بشري وتختلف تلك النفايات باختلاف مراح التطور البشري والحضاري وأهم مصادر النفايات الصلبة هي .

1 – النفايات الصلبة المنزلية :

يقصد بالنفايات المنزلية المخلفات الناجمة عن المنازل والمطاعم والفنادق وغيرها [2] , كذلك النفايات التي ينتجها القاطنون في الوحدات السكنية على اختلاف أنواعها وتكويناتها , وهي عبارة عن كمية من النفايات التي تزيد

[1] - كريم كاظم حمادي الشمري , دراسة تحليلية لمشاكل البيئة الحضرية (مناطق مختارة من مدينة الحلة) رسالة ماجستير , المعهد العالي للتخطيط الحضري والاقليمي , جامعة بغداد , العراق , 2010 , ص43.

[2] - سيد عاشور احمد , التلوث البيئي في الوطن العربي واقعة وحلول ومعالجة , ط1 , 2006 , ص 294.

عن حاجة الانسان في منزلة يوماً أو اسبوعاً او شهرياً , تشكل النفايات المنزلية أغلبية النفايات الصلبة المجموعة في المدن قياساً بالنفايات الصلبة الاخرى [1] . وتكون هذه النوعية من النفايات عادةً الكمية العظمى من مجموع النفايات التي تطرح في المدينة , وذلك لأن فعالية السكن في الغالب هي الفعالية الكبيرة دائماً التي تتمحور حولها بقية النشاطات والفعاليات الاخرى , كما ينتج عن تراكمها روائح تؤذي السكان ويغلب على تلك النفايات المكونات العضوية مثل بقايا الطعام أو ما يعرف بمخلفات الطعام وهي مخلفات سريعة التعفن والتحلل , ففي منطقة الدراسة فأن غالبية السكان تشكل بقايا الطعام المكون الاول ثم بقايا الورق والزجاج .وتتوقف كمية النفايات الصلبة المنزلية الى عوامل , مثل عدد افراد الاسرة حيث تكون هناك علاقة طردية بين عدد افراد الاسرة وكمية انتاج النفايات , بمعنى أنه كلما زاد عدد افراد الاسرة ارتفعت كمية المخلفات , وكذلك الحالة الاقتصادية والمستوى المعيشي ,اي كلما كان دخل الفرد مرتفعا كلما زادت القدرة الشرائية للبضائع والسلع مما يجعل كمية النفايات اكبر , كذلك العادات والتقاليد لها تأثير على زيادة كمية النفايات , ففي مواسم الاعياد والمناسبات تزداد كمية النفايات لكثرة ما يقدم في هذه المناسبات من اطعمة ومشروبات ينتج عنها كثير من المخلفات .

2 – النفايات الصلبة الصناعية :

يقصد بالنفايات الصناعية المخلفات التي تنتجها مجمل انواع الصناعات وتطرحها الى البيئة المحيطة وهي بشكل عام تكون إما صلبة أو سائلة أو غازية , تمتاز هذه المواد المطروحة بأنها ذات طبيعة استمرارية ومتنوعة تنوعاً كبيراً تبعا لتنوع الصناعات , وهي صناعة المعادن والدباغة والجلود وغيرها من الصناعات .

3 – النفايات الصلبة التجارية :

وهي تلك النفايات الناتجة عن عمليات البيع والشراء التي تتم داخل الاسواق , يتولد هذا النوع من النفايات في الاسواق التجارية والاسواق الشعبية , فضلا عن نفايات التجاوزات التجارية وهي نفايات كبيرة الحجم مثل بقايا

[1] - صلاح مهدي عباس , وعلي احمد ابراهيم , تحليل مشكلة نقل النفايات الصلبة باستخدام انموذج النقل بغداد , حالة دراسية , المجلة العراقية للعلوم الاقتصادية , المجلد 18 , الاصدار , 66 , 2012, ص 228.

الكارتون والورق [1] . كما وتشمل هذه المخلفات مختلف المواد والاشياء وبقايا الخضر والفواكه واكياس وعلب كارتونية , وتعتبر هذه المخلفات ملوثات للبيئة أذ ما تم الاستغناء عنها بطريقة عشوائية .

4 – النفايات الصلبة الزراعية :

يقصد بها المخلفات التي تنتج من الاعمال الزراعية من تنظيف الاشجار وتقليم النباتات وقطع الاشجار وتهذيبها وأن هذه النفايات يمكن الافادة منها في صناعة الاعلاف للحيوانات وكوقود في محارق انتاج الطاقة ولاتزال تستخدم كوقود في المناطق الريفية , وتكون أغلب مصادرها المشاتل والمناطق الخضراء , والحدائق العامة والمتنزهات , حيث تقوم دائرة البلدية والمسئولة بالعناية والحفاظ على شكل تلك الحدائق والاهتمام بمظهرها أذ تقوم بقص اغصان الاشجار وتقليمها بين الحين والاخر وترك الاغصان المقطوعة في الشوارع وعلى جانبي الطرق العامة مما يؤثر على انسيابية حركة المرور فيها .

صور(1) مخلفات النفايات الزراعية



المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 20\ 3\2026

5– نفايات الشوارع :

[1] - عباس زغير محيسن المرياني , النفايات الصلبة والسائلة (مخاطر صحية واثار بيئية) ط1 , دار الصفا للطباعة والنشر ,عمان , الاردن , 2019 ,ص 52 .

هي الاتربة الموجودة في الطرقات والنفايات الناتجة عن المارة وكذلك تشمل الورق والاخشاب و اوراق الاشجار .

صورة (2) نفايات الشوارع



المصدر: الدراسة الميدانية بتاريخ 20 \ 3\ 2026

6– الأنقاض : (Rubble)

وهي المخلفات الناتجة من أعمال البناء والهدم من الرمل وكسر الطابوق وأكوام الاتربة التي يتم تركها على الارصفة والطرق العامة ونلاحظها بصورة ملحوظة في السنوات الاخيرة [1] .

, إذ يلاحظ أكوام الانقاض في جميع أنحاء المدينة ولا سيما الاماكن الفارغة والدور المهدمة وأغلب تلك الانقاض تتكون من بقايا الجارة والطابوق والحديد وغيرها [2] . تمكن خطورة نفايات الانقاض على التربة عندما تحتوي على بقايا الاسبستوس وهو بقايا الاسبست المستخدم في البناء القديم والممزوجة مع الزيوت والدهانات وبقايا عمليات الهدم , والتي عند تحللها تعمل على تلوث التربة بشكل كبير وتغير كثير من خواصها الفيزيائية

(1) - نبراس احمد جاسم العلي , تصميم واختيار موقع محطة تحويل النفايات الصلبة في بغداد , رسالة ماجستير , كلية الهندسة , قسم الهندسة المدنية ,جامعة بغداد , 1995 ,ص5.

(2) - سهاد كاظم عبد و زومايا جاكلين قوسن , الادارة المتكاملة للنفايات الصلبة واستراتيجياتها في بلديات المدن مدينة بغداد , المجلة الدولية للبيئة وتغير المناخ العالمي , المجلد 2 ,العدد 2 , 2014 , ص 40.

والكيميائية وخاصة الخواص الحيوية , ومن ثم ينتقل هذا التلوث الى الانسان مسبب مرض السرطان , وخاصة اذا كانت هذه المخلفات ملقاه بين الاحياء السكنية [1] .

صورة (3) بقايا نفايات الانقاض



المصدر : الدراسة الميدانية , بتاريخ 20\3\ 2026

الاسباب التي تؤثر في حجم وإدارة النفايات الصلبة في المدينة .

تتعدد الاسباب المؤثرة في حجم وإدارة النفايات الصلبة , حيث تقسم تلك الاسباب إلى قسمين هما الطبيعية والبشرية , وتختلف تلك الاسباب في تأثيرها على حجم النفايات الصلبة , إذ تعتبر الاسباب البشرية أكثر تأثير من الاسباب الطبيعية , والسبب في ذلك أن النفايات الصلبة هي نتاج الأنشطة البشرية بالدرجة الاولى .

وتقسم هذه الاسباب الى العديد من الفروع , ويمكن توضيح أثر الاسباب البشرية على النحو التالي [2].

1 – حجم السكان وتطورهم :

[1] - منظمة العمل العربية , منشورات المعهد العربي للصحة والسلامة المهنية ,الامنيات , دمشق , 2010, ص88.
[2] - بشير عربيات وأيمن مزاهره , التربية البيئية , دار المناهج للنشر والتوزيع , عمان , 2009 , ص98.

تعتبر الزيادة السكانية من أهم العوامل المؤثرة في النفايات الصلبة حيث تتناسب تناسباً طردياً معها , وهي ظاهرة تتساوى فيها جميع دول العالم , حيث أن الزيادة السكانية عادة ما يرافقها العديد من أشكال التغيرات في الانشطة العمرانية والاقتصادية والانتاج والاستهلاك , وفي النهاية تزداد النفايات الصلبة المتولدة وتحتاج إلى إدارة فعالة للتخلص منها والتعامل معها بصورة علمية وسليمة .

2– العوامل السلوكية للسكان :

تتأثر النفايات الصلبة من حيث الكم والنوع بالعوامل السلوكية للسكان , والتي على الرغم من كثرتها إلا أنها تختلف من أسرة لأخرى , فمنها هو متعلق بسلوك الاسرة من نقل النفايات الصلبة المنزلية ومنها ما هو مرتبط بوقت إخراج النفايات من المنزل .

فمن الأسر من تخرج النفايات في الصباح الباكر ومنها عند الظهر ومنها عند المساء , ومنها ما هو مرتبط بالوسيلة المستخدمة في نقل النفايات المنزلية مثل الاكياس البلاستيكية , او الاناء (الدلو), وكيفية تعامل السكان مع النفايات المنزلية الخطرة مثل الحقن وبقايا الادوية (النفايات الطبية) وغيرها .

3– نقل النفايات الصلبة :

ترتبط عملية إدارة النفايات الصلبة بشكل مباشر بطريقة إخراج النفايات من المنازل وبالوسيلة التي ينقل بها المواطن النفايات من المنزل إلى الحاوية أو تركها أمام المنزل . وتؤثر تلك العملية على إدارة النفايات من خلال أن استخدام الاكياس البلاستيكية في نقل النفايات الصلبة يساعد في تناثرها بشكل كبير على الارض , حيث أنها سهلة التمزق وتتناثر النفايات منها ويصعب جمعها خاصة تلك النفايات تنتظر أمام المنزل طول الليل , وتبعث بها الحيوانات مثل القطط والجرذان [1] .

[1] - خلف الدليمي , تخطيط الخدمات المجتمعية والبنية التحتية أسس – معايير – تقنيات , عمان , دار الصفا للنشر والتوزيع ,2009,ص 46 .

4– الاسباب الاجتماعية :

تعتبر الاسباب الاجتماعية من العوامل الهامة في زيادة النفايات الصلبة المنزلية , إذ ينتج عن الكثير من العادات والتقاليد والمناسبات يكون لها اثار بيئية ومخلفات صلبة وسائلة تشكل مشكلة بيئية . وتتعدد العوامل الاجتماعية بين المناسبات السنوية كالأعياد وشهر رمضان وأيام الجمعة والاسواق المحلية والافراح والمناسبات الاجتماعية الاخرى .[1] .

5– فرز النفايات الصلبة :

تتأثر عملية إدارة النفايات الصلبة بفرز المواطن للنفايات على الاقل إلى العديد من المكونات والعناصر , حيث أن غالبية السكان تتعامل مع النفايات ككتلة واحدة وتكمن أهمية تلك الخطوة كونها أهم مرحلة لتقليل حجم النفايات. وتؤثر هذه الخطوة على اختلاط النفايات المنزلية العضوية مع بعظها البعض ويعطيها فرصة للتخمر , مما ينتج عنها العديد من المشكلات مثل الروائح الكريهة وانتشار القوارض والتي تنقل الامراض للسكان وبشكل مباشر للعاملين عليها.

المبحث الثاني

الدراسة الميدانية

يطرح سكان المدن يومياً نفايات تتكون في أبسط صورها من مخلفات الطعام ومواد بلاستيكية وورق وكارتون ومعادن وأخشاب فضلا عن النفايات التي تخلفها الاستعمالات الصناعية والتجارية والمؤسسات الخدمية الاخرى

[1] - كريم كاظم حمادي الشمري , مصدر سابق , ص77 .

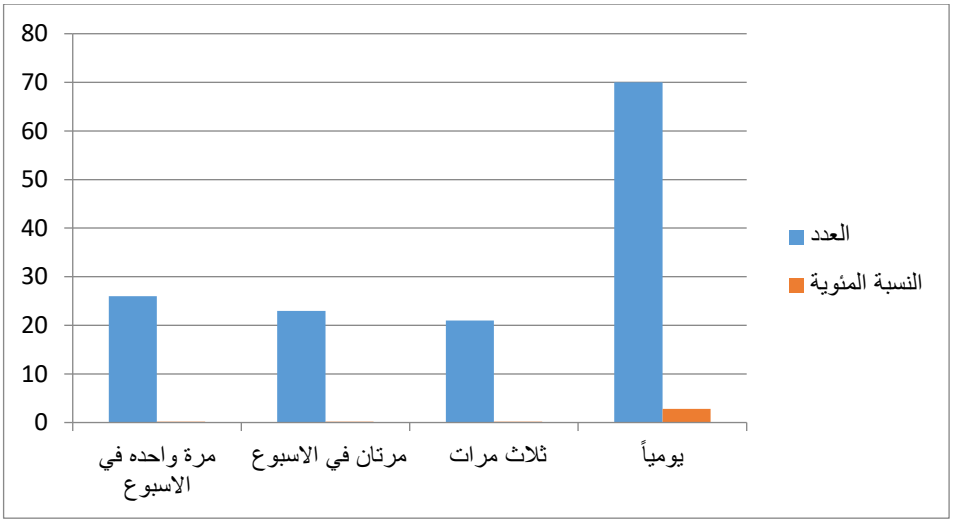
إذ تواجه المدن مهمة أساسية في التخلص من النفايات التي تعد من الامور الحيوية والضرورية التي تواجه السكان أذ أنها تؤثر على مستوى النظافة كونها أحد مصادر التلوث . وكذلك الهدف من الدراسة هو التعرف على الاوقات التي يتم فيها رفع معدلات النفايات الصلبة أكثر من غيرها وذلك لأعداد الخطط والبرامج والاستعداد لها لأن عملية ادارة النفايات الصلبة في مضمونها تتكون من عمليات الجمع والنقل والتخلص النهائي ولأن حجم النفايات الصلبة ومكوناتها تتغير من وقت لأخر ومن مكان لأخر حسب المتغيرات والتي منها العوامل الاجتماعية والاقتصادية واعداد السكان والظروف المناخية والتي بتغيرها تتغير طبيعة النفايات الناتجة من الاطعمة والمأكولات والالبسة مما جعل عملية تحديد المكاني والزماني للنفايات من الامور التي لها أهمية كبيرة .

اعتمدت الدراسة الميدانية على جمع المعلومات من الدوائر ذات الاختصاص واللقاءات مع المختصين والمواطنين واستمارة الاستبيان الخاصة بالدور السكنية .

المعدل اليومي لرفع النفايات المنزلية في منطقة الدراسة

عدد مرات جمع النفايات في الاسبوع	العدد	النسبة المئوية
مره واحدة في الاسبوع	24	%18
مرتان في الاسبوع	21	%16
ثلاث مرات في الاسبوع	20	%15
يومياً	69	%51
المجموع	134	

شكل (1) المعدل اليومي لرفع النفايات المنزلية



عمل الباحث بالاعتماد على الجدول (1)

يتضح من الجدول (1) والشكل (1) في اعلاه عدد مرات جمع النفايات في الاسبوع بمنطقة الدراسة إذ سجلت اعلى نسبة (51%) يتم فيها جمع النفايات بشكل يومي وتليها نسبة (18%) يتم الجمع فيها مرة واحدة في الاسبوع إذ بلغت نسبة (31%) التي يتم فيها جمع النفايات مرتين او ثلاث مرات في الاسبوع , ويأتي هذا التفاوت في النسب بسبب اختلاف من محلة سكنية الى اخرى وذلك لضيق الشوارع المتمثلة بالأزقة الضيقة وعدم وصول حاويات النقل اليها كذلك عدم وجود ارباب الاسر في المنزل اثناء الاوقات التي يتم فيها جمع النفايات فيها وهذا يؤثر على دقة الاجابة على عدد مرات جمع النفايات في الاسبوع .

ما نوع الوعاء المستعمل لجمع النفايات داخل مسكنك :

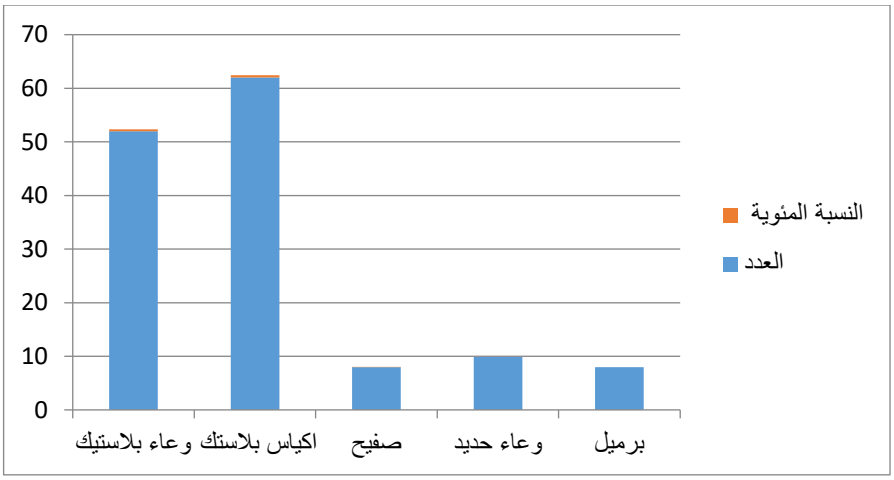
تتنوع اساليب جمع النفايات من حي الى حي اخر بحسب المستوى الثقافي والاجتماعي للمواطنين .

جدول (2)

النسبة المئوية بطريقة التعامل الاسرة مع النفايات داخل المسكن

اسلوب جمع النفايات داخل المسكن	العدد	النسبة المئوية
وعاء بلاستيك	52	%37
اكياس بلاستك	62	%45
صفيح	8	%5
وعاء حديد	10	%7
برميل	8	%6
المجموع	140	

شكل (2) تعامل الاسرة مع النفايات داخل المسكن



عمل الباحث بالاعتماد على الدول (2)

يتضح من الجدول والشكل اعلاه النسبة المئوية الاعلى لأسلوب جمع النفايات داخل الوحدة السكنية إذ كانت نسبة الاكياس البلاستيكية المستخدمة (45%) تلتها في النسبة الاوعية البلاستيكية بنسبة (37%) تلتها بعض الاوعية المستخدمة لجمع النفايات . ونلاحظ اعلى نسبة هي الاكياس البلاستيكية وذلك لسهولة حملها ورميها ولكونها متوفرة الا انها لا تحفظ النفايات لسهولة خرقها وتبعثرها من قبل الحيوانات , اما المرتبة الثانية فتأتي الاوعية البلاستيكية وهي الطريقة الصحيحة في التعامل مع النفايات .

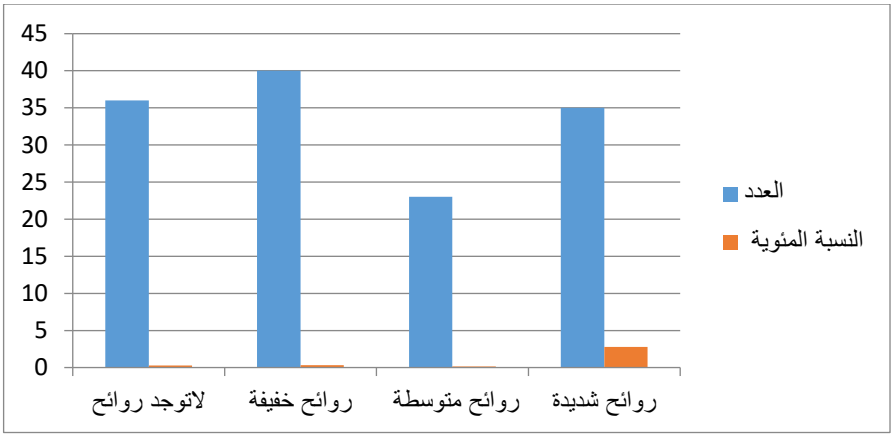
هل تشعر بوجود روائح ناتجة عن النفايات المطروحة في المنطقة السكنية :

جدول (3) مقدار تأثير الروائح المنبعثة من اماكن النفايات

انبعاث الروائح	العدد	النسبة المئوية
لا توجد روائح	38	%27
روائح خفيفة	42	%30
روائح متوسطة	24	%17
روائح شديدة	36	%26
المجموع	140	

شكل (3)

مقدار تأثير الروائح المنبعثة من اماكن النفايات



عمل الباحث بالاعتماد على الجدول (3)

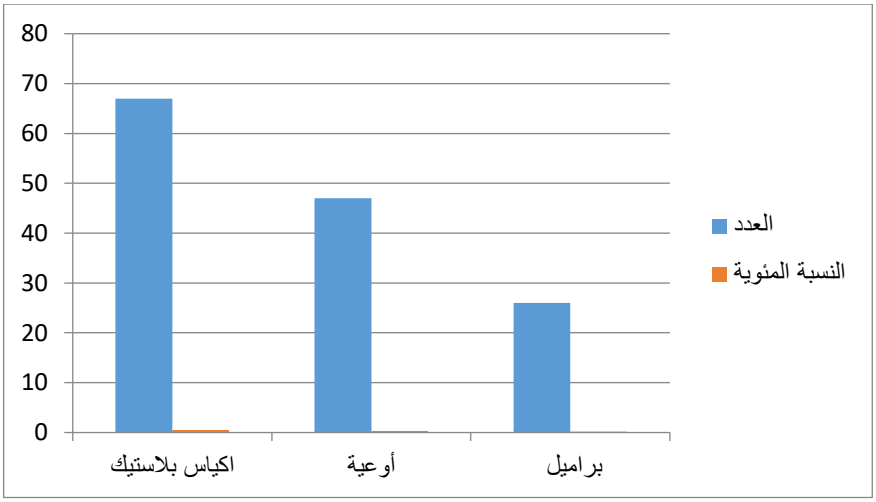
يبين الجدول والشكل اعلاه نسبة الوحدات السكنية التي اجابت بعدم وجود روائح هي (27%) أما نسبة الوحدات السكنية التي اجابت بوجود روائح خفيفة هي (30%) ونسبة وجود الروائح المتوسطة (17%) اما الروائح الشديدة فكانت النسبة (26%) وان هذه النسبة تعني وجود انبعاث روائح تتراوح بين الخفيفة والمتوسطة في منطقة الدراسة , ان مشكلة الروائح الكريهة تعكس الاثار السلبية بنوعية الحياه الحضرية , والكثافة السكانية المرتفعة في الحي السكني .

أين تفضل وضع النفايات :

جدول (4) نوع الوعاء المستخدم في وضع النفايات

اين تفضل وضع النفايات	العدد	النسبة المئوية
أكياس بلاستيك	67	%48
أوعية	47	%34
براميل	26	%18
المجموع	140	

شكل (4) نوع الوعاء المستخدم في وضع النفايات



عمل الباحث بالاعتماد على الجدول (4)

تختلف نسبة مستخدمين الاكياس او الاوعية او البراميل في الوحدات السكنية , اذ نلاحظ من الجدول والشكل اعلاه ان نسبة مستخدمين الاكياس البلاستيكية بلغت (48%) وهي النسبة الاعلى , تلتها نسبة (34%) من المستخدمين للأوعية , كما سجلت اوطأ نسبة (18%) من الوحدات السكنية التي تستخدم البراميل في وضع النفايات . ان سبب ارتفاع نسبة الاكياس البلاستيكية لكونها سهلة الحمل ورخيصة الثمن , كذلك لا تسبب روائح, اما مستخدمين الاوعية والتي تعتبر هي الطريقة الافضل في التعامل مع النفايات هم اصحاب المستوى الثقافي واصحاب الدخل العالي .

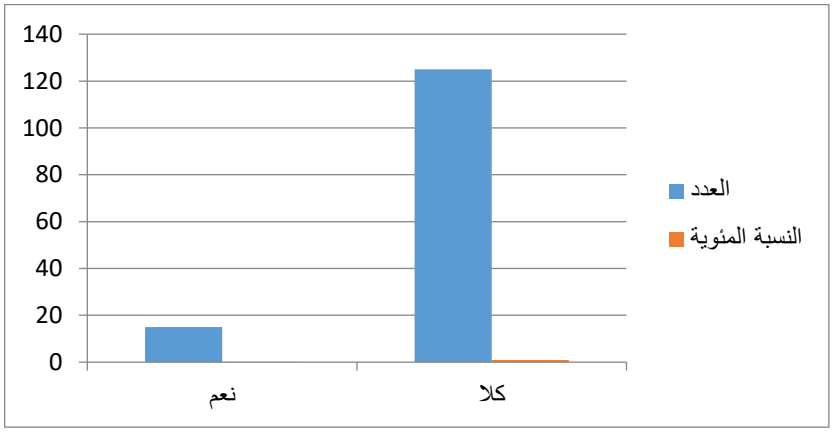
هل توجد معايير وضوابط معينة في توزيع اوعية تجميع النفايات :

جدول (5) توزيع اوعية النفايات

معايير توزيع اكياس واوعية النفايات	العدد	النسبة المئوية

نعم	15	%10
كلا	125	%90
المجموع	140	

شكل (5) توزيع اوعية النفايات



عمل الباحث بالاعتماد على جدول (5)

يبين الجدول والشكل (5) النسبة المئوية لمعيار توزيع أوعية واكياس النفايات على الوحدات السكنية (استمارة استبيان) يتضح ان نسبة (90%) اجابت بعدم وجود معايير او ضوابط في كيفية توزيع الاوعية البلاستيكية والاكياس على الوحدات السكنية , حيث يتم توزيع الاكياس والاوعية بطريقة عشوائية . اي ان قسم من الوحدات السكنية تحصل على الاوعية والاكياس من خلال حملات التوزيع التي تقوم بها الجهات المسئولة عن النظافة المتمثلة بدوائر البلدية .

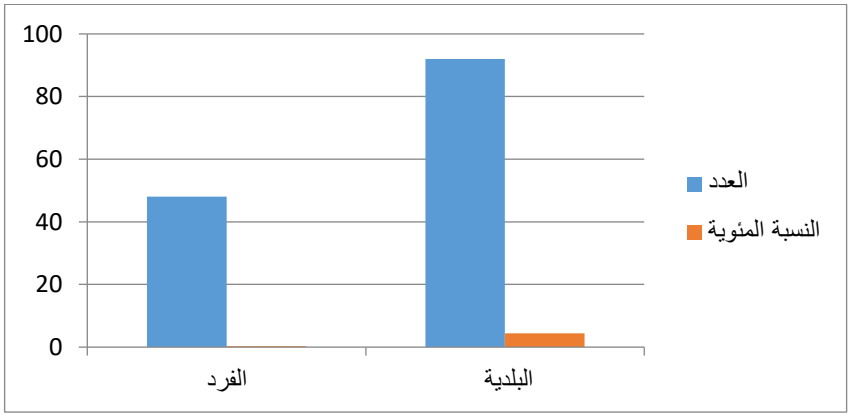
مصدر الحصول على اوعية جمع النفايات :

جدول (6)

مصدر الحصول على الاوعية والاكياس للنفايات

مصدر الحصول على اوعية جمع النفايات	العدد	النسبة المئوية
الفرد	48	%34
البلدية	92	%66
المجموع	140	

شكل (6) مصدر الحصول على اوعية جمع النفايات



عمل الباحث بالاعتماد على جدول (6)

توفير أوعية جمع النفايات يقع على عاتق الجهات الحكومية في توفير الاوعية البلاستيكية , اذ ان غالبية الاوعية يتم توزيعها من قبل الجهات المختصة سواء كانت الحكومية او الشركات الخاصة المتعاقدة مع الجهات الحكومية , لاكن هذا التوزيع لا يغطي حاجة الاسر الساكنة في المدينة , اذ يتم توزيعها بصورة عشوائية الى الوحدات السكنية , ويوضح الجدول اعلا ان (66%) من العينة المشمولة بالدراسة ان مصدر الاوعية هو البلدية , وان

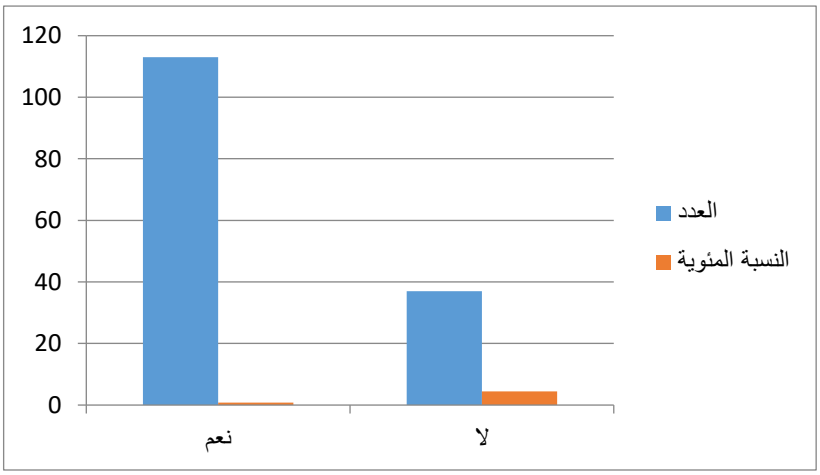
نسبة (34%) اجابت بأن مصدر الاوعية هو الفرد اذ تقوم الاسر بشرائها من الاسواق المحلية , وان سبب هذا التفاوت في النسبة الى عشوائية التوزيع إذ تحصل بعض الوحدات واخرى لا تحصل .

درجة انتشار النفايات في المنطقة :

جدول (7) انتشار النفايات على الارصفة والطرق

نسبة انتشار النفايات	العدد	النسبة المئوية
نعم	113	%75
لا	37	%25
المجموع	140	

شكل (7) انتشار النفايات على الارصفة والطرق



عمل الباحث بالاعتماد على جدول (7)

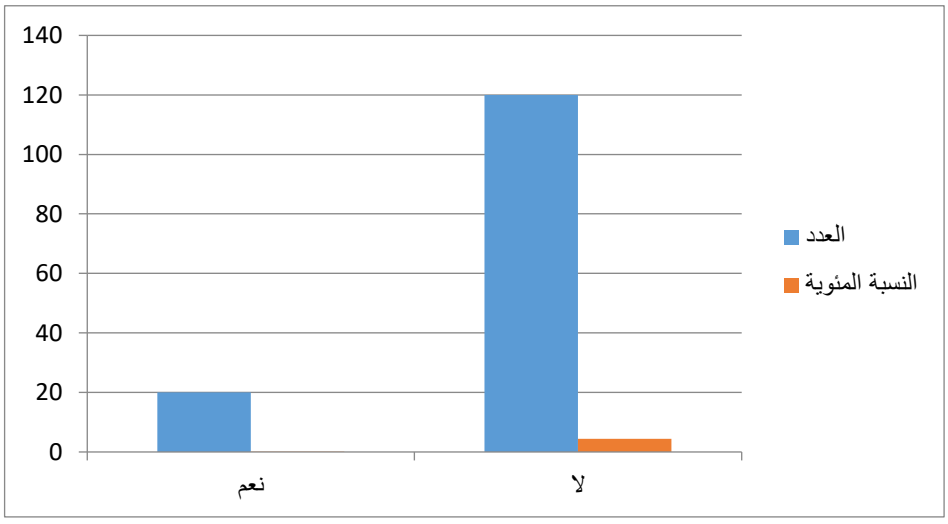
يوضح الجول والشكل اعلاه ان نسبة (75%) من العينة اكدت هناك انتشار النفايات في المنطقة خاصة على الارصفة والطرق وفي جانب الحاويات قرب البيوت , اذ اكد المشمولين بالعينة عدم كفاية أجهزة التنظيف , وكذلك عدم تعاون السكان في الحفاظ على النظافة يؤدي الى تكديس النفايات في غير اماكنها المخصصة , وهذا يعطي مؤشر الى انخفاض الوعي البيئي لدى السكان .

تحديد وقت جمع النفايات :

جدول (8) تحديد وقت لجمع النفايات

وقت جمع النفايات	العدد	النسبة المئوية
نعم	20	%13
لا	120	%87
المجموع	140	

شكل (8) وقت جمع النفايات



عمل الباحث بالاعتماد على جدول (8)

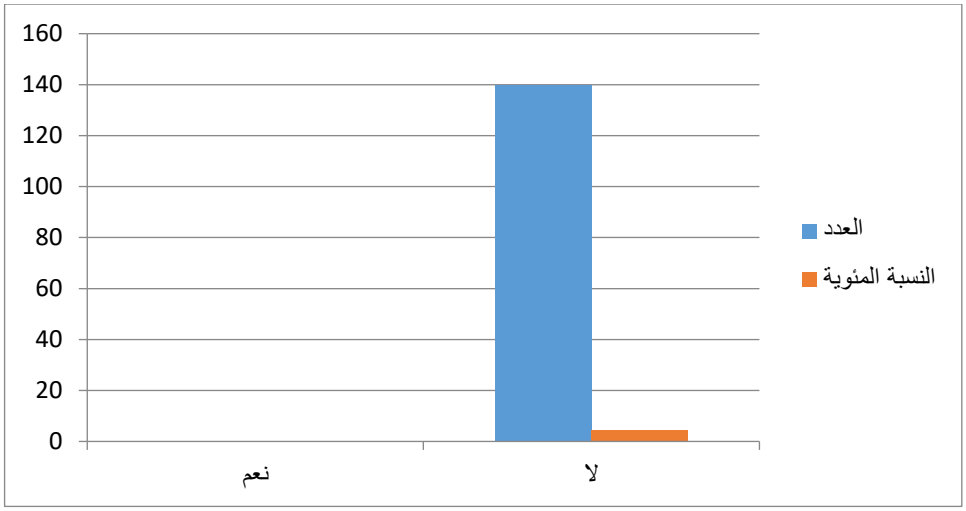
يبين لنا الجدول والشكل اعلاه بأن نسبة (87%) كانت اجابتهم بأنه لا يوجد وقت محدد لجمع النفايات , والسبب من هذا عدم وجود الاسر في المسكن في اوقات مرور سيارة جمع النفايات وكذلك خط سير الكابسة بطريقة عشوائية إذ يمر بأحياء اخرى مما يؤثر وصوله في الوقت المحدد. اما هناك (13%) اجابت ان هناك وقت لجمع النفايات .

هل يتم فرز النفايات حسب النوع لأغراض إعادة التدوير:

جدول (9) امكانية فرز النفايات وتدويرها

فرز النفايات حسب النوع لأغراض التدوير	العدد	النسبة المئوية
نعم		
لا	140	%100
المجموع	140	

شكل (9) امكانية تدوير النفايات



عمل الباحث بالاعتماد على جدول (9)

اكدت النسبة ان (100%) لا يتم فرز النفايات المنزلية سواء كانت من مصدرها مكان السكن او الجهة المسئولة من جمع النفايات , اذ تجمع النفايات بشكل خليط من النفايات المتمثلة (المعدنية , الزجاج , الكارتون , والعضوية) ولا توجد محطات تحويلية ليتم فرزها , اذ يتم نقلها بعد جمعها من المناطق السكنية الى مواقع الطمر , وهذا يعود الى عدم كفاية الاجهزة القائمة على عملية جمع النفايات وعدم وجود اوعية خاصة بفرز النفايات حسب نوعيتها كما هو معمول في بلدان العالم المتقدم .

معالجة النفايات الصلبة والحد من تلوثها البيئي في المدينة :

ان الحاجة إلى المعالجة الكافية والتخلص من النفايات , نشأت عندما بدء السكان ينتقلون من مناطق سكن متفرقة إلى مناطق سكن جماعية مشكلين مجتمعات محلية , ونتج عن ارتفاع عدد السكان في البلدات والمدن ارتفاع بكميات النفايات الناتجة عنهم , بحيث اصبحت مشكلة مزعجة والنفايات كانت تحرق للتخلص منها .

طرق معالجة النفايات الصلبة :

يقصد بها الطرق التي يمكن من خلالها تغيير خواص النفايات الصلبة الخطرة لجعلها غير خطرة أو اقل خطورة حيث يمكن بعدها التعامل معها بأمان أكثر , فيمكن نقلها أو جمعها أو تخزينها أو التخلص منها دون ان تسبب أضراراً للإنسان والبيئة [1] . ومن الطرق المستخدمة ما يأتي .

1 – الردم او الطمر الصحي :(sanitary land fill)

هي عمليات وضع النفايات في حفر ومن ثم تغطيتها بالتراب , إذ بدأت الولايات المتحدة ودول غرب أوربا بدفن فضلاتها بهذه الطريقة [2] . كما يعرف على انه طريقة لطمر النفايات الصلبة تؤدي خدماتها بدون إزعاج أو ضوضاء وبدون مخاطر على الصحة أو السلامة العامة [3] .

يعد من اشهر الطرق المتبعة للتخلص من النفايات الصلبة , ويجب ان يتميز مواقع الردم الصحي بمواصفات هندسية خالصة , حيث تعتمد على رص النفايات الصلبة لأستيعاب اكبر كمية ولتقليل النفاذية وتغطية النفايات بطبقة طينية عازلة وغير نافذة ,كما يجب اختيار موقع الطمر بعد دراسة جيولوجية , بحيث تضمن عدم الاضرار بالبيئة عن طريق تسرب السوائل الناتجة عن تحلل النفايات للمياه الجوفية . ويمكن تعريف الطمر الصحي , بأنها وسيلة للتخلص من النفايات تؤدي إلى تحسين البيئة باستعمال النفايات في استصلاح الاراضي والحفر المهجورة وإعادة الاراضي إلى ما كانت عليه بردمها إلى منسوبها الاصلي

2 – الحرق : (combustion)

---

(1) -أمينة محمد حافظ , الادارة المستدامة للمخلفات الانشائية , مؤتمر العمل البلدي السابع , دور العمل البلدي في تحقيق الاهداف الإنمائية , المنامة , البحرين , 2012 , ص133.

(2) - سارة صبيح فالح الخزاعي , التحليل الجغرافي لتوزيع مناطق الطمر الصحي في مدينه بغداد وتأثيرها على البيئة الحضرية للمدة (1997- 2012) رسالة ماجستير (غير منشورة)كلية الاداب , جامعة بغداد , قسم الجغرافية , 2014 ,ص91 .

(3) - رسل محمد كاظم الجبوري , التباين المكاني للتلوث بالنفايات الصلبة في مدينة الحلة واثارها البيئية , رسالة ماجستير , (غير منشورة) كلية التربية للعلوم الانسانية جامعة بابل ,2018, ص 2.

وتعد هذه الطريقة من أكثر الطرق انتشارا على مستوى العالم في السنوات الماضية , وتتم إما بواسطة محارق ذات تقنيه عالية أو مجرد الحرق المفتوح في الساحات وهذه الطريقة تستخدم لقلة المساحات المتاحة للطمر . ان عملية حرق المخلفات من العمليات التي تتطلب المراقبة والصيانة المستمرة لإمكانية تجنب الادخنة المتصاعدة من خلال السيطرة الكاملة على غازات الاحتراق منعاً لحصول حالات تلوث الهواء ومن هذه الغازات اول اوكسيد الكربون وثاني اوكسيد الكربون , ومما لاشك فيه فأن طريقة الحرق تنقص من كمية النفايات الصلبة , لكنها تسهم في تلوث الجو المحيط بها [1] .

3 – طريقة الرمي المكشوف :

تعد هذه الطريقة لطمر النفايات الصلبة الأقدم والأكثر شيوعاً خاصة في البلدان النامية , إذ ترمى النفايات في الاماكن التي تخصصها الجهات المسؤولة خارج المدن بصورة عشوائية غير منتظمة والتي لها اثارها الصحية والبيئية مثل تجمع الحشرات والقوارض والاوبئة , وبالتالي تلوث الهواء والماء والتربة والمياه الجوفية والسطحية عن طريق تسرب مياه الامطار اليها , او من طريق العصارة التي تفرزها بعض المواد , وبما انها مكشوفة مما يساهم في زيادة التلوث بالروائح وتطاير الملوثات .

4– إعادة التدوير (recycling) :

هي اعادة تصنيع النفايات بعد جمعها وفرزها للاستفادة من بعض مكوناتها في اغراض مختلفة . كذلك هي طريقة لاسترجاع بعض الموارد النافعة من النفايات الصلبة بدلا من مجرد رميها , كما يوجد بعض انواع الصناعات يمكن استغلال مخلفاتها الصلبة في تحويلها الى منتجات مفيدة باتباع الطرق الحديثة في التصنيع مما يؤدي الى توفير في استهلاك مصادر الثروة [2] . فمثلا نقول انه بالإمكان ان نعيد تدوير الجرائد القديمة الى أطباق كرتونية , وان

---

[1] - شهيد عباس جبار الحسيني , تقييم ادارة النفايات الصلبة وتأثيراتها البيئية في مدينة الشامية , رسالة ماجستير , جامعة القادسية , كلية الاداب ,2022, ص163 .

[2] - جبار عبد حبيب و رسل محمد كاظم الجبوري , تحليل جغرافي لواقع ادارة النفايات الصلبة في مدينة الحلة , مجلة العلوم الانسانية , جامعة بابل , كلية التربية للعلوم الانسانية , المجلد 35, العدد 2 , 2018 ,ص5 .

نعيد تصنيع العلب المعدنية القديمة لتقديم علب جديدة , وان نعيد تصنيع الخردة من المعادن للحصول على سبائك جديدة يمكن استخدامها في تصنيع منتجات مختلفة ,والغاية من إعادة الاستخدام هو التقليل من حجم هذه المخلفات وبالتالي التقليل من تراكمها في البيئة . تفتقر مدينة الفلوجة الى معامل تدوير النفايات الصلبة على الرغم من أهميتها نتيجة ما يطرح من كميات كبيرة من النفايات وخاصة مواد البلاستك , والورق , والمعادن , والزجاج , والتي إذا ما استغلت ستوفر دخلا للمحافظة وتقلل من كمية النفايات المتراكمة والتي ينبغي طمرها . وأن هناك الكثير الفوائد من خلال عملية التدوير وهي :

1 – يجنب التدوير التلوث الناجم من حرق النفايات مما يولد غازات ضارة في البيئة أو يجنب زجها في مصادر المياه التي تولد الضرر للإنسان من خلال إعادتها عبر محطات تنقية المياه أو عبر النباتات والخضر .

2 – ان من اهم فوائد التدوير هي التخلص من الاشياء القديمة التي تشغل مساحات كبيرة في الاماكن .

3 – الاستدامة الاقتصادية وتعني استمرارية هذه الصناعة والارباح المالية للجميع والاستدامة البيئية تعني تخفيف اثار انبعاثات ثاني اوكسيد الكربون على المنطقة .

4 – الحفاظ على المواد الطبيعية التي تتم من حيث توفير المواد الخام للصناعات المختلفة .

5 – تقليل الاعتماد على الاستيراد ان عملية التدوير توفر الكثير من المواد الخام التي كانت تستورد

6 – إن عملية التدوير تساهم في تخفيض تلوث البيئة من خلال القضاء على اغلب الامراض الناتجة من النفايات .

7 – ان اعادة التدوير له دور كبير في تقليل تكاليف النقل وذلك من خلال عملية فرز النفايات .

النتائج :

.....

1 – ضعف الوعي البيئي لدى سكان المدينة في الطرق السليمة بيئياً للتعامل مع النفايات من خلال تحديد نوعية الاوعية و أماكن وضعها في داخل وخارج المنزل .

2 – لا توجد اماكن تحويلية للنفايات في منطقة الدراسة إذ يتم جمع النفايات ونقلها مباشره الى موقع الطمر .

3 – لا يوجد وقت محدد لجمع النفايات في منطقة الدراسة .

4 – لا يوجد فرز للنفايات من مصدرها أو في موقع الطمر , إذ يتم طمرها بشكل مختلط .

5– لم يطبق أي اسلوب من اساليب معالجة النفايات الصلبة في المدينة بشكل رسمي مما انعكس بشكل سلبي على الجانب البيئي ,

6- سعت مديرية بلدية الفلوجة الى تثقيف المواطنين بخصوص المساهمة بخفض النفايات من المصدر لكن لم تقم باستخدام أي طرق حديثة لخفض النفايات من مصدرها مما ادى الى وجود ضعف واضح بتطبيق هذا الاسلوب

7- لا توجد ندوات أو برامج لتحفيز الوعي لدى السكان لكي تكون لديهم دراية بخطورة التلوث الذي ينتج من النفايات الصلبة .

التوصيات :

.....

1 – إقامة ندوات وبرامج لزيادة الوعي البيئي لدى السكان من خلال الاعلام والمؤسسات التعليمية والدينية لكي يمكنهم من التعامل الصحيح مع النفايات .

2- اعتماد طرق علمية مدروسة بشكل جيد توزيع أوعية واكياس جمع النفايات مع اخذ بعين الاهتمام عدد الاسر الساكنة في كل وحدة سكنية لسد الحاجة من الاوعية والاكياس لجمع النفايات .

3 – وضع لجان للأشراف على عملية جمع النفايات وتنظيف الشوارع .

4 – توزيع اوعية خاصة بفرز كل نوع من النفايات على الوحدات السكنية قدر المستطاع لكي يتم فرز النفايات من مصدرها (المنزل) مع إقامة محطات تحويلية للاستفادة من النفايات .

5 – ضرورة تشجيع مشاريع صناعة إعادة التدوير للنفايات الصلبة وتقديم جميع المعلومات والتسهيلات اللازمة لتحفيز المستثمرين للاهتمام بالصناعات التدويريه .

المصادر :

1- مثنى عبد الرزاق العمر , تقويم وتطوير ادارة النفايات الصلبة البلدية في مدينة النجف , رسالة ماجستير , كلية الهندسة , جامعة بغداد ,2005, ص18 .

.http:// www.holroyd. New.an -2

3- الشيخ عباس فتحي فاضل عبد الامير , التقنيات المستخدمة في ادارة النفايات الصلبة واثرها في التخطيط البيئي لمدينة بغداد , المعهد العالي للتخطيط الحضري والاقليمي , رسالة ماجستير , 2006 , ص2. , التلوث البيئي , عمان , ط1 , دار النشر , 2000 , ص30.

4- كريم كاظم حمادي الشمري , دراسة تحليلية لمشاكل البيئة الحضرية (مناطق مختارة من مدينة الحلة) رسالة ماجستير , المعهد العالي للتخطيط الحضري والاقليمي , جامعة بغداد , العراق , 2010 , ص43.

5- سيد عاشور احمد , التلوث البيئي في الوطن العربي واقعة وحلول ومعالجة , ط1 , 2006 , ص 294.

6- صلاح مهدي عباس , وعلي احمد ابراهيم , تحليل مشكلة نقل النفايات الصلبة باستخدام انموذج النقل بغداد , حالة دراسية , المجلة العراقية للعلوم الاقتصادية , المجلد 18 , الاصدار , 66 , 2012, ص 228.

7- عباس زغير محيسن المرياني , النفايات الصلبة والسائلة (مخاطر صحية واثار بيئية) ط1 , دار الصفا للطباعة والنشر ,عمان , الاردن , 2019 ,ص 52 .

8- نبراس احمد جاسم العلي , تصميم واختيار موقع محطة تحويل النفايات الصلبة في بغداد , رسالة ماجستير , كلية الهندسة , قسم الهندسة المدنية ,جامعة بغداد , 1995 ,ص5.

9- سهاد كاظم عبد و زومايا جاكلين قوسن , الادارة المتكاملة للنفايات الصلبة واستراتيجياتها في بلديات المدن مدينة بغداد , المجلة الدولية للبيئة وتغير المناخ العالمي , المجلد 2 ,العدد 2 , 2014 , ص 40.

10- منظمة العمل العربية , منشورات المعهد العربي للصحة والسلامة المهنية ,الامنيات , دمشق , 2010, ص88.

11 - بشير عربيات وأيمن مزاهره , التربية البيئية , دار المناهج للنشر والتوزيع , عمان , 2009 , ص98.

12- خلف الدليمي , تخطيط الخدمات المجتمعية والبنية التحتية أسس – معايير – تقنيات , عمان , دار الصفا للنشر والتوزيع ,2009,ص 46 .

13-أمينة محمد حافظ , الادارة المستدامة للمخلفات الانشائية , مؤتمر العمل البلدي السابع , دور العمل البلدي في تحقيق الاهداف الإنمائية , المنامة , البحرين , 2012 , ص133.

14 – سارة صبيح فالح الخزاعي , التحليل الجغرافي لتوزيع مناطق الطمر الصحي في مدينه بغداد وتأثيرها على البيئة الحضرية للمدة (1997– 2012) رسالة ماجستير (غير منشورة)كلية الاداب , جامعة بغداد , قسم الجغرافية , 2014 ,ص91 .

15– رسل محمد كاظم الجبوري , التباين المكاني للتلوث بالنفايات الصلبة في مدينة الحلة واثارها البيئية , رسالة ماجستير , (غير منشورة) كلية التربية للعلوم الانسانية جامعة بابل ,2018, ص 2.

16 – شهيد عباس جبار الحسيني , تقييم ادارة النفايات الصلبة وتأثيراتها البيئية في مدينة الشامية , رسالة ماجستير , جامعة القادسية , كلية الاداب ,2022, ص163 .

17– جبار عبد حبيب و رسل محمد كاظم الجبوري, تحليل جغرافي لواقع ادارة النفايات الصلبة في مدينة الحلة , مجلة العلوم الانسانية , جامعة بابل , كلية التربية للعلوم الانسانية , المجلد 35, العدد 2 , 2018 ,ص5 .

من المحراب إلى السلطة: الأثر السياسي والتربوي للسيدة فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها) في حكم سلمان المحمدي (رضوان الله عليه) للمدائن

"دراسة تحليلية سياسية"

محمد عبدالباقر عباس الأعسم[1] – عصام عبدالهادي جهادي عبد الزريجاوي [2]

1مديرية الوقف الشيعي في النجف الاشرف / شعبة التعليم الديني والدراسات الإسلامية – Mhmdalasm197@gmail.com

2مديرية الوقف الشيعي في النجف الاشرف / شعبة التعليم الديني والدراسات الإسلامية – eessamabdelhadi@gmail.com

مستخلص البحث

تتناول هذه الدراسة الأثر السلوكي والفكري للسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) في التكامل السياسي والإداري للصحابي سلمان الفارسي (المحمدي) خلال توليه ولاية المدائن؛ إذ يبرز هذا الأثر جلياً من خلال تحوله من المفهوم النظرية للزهد إلى ممارسة سلوكية وتنفيذية في إدارة السلطة والمال العام.

وتُسلط الدراسة الضوء على أبعاد هذا الزهد في طعام سلمان وملبسه ومسكنه، وصولاً إلى منظومة حقوقه الماليّة (عطائه وراتبه)؛ حيث أسس لنموذج فريد في التوازن الاقتصادي قائم على اقتطاع القوت الفعلي لسنته واسترداد الحق المعيشي الفطري، وتوزيع الفائض بأكمله على الفقراء والمحتاجين.

يهدف البحث إلى الكشف عن الآثار المالية والاقتصادية الشاملة لهذا السلوك القيادي، وكيف أدى تقشف الحاكم وزهده المباشر إلى خفض كلفة الإدارة السياسية، والحد من الهدر الاقتصادي الذي عادة ما يثقل كاهل الميزانية العامة للدولة، متخذاً من المدرسة الفاطمية مرجعية سياسية وأخلاقية لإصلاح أنظمة الحكم والإدارة.

الكلمات المفتاحية: فاطمة الزهراء (عليها السلام)، سلمان الفارسي (المحمدي)، الاقتصاد السياسي، النزاهة الإدارية، حوكمة المال العام.

Abstract

This study examines the behavioral and intellectual influence of Lady Fatima al-Zahra (peace be upon her) on the political and administrative integration of the Companion Salman al-Farsi (al-Muhammadi) during his governorship of Al-Mada'in. This impact is clearly demonstrated through his transition from the theoretical concept of asceticism (Zuhd) to a practical, behavioral, and executive implementation in managing authority and public funds.

The study highlights the dimensions of this asceticism in Salman's food, clothing, and housing, reaching his financial rights system (his stipend and salary). He established a unique model of economic balance based on taking only his actual annual sustenance, reclaiming the innate right to basic living, and distributing the entire surplus to the poor and needy.

The research aims to reveal the comprehensive financial and economic impacts of this leadership behavior, demonstrating how the ruler's

direct austerity and asceticism reduced the cost of political administration and minimized economic waste that typically burdens the state's public budget—adopting the Fatimid school as a political and ethical reference point for reforming governance and administrative systems.

Keywords: Fatima al-Zahra (peace be upon her), Salman al-Farsi (al-Muhammadi), Political Economy, Administrative Integrity, Public Fund Governance.

المقدمة

تكتسب دراسة أثر أفعال وأقوال السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين في التكامل الروحي، والفكري، والسياسي للصحابي الجليل سلمان الفارسي (المحمدي) أهمية استثنائية في الدرس المعرفي والأكاديمي؛ إذ تُشكل هذه العلاقة أنموذجاً فريداً لتأثير القيادة المعصومة في إعادة بناء الإنسان وتحويله إلى رمز إداري وسياسي ناصع النصاعة.

إن البُعد المحوري في هذه الدراسة لا يقتصر على استعراض الجوانب التعبدية أو الوجدانية المجردة، بل يتجاوز ذلك إلى كشف الدور الرسالي السياسي للمرأة كاملة العقل والشرعية، وإثبات أن السيدة الزهراء (عليها السلام) أسست لنظرية سياسية وأخلاقية متكاملة في إدارة السلطة، والحفاظ على المال العام، وإسقاط امتيازات القرابة من السلطة. وتتجلى أهمية الاقتداء بسيرتها المباركة في العصر الحديث، وعلى الأخص فيما يتعلق بعلاقة الحاكم بالرعية، والتوازن بين الحقوق المعيشية والنزاهة الإدارية، وإدارة شؤون الحكم وفق المبادئ الرسالية الأصيلة.

ثانياً: مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث في محاولة تفكيك الثنائية الظاهرية بين "الزهد والنسك الروحي" من جهة، وبين "الممارسة السياسية وإدارة السلطة" من جهة أخرى.

وتتساءل الدراسة عن كيفية نجاح شخصية مثل (سلمان المحمدي) في الجمع بين أعلى درجات التزكية الروحية والتقشف التي استقاها من مدرسة السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وبين ممارسة الحكم الإداري والسياسي لولاية استراتيجية كـ (المدائن).

وتتفرع عن هذه المشكلة الأسئلة التالية:

1. كيف ساهمت السلوكيات الفاطمية (الزهد، العطاء، إدارة البيت الرسالي) في بناء عقيدة سياسية نقدية لدى المقربين وفي مقدمتهم سلمان المحمدي؟

2. ما هي الآليات التي اعتمدها سلمان المحمدي لتحويل المبادئ الأخلاقية الفاطمية إلى تطبيقات عمليّة في النزاهة الإدارية وإدارة المال العام؟

3. كيف تعامل سلمان المحمدي مع إشكاليات المعارضة السياسية وشغل المناصب الرسمية في إطار تغليب المصلحة العليا للأمة؟

ثالثاً: أهداف البحث

يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. تبيان الأثر التربوي والسياسي للمنهج النبوي والفاطمي في بناء شخصية سلمان المحمدي (رضوان الله عليه).

2. تحليل الرؤية النقدية الفاطمية لممارسات السلطة وجاه القصور، والمقارنة بينها وبين النماذج التاريخية المذكورة في القرآن الكريم (آسية، مريم).

3. تفكيك الممارسات الإدارية والسياسية لسلمان المحمدي أثناء توليه ولاية المدائن، واستخراج القواعد الحاكمة لزهده ونزاهته الإدارية.

4. تسليط الضوء على الوعي السياسي المبكر لدى سلمان في مسألة الشرعية والخلافة ودوره في تثبيت المرجعية المعرفية والقيادية لـ (علي بن أبي طالب عليه السلام).

رابعاً: أهمية البحث

تتجلى أهمية البحث في جانبين رئيسيين:

الأهمية النظرية والمعرفية:

1. تقديم قراءة استثنائية لشخصية السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) لا تقتصر على البعد المظلومي أو العبادي فحسب، بل تسلط الضوء على دورها القيادي والسياسي والتربوي في صناعة القادة والرعيل الأول.
2. إثراء المكتبة الإسلامية والسياسية بالربط بين "النظريات الأخلاقية" في الإسلام و"السلوك الإداري للولاة والحكام".

الأهمية التطبيقية والعملية:

1. تقديم أنموذج (إسوة) للحاكم والمسؤول المسلم في العصر الحديث حول كيفية الحفاظ على المال العام وتجنب المحسوبيات والمكاسب الشخصية.
2. طرح نموذج "المعارضة الإيجابية البناءة" التي تقدم خدمة الأمة والمواطنة الصالحة دون التفريط في الثوابت العقائدية والسياسية.

خامساً: فرضيات البحث

ينطلق البحث من الفرضيات الآتية:

إنّ للتكامل الروحي والأخلاقي الذي استقاه سلمان المحمدي من مدرسة السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) أثراً حاسماً ومباشراً في تشكيل عقيدته السياسية وسلوكه الإداري، مما مكّنه من تقديم أنموذج قيادي فريد يدمج بين

النزاهة المطلقة والفاعلية السياسية في إدارة الحكم".

الفرضيات الفرعية:

- الفرضية الفرعية الأولى (البعد التربوي والسياسي للزهراء عليها السلام):

ينطلق السلوك النزيه والزهد السياسي لدى السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) من رؤية نقدية مبكرة ومواجهة واضحة لظاهرة استغلال النفوذ السلطوي والمال العام، وهو ما شَكّل المرجعية الفكرية والسلوكية الأساسية لتكامل شخصية سلمان المحمدي القيادية.

- الفرضية الفرعية الثانية (البعد الإداري وإدارة السلطة):

إنّ تطبيق سلمان المحمدي لمفهوم "الزهد الواقعي" أثناء توليه حكم ولاية المدائن لم يكن مجرد سلوك فردي أو نسك عُزلي، بل كان استراتيجية حوكمة إدارية وسياسية استهدفت الحفاظ على المال العام، وحماية الفئات الضعيفة، ورسم حدود عادلة للأجور ومستويات المعيشة.

- الفرضية الفرعية الثالثة (البعد النضالي والمواطنة الإيجابية):

إنّ مواقف سلمان المحمدي تجاه قضايا الشرعية والخلافة بعد النبي (صلى الله عليه وآله)، ومشاركته اللاحقة في إدارة الولاية والتخطيط العسكري (كبناء الكوفة)، تعكس تبنّيه لنموذج "المعارضة السياسية الإيجابية "التي تُغلّب المصلحة العليا للأمة والأمن القومي الإسلامي دون التفريط في العقيدة المبدئية.

سادساً: منهجية البحث

لإحاطة أبعاد الموضوع وتفكيك ظواهره التاريخية والسياسية، اعتمد البحث على المناهج المتكاملة التالية:

1. المنهج التاريخي التحليلي: من خلال استقراء النصوص والروايات التاريخية والحديثية الواردة في حق السيدة الزهراء (عليها السلام) وسلمان المحمدي، وتحليلها ضمن ظروفها الزمانية والمكانية.
2. المنهج الوصفي التحليلي: لوصف السلوكيات الإدارية والسياسية (كزهد سلمان وحكمه للمدائن)

واستخراج الدلالات والرموز السياسية الكامنة خلفها.

3. المنهج المقارن: من خلال المقارنة بين أنماط السلطة والتعامل مع المال العام والجاه السياسي بين نموذج الزهراء (عليها السلام) والنماذج النسوية التاريخية الأخرى من جهة، وبين سلوك سلمان وسلوكيات ولاة وحكام وقادة آخرين من جهة أخرى

هيكلية البحث:

بُني هذا البحث على مبحثين، يضم كل مبحث على ثلاث مطالب على النحو الآتي:

المبحث الأول: أثر فاطمة الزهراء (عليها السلام) في تكامل سلمان الفارسي (المحمدي) في حياة النبي (صلى الله عليه وآله).

المطلب الأول: النهج النبوي في صياغة السلطة والقيم التكريمية (سلمان نموذجاً).

المطلب الثاني: فاطمة الزهراء (عليها السلام) القدوة الحسنة ونقد سلوكيات سلطة القصور.

المطلب الثالث: سلمان المحمدي والخلافة بعد النبي (صلى الله عليه وآله) (الوعي بالشرعية السياسية).

المبحث الثاني: فاطمة الزهراء (عليها السلام) وأثرها في تكامل سلمان الفارسي (المحمدي) – دراسة عقدية وسياسية.

المطلب الأول: زهد الزهراء (عليها السلام) وتقشفها وأثره في تكامل سلمان الأخلاقي والإداري.

المطلب الثاني: التحليل السياسي والقيادي لأثر الزهراء (عليها السلام) في إدارة سلمان لولايته على المدائن.

المطلب الثالث: القراءة السياسية لإسناد المناصب للمعارضين (سلمان نموذجاً).

المبحث الأول: أثر فاطمة الزهراء (عليها السلام) في تكامل سلمان الفارسي (المحمدي) في حياة النبي (صلى الله عليه وآله)

تمهيد المبحث

إنّ دراسة الصيرورة الإيمانية والقيادية للصحابي الجليل سلمان المحمدي (رضوان الله عليه) لا يمكن فصلها عن البيئة المعرفية والسياسية التي نشأ في أحضانها.

فقد شكل بيت النبوة، وتحديداً شخصية السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)، المَعلم المباشر والمحطة الأساسية في تكامله الروحي، والأخلاقي، والسياسي.

لقد أدرك سلمان من خلال اطلاعه المباشر على معيشة الزهراء (عليها السلام)، وتصرفاتها الإنسانية الفريدة مع الفئات المحرومة، وتقشفها الواعي رغم موقعها المتقدم كابنة لأعلى رأس في السلطة الإسلامية (الرسول الأكرم) وزوجة لقرين الحكم ووصي النبي (أمير المؤمنين عليه السلام)، أن "السلطة" في المفهوم الإسلامي ليست تشريفاً أو غنيمة، بل هي ممارسة إنسانية وأخلاقية لحماية المستضعفين وإقامة العدالة.

المطلب الأول: النهج النبوي في صياغة السلطة والقيم التكريمية (سلمان نموذجاً)

تجلت السياسة العامة للرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) في إحداث ثورة مفاهيمية شاملة لمفهوم "التكريم الإلهي والقيادي"؛ إذ سعى النبي (صلى الله عليه وآله) إلى تجريد السلطة والجاه الاجتماعي من الرموز المادية التي كانت سائدة في المجتمع الجاهلي (كالأموال، والذهب، والأراضي، والاقطاعات القيادية)، هذا التجريد منع تحول السلطة أو القرب من مركز القرار السياسي إلى "منجم" يستغله المقربون ومجموعات النفوذ لتحقيق الثراء الفاحش والسيطرة على مقدرات الأمة (القمي، 1996، 76 ؛ الكليني، 1365، 465).

1. إعادة تعريف التكريم والمنح النبوية: يتضح هذا النهج في موقفه (صلى الله عليه وآله) مع أخص خواصه وأقربائه؛ ففي حادثة جعفر بن أبي طالب (عليه السلام) عند عودته من الحبشة، قال له النبي (صلى الله عليه

وآله): «أَلا أَمْنَحُكَ؟ أَلا أَعْطِيكَ؟ أَلا أَقُصُّكَ؟»؛ فظن عامة الناس أن هذا العطاء سيكون قطعاً من الفضة والذهب أو إقطاعات أرضية، فتشوقت نفوسهم للمظاهر المادية، لكن النبي (صلى الله عليه وآله) خيّب توقعات النهج السلطوي التقليدي وأعطاه "صلاة جعفر" كمنحة روحية وتكريم أبدي يوجب غفران الذنوب العظام (الطوسي، 1411 ، 76 ؛ الكليني، 1407، 470).

2. العطاء الفاطمي والبديل الرسالي: وعلى المنهج ذاته، أهدى النبي (صلى الله عليه وآله) لابنته وسيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (عليها السلام) "تسبيح الزهراء" بدلاً من الخدام أو الحلي والمتاع؛ وهو التسبيح الذي امتاز بخصائص ملائكية، وبات منجياً لمن لزمه من الشقاء، وأحب إلى الإمام الصادق (عليه السلام) من صلاة ألف ركعة في كل يوم، في رسالة واضحة مفادها أن القرب من النبوة والقيادة يفرض أقصى درجات التجرد عن حطام الدنيا (الصدوق، 1996، 366/2)

3. السياسة النبوية العامة والتربية الفكرية لمجموع المؤمنين: لم تقتصر هذه السياسة النبوية على الآله والمقربين بل امتدت لتشمل سائر المخلصين؛ حيث ينقل سلمان المحمدي عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله: «ما من عبد يقول حين يصبح ثلاثاً: الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حمداً كثيراً مباركاً فيه، إلا صرف الله عنه سبعين نوعاً من البلاء أدناها الهم» لقد أرسى النبي بذلك بدائل معنوية تمنح المؤمن توازناً نفسياً وسياسياً يجعله يتسامى عن الجري وراء مكاسب النفوذ (الطبراني، 1994، 89/6 ؛ العسقلاني، 1998، 22/4).

4. التمكين المعرفي والتزكية السياسية لسلمان (المحمدي): ضمن هذا السياق النبوي، نال سلمان المحمدي شرف التكريم الخاص الذي أخرجه من إطاره الأثني/القومي إلى الفضاء الرسالي المفتوح. فقد اتحفه النبي (صلى الله عليه وآله) بالثناء الخالد «أَنْتَ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ»، وهو وسام تزكية دينية وسياسية منح لسلمان مشروعية معرفية وقيادية استثنائية (ابن هشام، د.ت، 224/3 ؛ الصدوق، 1378، 64/2).

وقد شرفه النبي (صلى الله عليه وآله) بعبادة صلاتية خاصة تُعرف في كتب الحديث بـ (صلاة سلمان)، وهي ثلاثون ركعة تُصلى في محطات محددة من شهر رجب (عشراً في أوله، وعشراً في وسطه، وعشراً في آخره)، يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب، وسورة التوحيد ثلاثاً، وسورة الكافرون ثلاثا (القمي، 2005، 164؛ ابن طاوس، 1390، 213/3).

الأبعاد السياسية والأخلاقية لـ "صلاة سلمان" تتجاوز هذه الصلاة أبعادها العبادية لتتحول إلى وثيقة حصانة سياسية وأخلاقية؛ فقد نقل النبي (صلى الله عليه وآله) لسلمان ما أخبره به جبرائيل (عليه السلام) بأن هذه الصلاة تُعد:

1. علامة فارقة وخطاً فاصلاً بين المؤمنين والمنافقين؛ إذ لا يستطيع المنافقون أدائها لكثرة إخلاصها وتجردها.

2. وقاية وتأميناً أخلاقياً؛ حيث تجعل بين المصلي وبين جهنم سبعة خنادق كل خندق كما بين السماء والأرض، مما يعكس البناء الروحي الحصين الذي هيأ سلمان لاحقاً لعدم الانزلاق في دهاليز الانحراف السياسي أو الفساد الإداري أثناء حكمه وولايته (ابن طاوس، 1390، 214/3).

المطلب الثاني: فاطمة الزهراء (عليها السلام) القدوة الحسنة ونقد سلوكيات سلطة القصور

قدم القرآن الكريم النماذج النسوية التاريخية ليس فقط كرموز للفضيلة الفردية، بل كفاعلين أساسيين في الصراع السياسي والاجتماعي بين الحق والباطل، قال تعالى:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ التحريم/11-12.

وقد بين الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) محورية هذه الشخصيات وأثرهن العقائدي حين قال: «ثَلاثَةٌ لَمْ يَكْفُرُوا بِالْوَحْيِ طَرْفَةَ عَيْنٍ: مُؤْمِنُ آلِ ياسينَ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبي طالِبٍ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزاحِمٍ» (الصدوق، 1403، 142؛ المتقي الهندي، 1981، 601/11).

وقال أيضاً: أَفْضَلُ نِساءِ الْجَنَّةِ أَرْبَعٌ: خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرانَ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزاحِمٍ اِمْرَأَةُ فِرْعَوْنَ» (النيسابوري، 1990، 185/3؛ أحمد بن حنبل، 2001، 293/1).

القراءة التحليلية والسياسية للنماذج التاريخية والنموذج الفاطمي:

1. آسية بنت مزاحم (الرفض السياسي من داخل القصر الملكي): مثلت آسية النموذج الأخلاقي الأرقى لمواجهة "أعتى مركز سلطة سياسية طاغوتية" في الأرض. فقد كانت تعيش في قصر الفرعون بتجهيزاته، ونفوذه، وصلاحياته المطلقة، واستطاعت عبر موقعها أن تنقذ نبي الله موسى (عليه السلام) وتوفر غطاءً تحرك فيه المؤمنون بمرونة داخل القصر، إلا أن أهم ميزة سياسية لآسية تمثلت في سقوط القيمة المادية للسلطة والجاه أمام الحق الإلهي؛ فقد رفضت أن تكون شريكة في الظلم والاستبداد، وتنازلت بمحض إرادتها عن كل الفُرُش والقصور، متحملة العذاب الموت على يد فرعون، مخلدة موقفها بدعائها السياسي والأخلاقي :﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾، لقد شكل طلبها مفتاح شخصيتها بالتجرد الكامل عن السلطة الغاشمة (الثعلبي، 2002، 9/ 354).

2. مريم بنت عمران (استقلال المحراب والمؤسسة الدينية): مثلت مريم (عليها السلام) حراك المؤسسة الدينية والمحراب العبادي المتبتل البعيد عن الترف والقصور، ورغم ضيق ظروفها المادية، كفلها الله بالكرامات الإلهية ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ ال عمران/37 ، وقادت الدعوة العيسوية بصبرها العالي وحفاظها على الرسالة، لتؤكد أن دور العبادة والمحراب يشكل مركز إشعاع وتأثير في الحياة الاجتماعية والسياسية لا يقل خطورة عن مراكز القصور.

3. خديجة بنت خويلد (الدعم المالي التأسيسي): مثلت خديجة (عليها السلام) "المركز المالي والاقتصادي" التجاري؛ فقد كانت تدير عجلة التجارة بفكر استثماري وقاد وذكاء شريف في قومها، لكنها وظفت كل هذه الموارد المالية الهائلة في خدمة الدعوة الإسلامية ومواجهة الحصار السياسي والاقتصادي الذي فرضته قريش. وقد اعترف النبي (صلى الله عليه وآله) بهذه السياسة الاقتصادية بقوله: «مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ مِثْلَ مَا نَفَعَنِي مَالُ خَدِيجَةَ»، وتوفيت وهي مجردة عن حطام الدنيا، فاستحقت الكفن الإلهي والبيت في الجنة (البحراني، د.ت، 57)

4. فاطمة الزهراء عليها السلام (المحور الرسالي والنموذج القيادي الجامع): إن كانت آسية قد مثلت القصور ورفض ظلمها، ومريم مثلت المحراب ونقاءه، وخديجة مثلت المال وتوظيفه، فإن السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) مثلت النموذج القيادي والجامع لجميع هذه الأبعاد، فقد كانت الزهراء (عليها السلام) ابنة قائد الدولة الإسلامية (صلى الله عليه وآله)، وزوجة وصيه وقائد جيشه (عليه السلام)، وأماً لسيدي شباب أهل الجنة؛ أي أنها كانت تقف في قلب "أعلى مرجعية سياسية ودينية وفكرية للجامعة الإسلامية". ورغم كل هذا النفوذ والقرب من مركز القرار، أدارت منزلها بقمة التقشف والزهد المادي؛ فكان بيتها ملجأ للمستضعفين والفقراء، لهبوط والملائكة، ومدرسة لبناء صحابة مخلصين مثل سلمان الفارسي (ابن شهر آشوب، 1956، 118/3).

الرسالة النقدية الفاطمية لأبناء السلطة والجاه: قدمت السيدة الزهراء (عليها السلام) بسلوكها أطروحة سياسية نقدية حادة ضد كل أبناء وبنات السلطات الدينية والسياسية في كل الأزمان، ممن يستغلون قرابتهم أو مواقعهم القيادية لاستنزاف خزينة الدولة (بيت المال) واعتبارها ملكاً شخصياً أو عائلياً، أو يستغلون المنصب والمكانة لتحقيق مآرب سياسية زائلة، لقد أثبتت الزهراء (عليها السلام) أن الشرعية والقيادة تفرض على الحاكم والمقربين منه أن يكونوا أكثر الناس زهداً وأحرصهم على المال العام.

المطلب الثالث: سلمان المحمدي والخلافة بعد النبي (صلى الله عليه وآله) (الوعي بالشرعية السياسية)

شغلت قضية الخلافة والوصاية بعد الرسول (صلى الله عليه وآله) الفكر السياسي والأمة الإسلامية، بل وحتى المراقبين من اليهود والنصارى منذ بدايات الدعوة، ورغم أن الرسول (صلى الله عليه وآله) قد حسم هذه المسألة سياسياً وعقائدياً منذ يوم الأنذار الأول وحادثة الدار بحضور بني هاشم تنفيذاً لقوله تعالى :﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ الشعراء/214، إلا أن سلمان المحمدي كان أشد الصحابة حرصاً على إبراز هذه الحقيقة وتثبيتها في الضمير الجمعي للمسلمين (أسبر، 1993، 186).

الروايات الدالة على حركية سلمان السياسية:

1. السؤال التأسيسي الأول: سأل سلمان النبي (صلى الله عليه وآله): «يا رسول الله، من وصيك؟»، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): «فَإِنَّ وَصِيِّي وَوَارِثِي وَأَخِي وَوَزِيرِي وَخَيْرَ مَنْ أَخْلُفُ بَعْدِي، يُنْجِزُ مَوْعِدِي وَيَقْضِي دَيْنِي، عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ» (الطبراني، 1994، 221/6)

2. الاستيضاح المعرفي: وفي رواية تفصيلية، قال سلمان: قلت لرسول الله: إن لكل نبي وصياً، فمن وصيك؟ فسكت عني، فلما كان بعدُ رآني فقال: «يا سلمان»، فأسرعت إليه، فقال: «تَعْلَمُ مَنْ وَصِيُّ مُوسَى؟»، قلت: نعم، يوشع بن نون. قال: «لِمَ؟»، قلت: لأنه كان أعلمهم يومئذٍ. قال: «فَإِنَّ وَصِيِّي، وَمَوْضِعَ سِرِّي، وَخَيْرَ مَنْ أَخْلُفُ بَعْدِي، يُنْجِزُ مَوْعِدِي وَيَقْضِي دَيْنِي، عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ» (ابن عساكر، 1995، 392/42؛ المفيد،1413، 210).

3. التكرار والإصرار السياسي: وعن سلمان أنه قال: «قلت لرسول الله: عمن نأخذ بعدك وبمن نثق؟ فسكت عني حتى سألته عن ذلك عشراً...»، مما يعكس إلحاح سلمان السياسي وضغطه لمعاودة التصريح بها. (الطوسي، 1414، 584).

4. الشهادة الجماعية: وعن أنس بن مالك قال: «قلنا لسلمان سل رسول الله عن وصيه...» فترجم سلمان تطلع الجماعة المسلمة وسأل النبي وحصل على التأكيد السياسي والديني ذاته بأن علياً (عليه السلام) هو الوصي والوارث. (الأصبهاني، 1985، 185/1؛ الخوارزمي ، 1411، 84).

التحليل السياسي والاستراتيجي لأسئلة سلمان حول الخلافة:

إن تتبع حراك سلمان المحمدي وسؤاله المتكرر للنبي (صلى الله عليه وآله) عن الوصاية والخليفة يكشف عن أبعاد سياسية وإستراتيجية واعية:

أولاً: تثبيت المفهوم وتكراره للرأي العام: لم يكن سؤال سلمان ناتجاً عن جهل منه بشخص الوصي، بل كان ممارسة وتكتيكاً سياسياً لتأكيد وتجديد الحقيقة ونشرها في الأوساط المختلفة، لتتحول قضية الخلافة إلى حدث محوري متواتر لا يمكن تناسيه أو التغاضي عنه.

ثانياً: التأكيد على المعيار المعرفي والأعلمية (الأهلية القيادية): أظهر سلمان من خلال حواره مع النبي (صلى الله عليه وآله) أن اختيار القيادة والوصاية لا يخضع للمحسوبيات أو الصفقات السياسية، بل يقوم على معيار الأعلمية والأفضلية الأخلاقية والمعرفية، استدلالاً بآلية اختيار "يوشع بن نون" لوصاية موسى (عليه السلام) لأنه كان «أعلمهم يومئذٍ».

ثالثاً: الإصرار والضغط الميداني (سؤال العشر مرات): يوضح إصرار سلمان وتكرار سؤاله عشر مرات أن الرجل كان يمتلك حسّاً سياسياً مبكراً بوجود خطط أو محاولات لإزاحة المسار الحقيقي للخلافة، فكان يستحث النص النبوي الصريح ليكون حجة قاطعة على الجميع.

رابعاً: الاستدلال بالنماذج التاريخية للأديان الابراهيمية: إن ربط الخلافة الإسلامية بالوصاية الموسوية يرسل رسالة سياسية وإصلاحية موجهة للمسلمين وأهل الكتاب على حد سواء، مفادها أن سنت الله في الأرض وفي القيادة الإلهية واحدة لا تتغير، وأن وصي الخاتم (صلى الله عليه وآله) هو الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام).

المبحث الثاني: فاطمة الزهراء (عليها السلام) وأثرها في تكامل سلمان الفارسي (المحمدي) – دراسة عقدية وسياسية

لم تكن العلاقة بين السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وسلمان الفارسي (رضوان الله عليه) مجرد علاقة إيمانية عابرة، بل كانت رابطة تتلمذ وتربية وتكامل معنوي وسياسي؛ فقد روي أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لسلمان: «يا سلمان، من أحب فاطمة ابنتي فهو في الجنة معي، ومن أبغضها فهو في النار» (الطبرسي، 1383، 62/1).

ومن هذا المنطلق، شكل البيت الفاطمي المدرسة الأساسية التي صاغت الرؤية السياسية والإدارية لسلمان، وتحوّل من خلالها من مجرد "باحث عن الحقيقة" إلى "رجل دولة عقائدي" يُمثّل النموذج الأسمى للنزاهة والعدالة.

المطلب الأول: زهد الزهراء (عليها السلام) وتقشفها وأثره في تكامل سلمان الأخلاقي والإداري

إن اطلاع سلمان (رضوان الله عليه) على سلوكيات الزهراء (عليها السلام) الإنسانية، وتقشفها في حياتها اليومية وهي ابنة قادة الأمة (النبي الأكرم) وزوجة وصيه (علي بن أبي طالب)، كان له الأثر البالغ في بناء فلسفته الحاكمة تجاه الثروة والمال العام. ويمكن تفصيل هذا الأثر عبر المحاور والمشاهد التالية:

1. الإيمان العميق والرعاية الإلهية (معادلة الغيب والشهادة)

روي عن سلمان (رضوان الله تعالى عليه) أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعثه إلى فاطمة، قال سلمان: «فوقفت في الباب وقفة حتى سلمت، فسمعت فاطمة تقرأ القرآن من داخل والرحى تدور من خارج وما عندها أنيس، فنقلت كل ذلك إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فتبسم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال: يا سلمان، إن ابنتي فاطمة ملأ الله قلبها وجوارحها إيماناً إلى مشاشها، تفرغت لطاعة الله فبعث الله ملكاً اسمه

زوقابيل (وفي خبر آخر جبرائيل) فأدار لها الرحى وكفاها الله مؤونة الدنيا مع مؤونة الآخرة» (المجلسي، 1403، 46/43).

التحليل الأخلاقي والسياسي: تعلم سلمان من هذا الموقف أن "الاكتفاء بالله" هو الركيزة الأساسية لاستقلال القرار السياسي والحاكمية الصالحة. الحاكم الذي يتفرغ للواجب ويتحرر من الشغف بالرفاهية والمكاسب المادية يكون عصياً على الاستقطاب أو الرشوة السياسية.

2. إيثار المال العام والخاص وكسر الطبقية الاجتماعية

في رواية شريفة كان سلمان والمقداد وعمار (رضوان الله عليهم) حاضرين، إذ دخل شيخ من مهاجرة العرب بعد صلاة العصر على النبي (صلى الله عليه وآله) يشتكي الجوع والعرى، فبعثه النبي إلى منزل فاطمة (عليها السلام)، ولم يكن عند علي وفاطمة طعام، فأعطته جلد كبش مدبوغ كان ينام عليه الحسن والحسين (عليهما السلام)، فلما لم يكفِ السائل حاجة استحيائه، جادت بـ قلادة كانت مهداة لها من فاطمة بنت عمها حمزة بن عبد المطلب. واشترى عمار القلادة بوجبة طعام وبردة ودينار، وطلب النبي من السائل أن يدعو لفاطمة فقال: «اللهم أعطِ فاطمة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت»، فأمّن النبي (صلى الله عليه وآله) على دعائه (المجلسي، 1403، 43/65-58).

التحليل: هذا السلوك أسس لدى سلمان عقيدة "التضحية بالخاص لأجل العام"، وأن القيادة السياسية والاجتماعية تُقاس بمدى قدرة الحاكم على مشاركة الطبقات المحرومة آلامهم وليس باستعراض مظاهر السلطة.

3. إسقاط البعد المادي والتأثير العقائدي في "الآخر"

في قضية أعرابي جائع جاء إلى النبي، التجأ سلمان إلى بيت فاطمة (عليها السلام) لأخذ رهن لرجل يهودي (شمعون) يُقرضهم طعاماً. فأعطته فاطمة درعاً وقالت: «يا سلمان خذ درعي هذا واذهب به إلى شمعون اليهودي وقل له: تقول لك فاطمة بنت محمد أقرضني عليه صاعاً من تمر وصاعاً من شعير أرده عليك إن شاء الله» عندما

أخذ شمعون الدرع وجعل يقلبه وعيناه تذرفان الدموع قال: «يا سلمان، هذا هو الزهد في الدنيا الذي أخبرنا به موسى بن عمران في التوراة، أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله»، فأسلم وحسن إسلامه. وعندما طحنت فاطمة الشعير وخبزته وقدمته لسلمان، قال لها: «خذي منه قرصاً تعللين به الحسن والحسين»، فقالت (عليها السلام): «يا سلمان، هذا شيء أمضيناه لله عز وجل لسنا نأخذ منه شيئاً» (الصدوق، 1413، 382/3؛ البحراني، 1413، 140/11).

التحليل: انطبعت هذه الصورة في ذهن سلمان؛ فالزهد الفاطمي لم يكن مجرد سلوك فردي، بل كان أداة قوة ناعمة أدت إلى إسلام اليهودي وتغيير المفاهيم السائدة عن السلطة والنفوذ.

المطلب الثاني: التحليل السياسي والقيادي لأثر الزهراء (عليها السلام) في إدارة سلمان لولايته على المدائن

إن انعكاس مدرسة الزهراء (عليها السلام) تجلّى عملياً عندما تولى سلمان (رضوان الله عليه) إمارة "المدائن". تمثلت سلوكياته الإدارية والسياسية في النقاط الآتية:

1. تحطيم مفهوم "الإمرة للوجاهة" وتكريس خدمة المظلوم

لم يمارس سلمان السلطة كاستعراض للقوة، بل كأداة لإقامة العدل؛ عن رجل من عبد القيس قال: كنت مع سلمان وهو أمير على سرية، فمر بفتيان من الجند فضحكوا وقالوا: "هذا أميركم؟" فقلت له: يا أبا عبد الله، ألا ترى ما يقولون؟ قال: «دعهم، فإنما الخير والشر فيما بعد اليوم. إن استطعت أن تأكل التراب فكل منه، ولا تكونن أميراً على اثنين، واتقِ دعوة المظلوم والمضطر فإنها لا تحجب» (ابن سعد، 1990، 84/4؛ الذهبي، 1985، 540/1).

الرؤية السياسية: السلطة عند سلمان ليست نفوذاً أو أرصدة وتوسيعاً للياقة الجغرافية، بل هي مسؤولية شرعية وقانونية ثقيلة؛ يستحضر فيها فلسفة أهل البيت (عليهم السلام) في أن الحكم مجرد وسيلة لإحقاق الحق.

2. موازنة "الأمان الاقتصادي" واستقلال الإرادة السياسية

كان سلمان إذا أخذ عطاءه (راتبه) رفع منه قوته لسنته، وينفق الباقي في الصدقات. فقيل له: تفعل هذا وأنت لا تدري لعلّك تموت اليوم أو غداً؟ فقال: «ما لكم لا ترجون لي البقاء كما خفتم علي الفناء؟ أما علمتم يا جهلة أن النفس قد تلتاث (تضطرب) على صاحبها إذا لم يكن لها من العيش ما تعتمد عليه، فإذا هي أحرزت معيشتها اطمأنت» (الاصبهاني، 1974، 201/1؛ المجلسي، 1403، 381/22).

الرؤية السياسية:

1. التربية الذاتية: الحاكم بحاجة إلى استقرار نفسي يمنعه من الامتهان أو التنازل تحت ضغط الحاجة.

2. رسالة للحكام والطبقة السياسية: إشارة إلى أهمية تأمين الحد الأدنى المضمون للمواطنين (خط الكفاية المعيشي) لتفادي الانحرافات الاجتماعية، وفي الوقت ذاته وجوب قيام الحاكم بـ "البدء بنفسه" في التنازل عن الفائض لصالح الفئات المستضعفة.

3. التخفف الإداري ومحاربة الفساد المالي (مفهوم "المخفون")

تجلت هذه الفلسفة الفاطمية في مواقف عدة أثناء إدارته للمدائن:

حادثة الحريق: أنه لما وقع حريق في المدائن، خرج سلمان يحمل مصحفه وسيفه فقط، وقال مقولته الشهيرة: «هكذا ينجو المخفّون» (أبي شبية، 1409، 141/7).

الزهد المادي: أن رجلاً دخل عليه فلم يجد في بيته سوى سيف ومصحف، فقال: أما في بيتك غير هذا؟ فقال سلمان: «إن أمامنا عقبة كؤوداً، وقد قدّمنا متاعنا إلى المنزل (الآخرة)» (الاصبهاني، 1974، 203/1).

ساعاته الأخيرة: عند احتضار سلمان بكى، فسأله سعد بن أبي وقاص عن سبب بكائه، فقال: «سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: إن في الآخرة عقبة لا يقطعها إلا المخفون، وأرى هذه الأساود حولي!» (ولم يكن في بيته سوى إداوة وركوة ومطهرة وقُوّمت تركته بنحو عشرين درهماً). وأوصى سعداً قائلاً: «اذكر الله عند همّك

إذا هممت، وعند لسانك إذا حكمت، وعند يدك إذا قسمت» (ابن ماجه، د.ت، 1375/2؛ النيسابوري، 1990، 699/3). .

4. المعارضة الإيجابية وتقديم المصالح العليا للأمة

عاش سلمان مرارة الخلاف السياسي بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) وما جرى على بيت الزهراء (عليها السلام) وقضية فدك الخالدة، وكان ينتمي إلى خط المعارضة العقائدية الناقدة، إلا أنه لم يستبدل العمل السياسي بتعطيل مؤسسات الدولة أو إحداث الفوضى، قبِل سلمان ولاية المدائن وعمل ضمن أجهزة الدولة لحماية جبهة المسلمين واختيار الأماكن الإستراتيجية كالكوفة التي شارك مع حذيفة بن اليمان في اختطاطها وتأسيسها كمركز عسكري وأخلاقي، قائلاً: «الكوفة قبة الإسلام ويأتي على الناس زمان لا يبقى مؤمن إلا وهو بها أو يهوى قلبه إليها...» (الحموي، 199م، 491/4).

الدرس السياسي: قدّم سلمان أنموذجاً لـ "المعارض النزيه والمسؤول"؛ فلم يربط المصلحة العامة للناس وسعادة الرعية بخصومته السياسية، بل استخدم السلطة كأداة ناعمة لنشر الفكر الفاطمي والتطبيق العدلي بين الرعية.

المطلب الثالث: القراءة السياسية لإسناد المناصب للمعارضين (سلمان نموذجاً)

يُمثّل قبول سلمان للإمارة وتعيينه من قبل السلطة آنذاك حالة دراسية في العُرف السياسي الإداري وتتعدد القراءات السياسية لهذا الإسناد وتداعياته:

1. الاحتواء والتطويق السياسي: سعي السلطة إلى إسكات أصوات المعارضة البارزة واحتوائها عبر منحها ألقاباً ومناصب رسمية، لدفعها نحو مراجعة مواقفها الشديدة أو تقليل نقدها الإعلامي والشعبي (ابن أبي الحديد، 1960، 54/2).

2. بالونة الاختبار واكتساب الشرعية: الاستفادة من السمعة الأخلاقية والعقائدية لسلمان (المشهود له بالنقاء والنزاهة) لمنح السلطة القائمة مشروعية شعبية وأخلاقية أمام الرعية (العاملي، 2009، 114-118).

3. التوريط الإداري والإنهاك السياسي: محاولة إغراق المعارض النظري في التفاصيل الإدارية والملفات الخدمية المعقدة (المكر السياسي)، آملين بسقوطه في أخطاء إدارية أو زلات مالية تفقده رصيده الجماهيري (السبحاني، 1421، 108).

4. النفي والإبعاد: إبعاد الشخصيات المفصلية والمؤثرة عن مركز القرار (المدينة المنورة) إلى الولايات البعيدة (كالثغور والمدائن)، لقطع تواصلها اليومي مع قواعدها المعارضة ومنع تشكيل تكتل سياسي مناهض في العاصمة (ابن الاشعث، 1389، 210).

النتيجة: بالرغم من هذه الحسابات السياسية المزدوجة، استطاع سلمان (رضوان الله عليه) – بفضل البناء الفاطمي الأخلاقي الصلب – أن يحول الإمارة إلى مساحة للعدالة المتسامية، فرسخ تجربة معصومة عن الفساد، وأثبت أن زهد أهل البيت (عليهم السلام) يمكن تطبيقه كمنهج حكومي عملي ينقذ الأمة ويسود بالمحبة والعدالة

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين بأهل بيت النبوة، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، والرضوان على صحابته المنتجبين لا سيما "سلمان المحمدي".

خِتاماً لهذا البحث المكرس لدراسة من المحراب إلى السلطة: الأثر السياسي والتربوي للسيدة فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها) في التكامل القيادي لسلمان المحمدي (رضوان الله عليه))

يتضح جلياً أن التجربة التكاملية لسلمان لم تكن مجرد سلوك فردي أو زهدٍ صوفي معزول، بل كانت ثمرة لمدرسة تربوية وسياسية متكاملة أرسى دعائمها الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، ومثّلت فيها السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) القدوة والنموذج الفعلي المعصوم.

لقد نجحت الزهراء (عليها السلام) ببيتها، وزهدها، وتضحياتها بالخاص لأجل العام، في إعادة صياغة المفاهيم القيادية والسلطوية لدى سلمان، مما أهّله ليكون رجل دولةٍ عقائدياً، وإدارياً نزهاً، استطاع تحويل "إمارة المدائن" إلى تطبيق عملي لنظريّة العدالة الفاطمية، صامداً أمام كل محاولات الاحتواء أو التوريط السياسي.

نتائج البحث

خلص المبحث إلى جملة من النتائج الفكرية، السياسية، والإدارية، أبرزها:

1. إعادة تعريف التكريم والقيادة في المنهج النبوي: أثبتت الدراسة أن النبي (صلى الله عليه وآله) أسس لثورة مفاهيمية تجرد السلطة والجاه من المظاهر المادية (كالأموال والإقطاعات)، واستبدلها بالبدائل الروحية والمعرفية (كتسبيح الزهراء، وصلاة جعفر، وصلاة سلمان) لقطع الطريق أمام تحول القرب من مركز القرار إلى وسيلة للثراء والفساد.

2. المحورية التكاملية للسيدة الزهراء (عليها السلام): أظهر التحليل أن السيدة فاطمة (عليها السلام) مثلت النموذج القيادي الجامع لأدوار الشخصيات النسوية التاريخية (رفض سلطة القصر ك "آسية"، ونقاء المحراب ك "مريم"، وتوظيف المال ك "خديجة")، وقدمت أطروحة نقدية حادة لسلوكيات أبناء السلطة والجاه في كل الأزمان.

3. النبوغ والوعي السياسي المبكر لسلمان: بينت الروايات التفصيلية أن أسئلة سلمان المتكررة للنبي (صلى الله عليه وآله) عن "الوصي والخليفة" لم تكن عن جهل، بل كانت تكتيكاً سياسياً وإعلامياً واعياً لتثبيت معيار "الأعلمية والأهلية" في الضمير الجمعي، والتأكيد على الشرعية السياسية للإمام علي (عليه السلام).

4. نجاح تجربة "المعارضة الإيجابية: "قدم سلمان الفارسي أنموذجاً فريداً لـ "المعارض النزيه والمسؤول"؛ إذ لم يمنعه موقفه العقائدي من قبول إمارة المدائن لحماية الثغور وإقامة العدل، متجاوزاً أهداف السلطة من إسناد المنصب له (كالاحتواء، النفي، أو التوريط الإداري)، ومكرساً فلسفة "المخفين" والتخفف من حطام الدنيا أثناء الحكم.

التوصيات

بناءً على المعطيات والنتائج التي توصل إليها المبحث، يوصي الباحث بالمقترحات الآتية:

1. إسقاط التجربة السلمانية على الفكر الإداري المعاصر: التوصية بالاستفادة من السلوك الإداري لسلمان المحمدي في ولاية المدائن لبناء "ميثاق شرف أخلاقي" للحكام والمدراء التنفيذيين، يركز على حماية المال العام والتخفف من البهرجة السلطوية.

2. توسيع الدراسات المقارنة حول الصحابة المنتجبين: اقتراح إعداد دراسات أكاديمية تعنى بالتحليل السياسي والنفسي لدور بيت النبوة والفاطميين في صياغة الشخصية القيادية لصحابة آخرين كـ (أبي ذر الغفاري، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر).

3. تفكيك آليات التمكين المعرفي للمرأة القيادية: تسليط الضوء أكاديمياً على السيرة النقدية والسياسية للسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وتدريسها ضمن المناهج الجامعية لمادة "الفكر السياسي الإسلامي"، لتقديمها كأنموذج صانع للرجال والقادة وليس مجرد شخصية تاريخية محصورة في البعد العبادي.

4. تأصيل مفهوم "المعارضة الرشيدة: "استلهام تجربة سلمان في التعاطي مع مؤسسات الدولة لبناء أدبيات سياسية إسلامية تميز بين "النقد الإصلاحي البناء ومكافحة الفساد" وبين "هدم الدولة أو إحداث الفوضى".

المصادر والمراجع

1. أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله (ت 430 هـ). (1974م). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. مصر: مطبعة السعادة.
2. أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله (ت 430 هـ). (1985م). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. بيروت: دار الكتاب العربي.
3. أحمد بن حنبل (ت 241 هـ). (2001م). مسند الإمام أحمد بن حنبل. بيروت: مؤسسة الرسالة.
4. أسبر، محمد علي. (1993م). سلمان منا أهل البيت (الطبعة الأولى). بيروت: الدار الإسلامية.
5. ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله. (1960م). شرح نهج البلاغة. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.
6. ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد. (1409هـ). المصنف في الأحاديث والآثار. تحقيق: كمال يوسف الحوت. الرياض: مكتبة الرشد.
7. ابن الأشعث، محمد بن محمد الكوفي. (1389هـ). الأشعثيات (الجعفريات). تهران: مكتبة نينوى الحديثة.
8. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت 852 هـ). (1998م). المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية. الرياض: دار العاصمة.
9. ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري. (1990م). الطبقات الكبرى. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية.
10. ابن شهر آشوب، محمد بن علي (ت 588 هـ). (1956م). مناقب آل أبي طالب. النجف الأشرف: مطبعة المظفري.

11. ابن طاووس، علي بن موسى (ت 664 هـ). (1390هـ). إقبال الأعمال بالدعوات الصالحة. تهران: دار الكتب الإسلامية.

12. ابن عساكر، علي بن الحسن (ت 571 هـ). (1995م). تاريخ مدينة دمشق. بيروت: دار الفكر.

13. ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني. (د.ت). سنن ابن ماجه. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار الفكر.

14. ابن هشام، عبد الملك (ت 218 هـ). (د.ت). السيرة النبوية. بيروت: دار المعرفة.

15. البحراني، هاشم بن سليمان. (1413هـ). مدينة المعاجز أئمة الهدى والإثني عشر ودلائل الحجج على البشر. قم: مؤسسة المعارف الإسلامية.

16. البحراني، هاشم بن سليمان. (د.ت). علي والسنة. تحقيق: نجم الدين العسكري. الكويت: منشورات مكتبة الإمام الصادق (ع)، مسجد الصحاف.

17. الثعلبي، أحمد بن محمد (ت 427 هـ). (2002م). الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبي). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

18. الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله (ت 405 هـ). (1990م). المستدرك على الصحيحين. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية. (تم دمج النسختين المكررتين).

19. الحموي، ياقوت بن عبد الله. (1995م). معجم البلدان (الطبعة الثانية). بيروت: دار صادر.

20. الخوارزمي، الموفق بن أحمد (ت 568 هـ). (1411هـ). المناقب. قم: مؤسسة النشر الإسلامي.

21. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد. (1985م). سير أعلام النبلاء. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة.

22.السبحاني، جعفر. (1421هـ). الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل. قم: مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام).

23.الصدوق، محمد بن علي بن بابويه (ت 381 هـ). (1966م). علل الشرائع. النجف الأشرف: منشورات المكتبة الحيدرية.

24.الصدوق، محمد بن علي بن بابويه (ت 381 هـ). (1378هـ). عيون أخبار الرضا (ع). تهران: منشورات جهان.

25.الصدوق، محمد بن علي بن بابويه (ت 381 هـ). (1403هـ). الخصال. قم: جامعة مدرسين.

26.الصدوق، محمد بن علي بن بابويه (ت 381 هـ). (1413هـ). من لا يحضره الفقيه (الطبعة الثانية). قم: دفتر انتشارات إسلامي.

27.الطبراني، سليمان بن أحمد (ت 360 هـ). (1994م). المعجم الكبير. القاهرة: مكتبة ابن تيمية.

28.الطبرسي، أحمد بن علي بن أبي طالب. (1383هـ). الاحتجاج. مشهد: نشر المرتضى.

29.الطوسي، محمد بن الحسن (ت 460 هـ). (1411هـ). مصباح المتهجد وغاية المتهد. قم: مؤسسة الفقه الإسلامي.

30.الطوسي، محمد بن الحسن (ت 460 هـ). (1414هـ). الأمالي. قم: دار الثقافة.

31.العاملي، جعفر مرتضى. (2009م). سلمان الفارسي في مواجهة التحدي – دراسة وتحليل (الطبعة الثالثة). بيروت: المركز الإسلامي للدراسات.

32.القمي، عباس (ت 1359 هـ). (1996م). مفاتيح الجنان (الطبعة الثالثة). بيروت: دار المجتبى للطباعة والنشر والتوزيع.

33.القمي، عباس (ت 1359 هـ). (2005م). مفاتيح الجنان. بيروت: دار الإسراء.

34.الكليني، محمد بن يعقوب (ت 329 هـ). (1365هـ). الكافي (ج3). طهران: دار الكتب الإسلامية.

35.الكليني، محمد بن يعقوب (ت 329 هـ). (1407هـ). الكافي. تهران: دار الكتب الإسلامية.

36.المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي. (1403هـ). بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار. بيروت: مؤسسة الوفاء.

37.المتقي الهندي، علي بن حسام الدين (ت 975 هـ). (1981م). كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. بيروت: مؤسسة الرسالة.

38.المفيد، محمد بن محمد بن النعمان (الشيخ المفيد) (ت 413 هـ). (1413هـ). الإختصاص. قم: مؤتمر الشيخ المفيد.

Title

From the Mihrab to Power: The Political and Educational Impact of Lady Fatima Al-Zahra (peace be upon her) on the Governance of Salman Al-Muhammadi (may Allah be pleased with him) in Al-Mada'in

"A Political Analytical Study"

First Author

Lecturer Dr. Muhammad Abdul-Baqir Abbas Al-A'asam

Affiliation:

Directorate of Shia Endowment in Holy Najaf / Religious Education and Islamic Studies Division

Email:

Mhmdalasm197@gmail.com

Phone:

+9647706805690

Second Author

Assistant Lecturer Essam Abdul-Hadi Jehadi Abdul Al-Zrijawi

Affiliation:

Directorate of Shia Endowment in Holy Najaf / Religious Education and Islamic Studies Division

Email:

eessamabdelhadi@gmail.com

Phone:

+9647711188037

الهوامش

[1] Kassim Shehim, James Searing, Djibouti And The Question Of Afar Nationalism, **African Affairs**, volume 79, issue 315, p 209.

[2] -Amedee Bollee . Djibouti: From French Outpost to US Base. **Review of African Political Economy**, 30(97) ,2003, P.481.

[3] André Cabanis and Michel Louis Martin, Le constitutionalisme de la troisième vague en Afrique Presses Universitaires ,Third wave constitutionalism in French-speaking Africa,Francophone P 43.,Ryckmans/Bruylant, 2010

[4] Yan Wan, Lujia Zhang, Charlie Qiuli Xue, Yingbo Xiao, 2020, Djibouti: From a colonial fabrication to the deviation of the "Shekou model", Cities, Volume 97,2020, P64.

[5] Yan Wan,cit,op,p65.

[6] John Markakis, (). National and Class Conflict in the Horn of Africa. London: Zed Press, Africa, 61(2) ,1991, P290.

[7] Philippe Oberlé and Pierre Hugo, History of Djibouti: From Its Origins to the Republic ,Présence Africaine, 1985,p.18.

[8] على بن غانم على، 2002، **جمهورية جيبوتى**، مكتبة الثقافة ، الدوحة ، 2002ص31.

[9] John Markakis, **National and Class Conflict in the Horn of Africa**. London: Zed Press, Africa, 61(2), 1991,p.290.

[10] Yasin Mohammed Yasin , Regional Dynamics of Inter-ethnic Conflicts in the Horn of Africa: An Analysis of the Afar-Somali Conflict in Ethiopia and Djibouti, **PHD**, Business, Economics And Social Sciences, University Of Hamburg,2010, P.47.

[11] عايدة عبد الرسول على صقر، تطور الحركة الوطنية فى جيبوتى من 1862 – 1977 ، **رسالة ماجستير غير منشورة**، جامعة القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، قسم التاريخ، 1985,ص77.

[12] عبد الملك عودة، **جيبوتى : دراسة مسحية شاملة**، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 2000,ص92.

[13] John Markakis, National and Class Conflict in the Horn of Africa. London: Zed Press, Africa, 61(2)1991, 290–290.

[14] Sankalp G urjar, "Djibouti: The Organizing Principle of Indo-Pacific", Journal of Indo-Pacific Affairs, Vol. 4, No. 8 ,November, 2021,pp. 46-63.

[15] Aden, M., McCabe, R. Djibouti: Ports, Politics and Piracy. In: Bueger, C., Edmunds, T., McCabe, R. (eds) Capacity Building for Maritime Security. Palgrave Macmillan, Cham,2021. P.84.

[16] Aden, M., McCabe, R.cit.op,p85.

[17] Simon Imbert-Vier. Afars, Issas … and Djiboutians: Toward a History of Denominations. **Northeast African Studies**, 13(2), 2013, P.123.

[18] باسم رزق عدلي مرزوق، الانتخابات التشريعية في جيبوتي، افاق افريقية ، القاهرة، الهيئة العامة للاستعلامات، العدد 38، المجلد 11، 2013 ,ص101.

[19] Cooper, I. (). **Political Parties: Presidential Succession Crises and Internal Party Democra. In N. Cheeseman** (Ed.), Institutions and Democracy in Africa: How the Rules of the Game Shape Political Developments ,chapter, Cambridge: Cambridge University Press. 2018, p. 191.

[20] - سعيدة محمد عمر، اشكالية التحول الديمقراطى فى افريقيا : دراسة حالة جمهورية جيبوتى، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة,2016، ص 78.

[21] التعديلات الدستورية لإطالة فترة الحكم: أبرز تغيير في البنية السياسية خلال حكم جيلة كان تعديل الدستور في عام 2010 لإلغاء الحد الأقصى لعدد الفترات الرئاسية. هذا التعديل كان حجر الزاوية في استراتيجية جيلة للبقاء في السلطة لفترة غير محددة، بينما بررت الحكومة هذا التعديل بالقول إنه يسمح بمواصلة الاستقرار السياسي والتنمية، كان واضحًا أن التعديل يهدف إلى إطالة بقاء جيلة في الحكم. المعارضة السياسية شجبت هذه الخطوة واعتبرتها استبدادية، كانت التعديلات الدستورية علامة واضحة على طبيعة نظام الحكم في جيبوتي: نظام رئاسي شبه مطلق، يعتمد على قيادة فردية واستمرارية حكم الحزب الواحد. للمزيد ينظر: 2 2 avril 2010; Reuters, Djibouti Parliament Removes Presidential Term Limit, April 2010; Freedom House, Freedom in the World Djibouti ,2011; الجريدة الرسمية لجمهورية جيبوتي، القانون الدستوري رقم AN/10/6ème L/92 المؤرخ في الثاني من نيسان 2010.

[22] Clarke, W.S., Issa, C. The Republic of Djibouti — An Introduction to Africa's Newest State and a Review of Related Literature and Sources. A Current Bibliography on African Affairs, 1977,P. 31.

[23] Clarke, W.S., Issa, C. The Republic of Djibouti — An Introduction to Africa's Newest State and a Review of Related Literature and Sources. A Current Bibliography on African Affairs, 1977,PP 10, 3 - 31.

[24] Tafesse Olika, , Djibouti's Foreign Policy Change from Survival Strategy to an Important Regional-Power Player: Implications for Ethio-Djibouti Relations, Ethiopian Journal of the Social Sciences and Humanities (EJOSSAH):V. 14, No. 2, 2018, Pp. 130-155.

[25] Ylönen, A. Governing the Horn's External Linkages: Agency, Domestic Politics and Local Power in the Horn of Africa – Gulf Relations. Asian Journal of Middle Eastern and Islamic Studies, 17(4), 2023, 386–403.

[26] أميرة محمد عبدالحليم، جيبوتي : إقصاء المعارضة، مؤسسة الأهرام، مجلة الديمقراطية ، مج 8، ع 30 ، 2008,ص ص 149 – 152.

[27] Styan D. (), Djibouti: Bridging the Gulf of Aden? Balancing Ports, Patronage and Military Bases Between Yemen's War and the Horn, in R. Mason and S. Mabon (eds.) The Gulf States and the Horn of Africa: Interests, Influences and Instability, Manchester, Manchester University Press. 2022, P.86.

[28] سعيدة محمد عمر، اشكالية التحول الديمقراطى فى افريقيا : دراسة حالة جمهورية جيبوتى، ط1، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة،2016, ص 78.

[29] World Bank. Djibouti: Systematic Country Diagnostic—Unlocking Djibouti's Potential for Inclusive Growth. Washington, DC: World Bank, 2018,p11.

[30] إخويرة رمضان عمر عيسى، الموانئ البحرية في جيبوتي: دراسة تاريخية تحليلية، مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر والاتحاد الدولي للمؤرخين، مجلة القلزم للدراسات التاريخية والحضارية ، ع24 ،2023, ص ص 119 – 134.

[31] أبو بكر حفني، التطورات الأخيرة في منطقة القرن الافريقي ودلالاتها (اثيوبيا واريتريا والصومال وجيبوتي وجنوب السودان)، ندوة مشتركة حول التطورات في منطقة القرن الإفريقي وأمن البحر الأحمر ، القاهرة: المجلس المصري للشؤون الخارجية،2019, ص22.

[32] السكك الحديدية: تم تطوير شبكة السكك الحديدية التي تربط جيبوتي بالعاصمة الإثيوبية أديس أبابا، بتمويل صيني كبير. هذا المشروع عزز من التعاون الاقتصادي بين البلدين وساهم في تسهيل نقل البضائع والمواد الخام من إثيوبيا إلى ميناء جيبوتي. كما جعل هذا الربط اللوجستي من جيبوتي مركزًا تجاريًا حيويًا لأثيوبيا، التي لا تمتلك منفذًا بحريًا. إخويرة رمضان عمر عيسى، المصدر السابق, ص 134.

[33] Easterly, G. (). From Imperial Port City to Logistics Hub: The Production of Strategic Space in Djibouti (1859–2020). ACM Crossroads Student Magazine, 19, 2021,P 74.

[34] John du Bois de Gauduusson, Gérard Conac and Christine Desouches, 'Les constitutions africaines publiées en langue française' ('African Constitutions published in French'), Volume 1 (Documentation française/ Bruylant, 1997),P 278.

[35] Grace Easterly,,'From imperial port city to logistics hub: the production of strategic space in Djibouti (1859- 2020)', Crossroads 19: 1, 2021, pp. 93-98

[36] أبو بكر حفني، ، التطورات الأخيرة في منطقة القرن الافريقي ودلالاتها (اثيوبيا واريتريا والصومال وجيبوتي وجنوب السودان)، ندوة مشتركة حول التطورات في منطقة القرن الإفريقي وأمن البحر الأحمر ، القاهرة: المجلس المصري للشؤون الخارجية،2019, ص22.

[37] Osman Aden, Neima, Air Transportation and Socioeconomic Development: The Case of Djibouti, RSVT '20: Proceedings of the 2nd International Conference on Robotics Systems and Vehicle Technology,2020, P 89 - 94

[38] KESSELS, E., DURNER, T., & SCHWARTZ, M. **Djibouti. In Violent Extremism and Instability in the Greater Horn of Africa: An Examination of Drivers and Responses** Global Center on Cooperative Security. 2016, pp. 9–13.

[39] John du Bois de Gauduusson, Cit,op,p13.

[40] Donelli, F. (). The Red Sea Competition Arena: Anatomy of Chinese Strategic Engagement with Djibouti. Afriche e Orienti, 25(1), 2023, pp43ز

[41] Hirsch, A., & Lopes, C. Post-colonial African Economic Development in Historical Perspective. **Africa Development / Afrique et Développement**, *45*(1) ,2020,pp 31.

[42] John du Bois de Gauduusson, Cit,op,p16

[43] Ibid, p17.

[44] Ploch Blanchard L. Djibouti, Washington D.C., Congressional Research Service, 2022,P251.

[45] John du Bois de Gauduusson, Cit,op,p6

[46] Conrad, Courtenay R. "Constrained Concessions: Beneficent Dictatorial Responses to the Domestic Political Opposition." **International Studies Quarterly** 55,2011,pp1167–1187.

[47] David Styan, "Djibouti: Geostrategic Balancing between the Horn and the Red Sea," in Giovanni Carbone, ed., Africa's Thorny Horn: Searching For a New Balance in the Age of Pandemic ,Milan, Ledizioni LediPublishing, 2021,p. 52.

[48] محسن حسن، جمهورية جيبوتي: دراسة في التطورات السياسية والأمنية والاقتصادية ، مركز مقديشيو للبحوث والدراسات ، مقديشيو،2016, ص13.

[49] Lons, C., and Petrini, B. The Crowded Red Sea. Survival, 65(1), 2023, 57–67.

[50] مضيق باب المندب، الذي يفصل بين البحر الأحمر وخليج عدن، يُعد من أكثر الممرات البحرية ازدحامًا في العالم. يعبره ما يقرب من 10% من التجارة البحرية العالمية، بما في ذلك شحنات النفط والغاز من الخليج العربي إلى أوروبا وأمريكا الشمالية. هذا الممر يمثل أيضًا طريقًا استراتيجيًا للسفن الحربية والغواصات، وهو ما يضفي عليه أهمية أمنية قصوى بالنسبة للقوى العالمية مثل الولايات المتحدة والصين وروسيا. للمزيد ينظر: Zach Vertin, Red Sea Rivalries: The Gulf, the Horn, & the New Geopolitics of the Red Sea", Report Brookings Doha Center Doha, Brookings Doha Center2019, p14.

[51] Ezeh, K. D., & Ezirim, G. E. Foreign Military Bases (FMBs) and Economic Security in Africa: Overview of FMBs in Djibouti, International Journal of Geopolitics and Governance, 2(1) ,2023, p26.

[52] Sun, D., & Zoubir, Y. H. The Eagle's Nest in the Horn of Africa: US Military Strategic Deployment in Djibouti. Africa Spectrum, 51(1), 2016,p 111.

[53] التعاون الاقتصادي والمالي بين البلدين تشمل مشاريع كبيرة في مجال الطاقة والنقل والاتصالات. الصين أصبحت واحدة من أكبر الممولين لجيبوتي، مما ساعد البلاد على تحسين بنيتها التحتية، لكن هذا التعاون أثار أيضًا قلق بعض القوى الغربية بسبب زيادة ديون جيبوتي للصين. للمزيد ينظر : Foltz, W. J. Africa and the International System: The Politics of State Survival. By Christopher Clapham. New York: Cambridge University Press. American Political Science Review, 92(4), 1998,p971.

[54] Petranek, L. M. Paving a Concrete Path to Globalization with China's Belt and Road Initiative Through the Middle East. Arab Studies Quarterly, 41(1), 2019,p.32.

[55] Elenwo-Roger, Elizabeth, "Investigating the detriment of development assistance: A geopolitical analysis of Sino-Djibouti relations through the lens of China's Belt and Road Initiative" (). Independent Study Project (ISP) Collection,2023. p634.

[56] Juneau, T. (). How War in Yemen Transformed the Iran-Houthi Partnership. Studies in Conflict & Terrorism, 47(3), 2021,p 278.

[57] Khalid, N. Sea lines under strain: The way foward in managing sea lines communications. The IUP Journal of International Relations, 6(2), 2012,p57.

[58] Mohammed, M. S. The Red Sea Regional Security Complex: The Implications of the Red Sea Forum for Ethiopian National Security. Asian Journal of Middle Eastern and Islamic Studies, 18(1), 2024,p31.

[59] حمدي الطاهري، جيبوتي : أمن البحر الأحمر، ط1، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة ،1978, ص 60.

[60] Aliyev, Pelin ve Çalışkan, Göktuğ,"How Does The Geopolitical Position Of Djibouti Influence 2023,P. 190. Its Relations With Great Powers?" **Diplomasi ve Strateji Dergisi**, c.4 s.2

[61] الأمين عبدالرازق آدم، جيبوتي الأهمية الإستراتيجية و العلاقات بدول الجوار، شركة دار كاهل للدراسات والطباعة والنشر، **مجلة أمة الإسلام العلمية** ، ع 13، 2013,ص ص171 – 184 .

[62] MORMUL, J. ,Ethio-Djiboutian Relations In The 21st Century – Towards New African Cooperation. Politeja, 42,2016,p. 263.

[63] McCabe, Robert. 2019. Policing the Seas: Building Constabulary Maritime Governance in the Horn of Africa—The Case of Djibouti and Kenya. **African Security** 12 (3–4): p.355.

[64] Dua, J. Djibouti: Sovereignty As A Resource. In From Pirate Ports To Special Economic Zones: Violence, Regulation And Port-Making In The Somali Peninsula,2017, (pp. 21–25). Danish Institute for International Studies.

[65] McCabe, Robert. 2019. Policing the Seas: Building Constabulary Maritime Governance in the Horn of Africa—The Case of Djibouti and Kenya. African Security 12 (3–4):p. 330.

[66] McCabe, Robert. 2019. Policing the Seas: Building Constabulary Maritime Governance in the Horn of Africa—The Case of Djibouti and Kenya. African Security 12 (3–4, 2019,p335.

[67] International Crisis Group. (2008). The djibouti negotiations. In somalia: to move beyond the failed state, International Crisis Group ,2008,p23.

[68] Petranek, L. M. Paving a Concrete Path to Globalization with China's Belt and Road Initiative Through the Middle East. Arab Studies Quarterly, 41(1),2019, p.12.

[69] محمد عبده آدم، الآمال والتحديات تجاه الحكومة الصومالية الجديدة : عوامل نجاح مبادرة الرئيس الجيبوتي في حل المعضلة الصومالية، المنتدى الإسلامي، البيان ، ع 157، 2000,ص ص 101 – 107.

[70] Mohapatra D.R. , An Economic Analysis of Djibouti-Ethiopia Railway Project, in "European Academic Research", vol. 3, n. 10,2016, p.13.

[71] Ibid,p. 13

[72] Donelli F. and Cannon B.J. ,Power Projection of Middle East States in the Horn of Africa: Linking Security Burdens with Capabilities, in "**Small Wars & Insurgencies**", vol. 34, n. 4,2023, p. 759.

[73] Donelli, Federico, and Ariel Gonzalez-Levaggi. "Crossing Roads: The Middle East's Security Engagement in the Horn of Africa." Italian Institute for International Political Studies (ISPI), 2021.

[74] Donelli F. and Gonzalez-Levaggi A. Crossing Roads: The Middle East's Security Engagement in the Horn of Africa, in "**Global Change, Peace & Security**", vol. 33, n. 1, 2021,p. 45.

[75] Mohammed, M. S. ,The Red Sea Regional Security Complex: The Implications of the Red Sea Forum for Ethiopian National Security. Asian Journal of Middle Eastern and Islamic Studies, 18(1),2024,pp 28–31.

[76] Lawale, S., & Ahmad, T. (2023). The Role of Small States in Power Contestations in the Horn of Africa Case Study of Djibouti. Asian Journal of Middle Eastern and Islamic Studies, 17(4),2023,p. 325.

[77] Marton P. ,The New Scramble for Africa; Globalization in Africa: Recolonization or Renaissance?, in "**Journal of Contemporary African Studies**", vol. 32, n. 1,2014, pp. 137.

[78] T. Mkandawire, 'Neopatrimonialism and the political economy of economic performance in Africa: Critical reflections', **World Politics**, 67(3), 2015, p.567.

[79]

[80] . Doornbos, 'Researching African statehood dynamics: Negotiability and its limits', Development and Change, 41(4), pp.2010,p.769.

[81] C. Clapham, *Africa and the International System: The Politics of State Survival* (Cambridge: Cambridge University Press, 1996) and J.-F. Bayart and S. Ellis, 'Africa in the world: A history of extraversion', African Affairs, 99(395), 2000, p.267.

[82] Mohapatra D.R. (2016), An Economic Analysis of Djibouti-Ethiopia Railway Project, in "**European Academic Research**", vol. 3, n. 10,2016, p.15

قائمة المصادر:

أولا: الرسائل والاطاريح العربية والأجنبية :

1- عايدة عبد الرسول علي صقر, تطور الحركة الوطنية في جيبوتي (1862–1977) (رسالة ماجستير غير منشورة), جامعة القاهرة, 1985.

2- Y. M.Yasin, Regional dynamics of inter-ethnic conflicts in the Horn of Africa, Doctoral dissertation, University of Hamburg,2010.

ثانيا: المصادر العربية :

1- الأمين عبد الرازق دم, جيبوتي الأهمية الاستراتيجية والعلاقات بدول الجوار, مجلة أمة الإسلام, 2013.

2- آدم، محمد عبده ادم, الآمال والتحديات تجاه الحكومة الصومالية الجديدة, مجلة البيان, 2000.

3- حمدي الطاهري, جيبوتي وأمن البحر الأحمر,المطبعة العربية الحديثة,القاهرة , 1978.

4- أبو بكر حنفي, التطورات الأخيرة في منطقة القرن الإفريقي, المجلس المصري للشؤون الخارجية, القاهرة, 2019.

5- محسن حسن, جمهورية جيبوتي: دراسة في التطورات السياسية والاقتصادية, مركز البحوث, مقديشيو, 2016.

6- باسم عدلي مرزوق رزق, الانتخابات التشريعية في جيبوتي, آفاق أفريقية, 2013.

7- سعيدة محمد عمر,إشكالية التحول الديمقراطي في أفريقيا: دراسة حالة جيبوتي, مكتبة جزيرة الورد , القاهرة,2016.

8- عبد الملك عودة, جيبوتي: دراسة مسحية شاملة, معهد البحوث والدراسات العربية , القاهرة, 2000.

9- علي بن غانم علي,جمهورية جيبوتي, مكتبة الثقافة,الدوحة,2002.

10- أميرة محمد عبد الحليم, جيبوتي وإقصاء المعارضة, مجلة الديمقراطية, 2008.

11- إخويرة رمضان عمر عيسى, الموانئ البحرية في جيبوتي, مجلة القلزم, 2023.

ثالثا: الكتب الأجنبية:

1- Cabanis, André & Martin, Michel Louis, Third Wave Constitutionalism in Francophone Africa, Presses Universitaires / Bruylant, Brussels, 2010.

2- Clapham, Christopher, Africa and the International System: The Politics of State Survival, Cambridge University Press, Cambridge, 1996.

3- Cooper, Ian, Institutions and Democracy in Africa: How the Rules of the Game Shape Political Developments, Cambridge University Press, Cambridge, 2018.

4- Markakis, John, National and Class Conflict in the Horn of Africa, Zed Press, London, 1991.

5- Ofcansky, Thomas P., Djibouti in Global Perspectives on the United States, CQ Press, Washington, 2007.

رابعا: البحوث والمجلات:

1- Shehim, Kassim & Searing, James, Djibouti and the Question of Afar Nationalism, African Affairs, No. 315, London, 1979.

2- Bollee, Amedee, Djibouti: From French Outpost to US Base, Review of African Political Economy, No. 97, London, 2003.

3- Wan, Yan et al., Djibouti: From a Colonial Fabrication to the Deviation of the Shekou Model, Cities, No. 97, Amsterdam, 2020.

4- Gurjar, Sankalp, Djibouti: The Organizing Principle of Indo-Pacific, Journal of Indo-Pacific Affairs, No. 8, United States, 2021.

5- Imbert-Vier, Simon, Afars, Issas and Djiboutians, Northeast African Studies, No. 2, United States, 2013.
6- Tafesse, Olika, Djibouti's Foreign Policy Change, Ethiopian Journal of Social Sciences, No. 2, Addis Ababa, 2018.
7- Ylönen, Aleksi, External Linkages in the Horn of Africa, Asian Journal of Middle Eastern Studies, No. 4, London, 2023.
8- Easterly, Grace, Strategic Space in Djibouti, ACM Crossroads, No. 19, New York, 2021.
9- Donelli, Federico, Red Sea Competition Arena, Afriche e Orienti, Issue 1, Italy, 2023.
10- Hirsch, Alan & Lopes, Carlos, African Economic Development, Africa Development, Issue 1, Dakar, 2020.
11- Lons, Camille & Petrini, Benedicte, The Crowded Red Sea, Survival, Issue 1, London, 2023.
12- Ezeh, K. & Ezirim, G., Foreign Military Bases in Africa, International Journal of Geopolitics, No. 1, 2023.
13- Sun, Degang & Zoubir, Yahia, US Military Deployment in Djibouti, Africa Spectrum, Issue 1, Germany, 2016.
14- Petranek, L. M., Belt and Road Initiative in the Middle East, Arab Studies Quarterly, Issue 1, United States, 2019.
15- Juneau, Thomas, Iran-Houthi Partnership, Studies in Conflict & Terrorism, Issue 3, London, 2021.
16- Khalid, N., Sea Lines Communications, Journal of International Relations, No. 2, 2012.
17- Aliyev, Pelin & Çalışkan, Göktuğ, Geopolitical Position of Djibouti, Diplomasi ve Strateji Dergisi, Issue 2, Türkiye, 2023.
18- McCabe, Robert, Maritime Governance in the Horn of Africa, African Security, No. 3, United States, 2019.
19- Mkandawire, Thandika, Political Economy in Africa, World Politics, No. 3, United States, 2015.